دكتوراه (١٧٤)



سلسلة الرسائل الجامعية
-١٧٤-

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

منهج الصحابة – رضي الله عنهم- في دعوة النصارى إلى الإسلام

إعداد
د.منى بنت محمد الجليدان

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



سلسلة الرسائل الجامعية
-١٧٤-

منهج الصحابة-رضي اللّه عنهم- في دعوة النصارى للإسلام

إعداد
منى بنت محمد الجليدان

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجليدان، منى محمد

منهج الصحابة - رضي الله عنهم - في دعوة النصارى للإسلام
منى محمد الجليدان - الرياض ، ١٤٤٥هـ

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٥٠٧٤
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٥٠٥-٧٥٥-٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

تقديم عميد البحث العلمي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد :

فقد نصت المادة الأولى في نظام مجلس التعليم العالي والجامعات في المملكة العربية السعودية على أن الجامعات السعودية مؤسسات علمية وثقافية، تعمل على هدي الشريعة الإسلامية، وتقوم بتنفيذ السياسة التعليمية بتوفير التعليم الجامعي والدراسات العليا، والنهوض بالبحث العلمي، والقيام بالتأليف والترجمة والنشر وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.

وعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في سبيل تحقيق أهدافها المنوطة بها تعنى بنشر البحوث العلمية، والرسائل الجامعية، وترجمة ما ترى فيه النفع إلى العديد من اللغات العالمية، وتستكتب في السلاسل الثقافية التي تصدرها العديد من المتخصصين؛ لتقدم المتميز من الأعمال العلمية.

وها هي تضع بين أيدي القراء هذه الرسالة العلمية الموسومة بـ(**منهج الصحابة - رضي الله عنهم - في دعوة النصارى للإسلام**) والي تحمل الرقم التسلسلي (١٧٤) للنشرالعلمي التي نشرتها الجامعة وطبعتها في مطابعها.

وقد وافق المجلس العلمي في الجامعة على نشر الرسالة في جلسته (الثانية) المعقودة بتاريخ ٧/١/ ١٤٤٢هـ، بقراره ذي الرقم (٤ -ج٢ - ١٤٤٢هـ).

نسأل الله ـ عز وجل ـ أن ينفع بها، إنه سميع مجيب.

عميد البحث العلمي
د. سالم بن علي اليامي

المقدمة:

أولاً: مدخل إلى موضوع الدراسة وأهميته:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2]. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3][4].

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، حتى فتح الله به قلوبًا غلفًا، وأعينًا عُميًا، وآذانًا صمًّا، وعلى آله وصحبه الذين تولوا أمانة البلاغ من بعده إلى يوم الدين. **أما بعد.**

---

(١) آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) النساء، الآية: (١).

(٣) الأحزاب، الآيتان: (٧٠-٧١).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، ص٣٠٦، رقم (٢١١٨)، كتاب النكاح، باب: في خطبة النكاح، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٨/١).

لقد كانت رسالة نبينا محمد ﷺ هي الرسالة الخاتمة للرسالات السماوية جمعاء، وتبعه الصحابة ﵃، في السير على منهجه في الدَّعوة لنقل نور الإسلام الذي نعموا به إلى جميع أصناف المدعوين داخل الجزيرة العربية وخارجها، وكان النصارى من أصناف المدعوين الذين أقبلوا على الإسلام، وشهدوا صورًا من عدله وسماحته، فقد كان أبو بكر ﵁ يوصي الجيوش الإسلامية الفاتحة، فيقول ليزيد بن أبي سفيان ﵁[1]: (إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ فَذَرْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لَه)[2]. فَنَعِمَ النصارى بعدل الإسلام، حتى كتب نصارى الشام إلى أبي عبيدة بن الجراح ﵁[3] يقولون: (يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا)[4].

---

(١) يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، أسلم يوم الفتح، وهو أحد الأمراء الذين ندبهم أبوبكر لغزو الروم، وأمره عمر على فلسطين ثم على دمشق، توفي يزيد في الطاعون سنة١٨هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٥١٧/٦).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، ص٢٨٥، رقم (٥١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨٥/٩) ، رقم (١٧٩٠٤)، وعبدالرزاق في مصنفه (٢٠٠/٥) رقم (٩٣٧٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٨٤/٦) رقم (٣٣١٣٤)، وذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١٦٢/١)، وقال شعيب الأرناووط:"رجاله ثقات لكنه منقطع" تخريج السنة رقم ٢٦٩٦.

(٣) أبوعبيدة بن الجراح: اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ،كان فتح أكثر الشام على يده، مات سنة ١٨هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٤٧٧/٣).

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٩٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق بنحوه (١٣٠/٤١)، وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٢٧/٢). وبهذا المعنى اعترف كثير من المستشرقين بأن الناس دعوا الصحابة لفتح بلادهم ليرفعوا الظلم عنهم من قبل الوثنيين والرومانيين والنصارى وغيرهم. انظر: توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ص ٧٣. وغستاف دوكا المستشرق الفرنسي في كتابه: "تاريخ فلاسفة المسلمين وفقهائهم".

ومن هنا فإن واقع الدَّعوة في عهد الصحابة ﷺ لم يقف عند تعريف النصارى بالقرآن الكريم وبالرسول ﷺ ودعوته، وإنما كانت أخلاق الصحابة ﷺ التي تربُّوا عليها في ظلِّ الإسلام تجلب المحبة لهم، وتحثُّ على اتخاذهم قدوة، (فحينما خرج عليٌّ ﷺ إلى السوق فإذا هو بنصراني يبيع درعًا[1] فعرف عليٌّ الدرعَ، فقال له: هذه درعي وبيني وبينك قاضي المسلمين،...اقض بيني وبينه يا شريح، فقال: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال عليٌّ: هذه درعي ذهبت مني منذ زمان. فقال شريح: ما تقول يا نصرانيُّ؟ فقال: ما أكذب أمير المؤمنين! الدرع درعي. فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده، فهل لك بينة؟ فقال عليٌّ: صدق شريح. فقال النصراني: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، هي والله يا أمير المؤمنين درعك، اتبعتك مع الجيش وقد زالت عن جملك الأورق[2] فأخذتها، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ. فقال عليٌّ: أما إذا أسلمت فهي لك..)[3].

---

(١) درع: شيء من اللباس من حديد. انظر: معجم مقاييس اللغة، بن فارس (٢٦٨/٢) مادة: درع.

(٢) الأورق: ما في لونه بياض إلى سواد، من أطيب الإبل لحمًا. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٩٢٨، مادة: ورق.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٦/١٠)، رقم (٢٠٢٥٢)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٢/٧)، رقم (١٧٧٨٧)، والسيوطي في جامع الأحاديث (٢٩٢/٣٠) رقم (٣٣٢٤٥)، وابن الأثير في الكامل (٦٢٠/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/٢٣). والرواية بمجموع طرقها ضعيفة، وقد ورد في بعضها أن الرجل يهودي. قال ابن الملقن:"في إسناده ضعفاء". انظر: البدر المنير (٥٩٧/٩). أما من حيث المتن، فلا يستغرب هذا العدل والإنصاف الذي عاشته الرعية في زمان الخلفاء الراشدين، ولا نستبعد أن يكون للقصة أصل قائم. عن سعيد بن المسيب، (أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلم ويهودي، فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له..) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الأقضية، باب: الترغيب في القضاء بالحق، رقم ٧٨٦. إسناده صحيح. انظر: الترغيب والترهيب، المنذري (١٨٨/٣).

وامتد عصر الصحابة ﷺ إلى نهاية القرن الأول الهجري، وكانت فتوح الشام ومصر سبيلًا لمخالطة النصارى والتعايش معهم وفق ما شرعه الله تعالى بقوله ﷻ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1] إذ أصبحوا من أهل الذمة، ونعموا بالأمن على أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم.

والوقوف على منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام من ضرورات الدَّعوة الإسلامية لا سيما في هذا العصر الذي تعددت فيه وسائل الاتصال.

وتتضح أهمية دراسة منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى من خلال ما يلي:

١- أن معرفة الدَّاعية لمنهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام من أهم الأمور، حتى تكون دعوته على علم وبصيرة. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

٢- أن دراسة منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام فيه ذكر للوقائع الدعويَّة الصادرة عن الصحابة ﷺ، والتي تعد مصدرًا من مصادر الداعية في دعوته؛ لأنهم أعلم الناس بالمنهج الرباني والأسلوب الحكيم، عايشوا نزول

---

(١) الممتحنة، الآية: (٨).

(٢) يوسف، الآية: (١٠٨).

الوحي على رسول الله ﷺ، وتعلموا منه، وتربوا على يديه ﷺ. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1].

٣- أن في معرفة الدَّاعية لمنهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام يحقق سلامة المنهج؛ لسلامة القدوة واستمرارية العمل الدعوي.

٤- أن دراسة واقع منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام تبيِّن الوسائل والأساليب الدعويَّة التي سلكوها في دعوهم، فقد كانوا ﷺ يقومون بالدعوة في البلاد المفتوحة حتى أسلم أهلها، ويرسلون العمال إلى الأقاليم دعاة إلى الإسلام هداة مرشدين.

٥- أن دراسة منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام من الأمور التي تشتد الحاجة إليها في عصرنا الحاضر، إذ لا يخفى على المسلم اليوم خطر النصارى، وما يقومون به من شن حملات تنصيرية على الإسلام والمسلمين، خاصة إذا ما علمنا أهم من أكثر الوافدين إلى بلاد المسلمين مقارنة بغيرهم من فئات غير المسلمين، مما يؤكد على ضرورة وعي الدَّاعية في عصرنا الحاضر بهذا الصنف، وبذل الوسع في تبليغهم الدَّعوة الإسلامية وفق دعائم وأسس ثابتة، تستند على فهم صحيح لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهدي الصحابة ﷺ من بعده، وعلى أساس هذا الوعي توضع الخطط، وتحدد الأولويات، وتعقد الموازنات، فتكتمل بصيرة الدَّاعية. لذا كان لا بد من وضع أسس لهذا المنهج من خلال الوقائع والأحداث التي حدثت في عصر الصحابة ﷺ فيما يتعلق بدعوة النصارى إلى الإسلام؛ ليستفيد منها الدعاة

---

(١) التوبة، الآية: (١٠٠).

خاصة في هذا الزمن الذي لم يسلم فيه المجتمع المسلم من خطر حملات التنصير، آخذة وسائل عديدة وأساليب متنوعة، مما يتطلب من الدعاة في عصرنا الحاضر تكثيف جهودهم وفق منهج شرعي مؤصَّل.

ولما سبق من أسباب وغيرها تم اختيار موضوع **منهج الصحابة** ﷺ **في دعوة النصارى إلى الإسلام**؛ ليكون موضوعًا لرسالة الدكتوراه المقدَّمة إلى قسم الدَّعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. **ولعل من أسباب اختيار هذه الدراسة؛ ما يلي:**

١- أهمية تقديم دراسة منهجية تأصيلية في قسم الدَّعوة، تستند على دعائم ثابتة من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

٢- أن الدَّاعية في عصرنا الحاضر بحاجة ماسة لمعرفة منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام، وأبرز الوسائل والأساليب الدعويَّة التي سلكوها في دعوتهم.

٣- حاجة الدَّعوة المعاصرة لدراسةٍ تبيِّن واقع دعوة الصحابة ﷺ للنصارى إلى الإسلام، وضوابط ذلك ومقوماته.

٤- لم يسبق هذا الموضوع بدراسة دعوية خاصة.

ثانيًا: أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة إلى:

١- التعرُّف على موضوع دعوة الصحابة ﷺ للنصارى إلى الإسلام.

٢- توضيح الوسائل والأساليب الدعويَّة التي نهجها الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٣- الوقوف على مقومات منهج الصحابة ﷺ وضوابطه في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٤- التعرُّف على معوقات دعوة النصارى إلى الإسلام وسبل علاجهم لها.

٥- بيان أوجه الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى

الإسلام في عصرنا الحاضر.

ثالثًا: تساؤلات الدراسة:

سعت الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

س١: ما موضوع دعوة الصحابة ﷺ الملأ من النصارى؟

س٢: ما موضوع دعوة الصحابة ﷺ العلماء من النصارى؟

س٣: ما موضوع دعوة الصحابة ﷺ العامة من النصارى؟

س٤: ما الأساليب والوسائل الدعويَّة التي سلكها الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام؟

س٥: ما مقومات منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام؟

س٦: ما ضوابط منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام؟

س٧: ما المعوقات الداخلية في دعوة النصارى إلى الإسلام؟

س٨: ما المعوقات الخارجية في دعوة النصارى إلى الإسلام؟

س٩: ما أوجه الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام في عصرنا الحاضر؟

رابعًا: الدِّراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على الدراسات السابقة، أذكر هنا ما تمكنت من الاطلاع عليه، والاستفادة منه في مجال موضوع الدراسة على النحو الآتي:

أ) الدراسات الجامعية:

١- منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام[1].

---

(١) حمود بن أحمد الرحيلي، رسالة ماجستير غير منشورة.

هدفت الدراسة إلى توضيح موقف القرآن من أهل الكتاب، وموقف أهل الكتاب من الدَّعوة، وتوصلت إلى بيان أساليب القرآن في دعوة أهل الكتاب.

وعلاقة هذه الدراسة بموضوع الدراسة تتمثل في إشارة المؤلف إلى أساليب دعوة النصارى إلى الإسلام، ولكنها لم تبين منهج الصحابة ﷺ العلمي والعملي في الدَّعوة.

٢- الحوار الإسلامي المسيحي(١).

هدفت هذه الدراسة إلى بيان موقف القرآن الكريم والسنة النبوية من المسيحية والمسيحيين ومبادئ الحوار معهم، وتوضيح تاريخ الحوار الإسلامي المسيحي من بعد عصر الرسول ﷺ إلى مطلع القرن العشرين، والتعرُّف على موضوعات الحوار الإسلامي المسيحي، وبيان المواقف والأهداف من الحوار الإسلامي المسيحي.

وتوصلت إلى بيان منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في موضوع العلاقات الإسلامية المسيحية؛ وذلك لاستخلاص المبادئ التي يمكن أن يبنى عليها الحوار الإسلامي المسيحي.

وعلاقة هذه الدراسة مع دراستي تتمثل في تطرقها إلى بعض الحوارات والمواقف التي تمت بين الصحابة ﷺ والمسيحيين، ولكنها لم تبيِّن منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٣- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض دراسة ميدانية تقويمية(٢).

هدفت الدراسة إلى الوقوف على واقع دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في

---

(١) بسام داود عجك.رسالة ماجستير منشورة.

(٢) عبدالله بن إبراهيم اللحيدان.رسالة دكتوراه، غير منشورة.

مدينة الرياض، وسعت في إطارها النظري إلى بيان ملامح عامة للمنهج القرآني، ومعالم التطبيق النبوي في عصر الرسول ﷺ وصحابته الكرام ﷺ في دعوة غير المسلمين بشكل عام. واستخدم الباحث المنهج الوصفي؛ للوقوف على واقع دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض، وخلصت الدراسة إلى تفاوت الدعاة في طريقة الدَّعوة، وهو ما يؤكد أهمية الوقوف على معالم المنهج الذي سار عليه الصحابة ﷺ في دعوة النصارى.

وتتمثل العلاقة بين الدراستين في ذكر المؤلف لمعالم دعوة غير المسلمين في عصر الخلفاء الراشدين، مما له صلة بموضوع الدراسة هنا، لكنها لم تركز على الجانب التطبيقي إلا في نواحٍ يسيرة.

٤- منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب(١).

هدفت الدراسة إلى الوقوف على منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب وذكر وسائل دعوتهم، فهي قاصرة على عصر النبي ﷺ فقط و لم تتطرق لمنهج الصحابة ﷺ.

٥- دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية(٢).

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن جهود المسلمين الدعوية بموضوعاتها المختلفة الموجهة للنصارى، واستجلاء مايتعلق بها من أساليب ووسائل، وبيان عوامل النجاح في مواجهة المشكلات وكيفية الاستفادة منها في العصر الحاضر، فهي مختصة بعصر الحروب الصليبية و لم تتطرق لعصر الصحابة ﷺ، وتتفق مع دراستي من ناحية التركيز على فئة النصارى.

٦- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري(٣).

---

(١) محمد بن سيدي الشنقيطي، رسالة دكتوراه، منشورة.

(٢) سليمان بن عبدالله الرومي، رسالة دكتوراه، منشورة.

(٣) عبدالمجيد الشرفي.رسالة دكتوراه منشورة.

حيث وضح هذا الكتاب الجذور التاريخية للنصرانية، وردود المسلمين على النصارى، ولكنه لم يوضح منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٧- جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين(١).

تضمن الكتاب جهود علماء الاندلس في الصراع ضد النصارى، والعلماء الذين ساهموا في ذلك، و لم يركز على منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

ب) التراكمات العلمية:

١- الحوار مع أهل الكتاب(٢).

هدفت الدراسة إلى الوقوف على مناهج الحوار مع أهل الكتاب وأهدافه وموضوعاته. وتوصلت إلى بيان منهج القرآن في محاورة أهل الكتاب عمومًا، مع تركيزها على قضية الحوار، بخلاف ما ستركز عليه دراستي في بيان منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى بشكل خاص. على أن علاقة هذه الدراسة بموضوع البحث من خلال ما تطرق له المؤلف بعنوان: أساليب في دعوة أهل الكتاب.

٢- الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي(٣).

هدفت الدراسة إلى بيان ماله صلة بأهل الذمة من النصارى وغيرهم من غير المسلمين بشكل عام، وتوصلت إلى بيان واجباتهم وحقوقهم، كما قررتها الشريعة الإسلامية، مستدلًا على ذلك بشواهد من القرآن والسنة وأقوال الصحابة ﷺ وأفعالهم.

ووجه العلاقة بينها وبين موضوع الدراسة يتمثّل بذكره لبعض مواقف الصحابة ﷺ مع النصارى في جانب المعاملات فقط.

---

(١) محمد بن إبراهيم أبا الخيل. رسالة دكتوراه منشورة.

(٢) خالد بن عبدالله القاسم.

(٣) دندل جبر.

٣- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل[١].

تضمنت هذه الدراسة الرد على النصارى واليهود من كتبهم، وبيان عقائدهم الباطلة بشواهد من القران والسنة، وتتفق مع دراستي في عرض عقائد النصارى، وتختلف في عدم تطرقها لشواهد من دعوة النصارى في عصر الصحابة ﷺ.

٤- الرد على النصارى[٢].

هدف هذه الكتاب إلى إبطال عقائد النصارى، والرد عليها، ووجه الاتفاق مع دراستي، في بيان عقائد النصارى والرد عليها، وتختلف في عدم بيان منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٥- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية[٣].

هدف هذا الكتاب إلى بيان مذاهب النصارى ومعتقداتهم، ودحض شبهاتهم، ويتفق مع دراستي في الحديث عن النصرانية، ولكنه لم يتطرق لمنهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٦- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة[٤].

تصدى هذا الكتاب للكثير من شبه اليهود والنصارى، بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة، ولم يتطرق لمنهج الصحابة ﷺ تجاه النصارى.

ج) علاقة الدراسة الحالية بالدراسات السابقة:

بعد عرض الدراسات السابقة، تبيَّن بأن تلك البحوث تشير إشارة مجملة إلى

---

(١) صالح بن الحسين الجعفري.

(٢) صالح بن الحسين جعفري.

(٣) نصر بن يحي المتطبب.

(٤) أحمد بن إدريس القرافي.

موضوعات البحث دون التركيز عليها، بخلاف ما أهدف إليه من استقصاء جهود الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام، واستخلاص المنهج الدعوي من خلال هذه الجهود، و ثمار الاستفادة منه في العصر الحاضر.

خامسًا: منهج الدراسة:

قامت هذه الدراسة على جمع الآثار المروية عن الصحابة ﷺ فيما يتعلق بمنهجهم في دعوة النصارى إلى الإسلام، ولأجل هذا كان المنهج المختار هنا "**المنهج الاستقرائي**"[(١)]، الذي يمكن من استقراء الآثار المتعلقة بموضوع الدراسة، وكذلك "**المنهج التاريخي**"[(٢)] الذي يقوم على جمع الوثائق المتوافرة عن الموضوع، وتحليلها؛ لاستنتاج ما يتصل بمشكلة الدراسة، ثم يأتي بعد ذلك التأمل الواعي، والاستنباط السديد، مما يعني أنه لابد من استخدام "**المنهج التحليلي**[(٣)]"؛ لتحديد معالم المنهج الدعوي المستفاد من تلك الآثار المؤسسة على أقوال أهل العلم المعتبرين في النصوص الشرعية وأسس ذلك المنهج، والحقائق العامة التي تمَّ التوصل إليها؛ وذلك لاستنباط حقائق جزئية في موضوع الدراسة؛ لتسهم في الإفادة منها في دعوة النصارى إلى الإسلام.

ولقد راعيت أثناء كتابتي لهذه الدراسة أمورًا متعددة منها:

---

(١) **المنهج الاستقرائي** (الناقص): وهو مايقوم على الاكتفاء ببعض جزيئات المسألة وإجراء الدراسة عليها، بالتتبع لما يعرض لها، مع الاستعانة بالملاحظة في هذه الجزئيات المختارة، وذلك لأصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل تحت الدراسة". البحث العلمي، الربيعة (١٧٩/١).

(٢) **المنهج التاريخي**: يهتم بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار. انظر: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، ذوقان عبيدات وآخرون، ص٢٠٩.

(٣) **المنهج التحليلي**: يعتمد هذا النوع على جمع المعلومات التي تتعلق بأي نشاط كان، ثم تحليلها لاستخلاص مايمكن استخلاصه منها. انظر: مناهج البحث وكتاباتها، يوسف القاضي، ص٨٩.

١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وكتابتها بالرسم العثماني.

٢- تخريج الأحاديث من المصادر الأصلية مع إيراد الحكم عليها، وإذا كان الحديث موجودًا في صحيح الإمام البخاري ومسلم -رحمهما الله- فإني أكتفي بهما؛ لإجماع الأمة على تلقيهما بالقبول.

٣- تخريج ما أستطيع تخريجه من الآثار والشواهد التاريخية من مظانِّها، مع ذكر حكم النُقَّاد عليها متى ما وُجد، وإذا ثبت ضعف بعض الآثار، فإني استشهد على معناها بالصحيح من سنة النبي ﷺ، وماثبت في الشريعةالإسلامية.

٤- كتابة معلومات المصادر والمراجع في نهاية البحث، ولم أتطرق لذكرها في الهامش؛ لأنه لابد من ذكرها هناك فسيكون تكررًا وتطويلًا، وسأكتفي بذكر اسم الكتاب والمؤلف مختصرا، وأشير إلى الجزء والصفحة هكذا (٢/٥٠)، وإذا لم يوجد أجزاء فإني أكتب رقم الصفحة بدون أقواس، هكذا ص٥٠.

٥- النصوص القرآنية جعلتها بين قوسين؛ لتمييزها ﴿ ﴾، والأحاديث الشريفة وآثار الصحابة ﷺ جعلتها بين قوسين هلالين ( ). أما حين أقوم بالنقل دون تصرف وأحيل القارئ إلى مرجع أضع النقول بين قوسين مزدوجين صغيرين " "، وإذا كان النقل بتصرف فلا أضعه بين أقواس وإنما أكتب في الهامش كلمة "انظر" قبل ذكر اسم الكتاب، وإذا ذكرتُ اسم المؤلف أو الكتاب في المتن فإني لا أذكره في الهامش.

٦- ترتيب المصادر والمراجع ترتيبًا أبجديًا.

٧- عزو المعلومة إلى أكثر من مرجع؛ إثراءً للدراسة.

٨- وضع فهارس متنوعة في آخر الرسالة.

٩- توضيح المصطلحات والمفردات الغريبة الواردة في متن البحث والتعريف

بالأماكن والبلدان.

١٠- ترجمة الأعلام من الصحابة ﷺ دون غيرهم، ما عدا الخلفاء الراشدين؛ لشهرتهم، ولعدم خفاء سيرتهم على الناس.

١١- التفاوت في الفصول والمباحث طولًا وقصرًا من حيث التحليل تبعًا للأهمية.

١٢- قد يتكرر الشاهد الواحد أكثر من مرة؛ وذلك لصلاحيته أن يكون مستندًا لأكثر من درس دعوي، ويكون ذكري له باختصار، وتكرار الشواهد مبني على تنوع الدروس، إضافة إلى ذلك استفدت من منهج الإمام البخاري -رحمه الله- في تكرار الشواهد على أبواب الحديث؛ لورود مناسبة متعلقة بهذا النص، يذكره للداعية والمدعو ويذكره في مناسبة الوسائل والأساليب.

١٣- ذكر الشواهد المتعلقة بدعوة النصارى إلى الإسلام في عصر الصحابة ﷺ، ولا يتضمن ذلك ما وُجِد من مواقف لهم في عصر الرسول ﷺ.

١٤- لن أتعمق في ذكر اختلاف الروايات التاريخية، بل آليت أن أكتفي بإيرادها حسبما أستطيع فهمه منها، وإن كان ثمة خلاف فإني أشير إليه في الهامش مختصرًا.

سادسا: تقسيمات الدراسة:

المقدمة.

مدخل الدراسة.

الفصل التمهيدي.

الفصل الأول: موضوع دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام:

المبحث الأول: موضوع دعوة الصحابة ﷺ الملأ من النصارى.

المبحث الثاني: موضوع دعوة الصحابة ﷺ العلماء من النصارى.

المبحث الثالث : موضوع دعوة الصحابة ﷺ العامة من النصارى.

الفصل الثاني : وسائل الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام وأساليبهم.

المبحث الأول : وسائل الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

المبحث الثاني : أساليب الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

الفصل الثالث : مقومات منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام وضوابطه.

المبحث الأول : مقومات منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

المبحث الثاني : ضوابط منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

الفصل الرابع: معوقات دعوة النصارى إلى الإسلام وسبل علاجهم لها.

المبحث الأول : معوقات خارجية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام، وسبل علاجهم لها.

المبحث الثاني: معوقات داخلية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام، وسبل علاجهم لها.

الفصل الخامس: أوجه الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام في العصر الحاضر.

خاتمة : وفيها النتائج والتوصيات.

مدخـــل الدراســـة

التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان الدراسة

أولاً: تعريف المنهج.

ثانيـــا: تعريف الصحابة ﷺ.

ثالثـــا: تعريف الدعوة.

رابعـــا: تعريف النصارى.

خامسًا: تعريف الإسلام.

سادسًا: تحرير مفهوم العنوان.



أولاً: تعريف المنهج

في اللغة: كلمة المنهج مشتقة من الفعل الثلاثي (نَهَجَ) فيقال: نهج الطريق نهجًا ونُهوجًا، وضح واستبان، والمنهج: الطريق البيِّن الواضح. ونَهجت الطريق إذا سلكته، والمنهاج: الخطة المرسومة[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[2].

أما في الاصطلاح الدعوي: فقد عُرِّف المنهج بعدة تعريفات منها:

١- "الخطط العملية، والأصول والقواعد النظرية الشرعية والعقلية، والمسالك الخلقية المستعملة في نشر الدَّعوة الإسلامية "[3].

٢- "مجموعة القواعد والأصول الدعويَّة الثابتة التي لا تتغير بتغير الظروف والأحوال"[4].

٣- "الأسلوب الذي يرسمه الدَّاعية؛ لتحقيق أهداف يسعى للوصول إليها ويغرسها في المدعوين، ويُعيِّن الموضوعات التي تعطى لكل مرحلة أو لكل مجموعة من الناس"[5].

وعند التأمل في التعريفات السابقة، يتبيَّن أن التعريف الأول والثاني مختصران في كلمات مجملة، تدور حول خطط الدَّعوة والقواعد والأصول. كما أنهما أغفلا

---

(١) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ص٢٤٠. معجم الصحاح، الجوهري، ص١٠٧٢، مادة: نهج.

(٢) المائدة، الآية: (٤٨).

(٣) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدَّعوة إلى الله، الحوشاني (١/٥٠).

(٤) المصطلحات الدعويَّة، المجلي، ص١٢. ويقول د.محمد السلمي: "وكان العلماء المسلمون يعبِّرون عن المنهج بالأصول والقواعد". منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص٨٧.

(٥) فقه الدَّعوة وأساليبها، حموده، ص٥٣.

الجمهور المستهدف بالمنهج، والوسائل والأساليب الدعويَّة.

أما التعريف الثالث فقد عرَّف المنهج بأنه أسلوب، وهذا يُحدث الخلط عند بعضهم بين معنى المنهج والأسلوب والوسيلة، وبينهم اختلاف، فالمنهج أوسع منهما، وما الأسلوب والوسيلة إلا أداة من أدوات منهج الدَّعوة.

ولعل مما ذُكر سابقاً نستفيد ونصل إلى تعريف للمنهج ليكون: **مجموعة القواعد والأصول المُعينة للداعية في تبليغ الإسلام للمدعوين بالوسائل والأساليب المشروعة.**

ثانيًا: تعريف الصحابة.

في اللغة: جمع صحابي، والصحابي مشتق من الصحبة، وكل شيء لَازَمَ شيئًا فقد استصحبه[1].

في الاصطلاح: عرّف العلماء "الصحابي" بتعريفات متعددة، منها:

١- تعريف الإمام البخاري -رحمه الله-: "ومن صحب النبي ﷺ، أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"[2].

٢- تعريف الإمام النووي -رحمه الله-: "إن الصحيح الذي عليه الجمهور في معنى الصحابي: هو كل مسلم رأى النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه"[3].

---

(١) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ص١٢٧. معجم الصحاح، الجوهري،ص٥٨٠، مادة: صحب.

(٢) صحيح البخاري، ص٦٩٧. وهذا الذي ذكره البخاري هو الراجح وهو قول أحمد والجمهور من المحدثين، ويرد على التعريف من صحبه أو رآه مؤمنًا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد إلى الإسلام فإنه ليس صحابيًا اتفاقًا، فينبغي أن يزاد فيه ومات على ذلك". انظر: إتحاف القاري، العدوي (٣/١٣٠).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٨٤). قال الإمام ابن حجر: "وأطلق جماعة أن من رأى النبي =

٣- تعريف الإمام ابن حجر -رحمه الله-: قال: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام؛ فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يروِ، ومن غزا معه أو لم يغزُ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يرَه؛ لعارض كالعمى"(١).

ثالثًا: تعريف الدَّعوة

في اللغة: كلمة الدَّعوة في اللغة لها معانٍ متعددة تدور حول الطلب والسؤال والنداء(٢).

في الاصطلاح: للدعوة معنيان رئيسان: الدَّعوة بمعنى الدين الإسلامي، والدعوة بمعنى تبليغ الإسلام، والمعنى الثاني هو المقصود بهذا البحث، وبناء عليه

=

ﷺ فهو صحابي وهو محمول على من بلغ سن التمييز؛ إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه. نعم يصدق أن النبي ﷺ رآه فيكون صحابيًا من هذه الحيثية، ومن حيث الرواية يكون تابعيًا". الإصابة (١/١٥٩).

(١) وقال شارحًا التعريف: وخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وخرج بقولنا: ومات على الإسلام من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله، ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، وهذا التعريف مبني على الأصح عند المحققين؛ كالبخاري وأحمد بن حنبل ومن تبعهما، وهو ما ترجحه الباحثة. ويعتبر الصحابي بمضي مائة سنة وعشر سنين من هجرة النبي ﷺ. وقد ضبط أهل الحديث آخر من مات من الصحابة ﷺ وهو الطفيل عامر بن واثلة الليثي، وكان موته سنة مائة، وقيل: سنة سبع ومائة، وقيل: سنة عشر ومائة. الإصابة (١/٩). إتحاف القاري، العدوي (٣/١٣١). قال الشيخ ابن عثيمين: "وفائدة معرفة آخر الصحابة موتًا أمران؛ أحدهما: أن من تأخر موته عن هذه الغاية لم تقبل منه دعوى الصحبة، الثاني: أن من لم يدرك التمييز قبل هذه الغاية فحديثه عن الصحابة منقطع". مصطلح الحديث، ص٤٠.

(٢) انظر: ترتيب مختار الصحاح، الرازي، ص٢٦١. المصباح المنير، الفيومي، ص٧٤، مادة: دعا.

عُرِّفت الدَّعوة بتعريفات متعددة[1]، لا تعارض بينها؛ لأنها تعطي الصورة المتكاملة لها، ومن تلك التعريفات:

١- "الدَّعوة إلى الله: هي الدَّعوة إلى الإيمان به، وبما جاء به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الدَّعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه"[2].

٢- "جهود المكلفين في تبليغ الإسلام للناس بطرق مشروعة"[3].

ومن تلك التعريفات وغيرها نصل إلى التعريف المختار للدعوة اصطلاحًا، وهو: **تبليغ الإسلام للمدعوين بالوسائل والأساليب المشروعة، وفق ضوابط ومقومات يلتزم بها الدَّاعية؛ لتحقيق أهداف الدَّعوة.**

رابعًا: تعريف النصارى.

في اللغة: جمع نصران والأنثى نصرانة، ولكن لا يُستعمل إلا بياء النسب، فيُقال: رجل نصراني وامرأة نصرانية، وقيل: واحد النصارى نصري. ونصّره: جعله نصرانيًّا. وفي الحديث قال ﷺ : (فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوَ يُنَصِّرَانِهِ)[4]. وقد جاءت جموع على غير ما

---

(١) واختلاف التعريفات اختلاف تنوع؛ لأن كلًّا منها ذكر قدرًا من الشروط. للاستزادة من التعريفات وبيان منهج المؤلفين في تعريف مصطلح الدَّعوة والفرق بينه وبين الألفاظ ذات الصلة، انظر: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، اللحيدان، ص١٦-٢٢.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٥/ ١٥٧).

(٣) المصطلحات الدعويَّة،المجلي، ص٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ص٢٦٤، رقم (١٣٥٩)، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلى عليه؟.

يستعمل واحدها، وقياسه النصرانيون. ثم قيل: سموا بذلك؛ لقرية في الشام تسمى ناصرة كان ينزلها عيسى عليه السلام فنُسب إليها، فقيل: عيسى الناصري، فلما نُسب أصحابه إليه قيل: النصارى. وقيل: سمّوا بذلك؛ لنصرة بعضهم بعضًا. وقيل: لأنهم نصروا المسيح، أو لقول عيسى عليه السلام: ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[1]. وأُطلق النصراني على كل من تعبَّد بدين النصرانية[2].

في الاصطلاح: هم الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام وكتابهم الإنجيل، وهم أتباع الديانة النصرانية التي أُنزلت على عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة موسى عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد، لكنها سرعان ما فقدت أصولها، واختلطت بمعتقدات محرفة وفلسفات وثنية، وتحوَّل أتباعها من التوحيد إلى الشرك[3]. وقد بيَّن القرآن الكريم أنهم أطلقوا على أنفسهم اسم نصارى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾[4].

ومن مسميات النصارى أيضًا:

١/ أهل الكتاب: وهذا المسمَّى من سماحة الإسلام معهم ومن تلطفه بهم؛ تمييزًا لهم عن عبدة الأوثان، وإشارة إلى أن أديانهم منزلة من الله تعالى إليهم بكتاب. كما أن فيه اعترافًا وتكريمًا لهم، واعتدادًا بما عندهم من أصول الحق

---

(١) آل عمران، الآية: (٥٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٩٩/١). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٠٧/١).

(٣) انظر: ادراسات في الأديان، الخلف ص١٦٥.

(٤) المائدة، الآية: (١٤).

وأسس الخير، والمراد بالكتاب: التوراة والإنجيل[١].

٢/ أهل الإنجيل[٢]: كما في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾[٣].

٣/ الحواريون[٤]: وقد ورد هذا المسمى في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٥].

ولكن ما يسميه النصارى بالحواريين هم غير الحواريين المنصوص عليهم في الآية الكريمة، قال الإمام ابن حزم –رحمه الله–: "ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسموهم النصارى، ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام... لم يكونوا قط مؤمنين، فكيف حواريّون؟ بل كانوا كذّابين كفارًا...وأما الحواريون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقًا، ندينُ الله تعالى بمحبتهم، ولا ندري أسمائهم؛ لأن الله تعالى لم يسمهم لنا"[٦].

---

(١) انظر: وسطية الإسلام، الصالح، ص٢٩٦.

(٢) الإنجيل: كلمة معرّبة من الكلمة اليونانية "إفاجيليون"، ومعناها: "بشارة أو خبر طيب، ويزعمون أن الإنجيل إعلان الأخبار المفرحة عن الخلاص، وتستخدم أيضاً للدلالة على قصة ربنا يسوع المسيح.. وكلمة إنجيل في العهد الجديد لاتعني مطلقاً مجرد كتاب، ولكنها تعني الرسالة التي نادى بها المسيح ورسله، ويتضمن العقيدة المسيحية. دائرة المعارف الكتابية، صموئيل حبيب وآخرون، ص٤٤١ قاموس الكتاب المقدس، القس ميلاد ديب يعقوب، ص١٣.

(٣) المائدة، الآية: (٤٧).

(٤) الحواريون: جمع حواري، والحواري: الناصر. انظر: معجم الصحاح، الجوهري، ص٢٧٢. مادة: حور.

(٥) الصف، الآية: (١٤).

(٦) الفصل في الملل، ابن حزم (١/٢٨٨).

٤/ **المسيحيون**[١] : أطلق هذا الاسم للدلالة على معتنقي عقيدة ألوهية المسيح التي أُقرَّت في مجمع نيقيه[٢] سنة ٣٢٥م، وهي تسمية يطلقها المسيحيون على أنفسهم دائمًا ويحبون أن يتسموا بها؛ حيث إنهم يقصدون أنهم عباد المسيح، ولكن الحقيقة أن أتباع المسيح عليه السلام لم يقل لهم مسيحيون، بل هم أنصار وحواريون وتلاميذ مسلمون، فهذه النسبة لا تصح؛ لأنهم لو كانوا مسيحيين حقًا لآمنوا به بشرًا رسولًا، والأولى أن يقال لهم: نصارى، أو أهل الكتاب، كما سماهم الله عز وجل في القرآن. كما أن التسمية بالمسيحية لم ترد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، قال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-: "إن نسبة النصارى إلى المسيح ابن مريم نسبة يكذبها الواقع؛ لأنهم كفروا ببشارة عيسى ابن مريم عليه السلام وهو محمد ﷺ، وكفرهم به كفر"[٣].

٥/ **الروم**: كما في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[٤]. قال الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله-: "الروم هم النصارى المعروفون"[٥]. كما تطلق على النصارى بعض المسميات؛ باعتبار حالهم في مجتمع الدَّعوة. ومن تلك المسميات ما يلي:

---

(١) أُطلق هذا الإسم أول مرة على تلاميذ يسوع في أنطاكية ، ويقصد بالمسيحي: من اعتمد واعتنق دين يسوع المسيح. معجم الإيمان المسيحي، صبحي الحموي اليسعوي، ص٤٦١-٤٦٠.

(٢) نيقية: مدينة في آسيا الصغرى (تركيا) وتقابل مدينة القسطنطينية. أطلس الفرق، سامي المغلوث، ص٣٨٩.

(٣) الفتاوى الشرعية، علماء البلد الحرام، ص١١٢٧.

(٤) الروم، الآيتان (١-٢).

(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٢٩٣/٨).

أ- **أهل الذمة:** وأطلق هذا المسمى على النصارى بعد الفتح الإسلامي، ويُسمى العقد الذي بينهم وبين المسلمين عقد الذمة، وهو عقد معاهدة سلم دائمة؛ للاستيطان في دار الإسلام، يؤدون الجزية، ولهم ذمة مؤبدة على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم مع ممارستهم لديانتهم والتزامهم بأحكام الإسلام[(١)].

ب- **أهل الهدنة:** هم الذين صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مال أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة ولكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، وهؤلاء يسمون أهل العهد وأهل الصلح وأهل الهدنة. وهو جائز لقوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[(٢)].

ج- **أهل الأمان:** وهم الذين يقدمون بلاد المسلمين من غير استيطان لها، كالرسل والتجار وطالبي حاجة من زيارة وغيرها، فهو أمان مؤقت، بخلاف عقد الذمة الذي يشترط له التأبيد[(٣)]. وهو عقد يصح من الإمام لجميع المشركين ما لم يخش ضررهم، فإذا أُعطوا العهد حُرِّم قتلهم وأسرهم وأذيتهم، قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾[(٤)].

---

(١) لا يُلزم أهل الذمة بكل أحكام الإسلام، وإنما يلزم فقط بما لا يتعارض مع معتقده الديني، فيؤخذ بأحكام الإسلام في ضمان النفس والمال والعرض، وتقام الحدود عليهم، فيما يعتقدون تحريمه كالسرقة دون ما يعتقدون حله كشرب الخمر.

(٢) التوبة، الآية: (١).

(٣) انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم (٢/٨٧٣).

(٤) التوبة، الآية: (٦).

خامسًا: تعريف الإسلام.

في اللغة: يقال: أَسَلَم واستسلم، أي انقاد، وهو الاستسلام والانقياد والخضوع[(١)].

في الاصطلاح: "هو الاستسلام لله بالتوحيد والإنقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله"[(٢)]. والإسلام بهذا المعنى ينقسم إلى عام وخاص: **العام:** هو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً وهو عبادة الله وحده لا شريك له، **والخاص:** هو ما جاء به نبينا محمد ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وهو -يقصد الإسلام- يجمع معنيين: أحدهما: الانقياد والاستسلام. والثاني: إخلاص ذلك، وإفراده...وعنوانه قول: لا إله إلا الله. وله معنيان: أحدهما: الدين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بعث به جميع الأنبياء، كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة. والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين، والشرعة، والمنهاج.."[(٣)]. والثاني هو المقصود في البحث.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان"[(٤)].

وردت قول النبي ﷺ: **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا. قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن** تؤمن **بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن**

---

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني،ص٢٨.

(٢) شرح الأصول الثلاثة، ابن عثيمين، ص٦٨.

(٣) الفتاوى (٧/ ٦٣٥).

(٤) الأصول الثلاثة وأدلتها، محمد بن عبدالوهاب، ص١٢.

الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1]. قال الإمام ابن رجب -رحمه الله-: "وهو حديث عظيم جدًّا، يشتمل على شرح الدِّين كله"[2].

سادسا: تحرير مفهوم العنوان (منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام).

من خلال ما تقدَّم من معاني لغوية واصطلاحية لألفاظ هذه الدراسة نستنبط تعريفًا إجرائيًّا ملائمًا لعنوان البحث ومتناسبًا مع موضوعه، فالمقصود بمنهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام: الطرق التي سار عليها الصحابة ﷺ في تبليغ الإسلام للنصارى، من موضوعات ووسائل دعوية، وفق ضوابط ومقومات مبنية على القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ.

وهذا التعريف الإجرائي يتضمن عدة أمور، منها:

١- أن منهج الصحابة ﷺ يسعى إلى تحقيق الهدف، وهو دعوة النصارى إلى الإسلام.

٢- أوضح التعريف أن لمنهج الصحابة ﷺ أصولًا يستندون عليها في منهجهم الدعوي.

٣- بيَّن التعريف أن لمنهج الصحابة ﷺ وسائل وأساليب سلكوها في دعوتهم.

٤- اشتمل التعريف على جميع أركان الدَّعوة الأربعة.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٣٦، رقم (٨) كتاب الإيمان، باب: الإيمان والإسلام والإحسان.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٩٧).

الفصـــل التمهيـــدي

أولاً: أهمية منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

ثانـــيًا: حكم دعوة النصارى إلى الإسلام وأهميتها.

ثـــالثًا: أطوار النصارى التاريخية.

رابـــعًا: عقائد النصارى وعباداتهم وشعائرهم.

خامسًا: مصادر النصارى ومذاهبهم.

سادسًا: أحوال دولة (الروم) قبل ظهـــور الدعـــــوة الإسلامية.

أولاً: أهمية منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

لقد حدد الله سبحانه وتعالى لنا الغاية من وجودنا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١) ومن ضرورات تحقيق الغاية وجود المنهج؛ لأن المنهج جزء من الغاية ولا يمكن تحقيقها إلا به؛ لذا كان من مستلزمات القيام بالدعوة إلى الله ﷻ أن تكون قائمة على منهج موافق لما شرعه الله سبحانه وتعالى، وكما طبقه رسول الله ﷺ، فجاء منهج الصحابة ﷺ ليكون واقعًا عمليًّا للدعاة في التزامهم منهج الله ﷻ ورسوله ﷺ.

ولقد أوجب الإسلام اتباع منهج الصحابة ﷺ وامتدح أتباعه. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾(٣). قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "إن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-(٤) قال: "مع محمد ﷺ وأصحابه"(٥)، ولا نكون معهم إلا إذا سرنا على طريقتهم، وكنا خير خلف لخير سلف. قال تعالى:

---

(١) الذاريات، الآية: (٥٦).

(٢) التوبة، الآية: (١٠٠).

(٣) التوبة، الآية: (١١٩).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب، أسلم وهو صغير، وروى علمًا كثيرًا عن النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، شهد الخندق وما بعدها، قدم الشام والعراق غازيًا، وشهد فتح مصر، توفي سنة ٧٣هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر(١٧٨/٤)

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٤١٤).

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

قال الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله–: "والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها فضل الصحابة؛ لسبقهم بالإيمان، وفضل أهل السنة الذين يتولونهم وذم الذين يعادونهم"[(٢)].

كما أن منهج الصحابة ﷺ، هو ما أمرنا به رسول الله ﷺ وحثنا على التمسك به. قال ﷺ: **(فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ..)**[(٣)]. قال الإمام ابن رجب –رحمه الله–: "في هذا الحديث أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة: هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه خلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة"[(٤)].

ومنهج الصحابة ﷺ من خير المناهج وأفضلها. قال ﷺ: **(خيرُ النّاسِ قَرني**[(٥)]**، ثمّ الذين يَلونهم...)**[(٦)]. قال الإمام النووي –رحمه الله–: "اتفق العلماء على أن

---

(١) الحشر، الآية: (١٠).

(٢) شرح العقيدة الواسطية، ص١٨٥.

(٣) تقدم تخريجه، ص٤٠.

(٤) جامع العلوم والحكم (١٢٠/٢).

(٥) القرن: مدة من الزمان، واختلفوا في تحديده من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين. إتحاف القاري، العدوي (١٣١/٣)، "والمشهور أنهم الطائفة المشتركون بشيء من الأشياء كالصحبة مثلًا أو مائة سنة". القول المفيد، ابن عثيمين (٢٢٩/٣).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٠٢ رقم (٢٦٥٢)، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور.

خير القرون قرنه ﷺ، والمراد أصحابه"[١]. كما أجمع أهل السنة والجماعة على عدالة جميع الصحابة ﷺ بنصوص الشرع. قال الإمام النووي-رحمه الله-: "ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم"[٢]. وقال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، و لم يُخالف في ذلك إلا شذوذ المبتدعة"[٣].

وأكد أهل السنة والجماعة على ضرورة التمسك بمنهج الصحابة ﷺ ومحبتهم وعدم أذيتهم بقول أو فعل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتِّباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتِّباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار"[٤]. وقال أيضًا:" ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ"[٥]. وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله-: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[٦].

من أجل ذلك كله كان منهج الصحابة ﷺ مصدرًا من مصادر الدَّاعية في دعوته إلى الله ﷻ؛ لما قدموه من أعمال وتضحية وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فكانوا

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٨٤).

(٢) المرجع السابق (١٥/١٤٨).

(٣) الإصابة (١/١٦٢). والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا، فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم، وإنما تعني تجنب التعمد الكذب في الرواية. انظر: تدريب الراوي، السيوطي (٢/٢٥١).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/١٥٧).

(٥) العقيدة الواسطية، ٨٤.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ص٦٨٩.

بذلك من خير الأمم. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[(١)] قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "ويدخل في الخطاب الصحابي من باب أولى، فلقد شهد بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر"[(٢)]. كما أنهم فتحوا البلاد ومصَّروا الأمصار ونشروا الدين الحق وأقاموا العدل، فكانت الآية الكريمة متمثلة فيهم قبل غيرهم، ظاهرة في فضلهم ﷺ[(٣)]. ولهذا كله كان الرجوع إلى منهج الصحابة ﷺ من القواعد الجليلة والقضايا الكبيرة عند أهل السنة والجماعة، والتي تحقق سلامة في المنهج ونجاة من الشبهات والشهوات والضلال والغي،كما تتأكد أهمية منهج الصحابة ﷺ في حق الدعاة المبلغين لهذا الدين في عصرنا الحاضر، إذ هم بحاجة إلى الوقوف على منهج الصحابة ﷺ في دعوتهم النصارى إلى الإسلام، وما كانوا عليه من حرص على هدايتهم، واحتمال المصاعب في إيصال الإسلام لهم ، مع ما كان عليه الصحابة ﷺ من معاملة رائعة في دعوتهم، كانت السبب -بعد توفيق الله- في انتشار هذا الدين.

ثانيًا: حكم دعوة النصارى إلى الإسلام وأهميتها.

لا شك أن تبليغ الإسلام وبيانه للناس واجب حتمي على المسلمين في كل زمان ومكان، وقد أخذ الله ميثاقهم على ذلك، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[(٤)] ووجوب دعوة النصارى إلى

---

(١) آل عمران، الآية: (١١٠).

(٢) الإصابة (١٨/١).

(٣) انظر: العقيدة الواسطية، ابن تيمية، ص٤٨. فضائل الصحابة ﷺ، التليدي، ص٣١.

(٤) آل عمران، الآية: (١٨٧).

الإسلام ثابت في الكتاب والسنة، فالمتأمل للآيـات الموجهـة للنصارى في القرآن الكريم يجد أنها اهتمت بدعوتهم إلى الإسلام؛ أمرًا لهم بالتوحيد والإيمان بمحمد ﷺ، أو بيانًا لتحريفهم الكلام عن مواضعه، أو تحذيرًا لهم من الغلو في الدِّين، أو ردًا على شبههم أو غير ذلك، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[3].

كما أن المتأمل للسنة النبوية يجد ترغيب النبي محمد ﷺ لأهل الكتاب ومنهم النصارى من بين عموم الخلق بمزايا؛ حرصًا على هدايتهم، فمن أسلم منهم فله أجر يفوق من سواهم، كما جاء في الحديث، عن النبي ﷺ قال: (**ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ** –وذكر منهم– **وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَهُ أَجْرَانِ..**)[4].

قال الإمام النووي –رحمه الله–: "فيه فضيلة من آمن من أهل الكتاب بنبينا

---

(١) آل عمران، الآية: (٦٤).

(٢) آل عمران، الآية: (٧١).

(٣) المائدة، الآية: (٧٧).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص ٥٧٦، رقم (٣٠١١) كتاب الجهاد، باب: فضل من أسلم من أهل الكتابين.

محمد ﷺ، وأن له أجرين؛ وذلك لإيمانه بنبيه قبل النسخ، والثاني لإيمانه بنبينا ﷺ"(١).

كما حذَّر النبي ﷺ النصارى من عدم الإيمان به، فقال: (**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**)(٢). كما جعل النبي ﷺ الإيمان بعيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله، من جملة مستلزمات الإيمان التي توصل صاحبها إلى رضاء الله ﷻ ودخول الجنة، فعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ**)(٣).

وكان ﷺ حسن الظن بالنصارى، فحينما اشتد الإيذاء بالمسلمين أشار عليهم النبي ﷺ بالهجرة إلى بلاد الحبشة(٤)، و لم يخش على أصحابه المهاجرين من فتنتهم(٥).

كما كان ﷺ حريصًا على دعوتهم إلى الإسلام قبل قتالهم(٦). قال شيخ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٨٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٨٥، رقم (١٥٣)، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٦٦٢، رقم (٣٤٣٥)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾.

(٤) أخرجه البيهقي في "السنن" (٩/٩) وفي الدلائل (٢/ ٣٠١) من طريق ابن إسحاق بسنده عن أم سلمة (إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده، فالحقوا بلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٥٧٧) (٣١٩٠).

(٥) انظر: العلاقات الإسلامية، حمادة،ص٣٣. السيرة النبوية، ابن هشام (١/١٦٧).

(٦) أول اللقاءات بين الإسلام والنصرانية تلك التي جرت بين الرسول ﷺ ووفد نجران في المدينة، ومع أن هذه المناظرة هي أولى المناظرات بين الإسلام والنصرانية إلا أنها ليست أولى اللقاءات بينهما، فقد حضر قبل ذلك وفد من الحبشة إلى مكة بعد أن بلغهم خبر النبي ﷺ من مهاجري الحبشة، فسارعوا إلى القدوم إليه. انظر: أسلوب المناظرة، الحميدان(١/٧٨). وللاستزادة من تاريخ العلاقة بين الرسول ﷺ والنصارى، انظر: =

الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (وأما النصارى فلم يقاتل أحدًا منهم حتى هذه الغاية، حتى أرسل رسله بعد صلح الحديبية[1] إلى جميع الملوك يدعوهم إلى الإسلام...فلما بدأه النصارى بقتل المسلمين أرسل سرية أمَّر عليها زيد بن حارثة[2]، ثم جعفرًا[3] ثم ابن رواحة[4]، وهو أول قتال قاتله المسلمون للنصارى بمؤتة[5] من أرض الشام..)[6].

وكان حرصه ﷺ على دعوة النصارى إلى الإسلام حتى أثناء مرضه، حينما علم أن الروم يعدُّون قوة عظيمة لمواجهة المسلمين، جهز جيشًا تحت إمرة أسامة بن زيد ﷺ[7] سنة إحدى عشرة من الهجرة[8]، ولما قُبض الرسول ﷺ أَمَرَ

=

المسلمون والروم، عبدالرحمن سالم، ص٥٠.

(١) الحديبية: قرية قريبة من مكة وطريق جدة.الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد الحميري، ص١٩٠. الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ، سامي المغلوث، ص١٧٩.

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي شهد بدرًا وما بعدها وقتل في غزوة مؤتة. انظر: الإصابة، ابن حجر (٢/٤٩٤).

(٣) جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ وأحد السابقين إلى الإسلام، استشهد بمؤتة. انظر: المرجع السابق (١/٥٩٢).

(٤) ابن رواحة: هو عبد الله بن رواحة الخزرجي، شهد بدرًا وما بعدها واستشهد بمؤتة. انظر: الإصابة، ابن حجر (٤/٧٢).

(٥) مؤته: بلدة في الأردن. الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ، سامي المغلوث، ص١٩٥. وقصة مؤته في صحيح البخاري كتاب المغازي (٥/ ١٤٣)(٤٢٦١) باب غزوة مؤتة من أرض الشأم و صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب القتيل (٣/ ١٣٧٤)(١٧٥٣).

(٦) قاعدة مختصرة في قتال الكفار، ص١٣٥. وللاستزادة من وقائع احتكاك الرسول ﷺ بالنصارى، انظر: السيرة النبوية،ابن هشام (٤/٧٤٠). الطبقات، ابن سعد (٢/٣٣٢). الرحيق المختوم، المباركفوري، ص٣٩٤.

(٧) أسامة بن زيد بن حارثة، أمره النبي ﷺ على جيش عظيم، فمات ﷺ قبل أن يتوجه، فأنفذه أبوبكر، وكان عمر ابن الخطاب ﷺ يجلّه ويكرمه، مات سنة ٥٤ هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (١/٢٠٢).

(٨) انظر: صحيح الإمام البخاري، ص٨٤٤، رقم (٤٤٦٨)، كتاب المغازي، باب: بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد –رضي الله عنهما– في مرضه الذي توفي فيه.

الخليفةُ الأوَّلُ أبو بكر ﷺ بتسيير هذا الجيش[1]، وتتابعت الحروب مع النصارى بعد ذلك.

ومما تقدَّم من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية يتضح أهمية دعوة النصارى إلى الإسلام، وأن ذلك مما حث عليه الشارع الحكيم. قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله–: "ونحن لا نترك الكفار على كفرهم وعلى شركهم، بل يجب علينا دعوهم إلى الله؛ لمصلحتهم وهدايتهم، فندعوهم إلى الله، وهذا أمر واجب مستمر إلى أن تقوم الساعة"[2].

وإذا تبيَّن أن دعوة النصارى إلى الإسلام واجب على كل مسلم، فإن هذا الوجوب يتحدَّد بقدر حال الدَّاعي، فالقدرة هي مناط الوجوب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:" إن مناط الوجوب هو القدرة، فيجب على كل إنسان بحسب قدرته. قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[3]"[4].

ويدخل في مفهوم القدرة العلم والسلطان، فتجب دعوة النصارى على العالم ما لا تجب على الجاهل، وتجب على ذي السلطان ما لا تجب على غيره من آحاد المسلمين، وقد فقه الصحابة ﷺ ذلك الأمر، فاستعملوا علمهم وسلطاهم في إقامة دين الله والدعوة إليه في البلاد المفتوحة، قال الشيخ ابن باز –رحمه الله–:

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٦)(١٢٩٣٠) وقال البيهقي: هذا مرسل ، وقال ابن رجب في فتح الباري (٣/ ٣٨٠): "فقد خرجه ابن سعد بإسناد فيه ضعف عن عروة –مرسلا –" ، ولكن ثبت تاريخيا أن بعث أسامة انطلق بعد وفاة النبي ﷺ انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٥٣) ومغازي الواقدي (٢/ ٦٩٥) و دلائل النبوة للبيهقي محققا (٧/ ٢٣٠) ، ونقله في فتح الباري لابن حجر (٥/٣٦٢) .

(٢) أحكام التعامل مع غير المسلمين، الفوزان، ص١٤.

(٣) التغابن، الآية: (١٦).

(٤) الحسبة في الإسلام، ص٣٣٥.

"ونظرًا لانتشار الدَّعوة إلى المبادئ الهدَّامة وإلى الإلحاد وإنكار ربِّ العباد وإنكار الرسالات وإنكار الآخرة، وانتشار الدَّعوة النصرانية في الكثير من البلدان وغير ذلك من الدعوات المضللة، نظرًا إلى هذا، فإن الدَّعوة إلى الله ﷻ أصبحت فرضًا عامًّا وواجبًا على جميع العلماء، وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلِّغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان"[١].

كما يتحدد وجوب دعوة النصارى إلى الإسلام تبعًا لمراتب دعوتهم، فإذا كان الدَّاعية عاجزًا عجزًا حقيقيًّا عن دعوة النصارى باللسان؛ لقلة علمه وجهله ونحو ذلك، فليدعهم بماله[٢]، فإن لم يستطع فلا وجوب عليه إلا بقلبه[٣]، فيكره ما هم عليه من الكفر والضلال، ويكون قدوة حسنة للنصارى في التزامه بأحكام الإسلام، وهذا كله من الجهاد المأمورين به في قوله ﷺ: **(جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفسكم وَأَلْسِنَتِكُمْ)**[٤]، وقال ﷺ: **(مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)**[٥]. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-:" إن جنس جهاد الكفار متعيِّن على كل مسلم، إما بيده وإما بلسانه وإما بماله"[٦].

---

(١) الدَّعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، ص١٧.

(٢) كدعم مشاريع دعوتهم التي تتبناها مكاتب الدَّعوة، ونحو ذلك من أوجه الخير.

(٣) وهذه الدرجة لا تسقط عن مسلم. قال الإمام ابن رجب -رحمه الله-: "وإن إنكاره بالقلب لابد منه، فمن لم ينكر قلبه المنكر، دل على ذهاب الإيمان من قلبه".جامع العلوم والحكم (١/٢٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، ص٣٦٣، رقم (٢٥٠٤) كتاب الجهاد، باب: كراهية ترك الغزو.وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، رقم (٢٥٠٤).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٥١، رقم (٤٩)، كتاب الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٦) إتحاف القاري، العدوي (٢/٥٧٢).

وخلاصة الأمر، أننا إن أوجبنا الدَّعوة على العلماء بما خصهم الله به من علم، فإن عامة الأمة يجب عليهم أن يكونوا عونًا على قبول الدَّعوة لا على ردِّها، وهذا جزء من الدَّعوة يقدر عليه العامة، وإلا فماذا يجدي عمل الدعاة إذا كانوا يبيِّنون للنصارى محاسن الإسلام ويرغبونهم في اعتناقه، ثم يقابلهم عامة المسلمين بتنفيرهم من الإسلام بما يسلكونه من تعامل[1]. ويؤيد ذلك ما ذكره سماحة الشيخ ابن باز –رحمه الله– بقوله:" وإن كانت الطائفة المعينة عليها واجبها الخاص والعبء الأكبر، لكن لا يلزم من ذلك سقوطه عن غيرها، بل يجب على غيرها مساعدتها"[2]. والله أعلم.

ثالثًا: أطوار النصارى التاريخية.

(من بداية النصرانية إلى نهاية عهد الصحابة –رضي الله عنهم–)

لقد مرَّ النصارى بعدة أطوار ومراحل عبر التاريخ، انتقلوا فيها من رسالة منزلة من عند الله عز وجل إلى ديانة محرَّفة ومبدَّلة. ويمكن تقسيم أطوار النصرانية إلى أربعة أطوار:

الطور الأول: النصرانية المنزلة من عند الله عز وجل.

الطور الثاني: بعد رفع الله عز وجل عيسى عليه السلام.

الطور الثالث: عهد كتابة الأناجيل.

الطور الرابع: التجمع الكبير الذي عقده قسطنطين ملك الرومان في نيقية سنة ٣٢٥م.

---

(١) انظر: دعوة غير المسلمين، اللحيدان، ص٦٨-٦٩.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/٢٣١).

الطور الأول: النصرانية المنـــزلة من عند الله ﷻ:

إن النصرانية في أصلها رسالة منـــزلة من عند الله ﷻ على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل، وذلك بعد أن انحرفوا عن شريعة موسى عليه السلام، وأنزل معه الإنجيل، ومبلغ هذه الرسالة هو عيسى عليه السلام الذي ذُكرت قصته الحقيقية في القرآن الكريم[(١)].

وقد واجه نبي الله عيسى عليه السلام من قومه العناد والكفر، وأنكر عليهم انغماسهم في الشهوات، فأجمعوا على تكذيبه، وطالبوه بما يؤيد رسالته، فأيده الله ﷻ بالمعجزات.

ثم أخذ اليهود يعملون على منع الناس من سماع دعوة عيسى عليه السلام، ويحيكون المؤامرات ضده، فلما أعيتهم الحيل وفشلوا في التخلص منه ورأوا أن الضعفاء والفقراء يجيبون دعوته ويلتفون حوله، أخذوا يحرِّضون الرومان عليه، ويوهمونهم أن في دعوة عيسى عليه السلام زوالًا لملك قيصر، وتمكنوا من حمل الحاكم الروماني على إصدار الأمر بالقبض عليه والحكم بإعدامه صلبًا، فأخذ جند الرومان يبحثون عنه، وكان من أصحابه رجل منافق وشى به، فألقى الله ﷻ عليه شبه عيسى عليه السلام، فقبض عليه الجنود ونفِّذ فيه حكم الصلب. أما عيسى عليه السلام فقد كتب الله ﷻ له النجاة[(٢)].

قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ

---

(١) انظر: الآيات من آل عمران (٤٥-٦٠).

(٢) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية، الأعظمي، ص٣٢٩. اليهودية والمسيحية، الأعظمي، ص٢٢٩.

مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾[١].

وفي نهاية هذا الطور يتضح لنا أن النصرانية التي دعا إليها عيسى عليه السلام جاءت بعقيدة صافية نقيَّة، تدعو إلى توحيد الله تعالى وعبادته وإلى الإيمان باليوم الآخر، وتبشر فيها بنبيٍّ الإسلام محمد ﷺ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما اليهود والنصارى فأصل دينهم حق... لكن كل من الدينين مبدل منسوخ"[٢].

الطور الثاني: لما رفع الله تعالى إليه عيسى عليه السلام، بقي عدد من أتباعه وأنصاره على الحق مدة يسيرة، حيث كان اليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام لهم بالمرصاد، يطاردونهم ويقتلونهم، فلم يستطع المؤمنون برسالة عيسى عليه السلام كتابة الإنجيل الصحيح والاحتفاظ به؛ بسبب حالة القهر والتعذيب التي عاشوها من بني إسرائيل[٣]. كما كان لقلة المدة التي مكثها عيسى عليه السلام بين بني إسرائيل نصيب في عدم قدرة النصارى الاحتفاظ بالإنجيل، وأيضًا ظهور "بولس"بعد رفع عيسى عليه السلام بمدة قليلة وتبشيره بدعوة جديدة وادعاؤه أن عيسى عليه السلام ابن الله ،كان من العوامل التي ساعدت على ظهور التحريف في الإنجيل المنزل من الله عز وجل[٤]. كما أن بني

---

(١) النساء، الآيتان: (١٥٧-١٥٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٢٠٨).

(٣) بنو إسرائيل: اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وبنوه هم اليهود؛ لأنهم يعودون في أصولهم إلى أولاد يعقوب الاثني عشر. انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/٢٣٢). فتح القدير، الشوكاني (١/١١٧). أيسر التفاسير، الجزائري (١/٤٨).

(٤) لمعرفة تأثير بولس اليهودي في المسيحية وانتقالها من التوحيد إلى الوثنية، انظر: دراسات في اليهودية، الأعظمي، ص٣٣٩. الإنجيل، محمد شلبي، ص١٥. قراءة في الكتاب المقدس، صابر طعيمة، =

إسرائيل كان لهم دور كبير في ضياع الكتاب السماوي؛ وذلك لنسيانهم وتناسيهم كثيرًا من آيات هذا الكتاب. كما أنهم يخفون كثيرًا من هذه الآيات، وكذا وقع للإنجيل فلم يبق من الإنجيل المنزل من عند الله ﷻ إلا فصولًا يسيرةً أبقاها الله تعالى حجة عليهم.

الطور الثالث: عهد كتابة الأناجيل المبتدعة. وهذا الطور بدأ في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، واستمر أكثر من ثلاثة قرون، عاشت فيه النصرانية في تخبُّط وافتراق، وتأثَّرت بالفلسفات والآراء والطقوس الوثنية السائدة، إضافة إلى ما لعبه اليهود خلال هذه الفترة من الدس والتحريف وإشاعة الفرقة والاختلاف العقدي والمذهبي بين صفوف أتباع النصرانية. كما أنه خلال هذه الفترة فقد النص الصحيح للإنجيل، وكثرت الأناجيل إلى حدٍّ لا يمكن الاهتداء إلى نص الإنجيل الثابت، وتحوَّل أتباعها عن التوحيد إلى الشرك، ثم نُسخت بالإسلام(١).

الطور الرابع: ويبدأ بالتجمع الكبير الذي عقده قسطنطين ملك الرومان في نيقية سنة ٣٢٥ م، وهو تجمع خطير قرر فيه مبتدعة النصارى الاتجاه نحو النصرانية الضالة، والتي هي مزيج من الوثنية(٢) الرومانية السائدة آنذاك، ومن اليهودية المُحرَّفة وبقايا النصرانية المشوشة والديانات الوثنية الهندية، وفي هذا

=

ص٣٦٤. تباشير الإنجيل والتوراة، نصر الله أبو طالب، ص٢٠٠.

(١) ولمعرفة تفاصيل تلك العوامل، انظر: مصادر النصرانية، عبدالرزاق ألآرو (١/٧٨-١٠٨). اليهودية والمسيحية، الأعظمي،ص٢٧٥.

(٢) الوثنية: تطلق على مختلف العقائد التي لا تفرد الله سبحانه وتعالى بالتوحيد، وتنسب إلى عبادة الوثن من أحجار وأصنام، وللعقائد الوثنية صور متعددة منها تأليه البشر كالملوك والأنبياء والأولياء ونحو ذلك.

اللقاء رسخت عند النصارى عقيدة التثليث وغيرها من المعتقدات النصرانية[(١)].

رابعًا: عقائد النصارى وعبادتهم وشعائرهم.

قرر النصارى في الطور الرابع من أطوارهم التاريخية الاتجاه نحو النصرانية المُحرَّفة التي تقوم على عقائد وعبادات وشعائر معينة، وصفها الإمام ابن القيم -رحمه الله- بقوله: "الأمة المثلثة وهي النصارى أمة الضلال، وعبَّاد الصليب[(٢)] الذين سبُّوا الله الخالق مسبَّة ما سبَّه إياها أحد من البشر، ولم يقروا بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.. فقل ما شئت في أمة أصل عقيدها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[(٣)]. وأن مريم صاحبته، وأن المسيح[(٤)] ابنه،... فدينها: عبادة الصليب، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر،

---

(١) قال الإمام ابن كثير: "ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين، فدخل في دين النصرانية، وبدَّل لهم في دين المسيح وحرّفه، وزاد فيه، ونقَّص منه، وأحلَّ في زمانه لحم الخنزير، وصلوا إلى المشرق، وصوَّروا له الكنائس والمعابد والصوامع، وصار دين المسيح دين قسطنطين، وبنى ما يزيد على اثني عشر ألف معبد". انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٧٥/١). ولمعرفة تفاصيل أصل الدستور الذي أقره المجمع، يرجع إلى: فصل الخطاب،محمود عبدالحافظ،ص٢٧-٣٣.

(٢) الصليب: بفتح الصاد وكسر اللام وهو تقاطع خشبتين مستقيمتين إحداهما عمودية والأخرى أفقية يصلب عليه الرجل، وهو شكل مقدس عند النصارى، وأحيانا يقصدون به التمثال الصغير الذي يمثل المسيح مصلوبا على الصليب... التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص: ٢٤١) ومجمع بحار الأنوار (٣٣٩/٣). والصليب خشبة تعذيب كان الرومانيون يعلقون عليها بالحبال أو بالتسمير من حكموا عليهم بالموت، ويتركوهم عليها حتى الموت، والصليب حركة يقوم بها المسيحي على نفسه، تأكيداً لإيمانه بصلب المسيح كما يزعمون، فيلمس بيده على التوالي جبهته وصدره وكتفيه، فيرسم على نفسه صورة الصليب. انظر: معجم الإيمان المسيحي، صبحي حموي اليسعوي، ص٣٠٠ وقد كذبهم الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ النساء، الآية: (١٥٧).

(٣) المائدة، الآية: (٧٣).

(٤) المسيح: هو لقب لقبه الله لعيسى ابن مريم عليه السلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ

=

والأصفر في الحيطان،... فدينهم الخمور وأكل الخنـــزير، وتـــرك الختـــان[١]، والتعبد بالنجاسات، واستباحة كل خبيث،...والحلال ما حلَّله القس[٢] والحرام ما حرَّمه، والدِّين ما شرعه، وهو الذي يغفر لهم الذنوب، وينجيهم من عذاب السعير"[٣]. وفيما يلي سنذكر نبذة موجزة عن عقائد النصارى وشعائرهم.

أ- عقائد النصارى:

تقوم عقيدة النصارى على أمور، منها:

١- عقيدة بنوة المسيح -عليه السلام- لله عز وجل :

يعتقد النصارى أن المسيح -عليه السلام- ابن الله، وهو قول باطل وافتراء على الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٤]، قال الإمام ابن كثير

=

مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ النساء، الآية: (١٧١). سمي بذلك لعدة أسباب ذكرها العلماء، منـــها: لأنـــه لا يمسح ذا عاهة إلا برئ. وقيل: لأن الله مسحه فطهره من الذنوب، أو لأنه كان كثير السياحة في الأرض للدعوة. انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٣٨٩/١). إتحاف القاري، العدوي (٦١/٣). التعليق على صحيح مسلم، ابن عثيمين، ص٥٦٨.

(١) الختان: من قولهم ختن الصبي ختنا وختانًا وختانة: قطع قلفته فهو مختـــون. المعجـــم الوســـيط (٢١٨/١)، مادة: ختن.

(٢) القس: بفتح القاف وتشديد السين، رئيس من رؤساء النصارى في الـــدين والعلـــم. والجمـــع القسيسون أو القسس جمع قس أو قسيس معجم الصحاح، ص٨٥٩. مادة: قسس. معجم لغة الفقهـــاء ص٣٦٢.

(٣) هداية الحيارى، ابن القيم، ص١٦.

(٤) سورة التوبة، الآية (٣٠).

-رحمه الله-: "لا مستند لهم فيما ادّعوه سوى افترائهم واختلافهم"[(١)].

٢- **عقيدة التثليث:**

عقيدة التثليث من أهم العقائد عند النصارى. قال الإمام ابن حزم -رحمه الله-: "النصارى وإن كانوا أهل كتاب، ويقرُّون بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام، فإن جماهيرهم وفرقهم لا يقرون بالتوحيد مجردًا، بل يقولون بالتثليث"[(٢)].

والتثليث عقيدة وثنية نقلها الوثنيون المتنصرون إلى النصرانية، وهي كما يزعمون أن الله ﷻ عندهم ثلاثة حالات، وتسمى الأقانيم[(٣)]:

الأول: الإله الأب، وله خصائص الألوهية، وهو الله ﷻ.

الثاني : الإله الابن، وله خصائص البشرية، وهو عيسى عليه السلام.

الثالث: الإله الروح القدس، وله خصائص الازدواجية بين الإلهية والبشرية، وهو الروح التي حلت في مريم. والرابطة التي تربط بينهم تسمى "اللوغس"، أي: الإله باعتباره القانون الفعال الذي يقود العالم.

وعلى هذا فهم يزعمون أن الله تعالى ثالث ثلاثة، وهذا هو الشرك المحض، وقد ذكر تعالى ذلك عنهم، ورد عليهم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾[(٤)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٦٢).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٦٤).

(٣) الأقانيم: جمع أقنوم، معناها شخص. معجم الإيمان المسيحي، صبحي حموي اليسعوي، ص٥٥.

(٤) النساء، الآية: (١٧١).

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "والنصارى -عليهم لعائن الله من جهلهم- ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلهًا، ومنهم من يعتقده شريكًا، ومنهم من يعتقده ولدًا، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة"(١).

وكان انتقال النصرانية من التوحيد إلى التثليث له أسبابه العقلية والدينية والسياسية، فمن الناحية العقلية كان للفلسفة أثر بارز في الانحراف، وقد عرفت هذه الفلسفة عقيدة التثليث، فتسربت منها للنصرانية.

ومن الناحية الدينية كان للوثنية السائدة في المجتمع الروماني والوثنيات المنتشرة حوله أثر بارز في تسرب الوثنية إلى النصرانية، فأكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار ومقتبس من الوثنية، ولقد سَاعَدَ هذين العاملين عاملٌ سياسيٌّ كان هو العامل المباشر الذي جعل من عقيدة التثليث عقيدة أساسية في النصرانية، ذلك العامل هو الدولة الرومانية التي اعتنقت النصرانية، إضافة إلى الاضطهادات المتعددة التي تعرض لها النصارى، سواء من قبل اليهود أو من غيرهم(٢).

٢- تقديس الرهبان(٣) ورجال الكنيسة(٤):

يزعم الرهبان ورجال الكنيسة أنهم يتكلمون ويأمرون وينهون نيابة عن الله تعالى، ولهم السلطة المطلقة في الدين، فيحلون ويحرمون، بل ويغفرون للمذنب والمجرم

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٦٠٤).

(٢) انظر: فصل الخطاب، محمود عبدالحافظ، ص١٤. دراسات في اليهودية، الأعظمي، ص٤٨٨.

(٣) الرهبان: هم علماء النصارى وعبادهم، والرهبانية هي حياة جماعية تُقضى في أديرة خاصة لغرض ديني؛ بزعم أن مؤسس الرهبنة هو المسيح عليه السلام.

(٤) الكنيسة: متعبد اليهود والنصارى. انظر: المصباح المنير، الفيومي،ص٢٠٧. مادة: كنس.

والفاجر بمجرد حضوره للكنيسة وتقبيله لأعتابها ولأقدامهم النجسة، وقد يمنحون المجرمين والمفسدين في الأرض صكوك الغفران، زاعمين أنهم يضمنون لهم بها الجنة! وقد حكى الله ﷻ عنهم ذلك، فقال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا ﴾[1].

وكان أصل عبادة النصارى لهؤلاء العباد والأولياء أنهم كانوا يعظّمونهم ويقدِّسونهم ويقيمون على قبورهم مساجد، حتى وصل بهم الغلو إلى عبادتهم. دل عليه قول الرسول ﷺ في مرضه: (**لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ...**)[2].

٣- الصلب والفداء:

لقد جعل النصارى خاتمة أمر المسيح عليه السلام شنيعة، وجعلوا الاعتقاد بحصولها -على الوجه الذي صوروه- أصلًا من أصول دينهم، ودعامة من دعائم عقيدتهم، فمن فاته الإيمان بها فهو في الآخرة من الهالكين وإن عمل الصالحات، ومن آمن بها على الوجه الذي يقولونه ويدعون إليه كان هو الفائز بملكوت السماء مع المسيح والرسل والقديسين[3].

وحقيقة هذه العقيدة تقوم على أن الله تعالى المتمثل في زعمهم بالابن وهو المسيح عليه السلام أراد أن يصلب، وأن يقتل بزعمهم الباطل؛ تكفيرًا لخطايا بني آدم، وهم

---

(١) التوبة، الآية: (٣١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٢٥٩، رقم (١٣٣٠)، كتاب الجنائز، باب: ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور.

(٣) القديسون: القديس عند النصارى المؤمن الذي يتوفى طاهرًا فاضلًا. المعجم الوسيط (٧١٩/٢)، مادة: قدس.

يعتقدون أنه وقع له الصلب والقتل لأجل ذلك، مع أن ذلك لم يحدث، وإنما شُبِّه لهم كما جاء في القرآن الكريم. وكل ذلك من دسائس اليهود، قتلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ وذلك أن اليهود حين حقدوا على عيسى عليه السلام وأتباعه وخافوا من انتشار دينه استعدوا عليه السلطات والحكام، وهمُّوا بقتله، فأوقع الله بأيديهم رجلًا يشبهه ابتلاءً وامتحانًا، فقتلوه وصلبوه، ورفع الله تعالى عيسى عليه السلام إليه وطهَّره من أيديهم، فاستمروا في اضطهاد أتباعه؛ وبعد ذلك دسُّوا في النصرانية فكرة الفداء والصلب، وقد كان صاحب هذا المعتقد والداعي إليه "بولس"، ذلك اليهودي الذي كان من أشد الناس عداوةً واضطهادًا للنصارى بشهادة الإنجيل نفسه، فقد اخترع وابتكر عقيدة الفداء والصلب، وأن الإنسان يرث الخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام، فلا بد من إنسان يحمل خطيئة البشر ويفديهم بنفسه، فأرسل الله تعالى بزعمهم ابنه عيسى عليه السلام؛ ليتحمل عن البشر خطاياهم، ويجعل لهم الخلاص. وقد أتى بولس بهذا على التوراة والإنجيل من القواعد، ونسب إلى الله عز وجل الظلم[1]. وكان يهدف إلى إفساد عقيدة النصارى، وقد حكى الله عنهم ذلك ورد عليهم بقوله: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ ﴾[2]. ومنذ ذلك الحين وحتى الآن والنصرانية على هذا الاعتقاد الفاسد.

ب- عبادات النصارى وشعائرهم:

لقد كان للنصارى بعض العبادات والشعائر التي يؤدُّونها بطريقتهم الخاصة، ومنها:

---

(١) انظر: فصل الخطاب، محمود عبدالحافظ، ص٢٦.

(٢) النساء، الآية: (١٥٧). للاستزادة من عقائد النصارى، انظر: دراسات في الأديان، الخلف، ص٣٣٣. قراءة في الكتاب المقدس، طعيمة، ١١١. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، البيروتي، ص٥٠.

١- **الصلاة:** وهي سبع صلوات في اليوم والليلة، وليس لها كيفية محدودة، وإنما هي دعاء يختارونه في الغالب من الأدعية المنسوبة إلى المسيح عليه السلام، وللصلاة عندهم شرطان فقط:

الأول: أن تقدَّم الصلاة باسم المسيح؛ لأنه الواسطة عندهم.

الثاني: أن يتقدَّم الصلاة الإيمان الكامل بالتثليث وغيره من العقيدة(١).

٢- **الصوم:** وهو الامتناع عن الطعام حتى بعد منتصف النهار، ثم تناول طعام خال من الدسم عند بعضهم، ومنهم يرى أن الصوم امتناع عن الأكل والشرب من الصباح إلى المساء، وهم يصومون يوم الأربعاء؛ لأنه يوم المشاورة على موت المسيح عليه السلام عندهم، ويوم الجمعة؛ لأنه صلب عندهم فيه المسيح، وأيامًا أخرى غيرها وضعوها لمناسبات خاصة تختلف من كنيسة إلى كنيسة.

والمسيح حثَّ على الصوم عمومًا، ولم يحدد فيه كيفية ولا زمانًا ولا شيئًا من ذلك، فتأوله كل جماعة منهم على ما رأوا دون أن يكون هناك أي دليل يعتمد عليه من قول المسيح عليه السلام(٢). ومن غلو النصارى على أنفسهم في الصيام أنهم لا يتسحَّرون، دل عليه قول رسول الله: (**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ**)(٣).

كما ظهرت عند النصارى بعض الشعائر، منها:

١- **التعميد (المَعمُودِيَّة):** هي فريضة مقدسة عند النصارى، يقصد بها: طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما، وعلامة على

---

(١) انظر: قراءة في الكتاب المقدس، طعيمة، ص٣٤٠. دراسات في الأديان، الخلف، ص٣٤٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٤٢.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٤٢٥، رقم (١٠٩٦)، كتاب الصيام، باب: فضل السحور وتأكيد استحبابه.

التطهير من الخطيئة والنجاسة وعلى الانتساب رسمياً إلى كنسية المسيح، واختلفت وجهات نظر النصارى في التعميد، فجعله بعضهم بالتغطيس الكامل ثلاث مرات، وأغلبهم يكتفي برش الماء على الوجه، وبعضهم جعله للكبار البالغين، وأغلبهم يوجب تعميد الأطفال(١).

٢- **العشاء الرباني**: ويقال له: مائدة الرب، وهو أحد شعائر النصارى الأساسية، فهم يعتقدون أن المسيح أكله مع تلاميذه ليلة القبض عليه، وهو عبارة عن قطع من الخبز مع كأس من الخمر يسمونه "كأس الرب"، أو" كأس البركة"، يتناوله النصارى في الكنيسة؛ رمزًا وتذكارًا لصلب المسيح عندهم. فالخبز يشير إلى جسده المكسور، والخمر إلى دمه المسفوك(٢).

٣- **الاعتراف للقس وصكوك الغفران**: إن التوبة عند النصارى لا تتم إلا بالاعتراف بالذنوب والخطايا أمام القس أو الكاهن في الكنيسة، ثم يمسحه هذا الكاهن(٣) فتغفر ذنوبه(٤).

ثم تطور الأمر حيث قرر في المجمع الثاني عشر الذي عُقد سنة ١٢١٥م أن الكنيسة الكاثوليكية تملك حق الغفران للذنوب وتمنحه من تشاء، فاستغلت الكنيسة هذا الأمر وطبعوا صكوك الغفران(٥). وباعوها وربحوا من ورائها أموالًا طائلة، وهذه الصكوك يغفر فيها جميع الذنوب السابقة واللاحقة، وتخلّص

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون، ص٣٤.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك، ص٢٥. دراسات في اليهودية، الأعظمي، ص٤٧٢.

(٣) الكاهن: وظيفة من كان لهم امتياز المقدسات أو بعض الصلات العامة بالألوهة. معجم الإيمان المسيحي، اليسعوي، ص٤٠٥.

(٤) انظر: عقائد أهل الكتاب، أحمد رمزي، ص١٦٨-١٦٩.

(٥) لمعرفة نص صك الغفران، انظر: المرجع السابق، ص١٦٩.

صاحبها من جميع التبعات والحقوق التي في ذمته[1]. وفعلهم هذا فيه جرأة على الله سبحانه وتعالى، وتعدٍ على حقوقه جلَّ وعلا، واستعباد لخلقه، وتأليه وتعظيم لأنفسهم. قال الله تعالى عنهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3].

٤- **حمل الصليب وتقديسه:** حيث جعل النصارى الصليبَ شعارًا لهم، وله تقديس خاص عندهم، فهو علامة على أهم من أتباع المسيح الذي فدى بنفسه؛ لتكفير خطايا بني آدم، فنجده منصوبًا فوق الكنائس وفي بيوهم، ومعلّقًا على صدور كبارهم وصغارهم ورهبانهم.

٥- **تقديس يوم الأحد:** يقدِّس النصارى يوم الأحد؛ رغبة منهم في مخالفة اليهود الذين يقدِّسون يوم السبت، وهذا من تحريف النصارى وتغييرهم للدِّين الذي جاء به المسيح عليه السلام، إذ من المعلوم أن المسيح عليه السلام من بني إسرائيل، وبنوإسرائيل يعظِّمون يوم السبت ويقدِّسونه، فكان المسيح عليه السلام على ذلك.

وبالجملة فعامة أنواع العبادات والأعياد التي عليها النصارى لم ينزل بها الله كتابًا، ولا بعث بها رسولًا[4].

---

(١) انظر: دراسات في الأديان، الخلف، ص٢٦٠.

(٢) التوبة، الآية: (٣١).

(٣) التوبة، الآية: (٣٤).

(٤) انظر: دراسات في الأديان،الخلف،ص ٣٤٦. عقائد أهل الكتاب، أحمد رمزي، ص١٦٩.
=

خامسًا: مصادر النصارى ومذاهبهم.

أ- مصادر النصارى.

إن النصارى يستمدون عقائدهم وتشريعاتهم ومعارفهم الدينية -السابقة الذكر- من مصدرين أساسيين هما: الكتاب المقدس، والمجامع النصرانية. وفيما يلي تعريفها:

المصدر الأول: الكتاب المقدس.

فالنصارى يقسمون كتبهم إلى قسمين:

القسم الأول: يدعون أنه كتب بواسطة الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام، ويسمونه العهد العتيق أو العهد القديم(١)، والذي يحتوي: التوراة -الناموس- وأسفار الأنبياء التي تحمل تواريخ بني إسرائيل، بالإضافة إلى بعض الوصايا والإرشادات.

والعهد القديم بالنسبة للنصارى منسوخ حكمًا، فلا يعملون بشيء من تشريعاته، وقد ألغى العمل به بولس، إلا أنهم يعتقدون قداسته ويستفيدون منه في معارفهم الدينية(٢).

=

دراسات في اليهودية، الأعظمي، ص٤٧٣. قراءة في الكتاب المقدس، صابر طعيمة، ص١١١. مصادر النصرانية، عبدالرزاق ألآرو (١/٧٨-١٠٨). أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١/٢٦).

(١) العهد القديم: يقصد به عند النصارى، أسفار الكتاب المقدس السابقة ليسوع المسيح.معجم الإيمان المسيحي، ص٣٣٨.

(٢) دراسات في الأديان، الخلف، ص١٩٧. ولن أتطرق في هذا البحث إلى تفاصيل كتب العهد القديم؛ لأن النصارى كانت صلتهم بها ضئيلة جدًا، ولكن غاية ما يعملون أن يستشهدوا ببعض نصوصها في مواعظهم العامة. كما أنه لا يوجد في العهد القديم أي شيء من عقائد النصرانية الحديثة. انظر: مصادر النصرانية،عبدالرزاق ألآرو (١/١٤٩).

القسم الثاني: يدعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام ويسمونه العهد الجديد، وينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

القسم الأول: الأسفار التاريخية: وهي الأناجيل الأربعة: (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)[١].

القسم الثاني: الأسفار التعليمية: وهي عبارة عن مجموعة رسائل عددها إحدى وعشرون رسالة، منها أربع عشرة لبولس، وثلاث ليوحنا، ورسالتان لبطرس، ورسالة واحدة لكل من يعقوب ويهوذا.

القسم الثالث: الأسفار الأحلامية: ويندرج تحت هذا القسم سفر واحد فقط هو: سفر الرؤيا، أو رؤيا يوحنا اللاهوتي[٢].

على أن ما في العهد الجديد يلغي ما في العهد القديم[٣]؛ لأنه في اعتقادهم كلمة الله تعالى، وذلك على خلاف بين طوائفهم في الاعتقاد في عدد الأسفار والرسائل، بل وفي صحة التوراة نفسها، ويطلقون على مجموع العهدين القديم والجديد (بَيْبِلْ)[٤].

ثم ينقسم كل من العهدين (القديم والجديد) إلى قسمين: قسم اتفق على

---

(١) للاستزادة: انظر: مصادر النصرانية،عبدالرزاق ألآرو (٣٩٣/١). هداية الحيارى، ابن القيم، ص٦٨. الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (٢٥١/١). عقائد أهل الكتاب، أحمد رمزي، ص٦٩. دراسات في اليهودية، الأعظمي، ص٣٧٢.

(٢) للاستزادة: انظر: مصادر النصرانية، عبدالرزاق ألآرو (٣٥٦/١). دراسات في اليهودية، الأعظمي، ص٣٦٢.

(٣) وقيل أن العهد الجديد مكمِّلٌ ومتمِّمٌ لشريعة العهد القديم.

(٤) بيبل: وهو لفظ يوناني معناه (الكتاب). للاستزادة من أسماء الكتب والأسفار، انظر: إظهار الحق، الهندي، ص٩٣.

صحته جمهور القدماء من النصارى، وقسم اختلفوا فيه. ويكتبون على الغلاف الذي يضم كُتب العهدين اسم (الكتاب المقدس)، ويؤمن النصارى بقدسيته، ومع التحريف الذي وقع على هذه الكتب، إلا أنه وجد فيها نصوص تصرِّح بوحدانية الله تعالى(١).

المصدر الثاني: المجامع النصرانية.

ويعرفها النصارى بأنها: هيئات شورية(٢) في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنائس(٣). والمجامع النصرانية نوعان: مجامع محلية: وهي التي تبحث في الشؤون المحلية للكنائس التي تنعقد فيها، ومجامع مسكونية (عالمية): تبحث في العقيدة النصرانية(٤).

ب- مذاهب النصارى.

تنقسم مذاهب النصارى إلى ثلاثة مذاهب رئيسة، يتفرع عنها فرق متعددة(٥)، وهذه المذاهب هي:

---

(١) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١/٢٥١).

(٢) يزعمون أنها شورية، وفي حقيقتها أنها جبرية وقسرية. انظر: دراسات في الأديان، الخلف، ص٢٤٩.

(٣) يا أهل الكتاب، شلبي، ص٢٠٣.

(٤) للاستزادة انظر: دراسات في الأديان، الخلف،ص٢٤٩-٢٦٣. شرح أحكام الأحوال الشخصية، أبوالسعود ص٩٤.

(٥) كبار فرقهم ثلاثة: ١- **الملكانية:** وهي مذهب جميع ملوك النصارى، ويؤمنون بعقيدة التثليث، وأن عيسى إله تام وإنسان تام، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما معًا شيئًا واحدًا ابن الله -تعالى الله عن كفرهم-، وهي مذهب جميع نصارى أفريقية، وصقلية، والأندلس، وجمهور الشام. ٢- **النسطورية:** نسبة إلى نسطور، وكان بطريكا بالقسطنطينية، ومذهبهم مثل الملكانية سواء بسواء، إلا أنهم قالوا: إن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم =

١- **الكاثوليك**: وهم أتباع الكنيسة الكاثوليكية العامة، وهي أكبر الكنائس النصرانية في العالم وأعرقها، ورئيس الكنيسة يسمى "البابا"(١). وتؤمن هذه الكنيسة بعقيدة التثليث، وأن روح القدس نشأ من الله الأب والابن معًا، وأن للمسيح طبيعتين: اللاهوتية، والناسوتية، ويؤمنون بعقيدة تجسد الله -تعالى عما يقولون- في السيد المسيح؛ من أجل خلاص البشرية من إثم خطيئة آدم وذريته من بعده، ويقدِّسون السيدة مريم، ويؤمنون بالإلهام كأحد مصادر الوحي والمعرفة، ويقدِّسون الصليب ويتخذونه شعارًا(٢).

٢- الأرثوذكسية: وهم أتباع الكنيسة الأرثوذكسية، وهي كنيسة الروم الشرقية(٣)، انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية، وتمثلت في عدة كنائس

=

يلد الإنسان، وإنما ولد الإله -تعالى الله عن كفرهم-، وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان. ٣- **اليعقوبية**: نسبة إلى يعقوب البرذغاني، وكان راهبًا بالقسطنطينية، قالت: إن المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله -تعالى عن كفرهم- مات وصلب وقُتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالى كان في بطن مريم، وهي مذهب أهل مصر والنوبة وجميع الحبشة وتشعبت منها فرق كثيرة. ولا شك أن هذا التعدد في الفرق هو تحقيق لحديث رسول الله ﷺ حينما قال: **(تَفَرَّقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، وَالنَّصَارَى مِثْلُ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)**. أخرجه الترمذي في سننه، ص٦٥٠، رقم (٢٦٤٥) كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: حديث حسن صحيح. انظر: الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (٦٥/١). اليهودية والمسيحية، الأعظمي، ص٣٩٦.

(١) تندرج الألقاب عند النصارى على النحو الآتي: (شماس، قسيس، أسقف، مطران، بطريك، بابا). والبابا هو المشرِّع بعد عيسى عليه السلام، وهو صاحب السلطة العليا في النصرانية، وهو معصوم عندهم. انظر: دراسات في اليهودية، الأعظمي، ص٤٦٦.

(٢) وينتشر الكاثوليك في أوروبا، فرنسا، بولندا، أسبانيا، الفلبين، وهولندا وألمانيا، وبعض دول أفريقيا. انظر: دراسات في اليهودية، الأعظمي، ص٤٦٦.

(٣) سميت الكنيسة الشرقية؛ لأن أتباعها يتركَّزون في المشرق كتركيا، اليونان، روسيا، والمجر، ورومانيا.

مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الأب وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح عليه السلام. وفي نهاية القرن التاسع الميلادي، وبالتحديد بعد انقضاء مجمع القسطنطينية[1] الخامس عام ٨٧٩م، أصبح يمثل الأرثوذكسية كنيستان رئيستان:

- **الكنيسة الأرثوذكسية المصرية أو القبطية**[2]، التي تؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة[3].

- **الكنيسة الأرثوذكسية أو كنيسة القسطنطينية**، والمعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس، أو الكنيسة الشرقية، تخالف الكنيسة المصرية في طبيعة المسيح، بينما توافق الكنيسة الكاثولكية الغربية بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ويجمعهما مع الكنيسة المصرية الإيمان بانبثاق الروح القدس عن الأب وحده[4].

٣- البروتستانت[5]: فرقة من النصرانية احتجوا على الكنيسة الغربية باسم الإنجيل والعقل، وتسمى كنيستهم بالبروتستانتية، وهي حركة بدأت في الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي، ومن أبرز مؤسسيها مارتن لوثر،

---

(١) القسطنطينية: هي عاصمة الامبطورية الرومانية، واسمها الحالي إسطنبول. انظر: معجم البلدان، الحموي (٣٤٧/٤).

(٢) الأقباط: تطلق بوجه عام على نصارى مصر، وهم أقدم وأكبر طائفة مسيحية.

(٣) وينتشر نفوذ الكنيسة في مصر والحبشة والسودان. كما أسست الكنيسة المصرية عدة كنائس في كينيا، ليبيا، الجزائر، الكويت، الإمارات، البحرين، بلاد الشام، وأمريكا الشمالية وبعض دول أوربا. المرجع السابق (٥٩٦/٢).

(٤) وتضم كنائس أورشليم واليونان وروسيا وأوربا الشرقية.

(٥) البروتستانت: أي المحتجين والمعارضين لكل أمر يخالف الإنجيل، وتنتشر كنائسهم في ألمانيا، وهولندا، وبريطانيا، وأمريكا، وسويسرا، والدنمارك. انظر: عقائد أهل الكتاب، ص١٧١.

وعقيدة هذا المذهب لا تختلف عن المذاهب السابقة ذكرها فيما يختص بالعقيدة، فهي مثلها تؤمن بالتثليث وألوهية المسيح وصلبه. لكن البروتستانتينية تختلف عن غيرها من النحل بشكل عام، وعن الكاثوليكية بوجه خاص في أمور فرعية[(١)]، يتبين من خلالها أن أتباع البروتستانت أخف انحرافًا من الكنائس الأخرى، فقد كانت في نشأتها أميل للتوحيد، لكنها لم تصمد أمام الضغط النصراني، فانغمست في الكفر والشرك والعياذ بالله[(٢)].

سادسًا: أحوال دولة الروم قبل ظهور الدعوة الإسلامية.

قبل إن نُلقي الضوء على موضوع دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام، يحسن أن نعطي نبذة يسيرة عن أحوال دولة الروم (الإمبراطورية البيزنطية)[(٣)] قبل بدء الدَّعوة الإسلامية فيها؛ ذلك أن هذه الدولة عاشت في انحراف في الفكر والعقيدة، يسود شعبها الخلافات والاضطهادات، مع أنها دولة عظيمة لعبت دورًا هامًا في التاريخ كقوة سياسية وحربية لقرون طويلة.

وكانت الإمبراطورية البيزنطية تضم الروم في آسيا الصغرى (تركيا حاليًّا)، وتتوسع فتحتل الأقطار الواقعة على حوض البحر المتوسط الشرقي والجنوبي، وبذلك

---

(١) لمعرفة هذه الأمور الفرعية، انظر: عقائد أهل الكتاب، ص١٧٣. دراسات في اليهودية، الأعظمي، ص٤٧٨.

(٢) للاستزادة: انظر: الأسفار المقدسة، علي وافي،ص١١٧-١٢٤م. محاضرات في النصرانية،أبو زهرة، ص٣٣. عقائد أهل الكتاب، أحمد رمزي ص١٧٣. الإسلام والمسيحية، جورافسكي، ص١٨٢.

(٣) يُعرف الروم عند الإفرنج بالبيزنطيين نسبة إلى بيزنطة، اسم مدينة يونانية قديمة واقعة على شاطئ البوسفور، وكان المسلمون يطلقون عليها اسم بلاد الروم، وكانت على الحدود الشمالية لسوريا، وكان مؤسسها الإمبراطور قسطنطين قد جعل عاصمتها القسطنطينية عام ٣٣٥م بعدما كانت روما عاصمة للإمبراطورية الرومانية. انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٤/٦).

جمعت أجناسًا عديدة من البربر[1] والقبط والعرب إلى جانب الروم، و لم يكن بين هذه العناصر تجانس في الجنس واللغة والثقافة والتقاليد، ورغم انتشار النصرانية بين هذه الشعوب، لكنها لم تحقق لها الانسجام؛ وذلك بسبب الخلاف المذهبي الذي أضعف ولاء رعايا الإمبراطورية في الشام ومصر لها.

أما الحالة الاقتصادية فإن الربا والضرائب أساس النظام، وقد فرض هرقل ضرائب جديدة على أهالي الولايات المستائين من الحكم الروماني؛ لتسديد الدين الكبير لحروبه مع فارس، وقد أصيبت الإمبراطورية البيزنظية بانحطاط هائل؛ نتيجة المغالاة في الضرائب والانحطاط في التجارة وإهمال الزراعة وتناقص العمران.

ورغم أن الإمبراطورية البيزنطية تدين بالنصرانية، لكن تعاليم النصرانية لم تبقَ كما جاء بها عيسى عليه السلام، فقد فقدت النصرانية الحقَّة روحانيتها؛ لما أدخله بولس من تعاليم وثنية نشأ عليها قبل تنصُّره، ولما تنصر الإمبراطور البيزنطي قسطنطين أدخل عليها مزيجًا من الخرافات اليونانية والوثنية الرومانية، وبذلك تحرَّفت الديانة وضاعت تعاليمها الأصلية.

كما انتشر الخلاف المذهبي الذي كان محوره تفسير طبيعة المسيح عليه السلام بين سكان الإمبراطورية، فقد تبنَّت الدولة مذهب الملكانية الذي يرى أن للمسيح طبيعتين: إلهية، وبشرية. في حين انتشر مذهب اليعاقبة في بلاد الشام ومصر[2]،

---

(١) البربر: اسم يشتمل على قبائل كثيرة في جبال المغرب، وهم أمم وقبائل لا تحصى، ويقال لمجموع بلادهم: بلاد البربر، والأشهر في نسبهم أنهم بقية قوم جبارين قاتلهم داود وطالوت وكانت منازلهم ناحية فلسطين، فلما أُخرجوا منها أتوا المغرب فتناسلوا به وأقاموا في جباله. المعجم الوسيط(١/٤٦). المصباح المنير، الفيومي، ص١٧.

(٢) لمعرفة المزيد عن حالة مصر الدينية والسياسية والاقتصادية قبل الفتح الإسلامي، انظر: عمرو بن العاص =

وهو يرى أن للمسيح طبيعة واحدة إلهية، وقد أدى هذا الاختلاف إلى شقاق عنيف بين الدولة ورعاياها، وحاول هرقل توحيد مذهب الإمبراطورية، فعقد مجمعًا دينيًا انتهى إلى قرار عدم الخوض في طبيعة المسيح عليه السلام والاكتفاء بالقول: بأن لله إرادة واحدة.

لكنَّ المصريين قاوموه فاضطهدهم بالتعذيب والتحريق، وفشلت محاولة التوحيد الديني. وهذا الخلاف المذهبي يوضح مدى الانحدار الفكري والانحراف العقدي الذي أصاب شعوب الإمبراطورية، حتى جعلوا عيسى عليه السلام -وهو عبد الله ورسوله- إلهًا -تعالى الله عما يقولون-.

أما من ناحية الحالة الاجتماعية والأخلاقية، كان الإمبراطور وقادة الجيش وكبار رجال الكنيسة يعيشون في أعلى السلم الاجتماعي، في حين يقبع آلاف العبيد في المزارع الضخمة حيث يعانون من سوء التغذية وتدني مستوى المعيشة، ويقترب من مستواهم المعيشي الأحرار الذين يشتغلون في الصناعات، وهذه الطبقات من الفقراء كانوا يحسون بسوء حالهم، وكثيرًا ما حاولوا القيام بثورات لم يوفَّقوا فيها.

وهكذا فإن الطبقية وفقدان العدالة الاجتماعية والطغيان الكنسي كانت تطبع المجتمع البيزنطي. كما كانت القسوة، والعنف، والتعصب، والجهل، والخرافة تطبع حياة الأفراد. كما أن دولة الروم عاشت في انغماس بالملذات، والترف، وقلت روح القتال فيهم[1].

=

رضي الله عنه، أبو رابية، ص٨٧-١٢٠.

(١) انظر: عصر الخلافة الراشدة ، العمري، ص٣٠٨.

إن هذه الأحوال السيئة التي عاشتها الدولة الرومانية كانت في صالح المسلمين إذ كانت من أسباب انتصارهم على الروم في مدة قصيرة، دلَّ على ذلك قول ملك مصر المقوقس لعبادة بن الصامت ﷺ[1]: (لعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت[2]، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها)[3].

ولذا فقد حرص الصحابة ﷺ على القيام بواجب الدَّعوة إلى الله، وحماية الدولة الإسلامية من خطر النصارى، فكان التوسع الإسلامي ضرورة وواجبًا، فأعد الصحابة ﷺ الجيوش؛ وحاوروا وعقدوا الصلح والمعاهدات، وعرضوا عليهم موضوعات الدَّعوة التي سنوضحها في الفصل القادم بإذن الله.

---

(١) عبادة بن الصامت بن قيس، واسمه غنم بن عوف الأنصاري الخزرجي، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، أرسله عمر ابن الخطاب إلى الشام؛ ليعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين. توفي سنة ٣٤هـ. أسد الغابة، ابن الأثير (٢/٥٣٥).

(٢) يقصد قول عبادة بن الصامت ﷺ: (غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليله ونهاره، وشملة يلتحفها...).

(٣) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر وأخبارها، ص١٤٦. وانظر: النجوم الزاهرة، الحنفي (١/١٣). حسن المحاضرة، السيوطي (١/١١٢). المواعظ والاعتبار، المقريزي (٢/٧٦). نهاية الأرب، النويري (١٩/٢٩٤). فتح العرب لمصر، الفتر بتلر، ص٢٢٤.

V.

الفصــل الأول
موضوع دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحــث الأول: موضوع دعوة الصحابة ﷺ الملأ من النصارى.

المبحث الثانــي: موضوع دعوة الصــحابة ﷺ العلمــاء مــن النصارى.

المبحث الثــالث: موضوع دعوة الصــحابة ﷺ العامــة مــن النصارى.

تمهيد:

الدَّعوة إلى الله دعوة إلى صراط الله المستقيم، وهو الإسلام الذي هو دين الله الحق، وهو موضوع الدَّعوة ومحلها،كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾(١) فسبيل الله ﷻ هو الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به نبيه محمد ﷺ ودعا إليه صحابته الكرام في منهج دعوهم للنصارى، والمتضمن: الدَّعوة إلى العقيدة الصحيحة، وإفراد العبادة لله ﷻ، والإيمان به وبرسله، والإيمان باليوم الآخر، وبكل ما أخبر الله ﷻ به ورسوله ﷺ، ويدخل في ذلك أيضًا الدَّعوة إلى ما أوجب الله ﷻ من العبادات وكل ما يحبه الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كما شمل منهج دعوة الصحابة ﷺ جميع أصناف النصارى بمختلف طبقاهم وعقائدهم؛ ليحققوا بذلك المقصود من الدَّعوة وهدفها، وهو إخراج النصارى من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

وبناءً على ذلك فقد تمَّ تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : موضوع دعوة الصحابة ﷺ الملأ من النصارى.

المبحث الثاني: موضوع دعوة الصحابة ﷺ العلماء من النصارى.

المبحث الثالث: موضوع دعوة الصحابة ﷺ العامة من النصارى.

---

(١) النحل، الآية: (١٢٥).

المبحث الأول

موضوع دعوة الصحابة ﷺ الملأ من النصارى

اهتم الصحابة ﷺ بدعوة الملأ[1] من النصارى إلى الإسلام؛ لما لهم من سلطة وتأثير على من حولهم، فتنوعت موضوعات دعوتهم على النحو الآتي:

المطلب الأول : موضوع دعوة الصحابة ﷺ للملأ من النصارى فيما يتعلق بالعقيدة.

المطلب الثاني: موضوع دعوة الصحابة ﷺ للملأ من النصارى فيما يتعلق بالشريعة.

المطلب الثالث: موضوع دعوة الصحابة ﷺ للملأ من النصارى فيما يتعلق بالأخلاق.

---

(١) الملأ: هم كما يقول المفسرون: الأشراف من الناس وذوو الرأي. انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٦٥/٣). معالم التنزيل، البغوي (٣٣٥/٤) زاد المسير، ابن الجوزي (٢٩٢/١). فتح القدير، الشوكاني (٣٩٩/١).

المطلب الأول

موضوع دعوة الصحابة ﷺ للملأ من النصارى فيما يخص العقيدة

إن قضايا العقيدة من أهم القضايا التي اهتم بها الصحابة ﷺ في منهج دعوتهم للملأ من النصارى إلى الإسلام؛ لأنها أولى القضايا التي يجب أن يتناولها الدعاة، ولواقع المجتمع النصراني الذي يعيش في ظلمة الكفر والضلال والبعد عن الحق. وفيما يلي أهم موضوعات العقيدة التي تطرق لها الصحابة ﷺ في دعوة الملأ من النصارى على النحو الآتـــي:

١- منهج الدَّعوة إلى توحيد الله والإيمان برسول الله ﷺ.

إن قضية التوحيد[1] هي الأساس في موضوعات دعوة النصارى إلى الإسلام، وقد تعددت طرق طرحه، فتارة يكون بالدعوة إلى توحيد الله ﷻ وبيان أهميـــة ذلـــك، وتارة يكون بالزجر والنهي عن الشرك، وقد تناول القرآن دعوة النصارى إلى توحيد الله. قـــال الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2]. ودعا الصحابةُ ﷺ الملأَ من النصارى إلى إفرادِ الله بالعبادة وإلى الإيمان برســـول الله ﷺ نبيًـــا ورســـولًا، ولأهمية هذين الركنين العظيمين فإنه لا يحكم بإسلام أي شخص إلا بالنطق بهـــاتين الشهادتين[3]. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "وأنه لا يمكن الإيمـــان بـــنبي مـــن

---

(١) مفهوم التوحيد عند أهل السنة: "هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات". القول المفيد، ابن عثيمين (١/٥).

(٢) آل عمران، الآية: (٦٤).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٩٧).

الأنبياء أصلًا مع جحود نبوة محمد رسول الله ﷺ، وأنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحدًا"[1]. والشهادتان من خصال الإسلام. قال الإمام ابن رجب -رحمه الله-: "ثم إن الشهادتين من خصال الإسلام بلا نزاع، وليس المراد الإتيان بلفظهما دون التصديق بهما، فعُلم أن التصديق بهما داخل في الإسلام"[2].

ومن شواهد حرص الصحابة ﷺ على الدَّعوة إلى التوحيد والإيمان بمحمد ﷺ حينما توجَّه خالد بن الوليد ﷺ[3] إلى الملك ماهان[4]؛ ليدعوه إلى الإسلام أثناء أحداث وقعة اليرموك[5]، قال خالد: (ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا ﷺ وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس، فندعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله...)[6].

---

(١) هداية الحيارى، ص٢٣٧.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١١٣).

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي، أرسله أبو بكر ﷺ إلى قتال أهل الردة، ثم ولّاه حرب فارس والروم وفتح دمشق، مات بالمدينة، وقيل: في حمص سنة ٢١هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٢/٢١٥). الطبقات الكبرى، ابن سعد (٧/١٨٨).

(٤) ماهان، وقيل: باهان. تهذيب تاريخ دمشق، بدران (١/١٣٢). فتح الباري، ابن حجر (٧/٣٠٠).

(٥) اليرموك: واد بناحية الشام يصب في نهر الأردن، التقى فيه المسلمون لحرب الروم. انظر: فتح الباري، ابن حجر (٧/٣٠٠). امعجم البلدان، الحموي (٥/٤٣٤). واختلف المؤرخون في السنة التي وقعت فيها معركة اليرموك، فالإمام الطبري ذكر أنها كانت سنة ١٣هـ، وأما البلاذري وابن خياط وابن عساكر والذهبي فيرون وقوعها سنة ١٥هـ. والمشهور القول الأول من رواية سيف، وقد اعتمدها الطبري، وتابعه ابن الأثير وقدمها الإمام ابن حجر والحافظ ابن كثير، ورجح هذا القول من المعاصرين أستاذ التاريخ الدكتور محمد السلمي في كتابه "الخلفاء الراشدون، ص١٥٠. وهو الراجح والله أعلم. انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ص٥٤٩. فتوح البلدان، البلاذري، ص٨٧. تاريخ خليفة بن خياط، ص١٣٠. تهذيب تاريخ دمشق ، بدران (١/١٦٠). تاريخ الإسلام، الذهبي ص٥٧. صحيح تاريخ الطبري (٣/١٠٩). فتح الباري، ابن حجر (٧/٣٠٠).

(٦) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٧٨. وكان الرسول ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية، =

وحينما أراد خالد بن الوليد ﷺ دعوة قائد الروم جرجة إلى الإسلام في معركة اليرموك، ابتدأه بالدعوة إلى كلمة الشهادتين. قال جرجة: (يا خالد، أخبرني إلام تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله...)[1]. ودعا أبو عبيدة بن الجراح ﷺ رسول القائد الرومي يوم فحل[2]، إذ قال له: (إن الله قد بعث فينا رسولًا نبيًّا، وأنزل عليه كتابًا حكيمًا، وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة ربهم؛ رحمة منه للعالمين، وقال لهم: إن الله ﷻ إله واحد، عزيز حكيم، علي مجيد، وهو خالق كل شيء، وليس كمثله شيء، وأمرهم أن يوحدوا الله الذي لا إله إلا هو، ولا يتخذوا معه آلهة أخرى، وإن كل شيء يعبده الناس دونه فهو خلقه، وأمرنا ﷺ فقال: إذا أتيتم المشركين فادعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله وبالإقرار بما جاء من عند الله ﷻ، فمن آمن وصدَّق فهو أخوكم في دينكم له ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فأعرضوا عليه الجزية حتى

=

يقول: (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام..). أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب: تأمير الأمراء على البعوث، رقم (١٧٣١) ص٧٢٠.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٢. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٦٠)، وابن الأثير في الكامل (١/٤٠٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/١٦). وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٢/٦١). وقال محقق تاريخ الطبري: والأثر إسناده ضعيف لكن ورد مايقويه. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٩٣). وله شواهد من فعل الصحابة الكرام. انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٤/ ١٦٣) وفتوح الشام (٢/ ١٧٢).

(٢) فحل: موضع مشهور ببلاد الشام. انظر: معجم البلدان، البلاذري (٤/٢٣٧). وكانت وقعة فحل سنة ١٣هـ، وانتهت بانتصار المسلمين بقيادة أبي عبيدة ﷺ، وقد أصيب رئيسهم سقلار بن مخراق، والذي يليه فيهم نسطورس. انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ص ٥٦٨. تاريخ دمشق، ابن عساكر (٢/١٠٦).

يؤدوها عن يد وهم صاغرون، فإن أبوا أن يؤمنوا أو يـؤدوا الجزيـة فـاقتلوهم وقاتلوهم..)[1]. وجاء في رسالة أبي عبيدة رضي الله عنه إلى بطارقة[2] إيليـا[3]: (مـن أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها، سلام على من اتبع الهدى وآمـن بالله العظيم ورسوله. أما بعد، فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبـور، فـإذا شهدتم بذلك حرّمت علينا دماؤكم وأموالكم وكنتم إخواننا في ديننا، وإن أبيـتم فأقروا لنا بإعطاء الجزية عن يد وأنتم صاغرون..)[4].

٢- تحذير الملأ من الشرك بالله عز وجل:

اهتم الصحابة رضوان الله عليهم في دعوة الملأ من النصارى إلى النهي عن أعظـم المنكرات وهو الشرك بالله سبحانه، وهو صرف العبادة أو بعضها لغـيره سـبحانه؛

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٠٥. الخلفاء الراشدون، الحميدي، ص٢٢١. ويشهد لـه وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل (إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لاإلـه إلا اللهوأن محمد رسول الله...) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب:أخذ الصـدقة مـن الأغنيـاء، رقم١٤٩٦، ص٢٩١.

(٢) بطارقة: جمع بطريق وهو القائد من قواد الروم. معجم الصحاح، الجـوهري، ص٩٦، مـادة: بطرق.

(٣) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس. معجم البلدان (٢٩٣/١). عن أبي عثمان وأبي حارثـة، قـالا: (افتتحت إيلياء وأرضها على يدي عمر في ربيع الآخر سنة ست عشرة). أخرجه الطـبري في تاريخـه، ص٦٢٩، وإسناده ضعيف وله ما يؤيده من الشواهد. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٢١٠/٣).

(٤) أخرجه الأزدي فتوح الشام، ص٢١٩. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٦٥/٧)، والعليمي في الأنس الجليل (٢٤٧/٢)، والهندي في مجموعة الوثائق السياسية، ص٤٨٠. ويشهد على معناه وصـية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل (إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشـهدوا أن لاإلـه إلا اللهوأن محمد رسول الله...) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب:أخذ الصدقة من الأغنياء، رقم١٤٩٦، ص٢٩١.

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[1] وقد أكَّد الصحابة ﷺ على هذا الأمر في حواراتهم مع النصارى، وفي وصاياهم للقادة، فقد أوصى أبوبكر أبا عبيدة -رضي الله عنهما- حينما أراد التوجه إلى بلاد الشام، فكان مما قاله: (إن الله قد صنع بك خيرًا وساقه إليك، إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين، فقاتل من كفر بالله وأشرك به وعبد معه غيره...)[2].

ومن ذلك رسالة عمرو بن العاص رضي الله عنه[3] إلى بطارقة إيلياء، ومما قاله فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم. من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله العظيم الذي لا إله إلا هو ومحمد ﷺ أما بعد، فإنا نثني على ربنا خيرًا، ونحمده حمدًا كثيرًا كما رحمنا بنبيه وشرفنا برسالته وأكرمنا بدينه وأعزنا بطاعته وأكرمنا بتوحيده والإخلاص بمعرفته، فلسنا والحمد لله نجعل له ندًا، ولا نتخذ من دونه إلهًا، لقد قلنا إذًا شططًا. سبحانه وبحمده جل ثناؤه،... والحمد لله الذي جعلكم شيعًا، وجعل في دينكم أحزابًا بكفركم

---

(١) النساء، الآية: (٤٨).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٣. وقد كان رسول الله ﷺ، إذا أمر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولاتغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولاتقتلوا وليدا،.."الحديث أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار، رقم (١٧٣٠) ص٧٢٠.

(٣) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أسلم قبل الفتح، وكان النبي ﷺ يقربه ويدنيه؛ لمعرفته وشجاعته، كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام زمن عمر، وهو الذي افتتح مصر، توفي سنة ٤٣هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر(٤/٥٣٧).

بربكم، كل حزب بما لديهم فرحون، فمنكم من يزعم أن لله ولدًا ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة، فبعدًا لمن أشرك به سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كثيرًا....إلى أن قال: إذا أتاكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا، وإلا فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتابًا أمانًا على دمائكم وأموالكم، وأعقد لكم عقدًا تؤدُّوا إليَّ الجزية عن يد وأنتم صاغرون)[1].

فهنا بيَّن الصحابة ﭬ الشرك الذي وقع فيه أحزاب النصارى واختلفوا فيه، فمنهم من يزعم أن لله ﻷ ولدًا، ومنهم من يزعم أنه ثالث ثلاثة، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[2]. قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "والنصارى قالت النسطورية منهم: هو ابن الله، والملكانية ثالث ثلاثة. وقالت اليعقوبية: هو الله؛ فأفرطت النصارى وغلت)[3].

٣- نهي الملأ من النصارى عن الغلو في عيسى ابن مريم ﭫ:

حذَّر الله ﻷ النصارى من الغلو بالمسيح عيسى ﭫ حتى جعلوه ربًّا. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٣٧. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية، ص٤٧٤، ص٤٧٤، والكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٥٨). وقد كان النبي ﷺ يقول: (أسلموا تسلموا..) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: إجلاء اليهود من الحجاز، رقم (١٧٦٥) ص٧٣٣. وقال ﷺ لهرقل: (اسلم تسلم..) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٧٣) ص٧٣٧.

(٢) مريم، الآية: (٣٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١١/٧٨).

إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[1].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيِّز النبوَّة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقًا أم باطلًا"[2]. كما نهى رسول الله ﷺ عن الغلو في عيسى عليه السلام، فقال: (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**)[3]. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "والإطراء المدح بالباطل، أي: في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك"[4].

من أجل ذلك اهتم الصحابة رضي الله عنهم ببيان الاعتقاد الصحيح في عيسى ابن مريم عليه السلام، وأنه بشر مخلوق ليس بإله ولا ابن إله، كما قال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[5]، وأنه ما ادعى عليه السلام

---

(١) النساء، الآية: (١٧١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦٠٣/١).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٦٦٤، رقم (٣٤٤٥)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾. مريم، الآية: (١٦).

(٤) إتحاف القاري، العدوي (٦٨/٣).

(٥) المائدة، الآية: (٧٥).

الربوبية ولا الألوهية و لم يأمر أحدًا باتخاذه إلهًا، بل إنه عبد الله ورسوله،كما قال تعالى: ما ﴿ قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾[1].

ومما يبين اهتمام الصحابة ببيان هذا الأمر، ما حدث في وقعة فحل، حينما أرسل أبوعبيدة ﷺ معاذ بن جبل ﷺ لدعوة قائد الروم إلى الإسلام. قال معاذ ﷺ: (وأما قولكم: كيف تستحلون قتالنا وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابنا؟ فأنا أخبركم عن ذلك: نحن نؤمن بنبيكم، ونشهد أنه عبد من عبيد الله، وأنه رسول من رسل الله، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، ولا نقول: إنه ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة، ولا أن لله ولدًا، ولا أن له صاحبة ولا ولدًا، ولا أن معه آلهة أخرى. لا إله إلا هو تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا. وأنتم تقولون في عيسى قولًا عظيمًا، فلو أنكم قلتم في عيسى كما نقول، وآمنتم بنبوة نبينا ﷺ كما تجدونه في كتابكم وكما نؤمن نحن بنبيكم، وأقررتم بما جاء من عند الله، ووحدتم الله ما قاتلناكم بل كنا نسالمكم ونواليكم ونقاتل معكم عدوكم...)[2]. وقال عمر ابن الخطاب ﷺ لقيصر ملك الروم: (اتق الله ولا تتخذ عيسى إلهًا من دون الله فـ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[3][4].

---

(١) المائدة، الآية: (١١٧).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٠٥. ويشهد له حرص النبي ﷺ على دعوة النصارى، حينما قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولانصراني، ثم يموت ولايؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). تقدم تخريجه، ص٤٤.

(٣) آل عمران، الآية: (٥٩).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٢٣/١٠)، رقم (١٨٧٢٣)، وابن كثير في تفسيره (٢٩٠/٤)، وابن المقرئ في المعجم (٨٦/١)، رقم (١٨٢)، والقزويني في التدوين (٤٠٩/٢)، والسيوطي في تاريخ الخلفاء، ص١١٣، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، (٣٥٣/٤٧).

٤- بيان قضايا الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر هو أحدُ أرْكان الإيمان السِّتة، التي يكفر من أنكره[١]، ومعناه التصديق بكل ما أخبر به الله ﷻ وأخبر به رسوله ﷺ، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعًا. ولقد حفل القرآن بذكر اليوم الآخر، وربطه بالإيمان بالله. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٢]. كما أكد الرسول ﷺ على الإيمان باليوم الآخر في حديث جبريل حينما سأل الرسول ﷺ عن الإيمان فقال: (**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)[٣]. قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- "والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين. قال تعالى: **قُلْ** ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾[٤]"[٥] ولقد فقد أكَّد الصحابة ﭫ على قضايا الإيمان باليوم الآخر؛ لعلاقته المباشرة بالتوحيد والإيمان بالله ﷻ. قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: التعليق على صحيح مسلم، ابن عثيمين (٧٦٥/١).

(٢) البقرة، الآية: (١٧٧).

(٣) تقدم تخريجه، ص٣٥.

(٤) التغابن، الآية: (٧).

(٥) شرح لمعة الاعتقاد، ص١١٥.

﴿وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾[1] قال الإمام البغوي –رحمه الله–: "فإن قيل: أهل الكتاب مؤمنون بالله وباليوم الآخر. قيل: لا يؤمنون كإيمان المؤمنين، فإنهم إذا قالوا: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، لا يكون ذلك إيمانًا بالله"[2]. وقال الإمام ابن القيم –رحمه الله– عن النصارى:" ولا يؤمنون باليوم الآخر؛ لأن عامتهم وإن كانوا يقرُّون بقيامة الأبدان؛ لكنهم لا يقرُّون بما أخبر الله به من الأكل والشرب واللباس والنكاح والنعيم والعذاب في الجنة والنار؛ بل غاية ما يقرُّون به من النعيم السماع والشم، ومنهم متفلسفة ينكرون معاد الأجساد"[3]. وقال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله–:" لو آمنوا بالله لآمنوا برسوله محمد ﷺ، ولو آمنوا باليوم الآخر لأطاعوا الله ورسوله؛ لينجوا من عذاب اليوم الآخر، وليسعدوا فيه بدخول الجنة، فلما لم يؤمنوا ولم يعملوا كانوا حقًّا كافرين غير مؤمنين، وصدق الله العظيم حيث نفى عنهم الإيمان به وباليوم الآخر والله أعلم بخلقه من أنفسهم"[4]. من أجل ذلك كله أشار الصحابي أبو عبيدة رضي الله عنه في رسالته إلى بطارقة إيلياء إلى قضايا اليوم الآخر فقال: (من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله العظيم ورسوله. أما بعد، فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور...)[5].

---

(١) التوبة، الآية: (٢٩).

(٢) معالم التنـزيل (٣٢/٣).

(٣) أحكام أهل الذمة (٣١/١).

(٤) أيسر التفاسير (٣٥٨/٢).

(٥) تقدم تخريجه، ص٨٠.

ونلحظ من كلام أبي عبيدة ﷺ إشارته للنصارى لقضية الإيمان بالساعة، التي تدخل من ضمن الإيمان باليوم الآخر، وهو مما أشار إلى وقوعه رسول الله ﷺ حينما قال: (**بُعِثت أنا والساعة كهاتين**)(١). قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "المراد بالساعة هنا يوم القيامة"(٢).

ثانيًا: موضوع دعوة الصحابة ﷺ للملأ من النصارى فيما يخص الشريعة.

إن الشريعة هي المنهج الذي سار عليه الصحابة ﷺ في دعوتهم النصارى إلى الإسلام، وهي "الأمر والنهي والحلال والحرام، والفرائض والحدود والسنن والأحكام"(٣). ومن الموضوعات الشرعية التي تضمنتها دعوة الصحابة ﷺ ما يلي:

١- منهج البدء بدعوة النصارى إلى الإسلام قبل القتال:

إن الحرص على تبليغ الدَّعوة الإسلامية هي من أبرز مهام الدولة الإسلامية، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾(٥). فقام الصحابة ﷺ بواجب دعوة النصارى إلى الإسلام في أصعب الظروف وأثناء المعارك والحروب وفي العسر والشدة؛ لعلمهم أنه الدِّين الذي

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص١٢٤٧، رقم (٦٥٠٥)، كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: (**بعثت أنا والساعة كهاتين**).

(٢) إتحاف القاري، العدوي (٥/٥٨).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/٣٦٢).

(٤) آل عمران، الآية: (١٠٤).

(٥) النحل، الآية: (١٢٥).

لا يقبل الله سبحانه غيره. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١) قال الإمام النووي -رحمه الله-: "إن السنة أن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال"(٢). وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "إن المسلمين يدعون الكفار -قبل قتالهم- إلى الإسلام، وهذا واجب إن كانت الدَّعوة لم تبلغهم ومستحب إن بلغتهم الدَّعوة، هذا إذا كان المسلمون هم القاصدون للكفار. أما إذا قصدهم الكفار في ديارهم فلهم أن يقاتلوهم من غير دعوة؛ لأنهم يدفعونهم عن أنفسهم وحريمهم"(٣).

ولذا كانت وصايا الصحابة ﷺ للجنود في المعارك تتضمن النهي عن البدء بالقتال قبل دعوتهم، كما جاء في وصية أبي عبيدة ﷺ في معركة اليرموك إذ قال: (عباد الله! انصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم. يا معشر المسلمين، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر مرضاة للرب ومدحضة(٤) للعار، ولا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدؤوهم بالقتال...)(٥). و لم تكن مجرد وصايا، بل باشر الصحابةُ ﷺ تنفيذَ ذلك،

---

(١) آل عمران، الآية: (٨٥).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٩٧). ولقد اختلف العلماء في حكم الدَّعوة إلى التوحيد قبل القتال، على أقوال ثلاثة: الأول: الوجوب مطلقًا سواء بلغته الدَّعوة أم لم تبلغه، الثاني: أن الوجوب منسوخ بعد أن قويت شوكة الإسلام، الثالث: أن الوجوب مقيد بمن لم تبلغه الدَّعوة الإسلامية ومن بلغته فيستحب في حقه. للاستزادة انظر: حديث بعث معاذ إلى اليمن، ص٦٤. عارضة الأحوذي، ابن العربي (٧/٢٩).

(٣) أحكام أهل الذمة (١/٨٨).

(٤) مدحضة: من دحض أي منع. انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي،ص٦٤٢. المعجم الوسيط (١/٢٧٣)، مادة: دحض.

(٥) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٩٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/١٤٨). وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٧/١٢)، والصفدي في الوافي بالوفيات (١٦/١٦٥). ويشهد على معناه وصية =

حينما (أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة[١]، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي -وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر- فقال له خالد وأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم، فقال له قبيصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية وقعت بالعراق)[٢].

ومن ذلك دعوة عبادة بن الصامت ﷺ لملك مصر المقوقس[٣]. قال عبادة: (ليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك، ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث خصال فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد الرسول ﷺ من قبل إلينا، أما أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه. فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولا نستحل أذاكم ولا التعرض

=

النبي ﷺ لمعاذ بن جبل (إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله...) تقدم تخريجه، ص٨٠.

(١) الحيرة: مدينة بالعراق بالقرب من الكوفة، تضم قبائل عربية متنصرة مختلفة وهي خاضعة للفرس، وكان فتحها في السَّنَة ١٢هـ. انظر: معجم البلدان، الحموي (٢/٣٢٨). صحيح تاريخ الطبري (٣/٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٣٣. وذكره ابن حبان في السيرة النبوية (٢/٤٤٦)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/٩٨)، وإسناده ضعيف وله ما يؤيده من الشواهد. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٧٠).

(٣) المقوقس: لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٧٦٧).

لكم، وإن أبيتم إلا الجزية فأدُّوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدًا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم[1] وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا. وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم. هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم. فقال المقوقس: هذا ما لا يكون أبدًا، ما تريدون إلا أن تتخذونا نكون لكم عبيدًا ما كانت الدنيا. فقال له عبادة بن الصامت: هو ذاك، فاختر ما شئت. فقال له المقوقس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال. فرفع عباده يديه وقال: لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء، مالكم عندنا خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم. فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه، فقال: قد فرغ القول، فما ترون؟ فقالوا: أويرضى أحد بهذا الذل؟ أمَّا ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا ما لا يكون أبدًا، ولا نترك دين المسيح ابن مريم وندخل في دين غيره لا نعرفه...)[2].

ومن هذه النماذج وغيرها يتبيَّن ما كان عليه منهج الصحابة ﷺ في الحرص على دعوة الملأ من النصارى إلى الإسلام، فيبدؤون بدعوتهم إلى الإسلام قبل قتالهم، ولم

---

(١) ناوأكم: أي عاداكم. انظر: معجم الصحاح، الجوهري، ص١٠٧٥، مادة: نوأ.

(٢) تقدم تخريجه، ص٦٩. ذكر الطبري عدة روايات ضعيفة في تحديد السنة التي فتحت فيها مصر، ولقد ذهب خليفة ابن خياط والبلاذري وأبو معشر ومحمد بن إسحاق والواقدي أنها كانت سنة ٢٠هـ وهو الراجح، وكان الجيش بقيادة عمرو بن العاص ﷺ، ومصر كلها صلح إلا الإسكندرية، فإنها فتحت عنوة في خلافة عثمان بن عفان، ولما نقض الروم العهد بقيادة منويل الخصي كان فتحها الآخر سنة ٢٥هـ. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٢٦٢). فتوح مصر، ابن عبدالحكم، ص١٧٠. فتوح البلدان، البلاذري، ص١٣٠. وساق ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٦٤٤) بابا في دعا المشركين قبل أن يقاتلوا ... وساق عدة نصوص صحيحة. وأخرجه في سنن أبي داود (٣/٣٧) وسنن الترمذي (٣/ ١٤٢) وقال: حسن صحيح.

يكن ذلك منهم إلا رغبة في إخراجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام.

٢- الحث على دعوة الملأ من النصارى إلى العبادات بعد إسلامه:

إن دعوة النصارى إلى الشهادتين يستلزم معه العمل بمقتضاهما عن طريق أداء العبادات التي حثنا عليها ديننا الحنيف، فالنصارى مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه. قال الإمام النووي -رحمه الله-: "ثم اعلم أن المختار أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، هذا قول المحققين والأكثرين، وقيل: ليسوا مخاطبين بها، وقيل: مخاطبون بالمنهي دون المأمور، والله أعلم"[(١)]. وقال أيضًا في المجموع: "اتفق أصحابنا على أن الكافر الأصلي لا تجب عليه الصلاة والصوم والحج وغيرها من فروع الإسلام، والصحيح في كتب الأصول: أنه مخاطب بالفروع، كما هو مخاطب بأصل الإيمان"[(٢)]. ولذلك نجد أن الصحابة ﷺ حرصوا -بعد دعوة النصارى إلى الشهادتين- على الدَّعوة إلى أركان الإسلام الخمسة، وتأتي الصلاة في مقدمة ذلك. ويدل عليه قول خالد بن الوليد ﷺ لملك الروم ماهان: (ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا محمد ﷺ وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس، فندعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتقرُّوا بما جاء من عند الله ﷻ...)[(٣)]. كما دعا خالد بن الوليد ﷺ قائد النصارى "جرجة" إلى الصلاة بعد أن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٩٨/١).

(٢) المجموع شرح المهذب (٥/٣). وقال الشيخ ابن عثيمين: "الأولى أن تدعوه للإسلام، وإذا أسلم تخبره، وقيل: تخبره أولًا بما يجب عليه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت؛ لأجل أن يدخل عن اقتناع؛ لأنه إذا دخل في الإسلام ثم لم يلتزم وجب قتله. ويُحتمل أن يقال: إن تُترك هذه المسألة للواقع، وما تقتضيه المصلحة من تقديم هذا أو هذا". القول المفيد (١٣٤/١).

(٣) تقدم تخريجه، ص٧٨.

نطق بالشهادتين، وأرشده إلى الوضوء قبل تأدية الصلاة. قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "قال -أي: جرجة-: (علّمني الإسلام. فمال به خالد إلى فسطاطه، فشن عليه قربة من ماء، ثم صلى ركعتين)[١].

٣- منهج عقد الذمة مع النصارى:

إن من طرق انتهاء الحرب في الإسلام عقد الصلح مع النصارى أو ما يسمى بعقد الذمة، دل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[٢]. وقد أجاب النبي ﷺ النصارى إلى عقد الذمة حينما طلبوها منه. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "وأما هديه في عقد الذمة وأخذ الجزية، فلم يأخذ الجزية إلا بعد نزول براءة في السنة الثامنة، فلما نزلت آية الجزية أخذها من المجوس[٣] وأهل الكتاب...)[٤]. وسار على نهجه صحابته الكرام في إجابة طلب النصارى بعقد الذمة في البلاد المفتوحة، مع اشتراط أداء الجزية والالتزام بأحكام الإسلام. قال الإمام ابن قدامة -رحمه الله-: "لا يجوز عقد الذمة المؤبدة إلا بشرطين؛ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَلْتَزِمُوا إعْطَاءَ الْجِزْيَةِ فِي كُلِّ حول، وَالثَّانِي: التِزام أَحْكَام

---

(١) تقدم تخريجه، ص٧٩.

(٢) التوبة، الآية: (٢٩).

(٣) المجوس: كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية، وهي ديانة وثنية تقول بإلهين اثنين: إله للخير وإله للشر، والمجوس يعظمون النيران والأنوار، وانقسموا إلى مذاهب كثيرة. انظر: الموسوعة الميسرة (١١٣٩/٢).

(٤) مختصر زاد المعاد، محمد بن عبدالوهاب، ص٢٠٨.

الإسلام، وهو قَبُول مَا يَحْكم بِهِ عليهم مِنْ أَدَاءِ حق أَوْ ترك محرم"[١]. وكان لا يتولى عقد الذمة إلا إمام المسلمين أو نائبه من قواد المسلمين، وقال ابن ضويان -رحمه الله-: "ويجب على الإمام عقدها حيث أمن مكرهم والتزموا لنا بأربعة أحكام، أحدها: أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، الثاني: أن لا يذكروا دين الإسلام إلا بخير، الثالث: أن لا يفعلوا ما فيه ضرر على المسلمين، الرابع: أن تجري عليهم أحكام الإسلام في نفس، ومال، وعرض، وإقامة حد فيما يحرمونه كالزنا، لا فيما يحلونه كالخمر"[٢]. قال الإمام ابن قدامة- رحمه الله-: "ولا يصح عقد الذمة والهدنة إلا من الإمام أو نائبه، وبهذا قال الشافعي ولا نعلم فيه خلافًا؛ لأن ذلك يتعلق بنظر الإمام وما يراه من المصلحة"[٣].

ومن أمثلة عقد الصحابة ﷺ للذمة: (لما حاصر المسلمون دمشق[٤] طال على صاحب دمشق انتظار مدد هرقل، ورأى المسلمين لا يزدادون إلا كثرة وقوة وأنهم لا يفارقونه، فأرسل إلى أبي عبيدة يسأله الصلح، وكان أبو عبيدة أحب إلى الروم وسكان الشام من خالد، وكان الكتاب منه أحب إليهم فكانت رسل صاحب دمشق إنما تأتي أبا عبيدة... فأبرم لهم أبو عبيدة الصلح وكتب لهم كتابًا، وهذا كتابه: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق

(١) المغني، ابن قدامة (٣٣٢/٩).

(٢) منار السبيل، الضويان (٢٨٥/١).

(٣) المغني (٣٣٧/٩).

(٤) دمشق: بلدة مشهورة في الشام عاصمة سوريا. معجم البلدان، الحموي (٤٦٤/٢). وكان صلحها سنة ١٣هـ قاله الإمام الطبري، وقيل: سنة١٤هـ. قاله الإمام الذهبي والبلاذري وابن عساكر وخليفة خياط. انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري،ص٥٦٥. تاريخ الإسلام، الذهبي ص٥١. تاريخ خليفة خياط، ص١٢٦. فتوح البلدان، البلاذري ص٧٨. وقال الإمام ابن كثير: (واختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحًا أو عنوة فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها صلحًا). البداية والنهاية (٢٣/٧). صحيح تاريخ الطبري (١٣٩/٣).

وأرضها وأرض الشام من الأعاجم...)[1] ثم ذكر بنود المعاهدة.

ومن أمثلة عقد الصلح، ما فعله عمرو بن العاص ﷺ حينما عقد الصلح مع صاحب مصر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ[2] قال: (اشتبه عَلَى الناس أمر مصر، فقال قوم: فتحت عنوة، وقال آخرون: فتحت صلحًا والثلج[3] في أمرها، أن أَبي قدمها فقاتله أهل أليونة[4]، ففتحها قهرًا وأدخلها المسلمين، وكان الزبير[5] أول من علا حصنها، فقال صاحبها لأبي: إنه قَدْ بلغنا فعلكم بالشام ووضعكم الجزية عَلَى النصارى واليهود، وإقراركم الأرض في أيدي أهلها يعمرونها ويؤدون خراجها، فإن فعلتم بنا مثل ذلك كان أرد[6] عليكم من قتلنا وسبينا وإجلائنا. قَالَ: فاستشار أَبي المسلمين، فأشاروا عَلَيْهِ بأن يفعل ذلك إلا نفرًا منهم سألوا أن يقسم الأرض بينهم، فوضع عَلَى كل حالم دينارين

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/١٢٠). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢١٨). وأما الأئمة البلاذري والطبري والأزدي، فذكروا أن الصلح كان على يد خالد بن الوليد ﷺ؛ لأن أبا عبيدة ﷺاستحيا أن يخبر خالدًا ﷺ بعزله عن القيادة من قبل الخليفة عمر ﷺ، فجعل الصلح يتم على يديه، فلما تم فتح دمشق أظهر أبو عبيدة ﷺ إمارته وعزل خالد ﷺ. انظر: تاريخ الأمم والملوك، ص٥٦٥. فتوح البلدان، ص٧٨. فتوح الشام، ص٩١. ولا غرابة في اختلاف الروايات؛ لأن الأمر الصادر من الخليفة بعزله النهائي شاع بعد فتح دمشق فلا ضير أن توجه قسم من الروم إلى خالد؛ ليكتب لهم الصلح أو توجه قسم منهم إلى أبي عبيدة ليمضي لهم الصلح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/١٣٩).

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، شهد بعض المغازي، حمل عن النبي ﷺ علمًا جمًّا توفي سنة ٦٣هـ. وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/٧٩). الإصابة، ابن حجر (٤/١٦٥).

(٣) الثلج: يقال: ثلجت نفسي تثلج ثلوجًا، إذا اطمأنت. معجم الصحاح، الجوهري، ص١٤٣، مادة: ثلج.

(٤) أليونة: اسم قرية بمصر. معجم البلدان، الحموي (١/٢٤٨).

(٥) الزبير بن العوام أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، توفي مقتولًا سنة ٣٦هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٢/٤٥٧).

(٦) أرد عليكم: أنفع لكم. انظر: المعجم الوسيط (١/٣٣٨)، مادة: ردد.

جزية إلا أن يكون فقيرًا، وألزم كل ذي أرض مع الدينارين ثلاثة أرادب[1]، حنطة[2] وقسطي[3] زيت، وقسطي عسل، وقسطي خل رزقًا للمسلمين تجمع في دار الرزق، وتقسم فيهم...)[4].

٤- نصرة المرأة للدعوة بمشاركتها الجهاد ضد النصارى:

لقد شاركت المرأة المسلمة في الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية بالجهاد وإعانة الجيوش الإسلامية، وكن يبثثن الحماس في نفوس الصحابة ﷺ على قتال النصارى، في مواقع عديدة، وكنّ على ذلك منذ عصر النبوة، فعن عائشة[5] -رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد: فقال: (**جهادكن الحج**)[6]. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "قال ابن بطال: دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس في قوله (**جهادكن الحج**) أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد، وإنما لم يكن عليهن واجبًا؛ لما فيه من مغايرة المطلوب من الستر ومجانبة الرجال، فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد"[7].

---

(١) أرادب: مكيال كان معروفًا لأهل مصر يسع أربعة وعشرين صاعًا. انظر: المرجع السابق (١٣/١)، مادة: الإردب.

(٢) حنطة: القمح. المعجم الوسيط (٢٠٢/١)، مادة: حنط.

(٣) قسطي: مكيال يسع نصف صاع. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٦٨٢، مادة: قسط.

(٤) أخرجه الإمام البلاذري في فتوح البلدان، ص١٣١، والأثر إسناده حسن. انظر: جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، عاطف حماد، ص٢٦٥.

(٥) عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين زوجة الرسول ﷺ ماتت سنة ٥٨هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٢٣١/٨).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٥٣، رقم (٢٨٧٥)، كتاب الجهاد والسير، باب: جهاد النساء.

(٧) إتحاف القاري، العدوي (٥٩٢/٢).

وتعددت مهام الصحابيات في جهاد النصارى، من القتال والسقي وتضميد الجراح، وإنشاد الأشعار التي تبث الحماسة للقتال، وغير ذلك. قال عبد الله بن قرط الأزدي رضي الله عنه[١]: (غزوت الروم مع خالد بن الوليد؛ فرأيت نساء خالد بن الوليد ونساء أصحابه مشمرات[٢] يحملن الماء للمهاجرين يرتجزن[٣])[٤]. وفي معركة اليرموك اضطرت النساء للمقاتلة؛ لاشتداد المعركة، فعَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَسُئِلَ عَنْ جِهَادِ النِّسَاءِ، فَقَالَ: (كُنَّ يَشْهَدْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى، وَيَسْقِينَ الْمُقَاتِلَةَ، وَلَمْ أَسْمَعْ مَعَهُ بِامْرَأَةٍ قُتِلَتْ، وَقَدْ قَاتَلْنَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ حِينَ رَهِقَهُمْ جُمُوعُ الرُّومِ حَتَّى خَالَطُوا عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبَ النِّسَاءُ يَوْمَئِذٍ بِالسُّيُوفِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رضي الله عنه)[٥]، و(خرجت جويرية ابنة أبي سفيان[٦] في جولة، وكانت مع زوجها وأصيبت بعد قتال شديد)[٧]. وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه (قد أمر نساء المسلمين فاحترمن وقمن

---

(١) عبدالله بن قرط الأزدي الثمالي، قال البخاري وأبو حاتم وابن حبان: له صحبة، وكان أميرًا لأبي عبيدة، شهد اليرموك، واستعمله أبو عبيدة على حمص، استشهد بأرض الروم سنة ٥٦هـ. الإصابة، ابن حجر (١٧٩/٤).

(٢) مشمرات: أي جادات. انظر: المعجم الوسيط (٤٩٣/١).

(٣) يرتجزن: الرجز بحر من بحور الشعر كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر ويسمى قائله راجزًا. انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ص٣٤٤. وقد كان النبي ﷺ يرتجز يوم الخندق وهو ينقل التراب. صحيح البخاري، ص٥٨٠، رقم (٣٠٣٤).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣٣١/٢). وذكره السرخسي في شرح السير الكبير (١٨٥/١)، والألباني في الرد المفحم (١٥٤/١) وقال: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٩٨/٥)، رقم (٩٦٧٣). وهو مقطوع.

(٦) جويرية بنت أبي سفيان بن حرب شقيقة معاوية، تزوجها السائب الأسدي. الإصابة، ابن حجر (٧٥/٨).

(٧) أخرجه الإمام الطبري في تاريخه، ص٥٥٤. وذكره ابن الجوزي في المنتظم (١٢٢/٤). وإسناده =

من وراء الناس فهن يدعون الله ويستغثنه، فكلما مر بهن رجل من المسلمين دفعن أولادهن إليه وقلن له: قاتلوا دون أولادكم ونسائكم)[١].

وفي رواية أخرى أن خالد بن الوليد ﷺ كان يقول لهن وهن جالسات على تل مرتفع ومعهن أبوسفيان ﷺ[٢]: (يا نساء المسلمين، أيما رجل أقبل إليكن منهزمًا فاقتلنه)[٣].

وحينما استشهد خالد بن سعيد بن العاص ﷺ في وقعة مرج الصفر[٤]، وبلغ ذلك زوجته أم حكيم بنت الحارث -رضي الله عنها-[٥] قاتلت الروم، فقتلت سبعة منهم. عن عبد الحميد ابن جعفر عن أبيه قال: (وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط[٦] الذي بات فيه خالد بن سعيد معرسًا بها)[٧].

=

ضعيف وله ما يؤيده. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٨٨).

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٧٧. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٠٣).

(٢) معاوية بن أبي سفيان: صخر بن حرب بن أمية، صحب النبي ﷺ وكتب له، ولاه عمر الشام بعد أخيه يزيد، وأقره عثمان، مات سنة ٦٠هـ على الصحيح. انظر: الإصابة، ابن حجر (٦/١٢٢). سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/١١٩).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/١٥٠). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٨٣).

(٤) مَرْجُ الصُّفَّر: بالضم، وتشديد الفاء: موضع بدمشق. انظر: معجم البلدان، الحموي (٤/٥٥). (وكانت وقعة مرج الصفر في المحرم سنة أربع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب). الطبقات، ابن سعد (٤/٣٦٨).

(٥) أم حكيم بنت الحارث القرشية، أسلمت يوم الفتح، كانت تحت ابن عمها عكرمة بن أبي جهل، ولما قُتل تزوجها خالد بن سعيد. انظر: أسد الغابة، ابن الأثير (٥/٤٣٩). الاستيعاب، ابن عبدالبر (٤/٤٨٦). الإصابة، ابن حجر (٨/٣٨٠).

(٦) الفسطاط: بيت من شعر. معجم الصحاح، الجوهري، ص٨١٢، مادة: فسط.

(٧) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/٣٦٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٠/٢٢٧). وذكره الصفدي في الوافي بالوفيات (١٣/٨٢).

وكانت خولة بنت ثعلبة -رضي الله عنها-[1] تأخذ عمودًا وتقبل به نحو المنهزمة من الجيش وتقاتل في اليرموك قتالًا شديدًا لم تقاتل مثله. عن سهل بن سعد رضي الله عنه[2] قال: (أخذت خولة ابنة ثعلبة بن مالك بن الدخشم عمودًا من تلك العمد ثم أقبلت نحو المنهزمة)[3]. كما قتلت أسماء بنت يزيد[4] -رضي الله عنها- يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاط[5].

وكان للصحابيات دور في نصرة الدَّعوة الإسلامية بمشاركتها في غزو البحر، لما غزا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه جزيرة قبرس[6] كانت معه زوجته فاختة بنت قرظة[7]، وكان معهما عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان[8] ففتحها

---

(١) خولة بنت ثعلبة: هي خولة بنت مالك بن ثعلبة، كانت تحت أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت، فظاهر منها وفيها نزلت سورة المجادلة. انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر (٤/٣٩٠).

(٢) سهل بن سعد بن مالك الساعدي من مشاهير الصحابة، مات بالمدينة سنة ٩١هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٣/١٦٧).

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٠٠.

(٤) أسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية، تكنى بأم سلمة، روت عن الرسول ﷺ عدة أحاديث. انظر: الإصابة، ابن حجر (٨/٢١).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/١٥٧)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢١٦)، رقم (١٠٣٧٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨/٣٤٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٩/٣٢). وقال الطبراني: رجاله ثقات.

(٦) قبرس: وقيل قبرص: جزيرة في بحر الروم. انظر: معجم البلدان، الحموي (٤/٥٦). أما زمن هذه الغزوة، قيل: سنة ٢٥هـ سنة ٢٧هـ، وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة، ابن حجر (٨/٣٧٦) فتوح البلدان، البلاذري، ص٩٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/١٣٥).

(٧) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو القرشية، زوج معاوية بن أبي سفيان. انظر: الإصابة، ابن حجر (٨/٢٥٧).

(٨) أم حرام بنت ملحان خالة أنس بن مالك رضي الله عنه وقد أخبر النبي ﷺ عنها ،حينما قال ﷺ: (**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا". قالت أم حرام: قلت يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم**). فركبت البحر زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٩١، رقم (٢٩٢٤)، كتاب الجهاد والسير، باب: ما قيل في قتال الروم. وقد صدقت هذه النبوءة. انظر: فتوح البلدان، البلاذري،ص٩٧. الإصابة، ابن حجر(٨/٣٧٥). انظر: صحيح =

الله فتحًا عظيمًا وغنم المسلمون غنمًا حسنًا.

٥- منهج استخدام الحصار مع النصارى المحاربين:

شرع الإسلام حصار العدو والتضييق عليه، وهو عملية حربية تقوم على المراقبة وقطع الاتصالات والإمدادات عن العدو حتى يستسلموا، وقد استخدم الصحابة ﷺ الحصار مع الملأ من النصارى المحاربين للدعوة الإسلامية، ومن أمثلة ذلك: حصار الصحابة ﷺ لحصن دمشق حيث (قدم خالد بن الوليد وعلى مجنبتيه عمرو وأبو عبيدة وعلى الخيل عياض[١]، وعلى الرجل شرحبيل[٢]، فقدموا على دمشق وعليهم نسطاس بن نسطورس، فحصروا أهل دمشق ونزلوا حواليها، فكان أبو عبيدة على ناحية، وعمرو على ناحية، ويزيد على ناحية، وهرقل يومئذ بحمص، ومدينة حمص بينه وبينهم، فحاصروا أهل دمشق نحوًا من سبعين ليلة حصارًا شديدًا بالزحوف والترامي والمجانيق[٣]، وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث، وهرقل منهم قريب وقد استمدوه...)[٤].

=

مسلم بشرح النووي (٥٩/١٣).

(١) عياض بن غنم الفهري، صحابي جليل، شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ، وهو الذي فتح بلاد الجزيرة وصالحه أهلها، مات بالمدينة سنة ٢٠هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٥٤/٢). الإصابة، ابن حجر (٦٢٩/٤).

(٢) شرحبيل بن حسنة: أبوه عبدالله الكندي، وحسنة أمه، كان شرحبيل من عِلية أصحاب رسول الله ﷺ، وغزا معه الغزوات، وسيره أبو بكر ﷺ في فتوح الشام، مات في طاعون عمواس. انظر: الإصابة، ابن حجر (٢٦٥/٣). الطبقات، ابن سعد (٣٨٢/٤).

(٣) المجانيق: جمع منجنيق وهي آلة ترمي بها الحجارة، وتستخدم لهدم الحصون بالحجارة الضخمة. وفي الوقت الحاضر لا يوجد المنجنيق ولكن يوجد ما يقوم مقامه كالطائرات والمدافع والصواريخ وغيرها. انظر: الشرح الممتع، ابن عثيمين (٢٦/٨).

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٦٧. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٥٧٨/٩)، وابن

=

ومثله حصار عمرو بن العاص ﷺ لحصن[1] بابليون[2] في مصر، حيث (إن المسلمين لما حاصروا باب اليون[3] وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس، فقاتلوهم بها شهرًا، فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه والحرص، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه، خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر)[4]. فمن هذه الشواهد وغيرها يتبيَّن لنا أن أهمية الحصار في الانتصار على النصارى وانتشار الدَّعوة الإسلامية في البلاد المفتوحة.

٦- منهج الحث على بيان محاسن الإسلام.

لابد للداعية في طرح موضوعاته على المدعو النصراني من الإشارة إلى محاسن الدين الإسلامي الحنيف، وبيان أخلاقه وآدابه العالية، وبيان ما تضمنه من خيري الدنيا والآخرة.

=

خلدون في تاريخه (٢/٥١٨). وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/١٢٩). وألحقه محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/١٣٩). واختلف المؤرخون في مدة حصار أهل دمشق، فأقل الروايات ذكرت المدة سبعين يومًا وأكثرها حولًا أو يزيد.

(١) الحصن لغة: الموضع المنيع. واصطلاحًا: كل ما يتحصن به من قصور أو أحواش وغيرها. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١/١٨٠). القول المفيد، ابن عثيمين (٣/٢٥١).

(٢) بابليون: وهو حصن كان بمصر فتحه عمرو بن العاص وبنى في مكانه الفسطاط، وهي مدينة مصر اليوم.

معجم البلدان، البلاذري (٥/٤٥٣). وذكر ابن عبد الحكم أن اسم الحصن باب اليون. انظر: فتوح مصر، ص١٤٢.

(٣) باب الْيُون: هو الحصن الذي بفسطاط مصر اليوم. فتوح مصر، ابن عبدالحكم، ص٩٩.

(٤) تقدم تخريجه، ص٦٩.

ومن الشواهد على حرص الصحابة ﷺ على ذلك، حينما قال خالد بن الوليد ﷺ لقائد الروم جرجة: (إن أجر من يدخل الدِّين مثل السابقين وأفضل)[١]. وفي معركة اليرموك أظهر الصحابي خالد بن الوليد ﷺ محاسن الإسلام لقائد الروم ماهان، فقال خالد: (الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الأنبياء، وجعل أميرنا الذي وليناه أمورنا كبعضنا، لو زعم أنه يملك علينا لعزلناه، فلسنا نرى أن له فضلًا علينا إلا أن يكون أتقى لله ﷻ منا، وقد جعل الله أمتنا تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتقر بالذنب وتستغفر منه وتعبد الله تعالى وحده لا شريك له. قال: فاصفرَّ وجه ماهان وسكت قليلًا...)[٢].

٧- الحث على قتال الملأ المحاربين؛ لتأمين نشر الدَّعوة الإسلامية:

إن الصحابة ﷺ حرصوا على الامتثال لأوامر الله ﷻ، ومن ذلك قتال النصارى المحاربين للدعوة الإسلامية؛ دفعًا لاعتدائهم وحتى يكون الدين لله سبحانه. قال تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَـٰغِرُونَ ﴾[٣] قال الشيخ أبوبكر الجزائري -حفظه الله-: "أمر رسوله في هذه الآية والمؤمنين بقتال أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إلى أن يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وجعل إعطاء الجزية غاية لنهاية القتال"[٤]. قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ

---

(١) تقدم تخريجه، ص٧٩.

(٢) تقدم تخريجه، ص٧٨.

(٣) التوبة، الآية: (٢٩).

(٤) أيسر التفاسير، الجزائري (٢/٣٥٨).

لِلَّهِ ﴾[1]. فكان لابد من القتال؛ لتأمين سلامة المسلمين وتأمين نشر الدَّعوة الإسلامية، وصد الأعداء الذين يعلنون الحرب على المسلمين، ويفتنوهم عن دينهم، ويصدون الناس عن دعوة الإسلام[2]، فما دام الأعداء لم يلقوا حبل السلم بينهم وبين المسلمين فإن الله سبحانه يقول: ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾[3]. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "إن هؤلاء النصارى الذين يتولون أعمال السلطان، ويظهر منهم الظلم والاستعلاء على المسلمين وأخذ الضرائب لا ذمة لهم، وإن دمائهم مباحة؛ لأن الله تعالى وصفهم بإعطاء الجزية على وجه الصغار والذل"[4].

ولقد كان الصحابة ﷺ يوصون بقتال الملأ المحاربين للدعوة الإسلامية، ويباشرون قتالهم بأنفسهم بكل شجاعة وإخلاص وصبر، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يوصي يزيد بن أبي سفيان ﷺ حين وجهه إلى الشام، فيقول: (إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجدون قومًا فحصوا[5] عن أوساط رؤوسهم من الشعر[6] فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف)[7]. قال الإمام الزرقاني-رحمه الله-:"أي: اقتلهم""[8]. وفي اليرموك

---

(١) البقرة، الآية: (١٩٣).

(٢) انظر: محاضرات في نظام الإسلام، أبو رخية، ص١٨٥.

(٣) النساء، الآية: (٩١).

(٤) أحكام أهل الذمة (١/١٢١).

(٥) فحصوا عن أوساط رؤوسهم: كأنهم حلقوا وسطها وتركوها. معجم الصحاح، الجوهري، ص٧٩٨، مادة: فحص.

(٦) قال ابن حبيب: يعني الشمامسة، وهم رؤساء النصارى. شرح الزرقاني (٣/٢٠).

(٧) تقدم تخريجه، ص١٠.

(٨) شرح الزرقاني (٣/٢٠).

(قاتل أبوسفيان قتالًا شديدًا وأبلى بلاء حسنًا)[١]. (وأقبل يومئذ عمرو بن الطفيل بن ذي النور[٢]، وهو يقول: يا معشر الأزد[٣]، لا يؤتين المسلمون من قبلكم، وأخذ يضرب بسيفه متقدما عليهم... وقاتل قتالًا شديدًا وقتل من أشدائهم تسعة ثم قُتل رحمه الله)[٤]. (واتبعهم خالد بن الوليد ﷺ على الخيل يقتلهم في كل وادٍ وكل شعب وفي كل جبل وفي كل ناحية، فلم يزل يقتلهم حتى انتهى إلى دمشق)[٥]. كما قاتل الصحابة ﷺ جيوش الروم في وقعة أجنادين[٦] فقد (برز يوم أجنادين بطريق فبرز إليه عبدالله بن الزبير ابن عبدا لمطلب بن هاشم[٧] فقتله عبدالله)[٨]. كما أن أبا عبد الرحمن القيني ﷺ[٩] (قاتل مع أبي عبيدة يوم

---

(١) أخرجة الأزدي في فتوح الشام، ص١٩٧.

(٢) عمرو بن الطفيل الدوسي مختلف في صحبته، خرج إلى الشام مجاهدًا واستشهد باليرموك. انظر: الإصابة، ابن حجر (٥٣٦/٤)، تاريخ دمشق، ابن عساكر (١٠٧/٤٦).

(٣) الأزد: قبيلة في اليمن. معجم الصحاح، الجوهري، ص٤٠.

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٠١.

(٥) المرجع السابق، ص٢٠٨. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٨٨/٢).

(٦) أجنادين: موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين. معجم البلدان، البلاذري (١٠٣/١). وهي أول وقعة عظيمة كانت بالشام سنة ١٣هـ. وكان على الروم رجل منهم يقال له: القبقلار، وقيل: تذارق. انظر: فتوح الشام، الأزدي ص٨١. الطبقات، ابن سعد (٤١٨/٤). صحيح تاريخ الطبري (١٠٣/٣).

(٧) عبدالله بن الزبير بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ قُتل بأجنادين سنة ١٣هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٧٧/٤).

(٨) ذكره الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام، ص٣٦ عن طريق أبي الحويرث وهو عبد الرحمن بن معاوية. قال عنه العلماء: ليس بثقة ولا يحتج بحديثه. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، الجرجاني (٣٠٩/٤). الجرح والتعديل،الرازي (٢٤/١). وذكره ابن حبان في الثقات (٨٧/٧).

(٩) أبو عبدالرحمن القيني: شهد فتوح الشام، وذكر خليفة وغيره أن معاوية ولّاه غزو الروم فغزا أنطاكية، قيل له صحبة. انظر: الإصابة، ابن حجر (٢٢٠/٧).

أجنادين فقتل ثمانية من الروم)[1]. وكان لقتال الصحابة ﷺ للنصارى المحاربين أثره البارز في كف شرهم وعدوانهم، وازدياد هيبة الدولة الإسلامية لدى الروم، وقد شهد بذلك المستشرق توماس، إذ يقول: "وكانت هذه هي أولى تلك السلسة الرائعة من الحملات التي اجتاحت العرب فيها سوريا وفارس وأفريقيا الشمالية، فقوضوا دولة فارس القديمة وجردوا الإمبراطورية الرومانية في أجمل ولاياتها"[2].

ولا يعني ذلك أن الأصل في العلاقة مع النصارى هي الحرب والقتال، بل إن الأصل هو السلم، وإنما شرع القتال؛ لدفع عدوان المعتدي، وتأمين نشر الدَّعوة الإسلامية.

٨- بيان صيغة السلام على الملأ من النصارى:

كان الرسول ﷺ والصحابة الكرام ﷺ يستخدمون صيغة معينة للسلام على النصارى في مكاتباتهم، وهي: قولهم: (السلام على من اتبع الهدى). وفي هذا دعوة لهم إلى الهدى، فقد كتب عليه الصلاة والسلام لهرقل، فقال: (**من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم...**)[3]. وسار على هديه صحابته الكرام ﷺ فكتبوا هذه العبارة في رسائلهم إلى عظماء الروم، ومن ذلك ما كتبه أبوعبيدة ﷺ إلى بطارقة أهل

---

(١) ذكره الإمام ابن حجر في الإصابة (٧/٢٢٠) عن ابن الكلبي وهو ضعيف. ويشهد لجميع الآثار المتقدمة قوله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسابه على الله). أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب:دعاء النبي ﷺ، رقم٢٩٤٦.

(٢) الدَّعوة إلى الإسلام، ص٦٣.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٦٥، رقم (٢٩٤١)، كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ.

إيلياء: (من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله العظيم ورسوله. أما بعد،...)[1].

فإما الابتداء بصيغة السلام المعروفة: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) نطقًا، فقد وضح حكمها رسول الله ﷺ بقوله: (**لاَ تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَىٰ بِالسَّلاَمِ. فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلىٰ أَضْيَقِهِ**)[2] قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "اختلف السلف والخلف في ذلك، فقال أكثرهم: لا يبدأون بالسلام، وذهب آخرون إلى جواز ابتدائهم كما يُرد عليهم، رُوي ذلك عن ابن عباس وأبي أمامة، وابن محيريز.. وقالت طائفة: يجوز الابتداء لمصلحة راجحة من حاجة تكون إليه، أو خوف من أذاه، أو لقرابة بينهما، أو لسبب يقتضي ذلك"[3]، وقد ثبت عنهﷺ أنه (**مرَّ على مجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فسلم عليهم**)[4] ومتى بدأ النصراني بالسلام وجب الرد عليه بقولنا: وعليكم. كما جاء في الحديث: عن النبي ﷺ أنه قال: (**إذا سلم**

---

(١) تقدم تخريجه، ص٨٠.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٨٩٤، رقم (٢١٦٧)، كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام. وهو حديث عام، يستثنى منه بعض الحالات، قال النخعي: "إذا كانت لك حاجة عند يهودي أو نصراني فابدأه بالسلام، فبان أن حديث أبي هريرة (لا تبدأوهم بالسلام) إذا كان لغير سبب يدعوكم إلى أن تبدؤوهم بالسلام، من قضاء ذمام أو حاجة تعرض لكم قبلها، أو حق الصحبة أو جوار أو سفر، وقال الطبري "وقد روي عن السلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب". انظر: الجامع لأحكام القران، القرطبي (٨١/٦).

(٣) أو لأجل ترغيبه في الإسلام.زاد المعاد (٣٨٨/٢).

(٤) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الاستئذان، باب: التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، رقم (٦٢٥٤)، ص١٢٠٤.

عليكم أهلُ الكتاب فقولوا: وعليكم)[1].

٩- النهي عن شعائر النصارى؛ إعزازًا للإسلام وتحقيقًا لمقاصده.

من موضوعات دعوة الصحابة ﭫ للملأ من النصارى، نهيهم عن شعائرهم المحرمة في الإسلام، كتعظيم الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير. قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3].

ومن شواهد نهي الصحابة ﭫ عن تلك الشعائر المحرمة، دعوة معاذ بن جبل ﭬ لقائد الروم يوم فحل: (وإن أول ما أدعوكم إلى الله أن تؤمنوا بالله وحده وبمحمد ﷺ، وأن تصلوا صلاتنا وتستقبلوا قبلتنا، وأن تستنّوا بسنة نبينا ﷺ وتكسروا الصليب وتجتنبوا شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ثم أنتم منا ونحن منكم، وأنتم إخواننا في ديننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأدُّوا الجزية إلينا في كل عام وأنتم صاغرون ونكف عنكم، وإن أنتم أبيتم هاتين الخصلتين فليس شيء مما خلق الله ﷻ نحن قابلوه منكم، فابرزوا إلينا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين...)[4].

وفي نهي الصحابة ﭫ عن تلك الشعائر المحرمة لدى النصارى دلالة على مراعاة

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص١٢٠٥، رقم (٦٢٥٨) كتاب الاستئذان، باب: كيف الرد على أهل الذمة بالسلام. وقد قال سبحانه وتعالى: "وقولوا للناس حسنا".

(٢) المائدة، الآية: (٣).

(٣) المائدة، الآية: (٩٠).

(٤) تقدم تخريجه، ص٨٤.

المصالح ودرء المفاسد المترتبة على ممارسة تلك المحرمات من ضياع للعقول والأموال والأنفس، وفيه تحقيق لمقاصد الدين الإسلامي. قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: "فقد اتفقت الأمة، بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس - وهي الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل"[(١)].

ثالثًا: موضوع دعوة الصحابة ﷺ للملأ من النصارى فيما يخص الأخلاق.

إن مما قامت عليه دعوة الصحابة ﷺ للنصارى، الدَّعوة إلى مكارم الأخلاق، فظهر التسامح والعدل والبر والرحمة، ممتثلين ماجاء في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾[(٢)]. ويمكن بيان موضوعات دعوة الصحابة ﷺ المتعلقة بالأخلاق في النقاط الآتية:

١- حرصهم على تحقيق الإخلاص:

إن المتأمل لمواقف الصحابة ﷺ مع الملأ من النصارى، يجد أن الهدف الحقيقي منها هو إعلاء كلمة الله، وتخليص البلاد من الظلم والبطش، وإشاعة العدل والأمن وتحقيق كرامة الإنسان إذ لم يفتحوا البلاد؛ رغبة في مغنم مادي، أو توسع عمراني، أو استغلال لثروات البلاد المفتوحة، وامتلاك خيراتها، كما يعتقده الملأ من النصارى. فقد قال ماهان لخالد بن الوليد ﷺ في معركة اليرموك: (قد علمت إن الذي أخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الأمر

---

(١) الموافقات (٣١/١).

(٢) الممتحنة، الآية: (٨).

بكم، وإني قد رأيت أن أُعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة تحمل حملها من الطعام والكسوة والآدم فترجعون بها إلى بلادكم وتعيشون بها أهاليكم...)[1]. وتكرر ذلك الاعتقاد في أكثر من موقف. وفي كل مرة كان رد الصحابة ﭫ واضحًا وثابتًا في بيان الهدف الذي جاؤوا من أجله إلى بلاد الروم، ومن ذلك قول عبادة بن الصامت ﭬ للمقوقس حينما أراد دعوته إلى الإسلام: (إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله؛ لرغبة في دنيا، ولا طلب للاستكثار منها..)[2] فوقع هذا القول في نفس المقوقس وقعًا شديدًا.

٢- حرص الصحابة ﭫ على القدوة الحسنة:

للقدوة الحسنة أهمية كبرى في التأثير على المدعو النصراني، ولقد كان الصحابة ﭫ خير قدوة لمدعويهم، شهد لهم بذلك أعداؤهم من النصارى، فحينما بعث قائد الروم رجلًا من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة ﭫ فلما رجع إليه سأله ما وراءك؟ قال: (بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رجم؛ لإقامة الحق فيهم. فقال له القبقلار[3]: لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها...)[4].

---

(١) سيأتي تخريجه، ص٢٢٤.

(٢) تقدم تخريجه، ص٨٩.

(٣) القبقلار وقيل القيقلان: رتبة عسكرية عند الروم. تاريخ الإسلام، الذهبي (٣/٨٢).

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٩، والأزدي في فتوح الشام، ص١٨٩. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٠٥) وابن الأثير في الكامل (١/٤٠٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/١١). وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٩٦) وإسناده ضعيف وله ما يؤيده. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/١٠٣).

٣- إظهار الصبر والجلد في دعوة النصارى وجهادهم:

إن مما يعين الدّاعية على استمرارية الدَّعوة الاتصاف بخلق الصبر، ولذا نجد أن هذه الصفة ملازمة للصحابة ﷺ في أشد الأحوال والظروف التي مرت بهم في مواجهتهم للنصارى، ولذا كان قواد المعارك يحثّون جنودهم على الصبر، فحينما سار أبو عبيدة ﷺ بالمسلمين في اليرموك كان يقول: (عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. يا عباد الله، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب...)(١). وأوصى أبو بكر ﷺ هاشم بن عتبة ﷺ(٢) بالصبر، فقال: (إذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوة ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله، إلا كتب الله لك به عملًا صالحًا، إن الله لا يضيع أجر المحسنين. فقال هاشم: إن يرد الله بي خيرًا يجعلني كذلك وأنا أفعل، ولا قوة إلا بالله)(٣). ومن هذه الشواهد وغيرها مما لم يُذكر نستنتج أهمية الصبر في دعوة الملأ من النصارى، وأن لذلك دورًا كبيرًا في الانتصار عليهم في المعارك والحروب.

٤- أن تقوى الله ﷻ هو ميزان التفرقة بين الناس:

إن الدين الإسلامي لا يفرق بين المسلمين في شيء إلا بالتقوى، فالتقوى هي

---

(١) تقدم تخريجه، ص٧٩.

(٢) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، له صحبة، أسلم يوم الفتح، قُتل يوم صفين. انظر: الإصابة، ابن حجر (٦/٤٠٤).

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٨. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/١٨٣). ويشهد له قول الرسول ﷺ (أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم، منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم، وانصرنا عليهم) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد رقم(٢٩٦٥)، ص٥٦٨.

أساس المفاضلة عند الله، ولا قيمة للون أو الهيئة أو المال بدونه، ولذلك كانت أغلب وصايا الخلفاء والقواد تحث على التقوى.

وتقوى الله هو الميزان لدى المسلمين فيما بينهم، وهذا ما أراد الصحابة ﷺ إيصاله للملأ من النصارى، فحينما توجه خالد بن الوليد ﷺ إلى الملك ماهان؛ ليدعوه إلى الإسلام أثناء أحداث وقعة اليرموك، ابتدأ ماهان بالكلام، فقال: (الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء وملكنا أفضل الملوك وأمتنا خير الأمم، فلما بلغ هذا المكان. قال خالد للترجمان وقطع على صاحب الروم منطقه: الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وبجميع الأنبياء، وجعل الأمير الذي وليناه أمورنا رجلًا كبعضنا، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا، ولسنا نرى أن له علينا على رجل من المسلمين فضلًا إلا أن يكون أتقى منه عند الله وأبر)(١).

٥- إظهار سماحة الإسلام في دعوة الملأ من النصارى:

إن أساس النظرة المتسامحة التي تسود الصحابة ﷺ في معاملة الملأ من النصارى، يرجع إلى الأفكار والحقائق الناصعة التي غرسها الإسلام فيهم، وأهمها اعتقاد الصحابة ﷺ بأهمية كرامة الإنسان أيًا كان جنسه أو لونه. قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(٢). ولذا ظهرت أقوال الصحابة ﷺ وأفعالهم الدالة على السماحة في المعاملة مع الملأ من النصارى، فقد كانوا يجيبونهم إلى الصلح متى ماطلبوا ذلك، ويكتبون لهم كتاب أمان على

---

(١) تقدم تخريجه، ص٧٨.

(٢) الإسراء، الآية: (٧٠).

أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، ومن ذلك رسالة عمرو بن العاص ﷺ إلى بطارقة إيلياء، ومما جاء فيها: (إذا أتاكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا، وإلا فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتابًا أمانًا على دمائكم وأموالكم، وأعقد لكم عقدًا تؤدوا إليَّ الجزية عن يد وأنتم صاغرون)(١). كما كان الصحابة ﷺ لا يكرهون أحدًا على الدخول في الإسلام، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يخيِّر الملك الغساني جبلة بن الأيهم فيقول: (اختر مني إحدى ثلاث: إما أن تسلم فيكون لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، وإما تؤدي الخراج، وإما أن تلحق بالروم. قال: فلحق بالروم)(٢). إن هذه السماحة من الصحابة ﷺ كان لها صدى عريض في آفاق الأرض، ولا سيما في البلاد التي لم يدخل أهلها في صلح، فقد تتابعت رسائل هؤلاء ورسلهم إلى القادة يطلبون إليهم أن يصالحوهم على ما صالحوا عليه من سبقهم.

---

(١) تقدم تخريجه، ص٨١.

(٢) أخرجه أبوعبيد في الأموال، ص٣٥، رقم (٧٤)، وابن زنجوية في الأموال (١/١٣٥)، رقم (١٢٠). وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٤/٥٠٥)، رقم (١١٤٩٤)، والسيوطي جامع الأحاديث (٢٧/٤٦١)، رقم (٣٠٤٨٨). وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، (٦٨/٢٠) وفي جبلة وأصحابه من متنصرة العرب نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ إبراهيم، الآية: (٢٨). وهو قول ضعيف. انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/٢٤٤). تفسير القرآن العظيم (٢/٥٥٧). الدر المنثور (٥/٤٣). فتح الباري (٧/٣٠٣). والظاهر أنها عامة في جميع المشركين. وقال أبو عبيد: "إن سبب لحوقه بالروم أن عمر ﷺ أراد أن يقتص منه لرجل كان قد لطمه جبلة لما داس على طرف ردائه في الطواف فخرج جبلة هاربًا ولحق بالروم".

المبحث الثاني

موضوع دعوة الصحابة ﷺ العلماء من النصارى

تحدث القرآن الكريم عن علماء النصارى، وسماهم قسيسين ورهبانًا. قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[١]. قال الإمام القرطبي -رحمه الله- في معنى القس: "رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم"[٢]. وقال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: "الرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة وهم علماء النصارى"[٣]. ولعلماء النصارى مكانة عظيمة في الدولة الرومانية خاصة وفي المجتمعات العامة، لدرجة أنهم يقدّسونهم كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٤]. وقد اهتم الصحابة ﷺ بدعوة علماء النصارى ورهبانهم إلى الإسلام، ويمكن بيان موضوعات دعوتهم

---

(١) المائدة، الآية: (٨٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/١٥٦).

(٣) فتح القدير (٢/٥١٤). قال الإمام الطبري مفرّقًا بين الأحبار والرهبان: "علماء اليهود الأحبار وعلماء النصارى الرهبان" مختصر تفسير الطبري (١/٣٢٣). ومن الألفاظ التي لها علاقة بالدرجات والرتب الدينية عند النصارى لفظة البطرك، والبطريق وقد ذهب علماء اللغة إلى أن البطرك هو مقدم النصارى، وهو في معنى البطريق أيضًا. وبين البطريق والأسقف منـزلة يقال لشاغلها: المطران، وقد عرف بأنه دون البطرك وفوق الأسقف. وقيل بأنه القاضي الذي يفصل الخصومات بين النصارى. كما أن القس من الألفاظ الشائعة بين النصارى، ولا تزال مستعملة حتى الآن، ويقال لها قسيس في الوقت الحاضر، وهي من أصل آرامي هو Gachicho ومعناه كاهن وشيخ. وترد لفظة شماس، وهي من الألفاظ الحية التي لا تزال تستعمل في هذا اليوم أيضًا وتعدُّ من الألفاظ المعربة عن السريانية، وتعني خادم، فهي من المراتب الثانوية في الكنيسة. أما الراهب فهو المتبتل المنقطع إلى العبادة. انظر: تاريخ الفكر الديني، ص٢٤٨.

(٤) التوبة، الآية: (٣١).

في المطالب الآتية:

المطلب الأول : موضوع دعوة الصحابة ﷺ العلماء من النصارى فيما يتعلق بالعقيدة.

المطلب الثاني : موضوع دعوة الصحابة ﷺ العلماء من النصارى فيما يتعلق بالشريعة.

المطلب الثالث: موضوع دعوة الصحابة ﷺ العلماء من النصارى فيما يتعلق بالأخلاق.

المطلب الأول

موضوع دعوة الصحابة ﷺ العلماء من النصارى فيما يخص العقيدة

اهتم الصحابة ﷺ بموضوعات العقيدة وتناولت جوانب متعددة، منها:

١- التأكيد على قضية الإيمان بالنبي محمد ﷺ:

حرص الصحابة ﷺ على صحة عقيدة علماء النصارى، ومن ذلك الاهتمام بقضية الإيمان بالرسول ﷺ وبرسالته المنـــزلة من عند الله ﷻ، وأن باهتداء تلك الفئة مكسبًا عظيمًا للدعوة؛ وذلك لقوة تأثير العلماء على من حولهم من المــلأ وعامة الناس، ولعل أبرز مثال يدل على دعوة علماء النصارى. ماجاء عَن خَالِد وعبادة، قالا: (خرج عَمْرو إلى مصر بعدما رجع عُمَر إلى المدينة، حَتَّى انتــهى إلى بَاب مصر، واتبعه الزُّبَيْر، فاجتمعا فلقيهم هناك أَبُومريم جــاثليق[(١)] مصــر ومعه الأسقف الَّذِي بعثه المقوقس؛ لمنع بلادهم، فلما نزل بهم عَمْرو قــاتلوه، فأرسل إليهم: لا تعجلوا لنقدر إليكم وتروا رأيكم بَعْد، فكفــوا أَصْــحَابكم. وأرسل إليهم عَمْرو: فإني بارز فليبرز إلي أَبُومريم، وأَبُومريام، فأجابوه إلى ذَلِكَ، وأمن بَعْضهم بَعْضًا. فَقَالَ لهما عَمْرو: أنتما راهبا هذه المدينة، فاسمعا: إن اللَّــه ﷻ بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأمره بِهِ، فأمرنا بِهِ مُحَمَّد ﷺ وأدى إلينا كُل الَّذِي أمر بِهِ، ثُمَّ مضى وَقَدْ قضى الَّذِي عَلَيْهِ، وتركنا عَلَى الواضحة، وَكَانَ مِمَّا أمرنا بِهِ الاعتذار إلى النَّاس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إِلَيْهِ قبلناه، ومن لَمْ يجبنا إِلَيْهِ عرضنا الجزية، وَقَدْ أعلمنا أننا مفتتحوكم، وأوصانا بكــم حفظًــا لرحمنا فيكم، فَإِن لكم إن أجبتمونا إلى ذَلِكَ ذمة إلى ذمة. ومما عهد إلينا أميرنا

---

(١) جاثليق: رئيس النصارى. يأتي بعده في الرتبة المطران، ثم الأسقف، ثم القســيس، ثم الشــماس. انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٨٧١، مادة: الجاثليق.

استوصوا بالقبطيين خيرًا، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيرًا؛ لأن لهم رحمًا وذمة)[1]. ففي قول عمرو بن العاص رضي الله عنه: (إن اللّه عز وجل بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأمره بهِ، فأمرنا بهِ مُحَمَّد ﷺ) تأكيد للراهبين على ضرورة الإيمان بالنبي محمد ﷺ، وأنه هو المبلغ لدين الإسلام، والخاتم لجميع الأنبياء والرسل. ثم وضح لهما عمرو الهدف من دعوتهما، وهو تنفيذ أمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ في أداء واجب الدَّعوة إلى الإسلام، فإن لم يستجيبوا فعليهم أداء الجزية؛ لأنهما من أهل القتال، ويصبحون بعد ذلك في أمان المسلمين وحمايتهم، ولكن الراهبين رفضا الدَّعوة فقاتلهم المسلمون.

٢- منهج بيان الإيمان بالقضاء والقدر:

دلت نصوص الكتاب والسنة على أهمية الإيمان بالقضاء والقدر، وأنه ركن من أركان الإيمان. قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[2] وسبق في حديث جبريل: (وتؤمن بالقدر خيره وشره)[3]. قال الإمام ابن رجب -رحمه

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٧٢. وذكره ابن الجوزي في المنتظم (٢٩٢/٤)، والكلاعي في الاكتفاء (٣٤٦/٢)، وابن الأثير في الكامل (٤٦٢/١)، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (٢٣/١)، وإسناده ضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٣٥٢/٨). وأصل الحديث ثابت في صحيح مسلم. قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : (**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**..). ص١٠٢٧، رقم (٢٥٤٣)، كتاب فضائل الصحابة، باب: وصية النبي ﷺ. الرحم المقصودة هنا: أن أم إسماعيل" هاجر" مصرية، و"مارية" أم ابنه إبراهيم مصرية أيضًا. صحيح مسلم بشرح النووي (٩٧/١٦). ويشهد لهذا أنَّ أولَ ما يُدْعَى إليه الناس هو الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول ، وهو التوحيد الذي أمر به معاذ أن يدعو إليه أهل اليمن أول ما يدعو -كما سبق-.

(٢) القمر، الآية: (٤٩).

(٣) تقدم تخريجه، ص٣٥.

الله-: "والإيمان بالقدر على درجتين، إحداهما: الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يفعله العباد من خير، وشر، وطاعة، ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب؛ جزاء لأعمالهم... والدرجة الثانية: أن الله تعالى خلق أفعال عباده كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان"(١).

وقد ضلَّ النصارى في مفهوم القدر واعتقدوا أن الله ﷻ يهدي الناس جميعًا ولا يُضل أحدًا، ومن ذلك موقف القس النصراني الذي عارض الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حينما كان يخطب بالناس، فعن ابن مسعود ﷺ(٢): (أن عمر بن الخطاب ﷺ خطب الناس بالجابية(٣)، فقال في خطبته: إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقال القس: الله أعدل أن يضل أحدًا، فبلغ ذلك عمر فبعث إليه. بل الله أضلك، ولولا عهدك لضربت عنقك)(٤).

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٠٣/١).

(٢) عبدالله بن مسعود الهذلي، أسلم قديمًا وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، مات بالمدينة سنة ٣٢هـ. الإصابة، ابن حجر (٢٠٠/٤).

(٣) الجابية: قرية من أعمال دمشق. معجم البلدان، الحموي (٢ /٩١).

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٢٦. وابن كثير في مسند الفاروق (٦٤٠/٢)، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٧٢/١٣)، رقم (٣٨١٢). وقال ابن كثير :"وقد روي هذا من طرق كثيرة عن عمر رضي الله عنه". وأخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٤٢٣ رقم ٩٢٩) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٥٢ رقم ٨٥٩٥) والفريابي في «القدر» (ص ٦٤ - ٦٦ رقم ٥٤، ٥٥) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٣٠ رقم ١٥٦١ - تحقيق عثمان الأثيوبي) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٤/ ٧٢٩ رقم ١١٩٧) وابن بشران في «الأمالي» (٢/ ٣٢٠ رقم ١٦٠٤) من طريق خالد الحذاء ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، عن عبد الله بن الحارث، عن عمر بن الخطاب ... ، فذكره، مطولا ، وهذا إسناد رجاله ثقات.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كلامًا نفيسًا في هذا المجال حينما قد سُئل عن الباري سبحانه: هل يُضل ويهدي؟ فأجاب: "إن كل ما في الوجود فهو مخلوق، خلقه بمشيئته وقدرته، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، ويغني ويفقر، ويضل ويهدي، ويسعد ويشقى، ويولي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويشرح صدر من يشاء للإسلام ويجعل صدر من يشاء ضيقًا كأنما يَصَّعَّد في السماء، وهو يقلب القلوب، ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، وهو الذي حبَّب إلى المؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون... وقال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1] وقال: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2] وهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه، وله فيما خلقه حكمة بالغة، ونعمة سابغة، ورحمة عامة وخاصة. وهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لا لمجرد قدرته وقهره، بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته"[3].

---

(١) الكهف، الآية: (١٧).

(٢) الأنعام، الآية: (١٢٥).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧٨/٨).

المطلب الثاني

موضوع دعوة الصحابة ﷺ للعلماء من النصارى فيما يخص الشريعة

تعددت موضوعات الشريعة التي تناولها الصحابة ﷺ، ولعل من أبرزها:

١- قبول الصلح[١] مع علماء النصارى:

إن من سماحة الصحابة ﷺ في تعاملهم مع النصارى، أنهم كانوا يقبلون طلب الصلح من رهبانهم إذا طلبوا منهم ذلك، فحينما (سار أبو عبيدة ﷺ يريد قورس[٢] قدم أمامه عياضًا، فتلقاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها، فبعث به إلى أبي عبيدة... فصالحه)[٣].

كما كان الصحابة ﷺ يحدِّدون شروطًا للصلح مع علماء النصارى لإنهاء الحرب بطريقة سلمية، فإذا ما وافقوا على تلك الشروط فإنهم يستخدمون الشدة معهم. دل على ذلك ما قاله أبو عثمان الصنعاني: (حاصرنا دمشق، فنزل يزيد بن أبي سفيان على باب الصغير، ونزل أبوعبيدة بن الجرّاح على باب الجابية، ونزل خالد بن الوليد على باب الشرقي، وكان أبوالدرداء[٤] ببَرْزَة[٥]. قال: فحاصرناها أربعة أشهر. قال: وكان راهب دمشق قد طلب من خالد بن الوليد الصلح. قال:

---

(١) الصلح لغة: المسالمة بعد المنازعة. اصطلاحًا: عقد يرفع النزاع. التعريفات، الجرجاني،ص١٢٤.

(٢) قورس: مدينة من نواحي حلب بها آثار قديمة. معجم البلدان، الحموي (٤/٧٦).

(٣) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٩٤. وذكره ابن الأثير في الكامل (١/٤٣٥)، وابن خلدون في تاريخه (٢/٥٤٢). ويشهد لهذا قوله تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...) قال ابن كثير: "المسالمة والمصالحة". تفسير القران العظيم (٤/٨٤) وبوب البخاري في صحيحه كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين (٣/١٨٥). فيه عن أبي سفيان وقال عوف بن مالك، عن النبي صلى ﷺ ، «ثم تكون هدنة بينكم وبين بني الأصفر». وفيه سهل بن حنيف، وأسماء، والمسور عن النبي ﷺ... وساق حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: (صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبية على ثلاثة أشياء..) أخرجه البخاري، رقم(٢٧٠٠). وحديثُ ابنُ عباسٍ : صالَحَ النبيُّ صلَّى اللهُ علي.

(٤) أبو الدرداء: عُوَيمِرُ بنُ زَيد بن قيس الأنصاريُّ الخزرجيُّ. روى عدة أحاديث عن النبي ﷺ، أسلم يوم بدر وشهد أحدًا، مات بدمشق سنة٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/١٣).

(٥) برزة: قرية في دمشق. معجم البلدان، الحموي (١/٣٤).

فشرط عليه خالد بن الوليد أشياء أبى الراهب أن يجيبه إليها. قال: فدخلها يزيد بن أبي سُفيان قَسْرًا من باب الصغير حتى ركبها. قال: وذهب الراهب كما هو على الحائط، فأتى خالد بن الوليد ولا يعلم أحدٌ أن يزيد قد دخلها قسرًا، فقال له: هل لك في الصلح؟ قال: وتجيبني إلى ما شرطت عليك؟ قال: نعم. فأشهد عليه، ففتح له باب الشرقي، فدخل يزيد فبلغ المقسلاط[1]، فالتقى هو وخالد عند المقسلاط، فقال هذا: دخلتها عنوة، وقال هذا: دخلتها صلحًا، فأجمع رأيهم على أن جَعلُوها صلحًا)[2].

٢- النهي عن أخذ الجزية[3] من رهبان النصارى:

إن علماء النصارى والرهبان لا تشرع في حقهم الجزية على أشهر أقوال العلماء، إلا في حالة مخالطتهم للناس أو كانوا معاونين لأهل دينهم بيدهم ولسانهم، كأن يكون له رأي يرجعون إليه في القتال[4]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الرهبان الذين تنازعوا العلماء في قتلهم وأخذ الجزية منهم. هم المذكورون في الحديث المأثور عن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ، أنه قال في وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما بعثه أمير على فتح الشام، قال له في وصيته: (إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا

---

(١) المقسلاط: موضع بدمشق. تهذيب تاريخ دمشق، بدران (١٤٨/١).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٦/٢) عن أبي عثمان الصنعاني. قال عنه ابن حبان في الثقات: هو صاحب الفتوح، ويروي المراسيل".

(٣) الجزية لغة: من جزى يجزي، وهي ما يؤخذ من أهل الذمة. اصطلاحًا: هي الوظيفة المأخوذة من الكافر؛ لإقامته بدار الإسلام في كل عام. المغني (٣٢٨/٩). وقيل: الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالًا وصغارًا". أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١١٩/١). المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١٢٢/١).

(٤) انظر: الجهاد (٢٢٩/٢).

أنفسهم له)[١]، وذلك بأن الله تعالى يقول: فَقَٰتِلُوٓاْ ﴿أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾[٢]. وإنما نهي عن قتل هؤلاء؛ لأنهم قوم منقطعون عن الناس..."[٣]. وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "فأما الرهبان، فإن خالطوا الناس في مساكنهم ومعايشهم فعليهم الجزية باتفاق المسلمين، وهم أولى بها من عوامهم، فإنهم رؤوس الكفر، وهم بمنزلة علمائهم وشمامستهم. وإن انقطعوا في الصوامع والديارات ولم يخالطوا الناس في معايشهم ومساكنهم، فهل تجب عليهم الجزية؟ فيه قولان للفقهاء، وهما روايتان عن الإمام أحمد أشهرهما لا تجب عليهم"[٤].

٣- من حقوق علماء النصارى ممارسة شعائرهم الدينية:

لم يكتف الإسلام بمنح الحرية للنصارى في البقاء على دينهم فحسب، بل كان في تشريعه السمح ما يبيح لهم ممارسة شعائرهم من غير إظهار لها أمام المسلمين، وقد كان الخلفاء يوصون قادتهم الذين يرسلونهم إلى الجهاد بما يكفل ذلك، فعَن يحْيَى بن سعيد: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق بَعَث جُيُوشًا إلى الشَّامِ فَخَرَجَ يَمْشِي مَع يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفيَان...ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّك سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، فَذَرْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لَه...)[٥] قال الإمام الزرقاني -رحمه الله-: "وهم الرهبان (فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له)؛ لكونهم لا يقاتلون ولا يخالطون الناس، لا تعظيمًا لفعلهم، بل هم

(١) تقدم تخريجه، ص١٠.

(٢) التوبة، الآية: (١٢).

(٣) الجهاد (٢/٢٢٩).

(٤) أحكام أهل الذمة (١/١٦١).

(٥) تقدم تخريجه، ص١٠.

أبعد عن الله؛ لأنهم يحسبون أنهم على شيء وما هم"[1]. كما أن في تركه يؤدي شعائره في بلاد المسلمين؛ إعانة له على البقاء بين المسلمين وقد يتأثر بهم.

٤- امتناع الصحابة ﷺ من دخول الكنائس المصورة؛ إنكارًا عليهم ودعوة لهم:

كانت الكنائس من أماكن العبادة المعظمة لدى علماء النصارى، وكان الصحابة ﷺ يمتنعون عن دخول كنائسهم التي فيها الصور ويكرهون ذلك. قَالَ عُمَر بن الخطاب ﷺ: (إِنَّا لَا نَدْخُلُ كَنَائِسَكُمْ مِنْ أَجْلِ التَّمَاثِيلِ الَّتِي فِيهَا الصُّوَرُ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُصَلِّي فِي الْبِيعَةِ[2] إِلَّا بِيعَةً فِيهَا تَمَاثِيلُ)[3]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والمذهب الذي عليه عامة الأصحاب؛ كراهة دخول الكنيسة المصورة، وهذا هو الصواب الذي لا ريب فيه ولاشك"[4]. وقد تعرض للمسلم بعض الحالات التي يضطر معها الدخول إلى الكنيسة، وذلك نحو طلب الراحة من السفر ونحوه، وهذا ورد في المعاهدة التي اشترطها نصارى الشام على أنفسهم وأمضاها لهم عمر بن الخطاب ﷺ، وفيها: (...وأن لا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن توسع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلها جاسوسًا... وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد، ضمنا ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإن نحن غيَّرنا أو خالفنا عمَّا شرطنا على أنفسنا

---

(١) شرح الزرقاني (١٩/٣).

(٢) البيعة: متعبد النصارى. قال الإمام ابن حجر: "ويدخل في حكم البيعة الكنيسة وبيت المدراس والصومعة وبيت الصنم وبيت النار ونحو ذلك". انظر: فتح الباري، ابن حجر (٩٨/٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص١٠٥، رقم (٤٣٤)، كتاب الصلاة، باب: الصلاة في البيعة.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٢٧/٥). وانظر: الآداب الشرعية، ابن مفلح (٤٣١/٣).

وقلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق، فكتب بذلك عبد الرحمن بن غنم[1] إلى عمر بن الخطاب ﷺ)[2].

وقد أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء، بجواز دخول الكنيسة لمصلحة شرعية كدعوتهم إلى الإسلام، وبشرط عدم مشاركتهم في عباداتهم أو التأثر بعقائدهم

---

(١) عبدالرحمن بن غنم الأشعري قال البخاري: له صحبة، مات سنة ٧٨ هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٢٩٣/٤).

(٢) أخرجه الإمام الخلال في أحكام أهل الملل، ص٣٥٨، رقم (١٠٠٠). واحتج به الإمام ابن حزم في المحلى (٣٤٦/٧). وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٢/٩)، رقم (١٨٤٩)، وذكرها الإمام ابن كثير في مسند الفاروق (٤٨٩/٢). وقال: له طرق يشد بعضها بعضا. وهذه الطرق: الطريق الأول: عن إسماعيل بن عياش قال حدثنا غير واحد من أهل العلم، وإسناده ضعيف من أجل جهالة شيوخ إسماعيل. الطريق الثاني: عن سفيان الثوري عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم، وهذا إسناد ضعيف بسبب الانقطاع بين سفيان الثوري ومسروق وهو ابن الأجدع. كما أن سلسة الإسناد إلى سفيان مبهمة مجهولة. الطريق الثالث: عن يحي بن عقبة عن سفيان الثوري والوليد بن نوح والسري بن مصرف يذكرون عن طلحة ابن مصرف عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم. وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل (١٠٤/٥)، رقم (١٢٦٥): "لم أره من طريق اسماعيل بن عياش، وإنما أخرجه البيهقي من طريق يحى بن عقبة، وإسناده ضعيف جدًا من أجل يحي".

ونستأنس بشهرة هذه الشروط بين أهل العلم مما يزيدها قوة وثباتًا. قال شيخ الإسلام: "في شروط عمر بن الخطاب ﷺ التي شرطها على أهل الذمة لما قدم الشام، وشارطهم بمحضر من المهاجرين والأنصار ﷺ، وعليه العمل عند أئمة المسلمين". مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦٥١/٢٨). وقال الإمام ابن القيم: "وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها: فإن الأئمة تلقوها بالقبول، وذكروها في كتبهم، واحتجُّوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء، وعملوا بموجبها". أحكام أهل الذمة (١١٥٩/٣).

والجدير بالذكر أن نص المعاهدة الذي حدث بين عمر بن الخطاب ﷺ ونصارى الشام، قد حُرِّفت في العصر الحاضر، ومن ذلك نص المعاهدة الموجود لدى كنيسة القدس الأرثوذكسية -والذي نشرته بطريركية الروم الأرثوذكس، وهو- غير ثابت. وقد أورده الشيخ مشهور آل سلمان في كتابه: كتب حذر منها العلماء (٢٤٢/٢).

وعاداتهم وتقاليدهم[1].

أما بالنسبة للصلاة في الكنائس، قال ابن بطال -رحمه الله-: "واختلف العلماء في الصلاة في البيع والكنائس فكره عمر وابن عباس الصلاة فيها من أجل الصور. وروى عن عمر بن الخطاب قال: انضحوها بماء وسدر وصلوا، وهو قول مالك. وذكر إسماعيل بن إسحاق عن مالك، قال: أكره الصلاة في الكنائس؛ لما يصيب فيها أهلها من لحم الخنازير والخمور، وقلة احتياطهم من النجس، إلا أن يضطر إلى ذلك من شدة طين أو مطر، إلا أن يتيقن أنه لم يصبها نجس. وكره الصلاة فيها الحسن، وأجاز الصلاة فيها النخعي، والشعبي، وعطاء، وابن سيرين؛ ورواية عن الحسن وهو قول الأوزاعي، وصلى أبو موسى الأشعري[2] في كنيسة يوحنا بالشام... والاختيار أن لا يبتدئ فيها الصلاة ولا إلى شيء من معبودات الكفار"[3].

٥- تحذير النصارى عن بناء الكنائس في المدائن الإسلامية التي بناها وفتحها الصحابة ﷺ:

لقد كان من منهج الصحابة ﷺ تحذير النصارى من بناء الكنائس في البلاد الإسلامية، وذلك إقامة لدين الله تعالى، ولمقتضى أصول الشرع وقواعده، وحسمًا لمادة الشرك، حيث قال النبي ﷺ: **(لاَ تَصْلُحُ قِبْلَتَانِ في أرض واحدة، وَلَيس على المسلمين جزْيَة)**[4].

---

(١) الفتاوى الشرعية، ص١٢٧.

(٢) أبوموسى الاشعري: واسمه عبد الله بن قيس، كان عامل النبي ﷺ على اليمن وشهد فتوح الشام، توفي سنة ٤٤هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٤/١٨٣).

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٢/٨٩). والأثر أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٢٦٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، ص٢١٤، رقم (٦٣٣)،كتاب الزكاة،باب:ماجاء ليس على المسلمين جزية. وأحمد في المسند، ص١٩٤، رقم (١٩٤٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٤١٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/٢٣٢). وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٨/٦٥٤)، وذكره الإمام الشوكاني في نيل الأوطار (٤/٢٠٠)، وقال:"وقد احتج به على سقوط الجزية بالإسلام، وعلى المنع من =

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: (لا كنيسة في الإسلام)[١]. ولنص المعاهدة التي أقرها عمر بن الخطاب ﷺ لنصارى الشام في الأثر الذي أخبرنا به إسماعيل بن عياش. قال: حدثنا غير واحد من أهل العلم، قالوا: (كتب أهل الجزيرة[٢] إلى عبدالرحمن بن غنم: إنا حين قدمتِ بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا على أنا شرطنا لك على أنفسنا ألا نُحْدِث في مدينتا كنيسة، ولا فيما حولها ديرًا ولا قلاية ولا صومعة[٣] راهب؛ ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا ما كان منها في خطط المسلمين[٤]...)[٥] وسئل ابن عباس -رضي الله عنهما-: هل للعجم أن يحدثوا في أمصار العرب بنيانًا أو شيئًا، فقال: (أيما مصر مصرته العرب فليس للعجم[٦] أن يبنوا فيه بيعة..ً)[٧]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "اتفق

=

إحداث بيعة أو كنيسة". وقال الألباني: ضعيف. انظر: السلسة الضعيفة (٩/٣٦٧)، رقم (٤٣٧٩).

(١) أخرجه أبوعبيد في الأموال، ص١٠٣، رقم (٢٦٠)، وإسناده ضعيف آفته ابن لهيعة. انظر: معرفة السنن والآثار، البيهقي (٤/٥٤٨).

(٢) الجزيرة: هي جزيرة أقور التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام. انظر: معجم البلدان، الحموي (٢/١٣٤).

(٣) دير: الدير للنصارى خاصة يبنونه للرهبان خارج البلد يجتمعون فيه للرهبانية والتفرد عن الناس. والقلاية: ما يبنيه الرهبان مرتفعة كالمنارة، والفرق بينها وبين الدير أن الدير يجتمعون فيه، والقلاية لا تكون إلا لواحد ينفرد بنفسه، ولا يكون لها باب بل فيها طاقة يتناول منها طعامه ومايحتاجه. والصومعة: كالقلاية تكون للراهب وحده. انظر: أحكام اهل الذمة، ابن القيم (٣/١١٧١).

(٤) خطط المسلمين: أي في حدود أرض المسلمين. يقال: خطط الأرض والبلاد، أي: جعل لها خطوطًا وحدودًا. انظر: المعجم الوسيط (١/٢٤٤). مادة: خطّ.

(٥) تقدم تخريجه، ص١٢٢.

(٦) العجم: خلاف العرب. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٥٨٦)، مادة: عجم.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٤٦٧)، رقم (٣٢٩٨٢)، وابن زنجويه في الأموال

=

المسلمون على أن ما بناه المسلمون من المدائن، لم يكن لأهل الذمة أن يحدثوا فيها كنيسة، مثل ما فتحه المسلمون صلحًا، وأبقوا لهم كنائسهم القديمة، بعد أن شرط عليهم فيها عمر بن الخطاب ﷺ أن لا يحدثوا كنيسة في أرض الصلح، فكيف في مدائن المسلمين"(١). كما يُمنع النصارى من الزيادة على الكنائس. قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "وما صولحوا عليه من الكنائس لم يزيدوا عليها، و لم يمنعوا من إصلاح ما وَهَىَ منها، ولا سبيل لهم إلى إحداث غيرها"(٢).

٦- التحذير من قتل علماء النصارى.

الدين الإسلامي دين العدل والإنصاف، لاُ يجبر أحدًا على الدخول فيه، ولذلك نهى الصحابة ﷺ عن قتل علماء النصارى ورهبانهم ممن لا علاقة لهم بحرب المسلمين، وكل ذلك منهج حكيم من مناهج الدَّعوة إلى الله ﷻ؛ حتى يتمكن الصحابة ﷺ من دعوة هؤلاء الرهبان والعلماء إلى الإسلام، فلو لم ينه الإسلام عن قتلهم لربما قتلوا قبل أن تبلغهم الدَّعوة. من أجل ذلك، فقد كان أبوبكر ﷺ يوصي الجيوش الإسلامية الفاتحة، فيقول ليزيد بن أبي سفيان ﷺ: (إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ فَذَرْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لَه)(٣). وعن ثابت بن الحجاج الكلابي، قال: (قَامَ أَبُوبَكْرٍ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى

=

(٢٧٤/١)، رقم (٤١٣)، وذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١١٨٤/٣)، والخلال في أحكام أهل الملل، ص٣٤٦. رقم (٩٦٧) وقال الألباني: ضعيف. انظر: إرواء الغليل(١٠٥/٥)، رقم (١٢٦٦).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦٥٤/٢٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠٤/٨).

(٣) تقدم تخريجه، ص١٠.

عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا لَا يُقْتَلُ الرَّاهِبُ فِي الصَّوْمَعَةِ[1]. وقال الله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾[2] ومن الاعتداء قتل الشيوخ والرهبان وأصحاب الصوامع[3] الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم[4]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وإنما نهى عن قتل هؤلاء؛ لأنهم قوم منقطعون عن الناس، محبوسون في الصوامع يسمى أحدهم حبيسًا، لا يعاونون أهل دينهم على أمر فيه ضرر على المسلمين أصلًا، ولا يخالطونهم في دنياهم"[5]. وأما الراهب الذي يعاون أهل دينه بيده ولسانه فإنهم يقاتلون إذا قُدر عليهم وتؤخذ منهم الجزية[6]؛ لأنه بفعله هذا يكون قد نقض العهد الذي بينه وبين المسلمين. قال الإمام ابن قدامة -رحمه الله-: "ومن قاتل من هؤلاء النساء والمشايخ والرهبان في المعركة قُتل لا نعلم فيه خلافًا"[7]. كما حدث في معركة اليرموك حينما طلع باهان على الروم ومعه الشمامسة[8] والقسيسون والرهبان يحرضون

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٤٨٤)، رقم (٣٣١٢٧)، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٤/٤٧٢)، رقم (١١٤٠٧)، وأخرجه السيوطي في جامع الأحاديث (٢٥/١٢٦)، رقم (٢٧٧٣٨)، وجميع رواته ثقات وإسناده صحيح.

(٢) البقرة، الآية: (١٩٠).

(٣) الصوامع: جمع صومعة، وهي بيت للنصارى. انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٧٣٨، مادة: الأصمع.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(١/٢٣٣). لمعرفة تفاصيل مسألة تحريم قتال من لم يقاتل من الكفار، انظر: قاعدة مختصرة في قتال الكفار،ابن تيمية ص٩٠.

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/ ٦٥٩).

(٦) انظر: المرجع السابق (٢٨/٦٥٨).

(٧) المغني (١٠/٥٣٤).

(٨) الشمامسة: جمع شماس وهي درجه كنهوتية داخل الكنيسة. ومعناها الخادم، ومرتبته دون القسيس. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/١٠٨٣). المعجم الوسيط (١/٤٩٤)، مادة: شمس.

الروم على القتال، (فلزموا خندقهم عامة شهر، يحضضهم القسيسون والشمامسة والرهبان، وينعون لهم النصرانية؛ حتى استبصروا. فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعد قتال مثله)[1]. ويؤكد ذلك ما قاله جرجة قائد النصارى وكان قد أسلم وحسن إسلامه، قال: (كنت في ذلك الجيش الذي بعثنا ملك الروم من أنطاكية مع باهان، فأقبلنا ونحن لا يُحصي عددنا إلا الله ولا يُرى أن لنا غالبًا من الناس... ولحق بنا كل من كان على ديننا من النصارى حتى أن كان الراهب لينزل عن صومعته وقد كان فيها دهرًا طويلًا من دهره، فيتركها وينزل إلينا ثم يأتينا فيقاتل معنا؛ غضبًا لدينه ومحاماة عليه)[2].

٧- منع النصارى من إظهار الصليب:

من المعلوم أن الصليب من خصائص دين النصارى دون غيرهم من الملل والنحل الأخرى، فلذلك يطلق عليهم عباد الصليب، ومن المعلوم أن من واجبات أهل الذمة أن يحترموا شعور المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم، وأن يراعوا هيبة الدولة الإسلامية التي تظلهم بحمايتها ورعايتها، وألا يظهروا الصليب على كنائسهم ومعابدهم وفي طرق المسلمين ونحو ذلك مما يحرم في دين الإسلام. ولما كان الصليب من شعائر الكفر الظاهرة كان النصارى ممنوعين من إظهاره[3]، وقد ورد في المعاهدة التي اشترطها نصارى الشام على أنفسهم وأمضاها لهم عمر بن الخطاب ﷺ (...وأن لا نخرج صليبًا ولا كتابًا في سوق المسلمين)[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٢، والكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٩٦)، والأثر صحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٨٣).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٥٠. والكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٦٠).

(٣) انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم (٣/١٢٤٠).

(٤) تقدم تخريجه ص١١١.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: (أدّبوا الخيل، وإياي وأخلاق الأعـــاجم، وأن يرفع بين أظهركم الصليب)(١).

٨- تحذير النصارى من ضرب الناقوس(٢):

إن الضرب بالناقوس من شعائر النصارى الظاهرة، ولذا اشترط عليهم تركه. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-(٣): (أيما مصر مصرته العرب فليس للعجـــم أن يبنوا فيه بيعة ولا يضربوا فيه ناقوسًا ولا يشربوا فيه خمرًا ولايتخـــذوا فيـــه خنـــزيرًا)(٤). كما ورد النهي عن ذلك في المعاهدة التي اشترطها نصارى الشام على أنفسهم وأمضاها لهم عمر بن الخطاب ﷺ، وجاء فيها: (وأن لا نضـــرب نواقيسنا إلا ضربًا خفيًّا في جوف كنائسنا...)(٥). وقد أبطل الله ﷻ بـــالأذان ناقوس النصارى، فإن الأذان دعوة إلى توحيد الله ســـبحانه، وإخمـــاد لـــدعوة الكفر(٦).

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٢٠١)، رقم (١٨٤٩٣)، وابن زنجويه في الأموال (١/٢٦٨)، رقـــم (٤٠٤)، أبوعبيد في الأموال، ص١٠٤، رقم (٢٦٤)، وابن حبان في الثقات (١/٢١)، وذكره ابن كثير في مســـند عمر بن الخطاب ﷺ (٢/٤٩٢). وقال: إسناده جيد. وأورده ابن أبي حاتم (١/٢١) ولم يذكر فيه جرحًـــا ولا تعديلًا. وقال الألباني: رجاله ثقات غير حرام بن معاوية. انظـــر: إرواء الغليـــل (٥/١٠٥)، رقـــم (١٢٦٥).

(٢) الناقوس: أَدَاةٌ مِنْ حَدِيدٍ ، مُجَوَّفَةٌ مِنَ الدَّاخِلِ عَلَى شَكْلِ كُوبٍ كَبِيرٍ مَقْلُوبٍ ، مَشْدُودَةٌ إِلَـــى الْجِدَارِ ، بِدَاخِلِهَا قَضِيبٌ مِنْ مَعْدِنٍ يُحْدِثُ صَوْتاً عِنْدَ تَحْرِيكِهِ بِوَاسِطَةِ حَبْلٍ أَوْ سِلْسِلَةٍ نَاقُوسُ الكَنِيسَـــةِ. مختار الصحاح، ص: ٣١٧.

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ غزا أفريقيا، مـــات بالطـــائف ســـنة ٥٨هـــ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٤/١٢١).

(٤) تقدم تخريجه، ص١٢٥.

(٥) تقدم تخريجه، ص١٢٢.

(٦) للاستزادة انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم (٣/١٢٣٩).

المطلب الثالث

موضوع دعوة الصحابة ﷺ للعلماء من النصارى فيما يتعلق بالأخلاق

لقد كان الصحابة ﷺ يتمتعون بأخلاق عالية، كان لها دور كبير في دعوة علماء النصارى إلى الإسلام، منها:

١- الرحمة:

تميَّز الدين الإسلامي بالرحمة والإحسان حتى مع من خالفوهم في العقيدة، وهذا مما اتصف به الصحابة ﷺ مع علماء النصارى، فعن أبي عمرانَ الجوني قَالَ: (مَرَّ عُمَرُ ﷺ براهِبٍ فوَقَفَ، ونُودِيَ الرَّاهِبُ، فَقِيلَ لَهُ: هٰذَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، فاطَّلَعَ فَإِذَا إِنْسَانٌ بِهِ مِنَ الضُّرِّ والاجْتِهَادِ وتَرْكِ الدُّنْيا، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ نَصْرانِيٌّ، فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ عَلِمْتُ، ولَكِنِي رَحِمتُهُ، ذَكَرْتُ قَولَ اللَّـهِ ﷻ: ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [1] فَرَحِمْتُ نَصَبَهُ وَاجْتِهَادَهُ، وَهُوَ في النَّارِ) [2].

٢- حرص الصحابة ﷺ على هداية علماء النصارى:

اهتم الصحابة ﷺ بدعوة علماء النصارى إلى الإسلام؛ لما لهم من المكانة وقوة التأثير على من حولهم، فحينما بعث عمر بن الخطاب عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- لفتح مصر قابل عالمين من علماء النصرانية، ودعاهما إلى

---

(١) الغاشية، الآيتان (٤-٥).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/٤٢٠)، رقم (٣٥٨٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/٤٩١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٥٦٧)، وقال: "إن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر" فالأثر مقطوع. وذكره ابن كثير في مسند عمر بن الخطاب ﷺ (٢/٦٢٠) وقال: إسناده جيد.ويشهد له مارواه أبوهريرة ﷺ قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين! قال:(إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة). أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٩٩.

الإسلام قائلًا: (فليبرز إلي أبو مريم وأبومريام راهبا هذه البلاد، فبرزا إليه، فقال لهما عمرو بن العاص ﷺ: أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا، إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ﷺ وأدى إلينا كل الذي أمر به ثم مضى وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنَّا مفتتحوكم وأوصانا بكم؛ حفاظًا لرحمنا منكم، وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة. ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيرًا، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيرًا؛ لأن لهم رحمًا وذمة)(١). فعمرو بن العاص ﷺ أعطى هذين الراهبين منزلتهما، بقوله: "أنتما راهبا هذه البلاد". وتدرج معهما في عرض الدَّعوة؛ حرصًا على هدايتهما إلى الإسلام، وإنقاذًا لهما من ظلمة النصرانية. كما بشرهما بأن النبي ﷺ أوصى بهم خيرًا.

٣- إظهار سماحة الإسلام في دعوتهم:

إن من سماحة الإسلام أن أباح لأهل الذمة من العلماء أن يؤدوا شعائرهم الدينية، فحرية ممارسة العبادة وأداء الشعائر من الأمور البديهية التي يتضمنها أي عقد أو معاهدة يبرمها الصحابة ﷺ مع النصارى. كما كان الخلفاء يوصون قادتهم الذين يرسلوهم إلى الجهاد بما يكفل ذلك. فقد كان أبو بكر ﷺ يوصي الجيوش الإسلامية الفاتحة، فيقول ليزيد بن أبي سفيان ﷺ: (إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، فَذَرْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لَه)(٢). وقد تحولت تلك الوصايا إلى سلوك عملي، تمثَّل في احترام عقائد النصارى وشرائعهم وعاداتهم،

---

(١) تقدم تخريجه، ص١١٥.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٠.

فقد حافظ الصحابة ﷺ على كنائس النصارى، و لم يمسوها بسوء؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ (١).

حيث (تضمَّنت هذه الآية المنع من هدم كنائس أهل الذمة وبيعهم وبيوت نيرانهم، ولا يتركون أن يحدثوا ما لم يكن، ولا يزيدون في البنيان لا سعة ولا ارتفاعًا...)(٢). ولذا كان من وصايا أبي بكر ﷺ لأمرائه حينما بعثهم إلى الشام: (ولا تهدموا بيعة)(٣). كما كان هذا الأمر من الشروط التي صالح عليها المسلمون في البلاد المفتوحة، فقد جاء في عقد الصلح الذي عقده عمر بن الخطاب ﷺ مع نصارى إيلياء: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم...)(٤). وكتب عمرو بن العاص ﷺ لنصارى مصر كتاب أمان قال فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل

---

(١) الحج، الآية: (٤٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢/٥٠).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/١٤٥)، رقم (١٨١٢٥)، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٤/٤٧٥)، رقم (١١٤١١)، والسيوطي في جامع الأحاديث (٢٤/٣٤٨)، رقم (٢٧٢٩٠)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/١١٦)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٧٥).

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٢٨. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (١/٤٨٨) وإسناده ضعيف جدًا. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٨/٢٦٦).

مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم..)[١].

ولما ولي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك[٢]. ولما أتى عبادة بن الصامت رضي الله عنه مدينة اللاذقية[٣] ترك للنصارى كنيستهم[٤].

هذه السماحة في معاملة النصارى كان لها تأثير عجيب على نفوسهم إذ لم يعتادوا هذا الخلق الكريم مع أسيادهم السابقين، مما كان ذلك سببًا في إعجابهم بالإسلام والدخول فيه.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٧٢. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (١/٥٠٢). والكلاعي في الاكتفاء (٢/٣٤٧)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/٢٩٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/١١٢)، وإسناده ضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٨/٣٥٦).

(٢) انظر: فتوح البلدان،البلاذري، ص٨٠. وإسناده جيد.

(٣) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام. معجم البلدان، الحموي (٥/٥).

(٤) انظر: فتوح البلدان، البلاذري،ص٨٥. ويشهد لهذه الآثار ما جاء من الأمر بالعفو والصفح عن المشركين وأهل الكتاب

المبحث الثالث

موضوع دعوة الصحابة ﷺ العامة من النصارى

إن العامة من النصارى هم الأكثرية في المجتمع النصراني بخلاف الملأ والعلماء الذين هم في العادة قلة في المجتمع، والمقصود بالعامة: ما سوى الملأ والعلماء ممن لم يتميز بعلم أو ولاية في المجتمع النصراني، فيدخل جميع طبقات المجتمع الأخرى، كالتجار والصناع والموظفين والجند وأصحاب الحرف المختلفة والنساء وغيرهم.

وعامة النصارى أسرع من غيرهم إلى الاستجابة إلى الحق؛ ذلك أنهم خالون من موانع القبول الموجودة في الملأ كحب الرياسة والتسلط.

ومع أن عامة النصارى مهيّؤون للاستجابة السريعة أكثر من غيرهم، وأن فرص الإسلام أمامهم كثيرة، فإن هناك احتمال تأثرهم بمكائد الملأ من النصارى والسير وراء تضليلهم وأكاذيبهم؛ لأن الملأ الكافر بيده القوة والنفوذ والمال، ويستطيع أن يرهب العامة ويخوفهم إن هم خرجوا عن الكفر الذي هم فيه، وهذا الخوف يثبط الهمم والعزائم عند عامة الناس في قبول الدَّعوة؛ طلبًا لسلامة أنفسهم من الأذى.

من أجل ذلك اهتم الصحابة ﷺ بدعوة عامة النصارى إلى الإسلام، وتنوعت موضوعات دعوتهم وفقًا للمطالب الآتية:

المطلب الأول: موضوع دعوة الصحابة ﷺ لعامة النصارى فيما يتعلق بالعقيدة.

المطلب الثاني: موضوع دعوة الصحابة ﷺ لعامة النصارى فيما يتعلق بالشريعة.

المطلب الثالث: موضوع دعوة الصحابة ﷺ لعامة النصارى فيما يتعلق بالأخلاق.

المطلب الأول

موضوع دعوة الصحابة ﷺ لعامة النصارى فيما يتعلق بالعقيدة

اهتم الصحابة ﷺ بدعوة عامة النصارى إلى موضوعات العقيدة؛ وذلك لأهميتها، ولأنها الأساس والمرتكز لبقية الأعمال. ويمكننا بيان تلك الموضوعات فيما يلي:

١- إظهار الولاء للدين الحق والبراءة من الشرك الذي عليه النصارى لدعوتهم للتوحيد:

إن مما يحقق سلامة العقيدة الإسلامية لدى المسلم، براءته من النصارى، ولقد حرص الصحابة ﷺ على تحقيق تلك البراءة؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [١]. وقوله سبحانه:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ﴾[٢]، ومن صور الموالاة التي نهى عنها الصحابة ﷺ إقامة لدين الله ﷻ وإذلالًا لأهل الشرك، ما يلي:

---

(١) المائدة، الآية: (٥١).

(٢) آل عمران، الآية: (١١٨).

أ – عدم ابتدائهم بلفظ السلام :

السلام اسم من أسماء الرب تبارك وتعالى، وقد جعله الله سبحانه السلام تحية أوليائه في الدنيا، وتحيتهم يوم لقائه، وفي قول المسلم: "السلام عليكم" إخبار للمسلَّم عليه بالسلامة من الشر وحصول الرحمة والبركة، وهذه البشارة أعطوها لدخولهم في دين الإسلام، فحقيقٌ بتحية هذا شأها أن تصان عن بذلها لغير أهل الإسلام، وألا يحيا بها أعداء الدين. وهذا ما كان عليه منهج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فعن عبد الرحمن بن جدعان قال: (مرّ ابن عمر بنصراني، فسلم عليه فرد عليه، فأُخبر أنه نصراني، فلما علم رجع، فقال: رد عليَّ سلامي)[1]. قال الإمام ابن مفلح –رحمه الله–: "ولا يجوز بداءة أهل الذمة بالسلام، هذا هو الذي عليه عامة العلماء سلفًا وخلفًا؛ لأنه ﷺ نهى عن بداءهم بالسلام"[2] وإذا ألقى النصرانيُّ على المسلم السلام يرد عليه بحسب ما يطلقونه من ألفاظ في السلام، فإن قالوا: "السلام عليكم" فيُرد عليهم: "وعليكم السلام"؛ لأن ذلك من باب العدل، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (ردُّوا السلام على من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا. ذلك أن الله يقول: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ﴾[3])[4] فإنها بعمومها تشمل غير المسلمين، وإن قالوا كلمات سيئة في

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد، ص٣٨١، رقم (١١١٥) وقال:حديث حسن. وقال الألباني: "رجاله ثقات غير عبد الرحمن"قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال: لا يُعرف"(٢٦٨/٤). انظر: إرواء الغليل (١١٥/٥) رقم (١٢٧٤).

(٢) الآداب الشرعية (٣٦٥/١). والحديث الوارد هو قول الرَسُولَ ﷺ: (**لَا تَبْدَؤوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ**). تقدم تخريجه، ص١٠٥.

(٣) النساء، الآية: (٨٦).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (٣١٢/٣)، رقم (١١٠٧)، باب: كيف الرد على أهل =

السلام كقولهم: "السام عليكم"، فنرد عليهم بقولنا: "وعليكم". قال أنس ابن مالك رضي الله عنه[1]: (نُهينا أو أُمرنا أن لا نزيد أهل الذمة على: وعليكم)[2].

ويدخل في النهي عن السلام على النصارى ابتداؤهم بالتحية كأهلًا وسهلًا وما أشبهها. يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله–: "ولا يجوز كذلك أن يبدؤوا بالتحية كأهلًا وسهلًا وما أشبهها؛ لأن في ذلك إكرامًا وتعظيمًا، ولكن إذا قالوا مثل هذا فإننا نقول لهم مثل ما يقولون؛ لأن الإسلام جاء بالعدل"[3].

بيد أن المسلم بإمكانه أن يستبدل تحية الإسلام ببعض العبارات اللطيفة التي تؤلف قلب النصراني إلى الإسلام وترغبه فيه، فعن عقبة بن عامر الجهني[4] رضي الله عنه قال: (إنه مرّ برجل هيئته هيئة مسلم، فسلم فرد عليه عقبة: وعليك رحمة الله وبركاته. فقال له الغلام: أتدري على من رددت؟ قال: أليس برجل مسلم؟ فقالوا: لا، ولكنه نصراني، فقام عقبة فتبعه حتى أدركه، فقال: إن رحمة الله وبركاته على المؤمنين، لكن أطال الله حياتك، وأكثر مالك)[5]. وأما إذا لم يحتج المسلم إلى إلقاء التحية على أهل الذمة

=

الذمة، وقال: حديث حسن.

(١) أنس بن مالك الانصاري، خادم رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية عنه، مات سنة ٩٣هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (١/٢٧٥).

(٢) أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه (٥/٢٥٠)، رقم (٢٥٧٦٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/١١)، رقم (٩٨٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/٢٠٣)، رقم (١٨٥٠٤). وقال الألباني: صحيح عن أنس بغير هذا اللفظ. انظر: إرواء الغليل (٥/ ١١٦)، رقم (١٢٧٦). ويشهد له الأثر السابق.

(٣) فتاوى الشيخ محمد العثيمين (١/٢١١).

(٤) عقبة بن عامر الجهني، صاحب النبي ﷺ كان عالمًا مقرئًا فقيهًا فصيحًا، وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وشهد فتح مصر، مات سنة ٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/٤٦٧).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (٣/٣١٩)، رقم (١١١٢)، باب:كيف يدعو الذمي.

=

فالاختيار ألا يقول شيئًا، فإن ذلك بسط له وإيناس وإظهار صورة ودّ، ونحن مأمورون بالإغلاظ عليهم ومنهيون عن ودهم فلا نظهره، والله أعلم[1].

٢- ترك النصارى المعاهدين على حرية العقيدة.

كفل الإسلام الحرية الدينية للنصارى، فالمعاهد له حق البقاء على دينه وعقيدته ولا يكره على دخول الإسلام؛ لأنه خضع لحكم الإسلام، ولهذا قرر الفقهاء أن الذميين يتركون وما يدينون؛ انطلاقًا من قول الله ﷻ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[2]. قال ابن أبي حاتم في سبب نزول الآية: عن إسْق[3] قال: (كنت مملوكًا نصرانيًّا لعمر بن الخطاب، فكان يعرض عليَّ الإسلام فآبى، فيقول: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾، ويقول: يا إسْقُ، لو أسلمت، لاستعنا بك على بعض أمور المسلمين)[4]. كما كانت الحرية الدينية من بنود المعاهدة مع النصارى في جميع البلاد المفتوحة. فقد أعطى أبو عبيدة ﷺ الأمان لنصارى بعلبك، وكتب لهم: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب أمان لفلان بن فلان،

=

وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء (١١٥/٥)، وقال: "وهذا إسناد حسن".

(١) انظر: الأذكار، النووي، ص٢٢٠.

(٢) البقرة، الآية: (٢٥٦).

(٣) وقيل وسق الرومي، ذكره أبوعبيد في الأموال ص٣٩، والسيوطي في الدر المنثور (٢٢/٢)، والجصاص في أحكام القرآن (٣٢٤/٢)، وسعد بن منصور في تفسيره (٩٦٢/٣) رقم (٤٣١). وقيل: أسبق، ذكره ابن كثير في تفسيره (٣١٨/١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩٣/٢)، رقم (٢٦١٠). وذكره ابن كثير في تفسيره (٣١٨/١)، وأخرجه أبوعبيد في الأموال، ص٣٩ رقم (٨٧)، وذكره ابن الجوزي في تاريخ عمر بن الخطاب، ص١١٠. وإسناده ضعيف، انظر: التفسير من سنن سعيد بن منصور (٩٦٣/٣).

وأهل بعلبك: رومها، وفرسها، وعربها، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها)[1]. كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه لأهل مصر: (هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم...)[2].

---

(١) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٨٣. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (٤٨٥/١)، وفيه الوليد بن مسلم ثقة كثير التدليس. انظر: تقريب التهذيب، ابن حجر (٥٨٤/١). ويشهد له الآثار السابقة واللاحقة.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٣٤.

المطلب الثاني

موضوع دعوة الصحابة ﷺ عامة النصارى فيما يتعلق بالشريعة

تعددت موضوعات دعوة عامة النصارى المتعلقة بالشريعة، ويمكن بيانها على النحو الآتي:

١- الحرص على دعوة عامة النصارى إلى الإسلام:

إن القيام بدعوة النصارى إلى الإسلام من الواجبات العظيمة التي أمرنا الله بها. قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]. كما أن دعوهم إلى الإسلام من أعظم حقوقهم علينا، ولذا حرص الصحابة ﷺ على تبليغهم الدَّعوة بكل الأساليب والوسائل الممكنة وبما يتناسب مع حال المدعوين منهم.

فقد دعا خالد بن الوليد ﷺ أهل الحيرة وقال لهم: (إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام، فإن قبلتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر. فقالوا: لا حاجة لنا في حربك. فصالحهم على تسعين ومئة ألف درهم، فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق...)[2]. وروى أسلم مولى عمر ﷺ أَنَّ عُمَرَ ﷺ تَوَضَّأَ مِنْ بَيْتِ نَصْرَانِيَّةٍ أَتَاهَا، فَقَالَ: (أَيَّتُهَا الْعَجُوزُ أَسْلِمِي تَسْلَمِي بَعَثَ اللَّهُ بِالْحَقِّ مُحَمَّدًا ﷺ، فَكَشَفَتْ عَنْ رَأْسِهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُ الثَّغَامَةِ[3]، فَقَالَتْ: عَجُوزٌ

---

(١) النحل، الآية: (١٢٥).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٣٣. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٣٨٦/٢)، وابن الجوزي في المنتظم (١٠٠/٤) وإسناده ضعيف ولبعضه ما يؤيده. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٧١/٣).

(٣) الثغامة: نبات أبيض الثمر والزهر يشبه بياض الشيب به. انظر: المعجم الوسيط (٩٧/١)، مادة: ثغر.

كَبِيرَةٌ وَأَنَا أَمُوتُ الْآنَ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ[(١)].

٢- من واجبات أهل الذمة دفع الجزية:

شرع الإسلام على أهل الذمة أداء الجزية، وقد فرضها الله ﷻ في السنة الثامنة للهجرة[(٢)]. والأصل فيها قول الله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[(٣)]. قال الشيخ أبوبكر الجزائري -حفظه الله-: "جعل إعطاء الجزية غاية لنهاية القتال، لا الإسلام؛ لأن الإسلام يُعرض أولًا على أهل الكتاب، فإن قبلوه فذاك وإن رفضوه يطلب منهم الدخول في ذمة المسلمين وحمايتهم تحت شعار الجزية، وهي رمز دال على قبولهم حماية المسلمين وحكمهم بشرع الله تعالى، فإذا أعطوها حقنوا دماءهم وحفظوا أموالهم، وأمنوا

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٣٩/١)، رقم (٦٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٨/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٣/١)، رقم (١٣٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤٠/٨)، وأخرجه الإمام ابن حجر في تغليق التعليق (١٣١/٢)، وقال: إسناده ظاهر الصحة وهو منقطع. وله أصل في صحيح البخاري، ص٦٢، رقم (١٩٣)، كتاب الوضوء، باب: وضوء الرجل مع امرأته. قال الإمام البخاري: (وتوضأ عمر بالحميم، ومن بيت نصرانية).

(٢) انظر: مختصر زاد المعاد، ص٢٠٨. وقال الإمام ابن القيم:" إن آية الجزية نزلت عام تبوك في السنة السنة التاسعة للهجرة". أحكام أهل الذمة (٩٠/١).

(٣) سورة التوبة، الآية: (٢٩). وضح الإمام ابن القيم المراد بالصغار في الآية: السابقة، وأنه لا يعني الامتهان والضرب والجر، ولا على هذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، وإنما المقصود بالصغار هنا هو التزام أهل الذمة بالأحكام الخاصة بهم. انظر: أحكام أهل الذمة (١٠/١).

في حياتهم المادية والروحية"[1].

وأما مشروعية الجزية من السنة: فقد روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه[2] أنه قال لجند كسرى: (أمَرَنَا نبيُّنا رسولُ ربِّنا ﷺ أن نُقاتلكَم؛ حتى تَعبُدوا الله وحده أو تُـؤدُّوا الجزية)[3]. وأخذ رسول الله ﷺ من نصارى نجران[4] وغيرهم، وكتب إلى الملـوك يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية و لم يفرق بين العرب وغيرهم[5]. واقتدى الصـحابة رضي الله عنهم بمنهجه ﷺ فأخذوا الجزية وصالحوا عليها بمقادير مختلفـة وأجنـاس متنوعـة، فحينما (نزل خالد بن الوليد مع أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشـرحبيل بـن حسنة على قناة بصرى وصالحهم على الجزية، وكانت أول جزية وقعت بالشام في عهد أبي بكر)[6]. كما (كان صلح دمشق على المقاسمة، الدينار والعقار، ودينـار عن كل رأس)[7]. عن سعيد بن عبد العزيز، قال: (لما افتتح أبو عبيدة بن الجـراح

---

(١) أيسر التفاسير (٢/٣٥٨). فالجزية بدلًا عن قتلهم، وإقامتهم بديارنا، لا إقرار منا على دينـهم. انظر: حاشية الروض المربع ، بن قاسم (٤/٣٠٢).

(٢) المغيرة بن شعبة الثقفي، من كبار الصحابة، شهد الحديبية وما بعدها من فتوح الشام والعـراق، مات سنة٥٠هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٦/١٥٦). سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/٢١).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٦٠٦، رقم (٣١٥٩)، كتاب الجزية والموادعة، بـاب: الجزية والموادعة مع أهل الحرب.

(٤) نجران: مدينة بالقرب من اليمن. انظر: معجم البلدان، الحموي (٥/٢٦٦).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٢٠٤). مختصر زاد المعـاد، محمـد بـن عبـدالوهاب، ص٣٠٤.

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٩٠).

(٧) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٦٧، والبلاذري في فتوح البلدان، ص٨٠، وذكره ابن الجـوزي في المنتظم (٤/١٤٣)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/١٣١)، أو إسناده ضعيف وله ما يؤيده. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/١٣٦).

دمشق استخلف يزيد ابن أبي سفيان على دمشق، وعمرو بن العاص على فلسطين، وشرحبيل على الأردن، وأتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بعلبك، ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت الأنصاري، ومضى نحو حماة(١) فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج في أرضهم)(٢). كما صالح الصحابة ﷺ أهالي فحل على الجزية، إذ (لما رأى أهل فحل أن الأرض أرض الأردن قد غلب عليها المسلمون سألوا الصلح على أن لا يقتلوهم وأن يعفى لهم من عن أنفسهم وأن يؤدوا الجزية ومن كان منهم من الروم أن يلحق بالروم ويخلي بلاد الأردن، وعلى أن يقيم منهم من أحب المقام فيؤدي الجزية، فصالحهم المسلمون فكتبوا لهم كتابًا وصالحوهم)(٣). كما (أن الصحابة ﷺ أخذوا الجزية من نصارى العرب وهم تنوخ(٤) وبهراء(٥) وتغلب(٦))(٧)، وعن أسلم مولى عمر ﷺ قال: (أن

---

(١) حماة: مدينة في الشام عظيمة كثيرة الخيرات. معجم البلدان، الحموي (٢/٣٠٠).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٦٧، والبلاذري في فتوح البلدان، ص٨٤. وذكره ابن الأثير في الكامل (١/٤٣٣) وإسناده معضل". انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٢٠٧).

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٢٣. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (١/٤٦٥)، وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٤١).

(٤) تنوخ: قبيلة وحي من اليمن، حاربوا خالد بن الوليد ﷺ في دومة الجندل. انظر: معجم قبائل العرب، كحالة (١/١٣٣).

(٥) بهراء بن عمرو بطن من قضاعة، انضموا في غزوة مؤتة إلى جيش هرقل. انظر: المرجع السابق (١/١١٠).

(٦) بنوتغلب: قبيلة عظيمة تنتسب إلى تغلب بن وائل من صميم العرب، انتقلوا من الجاهلية إلى النصرانية، وكانوا قبيلة عظيمة لهم شوكة قوية، واستمروا على ذلك حتى جاء الإسلام فصولحوا على مضاعفة الصدقة عليهم عوضًا من الجزية. انظر: المرجع السابق (١/١٢٠). أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١/٢٠٦).

(٧) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٩٢. وقال ابن الملقن: صحيح. انظر: البدر المنير (٧/٦٢٦).

عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهمًا مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام)[1]. كما صالح شرحبيل بن حسنة ﷺ أهل طبرية[2] على أنصاف كنائسهم ومنازلهم، فعن الهيثم بن عدي قال: (افتتح شرحبيل ابن حسنة الأردن عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم)[3]. كما أن أهل إيلياء صالحوا عمر ﷺ على الجزية. عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: (خرج أهل إيلياء إلى عمر فصالحوه على الجزية وفتحوها)[4]. ولما فتح عمرو بن العاص ﷺ الإسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتى قدم برقة[5] فصالح أهلها على الجزية وهي ثُلاثة عشر ألف دينار[6]، وحينما سار الصحابة ﷺ لقتال الروم في فتح قبرص[7] صالحهم أهلها على جزية سبعة

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، ص١٩٢، رقم (٣٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم (١٨٤٦٦)، وعبدالرزاق في مصنفه (٣٢٨/١٠)، رقم (١٩٢٦٥). وذكره الإمام ابن كثير في مسند عمر بن الخطاب ﷺ (٤٩٣/٢). وأخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٨٠. وقال الألباني: إسناده صحيح. انظر: تخريج مشكاة المصابيح، رقم (٣٩٧٠).

(٢) طبرية: من أعمال الأردن بينها وبين دمشق ثلاثة أيام فتحت صلحًا بعد حصار على يد شرحبيل بن حسنة ﷺ سنة ١٣هـ. انظر: معجم البلدان (١٧/٤).

(٣) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٧٥.

(٤) أخرجه خليفة خياط في تاريخه، ص١٣٥. وإسناده لا بأس به إلا أن سالم لم يعاصر هذه الأحداث ولعله أخذه عن أبيه الصحابي الجليل عبد الله بن عمر. لسان الميزان (٩٠/٢).

(٥) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقيا، واسم مدينتها أنطابلس، وهي مما افتتح صلحًا على يد عمرو بن العاص وأسلم أكثر من بها، سنة ٢١هـ. معجم البلدان (٣٨٨/١).

(٦) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص١٣٧.

(٧)كان فتحها سنة ٢٨هـ، وقيل: ٢٩هـ، وقيل:٣٣هـ. انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري ص٧٢٨.

آلاف دينار كل سنة، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم[(١)].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يأمر بختم رقاب أهل الذمة الدافعين للجزية؛ لتمييزهم عن غيرهم. عن أسلم قال: (كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد أن اختموا رقاب أهل الجزية في أعناقهم)[(٢)]. قال أبو يوسف -رحمه الله-: "وينبغي مع هذا أن تختم رقابهم وقت جباية جزية رؤوسهم حتى يفرغ من عرضهم ثم تكسر الخواتيم"[(٣)].

ومما يشار إليه هنا، أن الجزية لم تكن هدفًا للجهاد في سبيل الله، فليس المقصود منها جمع المال وطلب الدنيا، بل عرض محاسن الإسلام على النصارى؛ ليتفكروا فيه بحرية وأمان، فيكون سببًا في إسلامهم. قال الإمام السرخسي- رحمه الله-: "المقصود ليس هو المال بل الدعاء إلى الدين بأحسن الوجوه؛ لأنه بعقد الذمة يُترك القتال أصلًا ولا يقاتل من لا يقاتل ثم يسكن بين المسلمين فيرى محاسن الدِّين ويعظه واعظ فربما يسلم"[(٤)].

وقال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله-: "وفيه درس للمسلمين بأن هؤلاء النصارى يصبرون على باطلهم ويؤدون الجزية، فكيف لا نصبر على الحق والدولة لنا. كما أن في بقائهم احترام لما كان صحيحًا من الدِّين"[(٥)].

كما لم تكن هذه الجزية وسيلة للضغط على أهل الذمة لإكراههم على اعتناق

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٧٢٩. وإسناده ضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٤٧٥/٨).

(٢) أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال، ص٥٧، رقم (١٣٦)، وأبو يوسف في الخراج، ص١٢٨. وقال الألباني: إسناده صحيح. انظر: إرواء الغليل (١٠٤/٥).

(٣) الخراج، ص١٢٧.

(٤) المبسوط (٧٧/١٠).

(٥) انظر: صيد الخاطر، ص٣١١.

الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[1]. بل هي رمز دال على قبولهم حماية المسلمين وحكمهم بشرع الله تعالى، فإذا أعطوها حقنوا دماءهم وحفظوا أموالهم وأمنوا في حياتهم[2].

ولقد أوفى الصحابة ﷺ بما صالحوا عليه أهل المدن، فلما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين، وعونًا للمسلمين على أعدائهم.

بيد أن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ذكر ضابطًا مهمًّا لأخذ الجزية، إذ قال: "ذهب طائفة من العلماء كمحمد بن جرير الطبري إلى أن الكفار لا يقرون في بلاد المسلمين بالجزية إلا إذا كان المسلمون محتاجين إليهم. فإذا استغنوا عنهم أجلوهم كأهل خيبر"[3].

٣- من واجبات أهل الذمة: توقير المسلمين واحترام مشاعرهم.

ينبغي لأهل الذمة في البلاد الإسلامية أن يوقِّروا المسلمين ويحترموا مشاعرهم، ولا يدخلون عليهم بغير استئذان، ولا يفعلون بين أيديهم ما يخل بالوقار والأدب، وإذا دخل المسلمون مجلسًا قاموا لهم وأجلسوهم، وجعلوا المسلمين في صدارة المجلس، ولا يعلون عليهم في المسكن، ولا يغشون المسلمين أو يتجسسون عليهم، ويرشدونهم إلى الطريق إذا احتاجوا. كما أن عليهم أن يلتزموا زيهم وهيئتهم التي يعرفون بها؛ تمييزًا لهم عن المسلمين؛ لأن الإسلام يَعلو ولا يُعلى عليه.

---

(١) البقرة، الآية: (٢٥٦).

(٢) انظر: أيسر التفاسير (٢/٣٥٨).

(٣) الحسبة، ص٣٥١.

وكل هذه الأمور هي مما اشترطه نصارى الشام على أنفسهم وأمضاها لهم عمر بن الخطاب ﷺ. عن إسماعيل بن عياش عن غير واحد من أهل العلم، قالوا: (كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم: إنا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا على أنا شرطنا لك على أنفسنا: أن لا نحدث في مدينتنا كنيسة...ولا نؤوي فيها ولا في منازلها جاسوسًا... ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون...وأن نوقِّر المسلمين في مجالسهم، ونرشد الطريق، ونقوم لهم عن المجالس إذا أرادوا المجالس، ولا نطلع عليهم في منازلهم...)[1].

٤- من منهج الصحابة ﷺ إسقاط الجزية عن العاجزين من النصارى؛ رحمة بهم:

لقد ضمن الإسلام للنصارى كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونهم؛ لأنهم رعية للدولة المسلمة، وهي مسؤولة عن كل رعاياها. قال رسول الله ﷺ: (**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**)[2] وهذا ما مضت به سنة الصحابة رضوان الله عليهم. فلقد ضربوا أروع الأمثلة في التكافل الاجتماعي، ومن ذلك إسقاط الجزية عن العاجز عن أدائها، ففي خلافة أبي بكر الصديق ﷺ كتب خالد بن الوليد ﷺ في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق وكانوا من النصارى: (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر حتى صار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٢٥.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٤٥١، رقم (٢٤٠٩)، كتاب في الاستقراض، باب: العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه.

مال المسلمين ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام)[1].

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "ولا جزية على فقير عاجز عن أدائها هذا قول الجمهور"[2]. وقال القاضي أبو يوسف -رحمه الله- مفصِّلًا في ذلك: "ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه، ولا من أعمى لا حرفة له ولا عمل، ولا من ذمي يتصدّق عليه ولا من مقعد، والمقعد والزمن إذا كان لهما يسار أخذ منهما وكذلك الأعمى، وكذلك المترهبون الذين في الديارات إذا كان لهم يسار أخذ منهم...ولا تؤخذ الجزية من الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل ولا شيء له، وكذلك المغلوب على عقله لا يؤخذ منه شيء"[3].

٥- من واجبات النصارى: أداء العشور:

يُلزم النصارى بدفع ضريبة تجارية يطلق عليها العشور[4]، ولم يكن لهذه الضريبة وجود في عهد النبي ﷺ وخليفته الأول أبي بكر الصديق ﷺ؛ لأن تلك الفترة كانت فترة دعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل نشره وبناء الدولة الإسلامية، فلما اتسعت الدولة في عهد عمر ﷺ وامتدت حدودها شرقًا وغربًا وصار التبادل التجاري مع الدول المجاورة ضرورة تمليها المصلحة العامة، رأى

---

(١) أخرجه أبو يوسف في الخراج، ص١٤٤، والكلاعي في الاكتفاء (٣٨١/١).

(٢) أحكام أهل الذمة (١٥٩/١).

(٣) الخراج، ص١٢٢.

(٤) العشور: جمع عشر، يعني الأموال التي يتم تحصيلها للتجارات التي تمر عبر الحدود الإسلامية، والذي يلزمهم من ذلك عند الشافعي ما صولحوا عليه وقت العهد، فإن لم يصالحوا على شيء فلا يلزمهم إلا الجزية. وقال الإمام أبوحنيفة: "إن أخذوا من المسلمين إذا دخلوا بلادهم للتجارة أخذنا منهم إذا دخلوا بلادنا للتجارة. وهي أشبه بالرسوم الجمركية في العصر الحاضر". انظر: النهاية في غريب الحديث، ص٦٠٣.

الخليفة عمر ﷺ أن يفرض تلك الضريبة على الوافدين إلى بلاد الإسلام؛ وذلك جزاء تجارتهم وانتفاعهم بديار المسلمين، وفي هذا حث لهم على أن يسلموا. كما كان أهل الحرب يأخذونها من تجار المسلمين القادمين إلى بلادهم، معاملة بالمثل. قال الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [1]: "إذا أعطى أهلُ الجزيةِ الجزيةَ لم يؤخذ منهم شيء من ثمارهم ولا تجاراتهم ولا زروعهم؛ إلا أن يتجروا في بلاد غير بلادهم التي أقروا فيها وصولحوا عليها. فإن خرجوا تجّارًا عن بلادهم التي أقروا فيها إلى غيرها أخذ منهم العشر إذا باعوا ونضّ[2] ثمن ذلك بأيديهم، ولو كان ذلك في السنة مرارًا؛ إلا في حملهم الطعام الحنطة والزيت إلى المدينة ومكة خاصة، فإنه يؤخذ منهم نصف العشر على ما فعل عمر. ومن أهل المدينة من لا يرى أن يؤخذ من أهل الذمة العشر في تجارتهم إلا مرة في الحول، مثل ما يؤخذ من المسلمين. وهو مذهب عمر بن عبد العزيز وجماعة من أئمة الفقهاء. والأول قول مالك وأصحابه"[3].

وأول من وضع العشر في الإسلام عمر بن الخطاب ﷺ. عن الشعبي قال: (أول من وضع العشر في الإسلام عمر)[4]. كما وضحت بعض الآثار منهج الصحابة ﷺ في أخذ العشور. قال عبد الرحمن بن معقل: (سألت زياد بن حدير: من كنتم

---

(١) التوبة، الآية: (٢٩).

(٢) نض المال: صار عينا بعد أن كان متاعًا. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠٣/٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠٣/٨).

(٤) أخرجه أبوعبيد في الأموال، ص٥٣٢، رقم (١٦٦٧)، وذكره ابن القيم أحكام أهل الذمة (٣٤٤/١)، وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح على شرط الشيخين وجميع رواته ثقات.

تعشرون؟ قال: ما كنا نعشر مسلمًا[1]، ولا معاهدًا. قلت: فمن كنتم تعشرون؟ قال: تجار الحرب، كما كانوا يعشروننا إذا أتيناهم)[2]. وعن أنس بن سيرين قال: (بعثني أنس بن مالك على العشور، فقلت: بعثتني على العشور من بين عمالك؟ قال: أما ترضى أن أجعلك على ما جعلني عليه عمر بن الخطاب ﷺ؟ أمرني أن آخذ من المسلمين ربع العشر، ومن أهل الذمة نصف العشر، وممن لا ذمة له العشر)[3].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يأمر عماله بالرفق والعدل في أخذ العشور من النصارى، فلا يؤخذ منهم إلا مرة واحدة في السنة. كما أمرهم أن يأخذوا العشر من نصارى بني تغلب ونصف العشر من أهل الكتاب، فعن زياد بن حدير قال: (أمرني عمر بن الخطاب أن آخذ من نصارى بني تغلب العشر، ومن نصارى أهل الكتاب نصف العشر)[4]. وعن زياد بن حدير قال: (كنت أعشر بني تغلب كلما أقبلوا وأدبروا، فانطلق شيخ منهم إلى عمر، فقال: إن زيادًا يعشرنا كلما أقبلنا وأدبرنا، فقال: تكفى ذلك، ثم أتاه الشيخ بعد ذلك وعمر في جماعة، فقال: يا أمير المؤمنين أنا الشيخ النصراني. فقال عمر ﷺ وأنا

---

(١) قال الإمام ابن القيم: إنما أراد أنّا كنا نأخذ من المسلمين ربع العشر، ومن أهل الذمة نصف العشر. أحكام أهل الذمة (١/٣٤٠).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال، ص٥٢٦، رقم (١٦٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/٢١١)، رقم (١٨٥٥٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/٩٨)، رقم (١٠١٢٤)، وذكره الإمام ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١/٣٣٥)، وقال محقق الكتاب: رجاله ثقات.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٢١٨) رقم (١٨٥٤٣) والخلال في أحكام أهل الملل، ص٧٥، رقم (٢٠٤). وذكره الإمام ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١/٣٤٤). وقال محقق الكتاب: ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن والآثار (٧/١٣٣)، رقم (٥٥٤١)، وابن حزم في المحلى (٦/١٤٤)، وقال: صح عن عمر بأصح طريق.

الشيخ الحنيف، قد كُفيت. قال: فكتب إلي: أن لا تعشرهم في السنة إلا مرة)[1].

ومن هنا نرى أن عمر ﷺ سمح للتجار من النصارى المحاربين بالدخول إلى بلاد المسلمين بشرط أن يؤخذ منهم مال للسماح بالدخول إلى البلاد الإسلامية وهو العشر كما يفعله الكفار لتجار المسلمين، وأن لا يسمح لهم بالبقاء أكثر من ثلاثة أيام يبيعون فيها ويشترون من التجار المسلمين، ثم يخرجون خوفًا على المسلمين من كيدهم، وحرصًا على عدم توطنهم في بلاد المسلمين، ولكي يعلموا بحرمة بلاد المسلمين وأن لها أنظمة وقواعد.

٦- بيان ما ينقض به عقد الذمة؛ ليحذر النصارى من الوقوع فيها:

إن المتأمل لعقد الذمة الذي أبرمه الصحابة ﷺ في صلحهم مع النصارى في البلاد المفتوحة يجد أن النصارى اشترطوا على أنفسهم شروطًا ووعدوا المسلمين الوفاء بها، فإن لم يفوا فلهم قتالهم. دل عليه ما جاء في نهاية العقد قولهم: (ضمنا ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإن نحن غيَّرنا أو خالفنا عمَّا شرطنا على أنفسنا وقلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق)[2]. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:" هذا اللفظ صريح في أنهم متى ما خالفوا شيئًا مما عوهدوا عليه انتقض عهدهم. كما ذهب إليه جماعة من الفقهاء"[3]. وقال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "لو عاهد أهل بلد أو حصن

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢١١/٩)، رقم (١٨٥٥٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤١٧/٢)، رقم (١٠٥٨٩)، ويحي بن آدم في الخراج، ص٦٨، رقم (٢١١). وذكره ابن القيم أحكام أهل الذمة (٣٥٣/١). وقال محقق الكتاب: صحيح.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٢٣.

(٣) أحكام أهل الذمة (١٣٥٤/٣).

ثم نقضوا عهدهم وامتنعوا عن أداء ما يلزمهم من الجزية وغيرها، وامتنعوا من حكم الإسلام من غير أن يُظلموا، وكان الإمام غير جائر عليهم؛ وجب على المسلمين غزوهم وقتالهم"[١]. وقد أوقع الصحابة ﷺ العقوبات على أهل الذمة المخالفين لشروط الصلح، فحينما (استكره رجل من أهل الذمة امرأة مسلمة على نفسها، رفع الأمر إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، فقال: ما على هذا صالحناكم، فضرب عنقه)[٢]. وعن عوف بن مالك ﷺ[٣] قال: (إنه أبصر نصرانيًّا يسوق بامرأة فنخس[٤] بها فصرعت، فتحللها فضربته بخشبة معي فشجته، فانطلقت إلى معاذ بن جبل فقلت: أجرني من عمر وخشيت عجلته، فأتى عمرًا فأخبره فجمع بيننا فلم يزل بالنصراني حتى اعترف، فأمر له بخشبة فنحتت، ثم قال: لهؤلاء عهد ففوا لهم بعهد ما وفوا لكم، فإذا بدَّلوا فلا عهد لهم وأمر به فصلب)[٥].

وقد نقض أهل طبرية الصلح فقاتلهم الصحابة ﷺ. عن الهيثم بن عدي قال: (ففتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحًا بعد حصار أيام على أن أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم إلا ما جلوا عنه وخلوه، واستثنى لمسجد المسلمين موضعًا، ثم أنه نقضوا في خلافة عمر، واجتمع إليهم قوم من الروم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/٩٦)، رقم (٢٩٤٣٤)، وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/١٢٩)، وقال الألباني: "رجاله ثقات رجال الشيخين". انظر: الإرواء، الألباني (٥/١٢١).

(٣) عوف بن مالك الأشجعي، أسلم عام خيبر، نزل حمص وسكن دمشق، مات سنة ٧٣هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٤/٦١٧).

(٤) نخس: أي ضربها بعود أو غيره؛ لتسرع. انظر: المصباح المنير، الفيومي، ص٢٢٧، مادة: نخست.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (١٨/٢٧)، رقم (٦٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٦) وقال: رجاله رجال الصحيح.

وغيرهم، فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاص بغزوهم، فسار إليهم في أربعة آلاف، ففتحها على مثل صلح شرحبيل، ويقال: بل فتحها شرحبيل ثانية)[١].

وقد بيَّن العلماء حكم من ينتقض عهده من أهل الذمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ثم إذا عاهد المسلمين طائفة فنقضت العهد، لم يجب على المسلمين أن يعاهدوهم ثانيًا بل لهم قتالهم وإن طلبوا أداء الجزية، وللإمام أن يقتلهم حتى يسلموا، وله أن يجليهم من ديار الإسلام إذا رأى ذلك مصلحة"[٢]. قال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[٣].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: "إن المعاهد والذمي إذا نقض العهد صار حربيًّا وجرت عليه أحكام أهل الحرب"[٤].

أما إذا مارس أهل الذمة بعض الأمور التي لا توجب نقض الذمة، كإظهار الصليب أو ضرب النواقيس بصوت مرتفع أو تظاهروا بشرب الخمر ونحو ذلك مما نهوا عنه، شرع للمسلمين الاحتساب عليهم ونهيهم عن ذلك. قال الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[٥]: "إذا أدى أهل الجزية جزيتهم التي ضُربت عليهم أو

---

(١) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٧٥. وفيه الهيثم بن عدي ليس بثقة. الجرح والتعديل (٨٥/٩).

(٢) قاعدة مختصرة في قتال الكفار، ص١٨٤.

(٣) التوبة، الآية: (١٢).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٩١/١٢).

(٥) التوبة، الآية: (٢٩).

صولحوا عليها خُلِّيَ بينهم وبين أموالهم كلها، وبين كرومهم[1] وعصرها ما ستروا خمورهم و لم يعلنوا بيعها من مسلم، ومُنعوا من إظهار الخمر والخنزير في أسواق المسلمين؛ فإن أظهروا شيئًا من ذلك أريقت الخمر عليهم، وأُدِّب من أظهر الخنزير"[2]. كما دل عليه ما اشترطه عمر ﷺ على نصارى الشام في عقد الصلح معهم، وما تضمنته تلك المعاهدة من النهي عن إظهار كل ما يؤثر على المسلمين ويفتنهم عن دينهم. فقد كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم: (إنَّا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا على أن شرطنا لك على أنفسنا،...وألا نضرب نواقيسنا إلا ضربًا خفيفًا في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليبًا...ولا نجاورهم بالخنازير، ولا نبيع الخمور...)[3]. أما من التزم من أهل الذمة بأحكام الإسلام، فلا شك أنه يصير من أهل دار الإسلام، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، فلا ينبغي أن يعتدى عليه في ماله أو دمه أو عرضه.

٧- تحذير أهل الذمة من الطعن في الدين الإسلامي؛ حفظًا لكيان الدولة وقوتها.

إذا تجرأ الذميُّ من النصارى وبدأ يفتن المسلمين عن دينهم بالطعن فيه فلا شك أن ذلك أخطر من الحرب المعلنة، وهذا الفعل من الذمي إذا ما ثبت عليه من أكبر المسوغات لانتقاض عهده، وهذا هو أظهر قولي العلماء في ذلك، وعليه شيخ الإسلام ابن القيم -رحمه الله- فهو يقول: "ولا ريب أن الطعن في الدِّين أعظم من الطعن بالرمح، فأولى ما ينتقض به العهد الطعن في الدين ولو لم

---

(١) كرومهم: جمع كرم وهو العنب. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٧٨٤/٢)، مادة: كرم.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠٤/٨).

(٣) تقدم تخريجه، ص١٢٥.

يكن مشروطًا عليهم، فإن الشرط ما يزيد ذلك إلا تأكيدًا وقـــوة)[1]. ومـــن الشواهد على ذلك من فعل الصحابة ﷺ، فعن غرفة بن الحارث ﷺ[2] قـــال: (إنه مرَّ بنصرانـــي من أهل مصر يقال له المندقون، فدعاه إلى الإسلام، فـــذكر النصرانـــي النبي ﷺ فتناوله فرفع ذلك إلى عمرو بن العاص، فأرسل إليه، فقال: قد أعطيناهم العهد. فقال غرفة: معاذ الله أن نكون أعطيناهم العهود والمواثيـــق على أن يؤذونا في الله ورسوله، إنما أعطيناهم على أن يخلى بيننا وبين كنائسهم، يقولون فيها ما بدا لهم، وألا نحملهم ما لا طاقة لهم به، وأن نقاتل من ورائهم، وأن يخلى بينهم وبين أحكامهم إلا أن يأتونا فنحكم بينهم بما أنزل الله. فقـــال عمرو: صدقت)[3].

٨- من حق النصرانـــي: منحه الأمان والحماية داخل المجتمع.

الإسلام شريعة العدل والحق، وقد عني الإسلام بحفظ الحقـــوق الأساســـية للإنسان في الحياة بما سمي بالضرورات الخمس التي لا غنى عنها، وهي حفـــظ النفس والدين والمال والعرض والعقل، ويســـتوي في هـــذه الحقـــوق المســـلم والنصراني، فهي ضرورات وحرمات معصومة، لا تنتهك إلا بسبب شـــرعي. قال رسول ﷺ: (**ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا**

---

(١) أحكام أهل الذمة (٢/٧٢٩).

(٢) غرفة بن الحارث الكندي اليماني ويقال الأزدي، له صحبة، قاتل أهل الردة باليمن، شهد حجة الوداع وفتح مصر. انظر: الإصابة، ابن حجر (٥/٢٤٥).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٢٠٠)، رقم (١٨٤٩٠)، والطبراني في المعجـــم الكـــبير (١٨/٢٦١)، رقم (٦٥٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٦). وقال: فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث. قال عبد الملك بن سعيد ابن الليث: ثقة مأمون، وضعفه جماعه، وبقية رجاله ثقات.

بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة)[1].

وقال ﷺ: **(مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًالَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)**[2]. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "والمراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أم هدنة من سلطان أو أمان من مسلم"[3]. وقال الإمام القرافي -رحمه الله-: "اعلم أن عقد الجزية موجب؛ لعصمة الدماء، وصيانة الأموال والأعراض إلى غير ذلك مما يترتب عليه"[4]. قال الشيخ ابن ضويان -رحمه الله-: "ويحرم قتال أهل الذمة وأخذ أموالهم، ويجب على الإمام حفظهم ومنع من يؤذيهم؛ لأنهم إنما بذلوا الجزية لحفظهم وحفظ أموالهم"[5]. وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "والذميُّ معصوم ماله ودمه وذريته مقابل الجزية"[6].

ولذا نجد أن منهج الصحابة ﷺ راعى مبدأ حماية الإسلام لأهل الذمة والحفاظ على حقوقهم من الاعتداء عليها بغير وجه حق، فقد أعطى أبو عبيدة ﷺ الأمان لنصارى بعلبك[7]، وكتب لهم: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب أمان لفلان بن فلان، وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها على أنفسهم

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، ص٤٤٧، رقم (٣٠٥٢)، كتاب الخراج، باب: في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في بالتجارة. وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٨٠٧/١)، رقم (٤٤٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٦٠٧، رقم (٣١٦٦)، كتاب الجزية، باب: إثم من قتل معاهدًا.

(٣) فتح الباري (٢٧١/١٢).

(٤) الفروق (٦٩٥/٢).

(٥) منار السبيل (٢٨٧/١).

(٦) القول المفيد (٢٥٠/٣).

(٧) بعلبك: مدينة لبنانية تبعد عن بيروت ٩٠كلم. أطلس الفتوحات، المغلوث، ص٥١٠.

وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها... ومن أسلم منهم فله ما لنا وعليه ما علينا، ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج، شهد الله وكفى بالله شهيدًا...)[1].

كما أعطى عمرو بن العاص ﷺ الأمان لأهالي المدن الشامية، فعن بقية بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم قالوا: (ثم إن عمرو بن العاص فتح غزة[2] في خلافة أبي بكر ﷺ، ثم فتح سبسطية[3] ونابلس[4] على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، وعلى أن الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم)[5]. وحينما حاصر المسلمون حلبَ طلب أهلها الصلح والأمان على أنفسهم وأموالهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم، فأعطوا ذلك، وكان الذي صالحهم أبو عبيدة ﷺ، فعن عمر بن عبد الرحمن قال: (وأقبل خالد في طلب الروم حتى دخل أرض قنسرين[6]، فلما انتهى إلى حلب وجاء أبو عبيدة حتى نزل عليهم فطلبوا إلى المسلمين الصلح والأمان فقبل منهم أبو عبيدة، فصالحهم وكتب لهم أمانًا)[7].

---

(١) تقدم تخريجه ، ص١٤١.

(٢) غزة: مدينة في فلسطين. انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٥١٩.

(٣) سبسطية: بلدة من نواحي فلسطين. انظر: معجم البلدان،الحموي (٦٧/٣).

(٤) نابلس: مدينة مشهورة بفلسطين بين جبلين. انظر: المرجع السابق (٨٣/٥).

(٥) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٨٨. وجميع رواته ثقات، وفي سنده بقية بن الوليد مدلس. انظر: طبقات المدلسين (٤٩/١).

(٦) قنسرين: بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده، كانت هي وحمص مدينة واحدة، كان فتحها على يد أبي عبيدة بن الجراح سنة ١٧هـ. معجم البلدان، الحموي (٤٠٣/٤).

(٧) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢١٤.

ولم تكن مجرد وصايا، فقد راعى الصحابة رضي الله عنهم مبدأ حماية الإسلام لأهل الذمة والحفاظ على حقوقهم من الاعتداء عليها بغير وجه حق، فعَنْ أَبي الْجَنُوبِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: (أُتِيَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، قَالَ: فَقَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَجَاءَ أَخُوهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ: فَلَعَلَّهُمْ هَدَّدُوكَ أَوْ فَرَّقُوكَ أَوْ فَزَّعُوكَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ قَتْلُهُ لَا يَرُدُّ عَلَيَّ أَخِي، وَعَوَّضُونِي فَرَضِيتُ، قَالَ: أَنْتَ أَعْلَمُ، مَنْ كَانَ لَهُ ذِمَّتُنَا فَدَمُهُ كَدَمِنَا، وَدِيَتُهُ كَدِيَتِنَا)[1].

وكما حمى الإسلام النصارى من القتل حمى أبداهم من الضرب والتعذيب، فلا يجوز إلحاق الأذى بأجسامهم، حتى ولو تأخروا أو امتنعوا عن أداء الواجبات المالية المقررة عليهم، كالجزية والخراج، وقد حدثت بعض التجاوزات على أهل الذمة في بعض الأمصار في خلافة عمر رضي الله عنه دون علمه، وذلك حينما مرّ هشام بن حكيم بن حزام[2] على أناس من الأنباط[3] بالشام، قد أقيموا في الشمس، فقال: **ما شأنهم؟** قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن الله يعذّب الذين يعذّبون الناس في الدنيا)**[4]. **قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "ولا يحل تكليفهم ما لا**

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٦٢)، رقم (١٥٩٣٤)، والشافعي في مسنده (١/٣٤٤)، وقال البيهقي: أبوالجنوب ضعيف الحديث.

(٢) هشام بن حكيم بن حزام الاسدي، له صحبة ورواية، استشهد بأجنادين. انظر: الإصابة ، ابن حجر(٦/٤٢٢). سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/٥١).

(٣) الأنباط: فلاحو العجم. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/١٦٧).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص١٠٥١، رقم (٢٦١٣)، كتاب البر والصلة، باب: الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق.

يقدرون عليه ولا تعذيبهم على أدائها ولا حبسهم وضربهم"[1]. وأُتي عمر بن الخطاب ﷺ بمال كثير فقال: (إني لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا عفوًا صفوًا، قال: بلا سوط ولا نوط[2]؟ قالوا: نعم، قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني)[3]. وعن صعصة بن يزيد قال: (إن رجلًا سأل ابن عباس قال: إنَّا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة؟ قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال: نقول: ليس علينا بذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾[4] إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم)[5].

٩- صيانة القرآن أن يحفظه من ليس بأهله:

لا شك أن ذكر الله ﷻ له قداسته وحرمته، من أجل ذلك كان لا بد من صيانته ممن ليس من أهله، وقد ورد هذ الأمر في الشروط التي اشترطها نصارى الشام على أنفسهم، والتي منها: (ألا يعلموا أولادهم القرآن)[6]؛ وذلك صيانة للقرآن أن يحفظه من ليس من أهله ولا يؤمن به، بل هو كافر به، وهو ليس

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/١٣٧).

(٢) نوط: ناط الشيء ينوطه نوطًا، أي: علقه، والأنواط: المعاليق. انظر: معجم الصحاح، الجوهري، ص١٠٧٧، مادة: نوط.

(٣) أخرجه أبو عبيد في الأموال، ص٤٨، رقم (١١٤). وذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١/١٣٩). وفي سنده بقية بن الوليد مدلس عن الضعفاء والمجهولين. انظر: طبقات المدلسين (١/٤٩).

(٤) آل عمران، الآية: (٧٥).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/٩١)، رقم (١٠١٠٢)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر: عمدة التفسير من تفسير ابن كثير (١/٣٨٣).

(٦) تقدم تخريجه، ص١٢٣.

أهل أن يحفظه، ولا يمكن منه، فإن طلب أحد منهم أن يسمعه منهم فإن له أن يسمعه إياه؛ إقامة للحجة عليهم، ولعله أن يسلم(١).

١٠- مما يشرط على أهل الذمة ضيافة المسلمين:

حرص الإسلام على إكرام المسلم وإظهاره عزيزًا على غيره من أصحاب الديانات الأخرى؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢). ويتأكد إكرامه في حالة سفره وتعبه، ولذا اشترط الصحابة رضي الله عنهم على أهل الذمة في البلاد المفتوحة ضيافة من يمر بهم من المسلمين. قال الإمام ابن قدامة -رحمه الله-: "ويجوز أن يشرط عليهم في عقد الذمة ضيافة من يمر بهم من المسلمين"(٣). كما (شرط عمر حين ضرب الجزية على نصارى الشام ضيافة من نزل بهم، أي: من المسلمين)(٤). كما حدَّد عمر رضي الله عنه مدة الضيافة بيوم وليلة. عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: (إن عمر شرط على أهل الذمة ضيافة يوم وليلة..)(٥). وفي رواية أخرى بيَّن عمر رضي الله عنه أن هذه المدة قد تطول بسبب بعض الظروف الطارئة، حيث إنه: (اشترط على أهل الذمة ضيافة يوم وليلة؛ فإن حبسهم مطر أو مرض فيومين، فإن مكثوا أكثر من ذلك

---

(١) انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١٣٢٩/٣).

(٢) المنافقون، الآية: (٨).

(٣) المغني (٣٣٧/٩).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٥/٦٤)، وصححه الإمام ابن حجر في فتح الباري و لم يعزه لأحد (١٣٠/٥)، وقال: صحيح.

(٥) أخرجه الخلال في أحكام أهل الملل، ص٣٦١، رقم (١٠٠٤). وذكره الإمام ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١٣٣٨/٣)، وقال الألباني: حديث حسن. إرواء الغليل (١٠٢/٥)، رقم (١٢٦٢).

أنفقوا من أموالهم؛ ويكلفون ما يطيقون)[١].

وقد أحل الله ﷻ للمسلمين طعام أهل الكتاب بما لا يخالف الشرع وذلك بنص القرآن، فقال سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾[٢]. ولم يختلف السلف أن المراد بذلك الذبائح[٣] ويدخل فيها ما سواها من أنواع الأطعمة. قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "ولا خلاف بين العلماء أن ما لا يحتاج إلى ذكاة كالطعام الذي لا محاولة فيه كالفاكهة والبر جائز أكله؛ إذ لا يضر فيه تملك أحد"[٤]. وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:" وشرط عمر رضي الله عنه ضيافة من يمر بهم من المسلمين. وقال: أطعموهم مما تأكلون، وقد أحل الله ﷻ ذلك في كتابه"[٥].

وإذا نزل الذميُّ عند المسلمين، فيتأكد حقه في الضيافة ودعوته إلى الإسلام وإظهار محاسنه. قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-:" وتجب الضيافة على المسلم للمسلمين والكفار"[٦].

١١- إسقاط الجزية عمن أسلم من النصارى:

إن الجزية وضعت في الأصل؛ إذلالًا للنصارى وصغارًا، فلا تجامع الإسلام

---

(١) أخرجه الخلال في أحكام أهل الملل، ص٣٦١، رقم (١٠٠٥). وذكره الإمام ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١٣٣٨/٣)، وقال محقق الكتاب: وهذا إسناد رجاله ثقات، رجاله رجال الشيخين.

(٢) النساء، الآية: (٥).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/ ٢١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣٧/٦).

(٥) إغاثة اللهفان (٦٥/١).

(٦) أحكام أهل الذمة (١٣٤٢/٣).

بوجه، ولأنها عقوبة فهي تسقط بالإسلام، فإذا كان الإسلام يهدم ما قبله من الشرك والكفر والمعاصي، فكيف لا يهدم ذل الجزية وصغارها؟ قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "ومن أسلم سقطت عنه الجزية سواء أسلم في أثناء الحول أو بعده"[١]. وحدث ذلك في عصر عمر ابن الخطاب ﷺ حينما أسلم رجل من أهل الذمة، وكانت تؤخذ منه الجزية، فأتى عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين، أسلمت والجزية تؤخذ مني. فقال: (لعلك أسلمت متعوِّذًا[٢]؟ فقال: أما في الإسلام ما يعيذني؟ قال: فكتب أن لا تؤخذ منه الجزية)[٣]. وأسلم دهقان[٤] على عهد علي ﷺ فقال له علي ﷺ: (إن أقمت في أرضك رفعنا عنك جزية رأسك، وأخذناها من أرضك، وإن تحولت عنها فنحن أحق بها)[٥].

١٢- التحذير من قتال مَنْ لا يُقاتِل من النصارى:

لقد كان من منهج الصحابة ﷺ مع النصارى، عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ؛ اقتداء بمنهج النبي ﷺ في ذلك، حينما وجد امرأة في بعض مغازيه مقتولة (**فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان**)[٦]. واتضح ذلك المنهج في وصايا الخلفاء للقادة في الحروب، فعن أسلم مولى عمر -رضي الله عنهما-:

---

(١) المرجع السابق (١٧٦/١).

(٢) متعوذًا: فارًا من القتل أو الجزية. انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم(١٧٨/١).

(٣) أخرجه أبوعبيد في الأموال، ص١٢٣، رقم (١٢٢). وقال الألباني: "رجاله ثقات وإسناده حسن أو قريب منه". إرواء الغليل (١٠٠/٥)، رقم (١٢٥٩).

(٤) دهقان: رئيس إقليم أو ناحية، والدهقان بفتح الحاء التاجر. الأموال، أبو عبيد، ص٥٢.

(٥) أخرجه أبو عبيد في الأموال، ص٥٢، رقم (١٢٢). وذكره الإمام ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١٧٨/١)، وقال محقق الكتاب: إسناده منقطع.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٧٧، رقم (٣٠١٤)، كتاب الجهاد والسير. باب: قتل الصبيان في الحرب.

(أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد أن يقاتلوا في سبيل الله ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم، ولا يقتلوا النساء ولا الصبيان، ولا يقتلوا إلا من جرت عليه المواسي[1])[2]. قال الإمام النووي -رحمه الله-: "النهي عن قتل صبيان الحرب وهو حرام إذا لم يقاتلوا، وكذلك النساء فإن قاتلوا جاز قتلهم"[3]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة،كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن ونحوهم، فلا يُقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله"[4].

وقال الإمام ابن قدامة -رحمه الله-: "ومن قاتل من هؤلاء النساء المشايخ والرهبان في المعركة قتل لا نعلم فيه خلافًا، وبهذا قال الأوزاعي والثوري والليث والشافعي"[5].

ونهى الإسلام عن قتال النساء والأطفال يدل أن القتال ليس لأجل الإسلام، ولكنه لحماية الإسلام، ولو كان لأجل الإسلام لقتلناهم[6].

١٣- النهي عن أخذ الجزية من النساء والذريَّة:

من سماحة الإسلام ورحمته بالنصارى أن أسقط أخذ الجزية عن نسائهم وأطفالهم. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "ولا جزية على صبي ولا امرأة ولا

---

(١) المواسي: يعني من أنبت. الأموال، ص١١١. فتوح البلدان، البلاذري، ص٨٠.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/١٩٥)، رقم (١٨٤٦٣)، وأبو عبيد في الأموال، ص٤١، رقم (٩٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٤٢٩)، رقم (٣٢٦٤٠). وذكره الإمام ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١/١٥٠)، وقال محقق الكتاب: الأثر إسناده صحيح ورجاله رجال الشيخين".

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١٩١).

(٤) الجهاد (٢/١٨).

(٥) المغني (١٠/٥٣٤).

(٦) القول المفيد (٣/ ٢٤٦).

مجنون"[1]. ولذا كان الخلفاء من الصحابة ﷺ ينهون القادة والأمراء عن أخذها من هذه الفئة المذكورة، فقد كتب عمر ﷺ إلى أمراء الأجناد: (ألا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسي ولا تضرب الجزية على النساء والصبيان)[2]. قال أبو عبيد -رحمه الله-: "وهذا الحديث هو الأصل فيمن تجب عليه الجزية، ومن لا تجب عليه، إلا تراه جعلها على الذكور المدركين دون الإناث والأطفال؟"[3].

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "ولا جزية على صبي ولا امرأة ولا مجنون، هذا مذهب الأئمة الأربعة وأتباعهم"[4]. كما قال الإمام مالك -رحمه الله-: "مضت السنة أن لا جزية على نساء أهل الكتاب، ولا على صبيانهم، وأن الجزية لا تؤخذ إلا من الرجال الذين قد بلغوا الحلم..."[5].

١٤- من شروط عقد الذمة إلزام النصارى بالغيار:

لقد كان من منهج الصحابة ﷺ إلزام أهل الذمة في البلاد الإسلامية المفتوحة بالغيار، وهو نوع من اللباس يلبسه أهل الذمة مغاير عن لباس المسلمين وهيئتهم وكلامهم وكناهم ومراكبهم، وهذا هو أصل الغيار الذي فرضه عمر بن الخطاب ﷺ على أهل الذمة؛ وذلك حتى يصيروا مستذلين ممتهنين بكفرهم، ولإظهار علو الإسلام وعزته، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/١٤٩).

(٢) أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/٢٣٩)، رقم (٣٣٣٠٤)، وأبو عبيد في الأموال بنحوه، ص٤١، رقم (٩٣). وصححه الألباني في الإرواء (٥/٩٥)، رقم (١٢٥٥).

(٣) الأموال، ص١١١.

(٤) أحكام أهل الذمة (١/١٤٩).

(٥) الموطأ، ص١٩٣.

﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "ويأخذون من اللباس والهيئة بما يبينون به من المسلمين، ويُمنعون من التشبه بأهل الإسلام"[2].

وقد ورد الغيار من ضمن بنود المعاهدة مع نصارى الشام إذ جاء فيها: (وأن نلزم زينا حيثما كنا، وأن لا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة[3] ولا عمامة[4] ولا نعلين[5] ولا فرق شعر[6] ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، وألا نتكنى بكناهم، وأن نجز مقادم رؤوسنا[7]، ولا نفرق نواصينا[8]، ونشد الزنانير[9] على

---

(١) المنافقون، الآية: (٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٠٤).

(٣) قلنسوة: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال. قال الإمام ابن القيم:"فيمنعون من لبسها؛ لما كان رسول الله ﷺ وصحابته يلبسونها، ولم يزل لبسها عادة الأكابر من العلماء والفقهاء والقضاة". أحكام أهل الذمة (٣/١٢٦٦).

انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٧٥٤). القاموس المحيط، الفيروز آبادي،ص٥٦٧، مادة: قلست.

(٤) قال الإمام ابن القيم: "قال أبو القاسم: والعمامة يمنعون من لبسها والتعمم بها، إن العمائم تيجان العرب... ولبسها الرسول ﷺ والصحابة من بعده...فهي لباس الإسلام". أحكام أهل الذمة (٣/١٢٦٧).

(٥) قال الإمام ابن القيم: "أي لا نتشبه بهم في نعالهم، بل تكون نعالهم مخالفة لنعال المسلمين؛ ليحصل كمال التمييز وعدم المشابهة في الزي الظاهر؛ ليكون ذلك أبعد من المشابهة في الزي الباطن". المرجع السابق (٣/١٢٨٢).

(٦) والفرق هو أن يقسم شعر الرأس نصفين بالسوية، وهذا من فعل النبي ﷺ فلا يمكن منه أهل الذمة. انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم (٣/١٢٨٩).

(٧) قال الإمام ابن القيم: "وقد وسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ من على رأسه شعر من أهل الذمة بوسم ينبغي اتباعه، وهو أن تجز نواصيهم، والناصية مقدار ربع الرأس، فإذا كان ربعه محلوقًا كان علمًا ظاهرًا وأمرًا مشهورًا أنه ذمي". المرجع السابق (٣/١٢٨٩).

(٨) نواصينا: جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس إذا طال. انظر: المعجم الوسيط (٢/٩٢٧)، مادة: نصو.

(٩) الزنانير: جمع زنار، وهو حزام يشده النصراني على وسطه. انظر: المرجع السابق (١/٤٠٣)، مادة: زنر.

أوساطنا..)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وهذه الشروط قد ذكرها أئمة العلماء من أهل المذاهب المتبوعة في كتبهم واعتمدوها، فقد ذكروا أن على الإمام أن يلزم أهل الذمة بالتميز عن المسلمين في لباسهم وشعورهم وكناهم وركوبهم، بأن يلبسوا أثوابًا تخالف ثياب المسلمين"[2]. وقال الإمام ابن القيم: "وقد اتفق علماء المسلمين على وجوب إلزامهم بالغيار، وأنهم يمنعون من التشبه بالمسلمين في زيِّهم"[3]. كما بيَّن الإمام ابن القيم-رحمه الله- الحكمة في فرض الغيار على النصارى، فقال: "ولُيفرق بين المسلمين وبينهم في الشبه والزي؛ ليتميز ذوو الهداية والرشد من ذوي الضلالة والبغي، وليوسموا بالغيار وشد الزنار وإزالة ما على المسلمين من تشبههم هم من العار، ولُيؤمروا بأن يغيروا من أسمائهم ما يختص به أهل الإيمان كمحمد وأحمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكذلك الكنى المختصة بالمسلمين كأبي علي وأبي الحسن وأبي عبد الله وأبي الحسين، فلتغير هذه الأسماء بما يليق بهم ويصلح لهم... وجملة الأمر أن ينتهي فيهم إلى قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾[4])[5]. وليس المقصود من الغيار والتمييز في اللباس وغيره مجرد تمييز الكافر عن المسلم بل هو من جملة المقاصد، والمقصود الأعظم ترك الأسباب التي تدعو إلى موافقتهم ومشابهتهم باطنًا، والنبي ﷺ سنَّ لأمته ترك التشبه هم بكل طريق[6]. كما أن إلزام

(١) تقدم تخريجه، ص١٢٢.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/٦٥٤).

(٣) أحكام أهل الذمة (٣/١٢٩٩).

(٤) المجادلة، الآية: (٢٠).

(٥) أحكام أهل الذمة (١/٤٩٣).

(٦) انظر: المرجع السابق (٣/١٢٨٥).

النصارى بالغيار مترتب على ضابط المصالح والمفاسد في الإسلام. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:" ومن تأمَّل سيرة النبي ﷺ وأصحابه في تأليفهم الناس على الإسلام بكل طريق تبيَّن له حقيقة الأمر، وعلم أن كثيرًا من هذه الأحكام التي ذكرناها من الغيار وغيره تختلف باختلاف الزمان والمكان والعجز والقدرة والمصلحة والمفسدة"[1].

(١) أحكام أهل الذمة (٣/١٣٢١).

المطلب الثالث

موضوع دعوة الصحابة ﷺ لعامة الناس من النصارى المتعلقة بالأخلاق

تمثلت موضوعات دعوة الصحابة ﷺ لعامة الناس من النصارى في مجال الأخلاق في النواحي الآتية:

١- الرفق:

حرص الصحابة ﷺ على الرفق بعامة الناس من النصارى، وكان هذا الرفق يتمثل بوصية الخلفاء لقادة الجيوش بالنهي عن قتال من لا يقاتل، ومن ذلك وصية أبي بكر ﷺ لأمرائه حينما بعثهم إلى الشام، حيث قال ليزيد ﷺ: (وإني موصيك بعشر لا تقتلن امرأة ولا صبيًّا ولا كبيرًا هرمًا)[1] . وكان من رفق عمر ﷺ التلطف في خطاب عامة الناس، ومن ذلك دعوته للعجوز النصرانية حين قال لها: (أسلمي تسلمي)[2].

٢- العدل:

التزم الصحابة ﷺ بحماية أهل الذمة من كل ظلم يمس حقوقهم المقررة، أو حرماتهم المصونة، أو حرياتهم المكفولة، ومن شواهد فعل الصحابة ﷺ حينما خرج علي ﷺ إلى السوق فإذا هو بنصراني يبيع درعًا فعرف علي الدرع، فقال له: هذه درعي وبيني وبينك قاضي المسلمين،...اقض بيني وبينه يا شريح. فقال: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال عليٌّ: هذه درعي ذهبت مني منذ زمان. فقال شريح: ما تقول يا نصراني؟ فقال: ما أكذب أمير المؤمنين! الدرع درعي. فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده، فهل لك بينة؟ فقال علي: صدق شريح.

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٢٦.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٤٣.

فقال النصراني: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المـؤمنين يجيء إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، هي والله يا أمير المؤمنين درعك، اتبعتك مع الجيش وقد زالت عن جملك الأورق فأخذتها، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ. فقال علي: أما إذ أسلمت فهي لك..)[١]. ومن هذا الموقف يتبيَّن اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بإقامة العدل مع النصارى، وأن لذلك تأثير عجيب في دخولهم الإسلام.

٣- مراعاة أحوال المدعوين:

إن اهتمام الصحابة ﷺ بالدعوة إلى الإسلام ونشره في البلاد المفتوحة لم يجعلهم يغفلون عن مراعاة حال المدعوين من عامة النصارى. قال الأوزاعي -رحمه الله-: (كتب عمر بن الخطاب في أهل الذمة أن من لم يطق منهم فخففوا عنه ومن عجز فأعينوه)[٢]. وقال أيضا: (إن كانت الجزية بالشام في بدء الأمر جريًا ودينارًا على كل جمجمة، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الورق أربعين درهمًا، وجعلهم طبقات لغنى الغني وإقلال المقل وتوسط المتوسط)[٣]. قال الإمام أبو عبيد -رحمه الله-: "الجزية والخراج إنما هما على قدر الطاقة من أهل الذمة"[٤]. وقال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "جواز التفاوت في الجزية، وأقل الجزية دينار عند الجمهور، دينار لكل سنة، وخصه الحنفية

---

(١) تقدم تخريجه، ص١١.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٣/٢).

(٣) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٨٠. وفيه الوليد بن مسلم ثقة كثير التدليس. انظر: طبقات المدلسين، ابن حجر (٥١/١).

(٤) الأموال، ص١١٦.

بالفقير، وأما المتوسط فعليه ديناران وعلى الغني أربعة"[١].

وقد اعترف النصارى أنفسهم بأن الجزية كانت يسيرة عليهم، فحينما طال حصار دمشق على أهلها، (بعثوا إلى قيصر وهو بأنطاكية[٢] رسلًا يقولون له: إن العرب قد حاصرونا، وليست لنا بهم طاقة، وقد قاتلناهم مرارًا فعجزنا عنهم، فإن كان لك فينا وفي السلطان علينا حاجة فامددنا وأعنا، وإلا فإنا في ضيق وجهد فاعذرنا، وقد أعطانا القوم الأمان ورضوا منا بالجزية اليسيرة)[٣].

٤- الوفاء بالعهد:

حرص الصحابة ﷺ على الوفاء بالعهد مع أهل الذمة من النصارى، ولعل من أروع المواقف الدالة على ذلك، عن عمرو بن عبسة السلمي ﷺ[٤] قال: (كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير في بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدرٌ فنظروا، فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من كان بينه وبين قوم عهدٌ فلا يشدّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء**)، فرجع معاوية[٥].

---

(١) اتحاف القاري (٧٠٨/٢).

(٢) أنطاكية: بلد عظيم من الثغور الشامية، موصوفة بطيب الهواء وعذوبة الماء، وسعة الخير. انظر: معجم البلدان، (٢٦٩/١).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٧/٢).

(٤) عمرو بن عبسة أبو نجيح السلمي، أحد السابقين إلى الإسلام، كان من أمراء الجيش في اليرموك، مات في أواخر خلافة عثمان وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة، ابن حجر (٥٤٥/٤).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، ص٤٠١، رقم (٢٧٥٩)، كتاب الجهاد، باب: في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير نحوه. وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٤٧٢/٥)، وقال: إسناده صحيح رجاله ثقات.

٥- التسامح:

تجلت سماحة الصحابة ﷺ مع عامة الناس من النصارى في جوانب متعددة في الحياة، وهي تبين مدى عظمة الدين الإسلامي ويسره وسهولته، ومن تلك الجوانب:

أ- استعمال مياه النصارى والوضوء منها:

يدل عليه قول الإمام البخاري -رحمه الله-: (وتوضأ عمر بالحميم[١]، ومن بيت نصرانية)[٢]. قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "وفيه دليل على جواز استعمال مياه أهل الكتاب"[٣].

ب- شهود جنائز ذوي القربى من النصارى:

ويشهد لذلك ما رواه أبو وائل قال: (ماتت أمي نصرانية فأتيت عمر ﷺ فسألته، فقال: (اركب في جنازتها وسر أمامها)[٤]. وبما ذكره سعيد بن جبير قال: (سألت ابن عباس -رضي الله عنهما- عن رجل مات أبوه نصرانيا، قال: يشهده ويدفنه)[٥].

---

(١) بالحميم: أي بالماء المسخن. فتح الباري، ابن حجر (٣٩٩/١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٦٢، رقم (١٩٣)، كتاب الوضوء، باب: وضوء الرجل مع امرأته.

(٣) إتحاف القاري، العدوي (١٧٧/١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢/٣)، رقم (١١٨٤٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٧/٦)، رقم (٩٩٢٧)، والخلال في أحكام أهل الملل، ص٢١٨، رقم (٦٢٢). وذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٤٣٣/١). وإسناده ضعيف من أجل عامر بن شقيق ضعيف الحديث. انظر: الجرح والتعديل (٣٢٢/٦).

(٥) أخرجه الخلال في أحكام أهل الملل، ص٢٢٠، رقم (٦٢٨)، وذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٤٣٧/١). وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

قال الإمام النووي –رحمه الله–: "لا يكره للمسلم اتباع جنازة قريبه الكافر، نص عليه الشافعي"[1]. أما إذا لم يكن النصراني من ذوي القربى، فإنه لا ينبغي لمسلم أن يشيع جنازة كافر، أو يتبعها، أو يشارك في دفنها، ولو كان جارًا له، بل عليه أن يترك كل ذلك لأهل دينه. هذا مذهب جمهور أهل العلم. وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– تعالى" عن قوم مسلمين مجاوري النصارى فهل يجوز للمسلم إذا مرض النصراني أن يعوده؟ وإذا مات أن يتبع جنازته؟... فأجاب: الحمد لله رب العالمين. لا يتبع جنازته. وأما عيادته فلا بأس بها، فإنه قد يكون في ذلك مصلحة لتأليفه على الإسلام، فإذا مات كافرًا فقد وجبت له النار، ولهذا لا يصلى عليه. والله أعلم"[2].

ج- نكاح نساء النصارى:

إن من جوانب السماحة في منهج الصحابة ﷺ، ما شرعه الإسلام من نكاح النصرانيات، وذلك بنص القرآن. قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾[3] قال الإمام ابن الجوزي –رحمه الله–: "وهذه الآية أباحت نكاح الكتابية. وقد روي عن عثمان أنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية[4]... وقد روي عن عمر، وابن

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب (٥/٢٨١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/٢٦٥).

(٣) المائدة، الآية: (٥).

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٧/١٧٢)، رقم (١٣٧٥٩)، وذكره ابن الملقن في البدر المنير (٧/٦٢٢)، وقال: إسناده صحيح. ونص الأثر: (عن عثمان أنه نكح ابنة الفرافصة الكلبية وهي نصرانية =

عمر كراهة ذلك"[1].

ومن العلماء من يبيح النكاح من الذمية فقط. قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "قيل: المراد الذميات دون الحربيات[2]؛ لقوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾[3] الآية. وقد كان عبد الله بن عمر ﷺ لا يرى التزويج بالنصرانية، ويقول: لا أعلم شركًا أعظم من أن تقول: إن ربها عيسى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ ﴾[4] وعن أبي مالك الغفاري قال: نزلت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ ﴾[5] قال: فحجز الناس عنهن، حتى نزلت الآية التي بعدها ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[6]. فنكح الناس نساء أهل الكتاب وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى و لم يروا في ذلك بأسًا؛ أخذًا بهذه الآية الكريمة"[7].

وقد يحتج النصارى بصحة دينهم بناءً على جواز نكاح نسائهم، وقد بيَّن ذلك

=

على نسائه ثم أسلمت على يديه).

(١) زاد المسير (٢/٢٩٦). وانظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم (٢/٧٩٤).

(٢) وهذا ما ذهب إليه ابن عباس ﷺ. انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/٣٨). زاد المسير، ابن الجوزي (٢/٢٩٦).

(٣) التوبة، الآية: (٢٩).

(٤) البقرة، الآية: (٢٢١).

(٥) البقرة، الآية: (٢٢١).

(٦) المائدة، الآية: (٥).

(٧) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٢). قال الشيخ ابن باز:" أن آية المائدة مخصصة لآية البقرة، والخاص يقضي على العام، ويقدم عليه، كما هو معروف في الأصول، وهو مجمع عليه في الجملة، وهذا هو الصواب". مجموع الفتاوى (٢١/٦٢).

الإمام القرطبي -رحمه الله- فقال:" لما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[(١)] قال نساء أهل الكتاب: لولا أن الله تعالى رضي ديننا، لم يبح لكم نكاحنا، فنزلت: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[(٢)] أي: بما أنزل على محمد.. ﴿ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾"[(٣)].

ونختم هذه المسألة بكلام الشيخ ابن باز -رحمه الله- إذ قال: (ترك نكاحهن والاستغناء عنهن بالمحصنات من المؤمنات أولى وأفضل؛ لما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ وابنه عبد الله وجماعة من السلف الصالح ﷺ، ولأن نكاح نساء أهل الكتاب فيه خطر ولا سيما في هذا الزمان الذي استحكمت فيه غربة الإسلام، وقلَّ فيه الرجال الصالحون الفقهاء في الدِّين، وكثر فيه الميل إلى النساء، والسمع والطاعة لهن إلا ما شاء الله، فيخشى على الزوج أن تجره زوجته إلى دينها وأخلاقها. كما يخشى على أولاده منها من ذلك)[(٤)].

---

(١) المائدة، الآية: (٥).

(٢) المائدة، الآية: (٥).

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي (٢٩٧/٢). وللاستزادة انظر: فقه المتغيرات،سعد العتيبي (٧٥٢/٢).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٧٤/٤).

الفصل الثاني

وسائل الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام وأساليبهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وسائل الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

المبحث الثاني: أساليب الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام.

تمهيد:

لقد كان من منهج صحابة رسول الله ﷺ بذل ما في وسعهم لتبليغ مضمون الدعوة إلى النصارى بشتى الوسائل والأساليب المناسبة؛ رغبة منهم في هدايتهم وإخراجهم من ظلمات الكفر واضطهاد الرومان إلى نور الإسلام وعدله وسماحته.

وللوسائل والأساليب أهمية بالغة في الدعوة إلى الله ﷻ، إذ هي ركن من أركانها، وهي من عناصر المنهج الدعوي وآليات تنفيذه.

ولما كان هناك علاقة وثيقة بين الوسائل والأساليب وارتباط بينهما من حيث المفهوم والتطبيق، أحببت التعريف الموجز بكل منهما على النحو الآتي:

أولا: تعريف الوسائل:

في اللغة: "المنزلة عند الملك، والدرجة، والقربة، ووسل إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً تقرب به إليه"[(١)]، والوسيلة "ما يُتقرب به إلى الغير"[(٢)]. "والوسيلة: الوصلة والقربى، وجمعها الوسائل"[(٣)].

وفي الاصطلاح: "هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود"[(٤)]. وعرف بعضهم الوسيلة الدعوية بأنها: "ما يستعمله الداعية من إمكانات حسية في الغالب لكي يوصل بها الدعوة إلى الآخرين وفق الضوابط الشرعية"[(٥)].

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص١٠٦٨.مادة: وسل.

(٢) معجم الصحاح، الجوهري، ص ١١٣٩، مادة: وسل.

(٣) لسان العرب، ابن منظور (١١/ ٧٢٤)، مادة: وسل.

(٤) تفسير القران العظيم، ابن كثير (٢/٥٥).

(٥) دعوة المسلمين للنصارى، الرومي (٢/٤٤١).

ثانيًا: تعريف الأساليب:

في اللغة: "الأسلوب بضم الهمزة الطريق والفن"[1]. "يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي في فنون منه"[2] "والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب.. ويجمع أساليب"[3].

في الاصطلاح: "الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها من الأمور المعنوية الفنية وأنواع المسالك التأثيرية، وهي في الغالب غير حسية"[4].

ونلحظ من هذه التعريفات أن الفرق بين الوسائل والأساليب دقيق، فالوسائل تأخذ شكل الأدوات والأوعية الحسية والمعنوية؛ لنقل مضمون الدعوة. أما الأساليب فهي تأخذ شكل الصيغ والتعبيرات والشكل الذي يتم به الأداء، والله أعلم.

---

(١) المصباح المنير، الفيومي، ص١٠٨، مادة: سلب.

(٢) معجم الصحاح، الجوهري، ص٥٠٤، مادة: سلب.

(٣) لسان العرب، ابن منظور (٣٧٤/١) مادة: سلب.

(٤) منهج ابن تيمية في الدعوة، الحوشاني (٥٤٣/٢).

المبحث الأول

وسائل الصحابة ﭬ في دعوة النصارى إلى الإسلام

إن من سنة الله تعالى في خلقه أن المقاصد لا تحصل إلا بالوسائل، والغايات لا تتحقق إلا بالأسباب الموصلة إليها، سنة الله في خلقه، ولذلك أمر الله ﻷ بمباشرة الوسائل واتخاذ الأسباب. قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1]. ومن هذا المنطلق ظهرت عناية الصحابة ﭫ بمنهج تبليغ الدعوة إلى الإسلام في البلاد المفتوحة، إلى أصناف مختلفة من النصارى، بوسائل قوليَّة وعملية؛ تطبيقًا لقول الله ﻷ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[2]، ووفقًا لما ذُكر تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

---

(١) الأنفال، الآية: (٦٠).

(٢) فصلت، الآية: (٣٣).

المطلب الأول

وسائل الصحابة ﷺ القوليَّة في دعوة النصارى إلى الإسلام

ويتضمن مايلي:

١- الحوار ٢- الخطبة ٣- الكتابة.

٤- الدعوة الجماعية. ٥- الدعوة الفردية. ٦- الترجمة.

المطلب الثاني

وسائل الصحابة ﷺ العمليَّة في دعوة النصارى إلى الإسلام

ويتضمن مايلي:

١- بعث الدعاة ٢- الصلاة. ٣- الهدية.

٤- القدوة الحسنة. ٥- التخطيط. ٦- الحصار.

٧- السفر. ٨- الاستعانة بالأعوان.

٩- تأليف القلوب. ١٠- تعليم المسلم الجديد.

١١- إظهار الفخر والقوة. ١٢- الإقامة.

١٣- ركوب البحر. ١٤- اتخاذ الألوية والرايات.

١٥- الجهاد.

المطلب الأول

وسائل الصحابة ﷺ القوليَّة في دعوة النصارى إلى الإسلام

استخدم الصحابة ﷺ مجموعة من الوسائل القوليَّة التي تتعلق بمهمة تبليغ الإسلام للنصارى في البلاد المفتوحة، وكما هو معلوم أن للقول[1] أهمية كبرى في الدعوة إلى الله تعالى سواء كان هذا القول ملفوظًا أم مكتوبًا أم مقروءًا، حيث جعل الله ﷻ أحسن الأقوال الدعوة إليه سبحانه. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[2]. كما أن القول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الناس، وهو وسيلة الرسل -عليهم السلام أجمعين- فقد قال أغلب الرسل: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[3].

وكان من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام **استخدام وسائل قوليَّة متنوعة، منها:**

١- الحوار[4]:

إن الحوار وسيلة ناجحة في الدعوة إلى الإسلام، وله أثر إيجابي على واقع

---

(١) القول: لغة: الكلام. اصطلاحًا: هو كل لفظ مُفهم نطق به اللسان، ويقابله الصمت والسكوت. المدخل إلى علم الدعوة، البيانوني، ص٣١١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٧٦٧/٢).مادة: قال.

(٢) فصلت، الآية: (٣٣).

(٣) الأعراف، الآية: (٥٩).

(٤) شاعت بين الناس ألفاظ تتشابه مع الحوار وقريبة منه، كالمناظرة، والمجادلة، وبينهما فرق، **فالحوار:** هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين يغلب عليه الهدوء والرغبة في الوصول إلى الحق والبعد عن التعصب والخصومة. أما **المناظرة:** فهي تردد الكلام بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق. أما **الجدال:** المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة؛ لإلزام الخصم عن فساد قوله بحجة أو شبهة. انظر: الحوار آدابه وضوابطه، ص٣١. مناهج الجدل، الألمعي،ص٣٠.

الحياة. كما أنه سبيل للدفاع عن الدِّين ورد شبهات الطاعنين، وقد ظهرت الحاجة إلى الحوار في كل زمان، وكثر وقوعه من الأنبياء -عليهم السلام- والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، حيث كان عصرهم حافلًا بالعلاقات مع النصارى؛ نتيجة لامتداد الفتح الإسلامي في الشام ومصر وما وراءهما، وكان يتخلل هذه الفتوح وقفات علمية تكون فيها مناقشات وحوارات حول موقف الإسلام من النصرانية والنصارى. ومن تلك الحوارات؛ حوار خالد بن الوليد ﷺ مع جرجة قائد النصارى في معركة اليرموك، عن خالد وعبادة قالا: (خرج جرجة حتى كان بين الصفين، ونادى: ليخرج إليَّ خالد، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه، فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما[(١)]، وقد أمن أحدهما صاحبه، فقال جرجة: يا خالد، اصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني، فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله[(٢)]. هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه، فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟ قال: لا. قال: فبم سميت سيف الله؟ فقال له: إن الله عز وجل بعث فينا نبيه ﷺ، فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعًا. ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله. ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا، فهدانا به فتابعناه. فقال: أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين! ودعا لي بالنصر. فسميت سيف الله بذلك. فأنا من أشد المسلمين على المشركين. قال: صدقتني، ثم أعاد عليه جرجة: يا خالد، أخبرني إلام تدعوني؟ قال: إلى شهادة

---

(١) اختلفت أعناق دابتيهما: تقابلت دابتيهما بالرؤوس حتى اقترب بعضها من بعض.

(٢) المسترسل بالله: الاسترسال الاستئناس والطمأنينة إلى الإنسان والثقة به فيما يُحدثه به، وأصله السكون والثبات. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ص٣٥٥.

أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم، قال: فإن لم يعطها، قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله، قال: فما منـــزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منـــزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا. ثم أعاد عليه جرجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مـــا لكـــم مـــن الأجـــر والذخر[1]؟ قال: نعم، وأفضل، قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ قال: إنا دخلنا في هذا الأمر، وبايعنا نبينا ﷺ وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار الســـماء ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع مـــا سمعنـــاه، أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، و لم تسمعوا ما سمعنا من العجائـــب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضـــل منـــا. قـــال جرجة: بالله لقد صدقتني و لم تخادعني و لم تألفني! قال: بالله، لقد صدقتك ومـــا بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة، وإن الله لولي ما ســـألت عنـــه. فقـــال: صدقتني، وقلب الترس[2] ومال مع خالد، وقال: علِّمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه[3]، فشن عليه[4] قربة من ماء، ثم صلى ركعتين..)[5].

اتضح في هذا الحوار الصدق والصراحة في الحوار مع القائد النصراني جرجة،

---

(١) الذخر: ذخر الشيء ذخرًا أعده لآخرته ودنياه، والاسم الذخر. الأفعـــال، علـــي الســـعدي (١/٣٨٨).

(٢) الترس: من السلاح المتوقى بها.ا كان يُتوقى به في الحرب. لسان العرب، ابن منظور (٦/٣٢). مادة: ترس.

(٣) فسطاطه: الفسطاط بيت يتخذ من الشعر. المعجم الوسيط (٢/٦٨٨)، مادة: الفسطاط.

(٤) فشن عليه: أي صبه صبا وفرقه. انظر: لسان العرب، ابن منظور (١٣/ ٢٤٢). مادة شنن.

(٥) تقدَّم تخريجه، ص٧٩.

مما ساعد على إسلامه وجهاده ضد العدو، فقد جاء في آخر الأثر: (فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح[1] الشمس للغروب، ثم أصيب جرجة و لم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما)[2].

ومن الأمثلة كذلك، حوار أبي عبيدة ﷺ مع رسول ملك الروم قبيل معركة اليرموك، قال الرومي: (متى دخلتم في هذا الدين؟ ومتى دعوتم إليه الناس؟ فقال أبو عبيدة: دعينا إليه منذ بضع وعشرين سنة، فمنا من أسلم حين أتاه الرسول، ومنا من أسلم بعد ذلك. فقال: هل كان رسولكم أخبركم أنه يأتي من بعده رسول؟ فقال: لا، ولكنه أخبرنا أنه لا نبي بعده، وأخبرنا أن عيسى ابن مريم قد بشر به قومه. قال الرومي: وأنا على ذلك من الشاهدين أن عيسى ابن مريم قد بشرنا براكب الجمل، وما أظنه إلا صاحبكم، وقال الرومي: أخبروني عن قول صاحبكم في عيسى ابن مريم ما كان؟ وما قولكم أنتم فيه؟ قال أبو عبيدة: قول صاحبنا قول الله ﷻ، وهو أصدق القول وأبره. قال الله ﷻ في عيسى ابن مريم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن

(١) جنوح الشمس: ميلانها. انظر: معجم الصحاح،الجوهري، ص١٩٢، مادة: جنح.

(٢) تقدم تخريجه، ص٧٩.

يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [1] فلما فسَّر له الترجمان هذا بالرومية وبلغ هذا المكان قال: أشهد أن هذه صفة عيسى، وأن نبيكم صادق، وأنه الذي بشرنا به عيسى، وأنكم قوم صدق، وقال لأبي عبيدة: ادع لي رجلين من أول أصحابك إسلامًا وهما فيما ترى أفضل من معك، فدعا أبو عبيدة معاذ بن جبل وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[2]، فقال: هذان من أفضل المسلمين فضلًا ومن أول المسلمين إسلامًا. فقال لهما الرومي ولأبي عبيدة: أتضمنون لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم؟ فقالوا له: نعم. إن أنت أسلمت واستسلمت و لم تغير حتى تموت وأنت على ذلك، فإنك من أهل الجنة. فقال: فإني أشهدكم أني من المسلمين فأسلم وفرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ودعوا له بخير)[3]. وإن المتأمل لهذه الحوارات الرائعة من الصحابة ﷺ يلحظ أنهم أخذوا بمقومات الحوار الناجح القائم على الصدق، وذلك حينما قال جرجة لخالد بن الوليد ﷺ: (بالله لقد صدقتني و لم تخادعني و لم تألفني! قال: بالله، لقد صدقتك). وحينما قال الرومي لأبي عبيدة ﷺ: (أشهد أن هذه صفة عيسى، وأن نبيكم صادق، وأنه الذي بشرنا به عيسى، وأنكم قوم صدق). كما كان حوار الصحابة ﷺ يحمل طابع التواضع والهدوء وضبط النفس وحسن الاستماع وتجنب السخرية والاستهزاء بالطرف الآخر.

كما نلحظ اهتمام الصحابة ﷺ بأصول الحوار القائمة على تحديد الهدف والوصول إلى الحق، لا لإظهار الغلبة والمجادلة بالباطل. كما حدد الصحابة ﷺ

---

(١) النساء، الآيتان (١٧١-١٧٢).

(٢) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، من السابقين إلى الإسلام، توفي سنة ٥٠هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٨٧/٣).

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٧٥. وذكره الأصبهاني في دلائل النبوة، ص٢٣٥.

القضية التي حولها الحوار وهي الدعوة إلى الإسلام، مع الاتفاق على أصل يرجعون إليه وهو الكتاب والسنة، وهذا يتضح من استدلال أبي عبيدة ﷺ بالآيات القرآنية الدالة على حقيقة نبي الله عيسى ﷺ.

وإن الداعية حين يختار مبدأ الحوار الهادئ والأسلوب السلمي، فإنه يحول العدو إلى صديق، والمبغض إلى محب، والبعيد إلى قريب، وبهذا يتحقق للحوار هدفه، وهو الوصول أكبر قدر من الفهم المشترك في الأسس والأهداف.

٢- الخطبة(١):

إن الخطبة إحدى وسائل الدعوة التي استخدمها الصحابة ﷺ مع النصارى وكان لها تأثير عليهم، وهي فرصة لإيصال المعاني الصحيحة إليهم، فحينما اعترض نصراني على المقدمة التي ابتدأها عمر بن الخطاب ﷺ في خطبته، أنكر عليه عمر ذلك، فكانت هذه الخطبة وسيلة لتصحيح ما لدى النصراني من معتقدات خاطئة بخصوص قدرة الله ﷻ على عباده في هدايتهم وضلالهم. وأنه لا يمكن أن يضلهم، وذلك حينما قال عمر ﷺ : (ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا)(٢). كما استخدم الصحابة ﷺ الخطابة لحث الجيوش الإسلامية على قتال الروم ملتزمين بذلك آداب إلقاء الخطبة من الابتداء بحمد الله ﷻ والصلاة على رسول الله ﷺ ، ومن ذلك خطبة أبي بكر الصديق للصحابة ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلى على النبي ﷺ قال: (أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام وأعزَّكم بالجهاد وفضَّلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم

---

(١) الخطبة: "هي فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة". الخطابة، شلبي، ص١٥.

(٢) تقدم تخريجه، ص٨٠.

بالشام، فإني مؤمِّر عليكم أمراء وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم..)[1].

٣- الكتابة :

الكتابة نوع من أنواع القول في الدعوة إلى الله ﷻ، وأداة من أدوات التبليغ وتؤدي ما يؤدي إليه القول بالنسبة لمن لا يمكن للداعي مشافهته، وهي من الوسائل الجائزة شرعًا؛ لفعل النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عباس ﷺ أنه أخبره (أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام)[2]. قال الإمام النووي -رحمه الله-: "جواز مكاتبة الكفار ودعاؤهم إلى الإسلام"[3]. وقال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "وفي الحديث الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة، وأن الكتابة تقوم مقام النطق"[4].

واهتم الصحابة ﷺ باستخدام وسيلة الكتابة؛ لما يعرفون لها من الأثر البالغ في الدعوة والإصلاح، فكتب الصحابة ﷺ الرسائل للنصارى ملتزمين أدب الكتابة من تصدير الكتاب بالبسملة. قال الإمام النووي -رحمه الله-: "استحباب تصدير الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كان المبعوث إليه كافرًا"[5]. كما حرصوا على البلاغة والإيجاز وتحري الألفاظ الجزلة في المكاتبة،

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/٢). وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (١٩٢/٢٥)، والكلاعي في الاكتفاء، (١٦٩/٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٦٤، رقم (٢٩٤٠)، كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١١٢/٤).

(٤) إتحاف القاري (٦١٣/٢).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٠٧/٤).

وكانت تلك المكاتبات مع النصارى تتنوع حسب ما تهدف إليه. **ومن الأهداف التي لأجلها استخدم الصحابة ﷺ وسيلة الكتابة مع النصارى:**

أ- دعوة النصارى إلى الإسلام:

لقد كان الهدف الأسمى والأعظم الذي يسعى إليه الصحابة ﷺ في فتوحاتهم خارج الجزيرة العربية، هو دعوة النصارى إلى الإسلام؛ استجابة لأمر الله تعالى حينما قال سبحانه:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]. فاستخدم الصحابة ﷺ وسيلة الكتابة لتبليغ الدعوة إلى النصارى، ومن ذلك ما كتبه أبو عبيدة ﷺ إلى بطارقة أهل إيلياء: (من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله العظيم ورسوله. أما بعد، فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإذا شهدتم بذلك حُرِّمت علينا دماؤكم وأموالكم، وكنتم إخواننا في ديننا، وإن أبيتم فأقروا لنا بإعطاء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حبًّا للموت منكم للحياة ولشرب الخمر وأكل الخنزير، ثم أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتلتكم، وأسبي ذراريكم...)[2].

وهذا كتاب قوي شرح فيه أبو عبيدة دعوة الإسلام، ودعا أهل بيت المقدس إلى الدخول فيه بالترغيب أولًا ثم بالترهيب ثانيًا، وليس أعظم في الترغيب من أن يكونوا إخوانًا للمسلمين إذا أسلموا، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وليس أبلغ في الترهيب

---

(١) آل عمران، الآية: (١٠٤).

(٢) تقدم تخريجه، ص٨٠.

من التهديد بالغزو برجال هم أحب للموت من أعدائهم للحياة.

ب- عقد الذمة:

إن الأصل في مشروعية وسيلة عقد الذمة، قول الله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[1] قال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: "ثبوت الذمة لهم مشروط بتسليم الجزية، والتزام ما ألزمهم به المسلمون من الشروط، فإذا لم يحصل الوفاء بما شرط عليهم عادوا إلى ما كانوا عليه من إباحة الدماء والأموال...لأنه قد صار بالامتناع عن الجزية غير ذمي، فيحل منه ما يحل من الحربي"[2].

وقد أوجب الإسلام تأليف قلوب النصارى المقيمين في دار الإسلام وحسن معاملتهم، وإن إقامتهم فيها إقامة دائمة بسبب عقد الذمة سبيل إلى دعوتهم إلى الإسلام بأحسن الطرق من خلال مخالطة المسلمين للنصارى ومعاملتهم لهم، وبذلك يتعرفون على أحكام الإسلام ومحاسنه ويتأثرون بأخلاق المسلمين، فيحملهم ذلك على الدخول فيه طواعية واختيار وعن قناعة ورضا. وإن لم يكن ذلك فإنه -على الأقل- سيكون سبيلًا لدفع شرهم في الحال بسبب زوال قوة الكفار وشوكتهم، حيث يخضعون للنظام الإسلامي بموجب عقد الذمة وشروطه. قال السبكي -رحمه الله-: "وعدم اختلاطهم يبعدهم عن معرفة محاسن الإسلام، ألا ترى من الهجرة إلى

---

(١) التوبة، الآية: (٢٩).

(٢) السيل الجرار (٤/٥٧٤).

زمن الحديبية لم يدخل في الإسلام إلا قليل، ومن الحديبية إلى الفتح دخل فيه نحو عشرة آلاف؛ لاختلاطهم بهم، للهدنة التي حصلت بينهم، فهذا هو السبب في مشروعية عقد الذمة"[١].

ومن أمثلة استخدام الصحابة ﷺ لوسيلة الكتابة في عقد الذمة مع النصارى: كتابة أبوعبيدة رضي الله عنه الصلح مع نصارى دمشق[٢]، وكتابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عقد الذمة مع نصارى إيلياء[٣]. كما صالح شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه أهل طبرية[٤]، وعقد أبوعبيدة رضي الله عنه الذمة لنصارى بعلبك[٥]. ومن هنا نعلم أن عقد الذمة وطلب الأمان من وسائل ودوافع استجابة النصارى إلى الإسلام والخضوع لحكمه.

ج- المتابعة بين الخليفة وقواد المعركة:

كانت الكتابة وسيلة للمتابعة بين الخليفة وقواد المعركة؛ لتلقي الأوامر ولمعرفة مستجدات الأمور ومتابعة أحوال الدعوة مع النصارى، ومن ذلك كتاب أبي عبيدة إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- يخبره بأوضاع الروم في الشام: (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ من أبي عبيدة بن الجراح. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد... فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى أنطاكية، وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه، وأنهم نفروا إليه...فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) الفتاوى (٢/٤٠٤).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٠٤.

(٣) تقدم تخريجه، ص١٣٣.

(٤) تقدم تخريجه، ص١٤٧.

(٥) تقدم تخريجه، ص١٤٠.

أما بعد، فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأما منــــزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه وفتح من الله عليك وعلى المسلمين...)[١].

كما كتب الخليفة عمر ابن الخطاب ﷺ إلى أمراء الأجناد: (أما بعد، فقد وليت يزيد بن أبي سفيان أجناد الشام كله، وأمرته أن يسير إلى أهل قيسارية[٢]، فلا تعصوا له أمرًا ولا تخالفوا له رأيًا)[٣].

د- الاستنجاد بالقبائل الأخرى:

لقد كان الصحابة ﷺ يستخدمون الكتابة لمكاتبة القبائل؛ للاســـتنفار إلى جهـــاد النصارى، ومن ذلك: كتاب أبي بكر الصديق ﷺ لأهل اليمن : (بسم الله الــــرحمن الرحيم. من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قُرئ عليه كتابي من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن. سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فـــإن الله كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافًا وثقالًا، وقال: جاهدوا بـــأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، فالجهاد فريضة مفروضة وثوابه عند الله عظيم، وقد اســـتنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد ســـارعوا إلى ذلـــك وعســـكروا

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق، (٣٣/٢٦١). وذكــره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (١/٤٠٠).

(٢) قيسارية: مدينة تاريخية قديمة في فلسطين تقع على شاطيء البحر الأبـــيض المتوســـط. أطلـــس الفتوحات الإسلامية، المغلوث، ص٥٦٥.

اُختلف في زمن حصارها قيل: سنة ١٥هـــ ، وقيل: آخر سنة١٨هـــ، وقيل: أول ســـنة عشـــرين، وقيل: إنها فتحت قسرًا سنة ١٩هـــ على أساس أن أول محاولة في حصارها كان سنة١٣هـــ على يـــد عمرو بن العاص، فيكون مدة الحصار سبع سنين، وهذا الذي رجحه البلاذري وذكره الـــذهبي. انظـــر: فتوح البلدان، ص٨٩. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/١٣٥).

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٥٠. وذكره الهنـــدي في مجموعـــة الوثـــائق السياســـية (١/٤٩٢).

وخرجوا وحسنت في ذلك نيتهم وعظمت في الخير حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم، وإلى إحدى الحسنين: إما الشهادة، وإما الفتح والغنيمة، فإن الله لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يترك أهل عداوته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم الكتاب أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وزكى أعمالكم ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين، والسلام. وبعث هذا الكتاب مع أنس بن مالك)[١].

هـ- بيان منهج الدعوة:

لقد كتب الصحابة ﷺ عدة رسائل تحمل دعوتهم إلى النصارى، وكانت هذه الرسائل تكتب عادة قبل فتح بلد معين، وذلك قبل بدء المناوشات بين الجيشين، ومهمتها أنها تبيِّن الغاية الأساسية لمجيء هؤلاء الدعاة إلى هذه البلاد، فيبينوا فيها أنهم ما أتوا حبًّا في القتال أو المال وإنما لشرح الصدور للإسلام. كما تحمل الحلول لأهل البلاد إذا لم يستجيبوا لداعي الله، فإن رضوا بالدعوة وإلا فليختاروا إحدى الخصلتين من مبادئ الدعوة: الجزية أو القتال، ومن أمثلة ذلك: ما رواه أسلم -مولى عمر-: (أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد: أن يقاتلوا في سبيل الله ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم، ولا يقتلوا النساء ولا الصبيان، ولا يقتلوا إلا من جرت عليه الموسى. وكتب إلى أمراء الأجناد: أن يضربوا الجزية، ولا يضربوها على النساء والصبيان، ولا يضربوها إلا على من جرت عليه الموسى[٢])[٣].

وكتب عمر بن الخطاب ليزيد بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- كتابًا يأمره

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٥. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (٣٩٩/١).

(٢) الموسى: يعني من أنبت. الأموال، ص٤١.

(٣) أخرجه أبو عبيد في الأموال، ص٤١، رقم (٩٣)، وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. إرواء الغليل (٩٦/٥).

بالتوجه إلى قيسارية، ويبيِّن له المنهج الذي يسير عليه في دعوة النصارى إلى الإسلام.

قال يزيد رضي الله عنه: (أما بعد، فإن كتاب أمير المؤمنين عمر المبارك الفاروق أتاني يحثني على المسير إلى قيسارية، وأن أدعوهم إلى الإسلام أو أن يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكور[1] من أهل الشام، فيؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أبوا نزلت عليهم فلم أزايلهم[2] حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم، فسيروا رحمكم الله إليهم فإني أرجو أن يجمع الله لكم الغنيمة في الدنيا والآخرة...)[3].

ومن هذه الشواهد وغيرها نعلم أن الكتابة كانت من الوسائل المستخدمة في منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة النصارى إلى الإسلام في البلاد المفتوحة.

٤- الدعوة الجماعية:

وهي توجيه الصحابة رضي الله عنهم الخطاب الدعوي إلى مجموعة من النصارى، كقول خالد بن الوليد وأصحابه رضي الله عنهم لأشراف أهل الحيرة: (أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية، فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم)[4].

٥- الدعوة الفردية:

وهي توجه الصحابة رضي الله عنهم بالخطاب إلى المدعو النصراني على إنفراد أو مع جمع قليل من الناس لهم صفة الخصوص دون العموم، ويُمثل له بقول خالد بن الوليد رضي الله عنه لملك الروم باهان: (ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا ﷺ وإلى ما أمرنا به أن ندعو

---

(١) الكور: المدينة. معجم الصحاح، الجوهري،ص٩٢٨، مادة: كور.

(٢) أزايلهم: أي أفرقهم. انظر: معجم الصحاح، الجوهري،ص٤٦٦، مادة: زيل.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٥١. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٣١٩/٢).

(٤) تقدم تخريجه، ص٨٩.

إليه الناس، فندعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله...)[1]. ودعا خالد بن الوليد رضي الله عنه قائد الروم جرجة دعوة فردية، وذلك حينما قال قائد الروم جرجة: يا خالد، أخبرني إلام تدعوني؟ قال: (إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله...)[2].

كما دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه جبلة بن الأيهم ملك غسان، وخيره بين الإسلام أو الجزية أو القتال. قال عمر رضي الله عنه: (اختر مني إحدى ثلاث: إما أن تسلم فيكون لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، وإما تؤدي الخراج، وإما أن تلحق بالروم..)[3] بالإضافة إلى أن دعوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعجوز النصرانية، كانت دعوة فردية حينما قال لها: (أسلمي تسلمي، بعث الله محمدًا ﷺ بالحق...)[4].

٦- الترجمة[5]:

إن من سنة الله عز وجل في هذا الكون، اختلاف الألسنة واللغات؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[7]، وبوّب الإمام البخاري في صحيحه،

---

(١) تقدم تخريجه، ص٧٨.

(٢) تقدم تخريجه، ص٧٩.

(٣) تقدم تخريجه، ص١١١.

(٤) تقدم تخريجه، ص١٤٣.

(٥) الترجمة هي: "التعبير عن الكلام بلغة أخرى". وقيل: "هي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى بأساليب خاصة تمنع الإخلال بالمعنى". صحيح مسلم بشرح النووي (١٠٤/٤). انظر: معجم الصحاح، الجوهري، ص٣٩٦. أصول في التفسير، ابن عثيمين، ص٣٠. دور الترجمة الدينية في الدعوة إلى الله، النيجري، ص٢٩.

(٦) الروم، الآية: (٢٢).

(٧) إبراهيم، الآية: (٤).

باب من تكلم بالفارسية والرطانة[1]. كما واجه الصحابة ﷺ الروم في البلاد المفتوحة بلغة مختلفة عن لغتهم، مما يجعلهم يضطرون إلى الترجمة بواسطة المترجمين؛ لإيصال مضمون الدعوة إلى النصارى. قال سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "إن الصحابة لما غزوا بلاد العجم من فارس والروم، لم يقاتلوهم حتى دعوهم إلى الإسلام بواسطة المترجمين، ولما فتحوا البلاد العجمية دعوا الناس إلى الله باللغة العربية، وأمروا الناس بتعلمها، ومن جهلها منهم دعوه بلغته وأفهموه المراد باللغة التي يفهمها، فقامت بذلك الحجة، وانقطعت المعذرة"[2].

وكان المترجمون يرافقون الصحابة ﷺ إلى جبهات القتال، ويستعينون بهم في فهم الحوارات التي تدور بينهم وبين قواد النصارى، ومن ذلك ما حدث في معركة اليرموك حيث دعت الحاجة إلى وجود مترجم لفهم الحوار بين أبي عبيدة ﷺ وأحد قادة الروم[3].

وفي وقعة فحل، طلب معاذ بن جبل ﷺ إقامة مترجم بينه وبين قائد الروم؛ لدعوته إلى الإسلام. قال معاذ: (وأقيموا الترجمان بيني وبينكم، فليفهمني ما تقولون وليفهمكم ما أقول...)[4]. كما كان المترجم يجلس بين خالد بن الوليد ﷺ وقائد الروم باهان في معركة اليرموك؛ ليفسر لخالد ما يقوله باهان[5].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، ص٥٨٧. كتاب الجهاد والسير. والرطانة: كلام غير عربي. انظر: إتحاف القاري (٦٦٧/٢).

(٢) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (٣٧٤/١٢).

(٣) تقدم تخريجه، ص١٣٠.

(٤) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٥) تقدم تخريجه، ص٥٢.

المطلب الثانـــي

وسائل الصحابة ﷺ العملية في دعوة النصارى إلى الإسلام

إن دعوة الصحابة ﷺ لم تقتصر على تبليغ الإسلام بوسائل قوليَّة، بل تعدى ذلك إلى قيامهم بوسائل عملية كان لها دور كبير في نشر الإسلام وإظهار محاسنه، وقد أكد الصحابة ﷺ على أهمية اتباع القول بالعمل كما في كتاب أبي بكر ﷺ إلى أهل اليمن يستنفرهم للجهاد، حيث قال: (سارعوا عباد الله إلى فريضـــة ربكـــم وإلى إحـــدى الحسنين: إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة، فإن الله لم يرض من عبـــاده القـــول دون العمل)(١). ومن أبرز الوسائل العملية التي أعانتهم على القيام بدعوة النصارى ما يلي:

١- بعث الدعاة:

استخدم الصحابة ﷺ وسيلة بعث الدعاة، إلى الأقاليم هداة مرشدين، وكان الذي يتولى ذلك من له السلطة الكبرى من الخلفاء أو القادة. قال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-: "بعث الدعاة إلى الأمم، لا يكون إلا عن طريق الإمام، وهو الذي له السلطة العليا في المكان أو من ينوب منابه"(٢). وصرح الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بأهداف بعث الدعاة، فقال: (اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم عليهم؛ ليعدلوا عليهم، وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ﷺ، ويقسموا فيهم فيئهم(٣)، ويرفعوا إليَّ ما أشكل عليهم من أمرهم)(٤).

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٦. وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٦٥).وذكره المتقـــي الهندي في كنـــز العمال، (٥/٦٧٣)، رقم (١٤١٧٢)، والسيوطي في جامع الأحاديـــث، (٢٥/١٩٥)، والهندي في مجموعة الوثائق السياسية، (١/٣٩٩)، والكلاعي في الاكتفاء (١/١٧١).

(٢) التعليق على صحيح مسلم، ص١٤٨.

(٣) فيئهم: الفيء هو الغنيمة تُنال بلا قتال. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٧٠٧)، مادة: فاء.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٢٢٥، رقم (٥٦٧)، كتاب: المساجد، باب: نهي من أكل =

فكان الخليفة عمر ﷺ يبعث معلمين ودعاة إلى البلاد المفتوحة؛ كي يعلموا الناس القرآن الكريم ويفقهوهم. قال محمد بن كعب القرظي: (جمع القرآن في زمن النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ، وعبادة، وأبي[١]، وأبو أيوب[٢]، وأبو الدرداء، فلما كان عمر كتب يزيد ابن أبي سفيان إليه: أن أهل الشام كثير، وقد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فقال: أعينوني بثلاثة، فقالوا : هذا شيخ كبير - لأبي أيوب -وهذا سقيم - لأبي - فخرج الثلاثة إلى الشام، فقال: ابدؤوا بحمص، فإذا رضيتم منهم، فليخرج واحد إلى دمشق وآخر إلى فلسطين)[٣].

وكان القائد المسلم يرسل من يرى فيه الحكمة والقوة، أو العلم نائبًا عن المسلمين؛ ليشرح للنصارى الإسلام، أو ليريهم من خلال مقاله وفعاله قوة المسلم النفسية، وعزته بدينه وإخوته الدعاة، وأنهم أثبت الناس قلبًا، أو ليعرض عليهم الجزية مقابل الحماية، أو يكون ذهابه إجابة لرغبة أهل البلاد في إرسال من يعرفون منه هدف هذا الجيش.

لذلك ذهب الدعاة رسلًا إلى النصارى مستعملين وسائل وأساليب متعددة؛ لعرض الإسلام دون إراقة الدماء، إلا من قاتل فيُقتل.

=

ثومًا أو بصلًا.

(١) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري، سيد القراء، من أصحاب بيعة العقبة الثانية، شهد بدرًا وما بعدها، مات سنة ٣٠هـ. انظر: الإصابة (١/١٨٠).

(٢) أبو أيوب: خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، من السابقين، شهد العقبة وبدرًا والفتوح، توفي سنة ٥٠هـ. انظر: المرجع السابق (٢/١٩٩).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٤٢٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/١٩٤). وذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/٦)، وقال: إسناده حسن، ولكنه مرسل.

ومن الدعاة الذين تم إرسالهم للقيام بدعوة النصارى إلى الإسلام:

خالد بن سعيد بن العاص ﷺ، حيث أرسله أبو بكر ﷺ إلى نصارى الشام، دلَّ عليه ما جاء في الأثر عن جماعة من الرواة قالوا: (كان أبو بكر قد وجَّه خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام حيث وجه خالد بن الوليد إلى العراق، وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالدًا...)[1]. كما بعث أبو بكر ﷺ هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص ﷺ وقال له: (إن من سعادة جدك ووفاء حظك أنك أصبحت مما تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين، وممن يثق الوالي بنصيحته ووفائه وعفافه وبأسه، وقد بعث إلى المسلمين يستنصروني على عدوهم من الكفار، فسر إليهم فيمن تبعك، فإني نادب الناس معك...)[2]. وبعث أبو بكر ﷺ مجموعة من الصحابة إلى الشام، فعن سعيد بن المسيب ﷺ قال: (إن أبا بكر الصديق ﷺ لما بعث الجيوش نحو الشام يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة مشى معهم حتى بلغ ثنية الوداع[3]، فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشي ونحن ركبان)[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٨/٣). وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٩٧/٣). وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٦٧/٤) عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، قالت: (....فلما بعث أبو بكر الجنود على الشام عقد له على المسلمين وجاء باللواء إلى بيته).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٧. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٨٣/٢).

(٣) ثنية الوداع: موقع تاريخي يقع على مدخل المدينة وكانت مكان توديع المسافرين، وقيل: الوداع اسم واد في المدينة. والصحيح أنه اسم قديم جاهلي سُمي لتوديع المسافرين. انظر: معجم البلدان (٨٦/٢).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٥/٩)، رقم (١٨١٢٥)، والحاكم في المستدرك (٧٩/٣)، رقم (٤٤٧٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٦/٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه =

وفي وقعة فحل أرسل أبو عبيدة ﷺ معاذ بن جبل ﷺ لدعوة قائد الروم إلى الإسلام بناءً على طلبه. قال قائد الروم: (أرسل إلينا رجلًا من صلحائكم نسأله عما تريدون وما تسألون وما تدعون إليه، ونخبره بذات أنفسنا وندعوكم إلى حظكم إن قبلتم، فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل...)(1). كما (بعث أبوعبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين فلما نزل بالحاضر(2) زحف إليهم الروم، وعليهم ميناس وهو رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل، فالتقوا بالحاضر، فقُتل ميناس ومن معه مقتلة لم يُقتلوا مثلها)(3).

كما أرسل أبو عبيدة عياض بن غنم -رضي الله عنهما- إلى الجزيرة لفتحها، عن ميمون ابن مهران قال: (الجزيرة كلها فتوح عياض بن غنم بعد وفاة أبي عبيدة ولاه إياها عمر بن الخطاب)(4). وبعث عمرو بن العاص عبادة بن الصامت -رضي الله عنهما- وجماعة من الصحابة ﷺ لدعوة ملك مصر المقوقس(5). كما بعث الخليفة

=

الذهبي بقوله: مرسل.

(1) تقدم تخريجه، ص84.

(2) بالحاضر: القوم النزول على ماءٍ يقيمون به ولا يرحلون عنه. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (181/1)، مادة: حضر.

(3) أخرجه الطبري في تاريخه، ص626. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (62/7)، وابن عديم في بغية الطلب (578/1)، وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (208/3).

(4) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص107. وابن عساكر في تاريخ دمشق (74/12). وذكره خليفة خياط في تاريخه، ص155، وابن الأثير في الكامل (449/1)، وابن كثير في البداية والنهاية (106/7).

(5) تقدم تخريجه، ص89.

عثمان بن عفان ﷺ عبد الله بن سعد بن أبي سرح ﷺ[1] على مصر وإفريقية، فلقي جرجس ملك البربر وقتله عبد الله بن الزبير ﷺ[2]. وكان عمر بن الخطاب ﷺ لا يكتفي بإرسال الدعاة فقط دون مراقبتهم، فعن الأسود بن يزيد قال: (كان الوفد إذا قدموا على عمر ﷺ سألهم عن أميرهم، فيقولون خيرًا، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم، فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها: لا؛ عزله)[3].

ومن هنا يتبيَّن أهمية استخدام الرسل وتفويضهم أمور الدعوة إلى الإسلام في البلاد المفتوحة، وأن لذلك أثرًا في تخفيف عبء المهام على ولي أمر المسلمين.

٢- الصلاة :

تعد الصلاة وسيلة من وسائل دعوة النصارى إلى الإسلام، إذ كان لهيئة المسلمين في أدائهم للصلاة والدعاء أثر عظيم في إسلام النصارى وإعجابهم بدينهم، ومن الشواهد على ذلك: في معركة اليرموك، حينما أرسل الروم رجلًا إلى المسلمين؛ ليخبرهم بما يريدون ويسألوهم عما يريدون، جعل هذا الرومي ينظر إلى رجال من المسلمين يصلُّون وهم يدعون الله ويتضرَّعون إليه، وجعل الرومي ما يفيق وما يطرف بصره عنهم. فقال أبو عبيدة ﷺ: (والله إني لأرجو أن يكون الله قد قذف في قلبه الإيمان وحبَّبه إليه، وعرَّفه فضله. فلبث الرومي

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي سرح، شهد فتح مصر، وأمره عثمان عليها، وهو الذي افتتح إفريقية، مات سنة ٥٩هـ. انظر: الإصابة (٩٦/٤).

(٢) انظر: فتوح مصر، ابن عبدالحكم، ص٣١٨.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٧١٥. والأثر حسن ورجاله ثقات وإسناده صحيح. انظر: جامع الآثار القوليَّة والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ص٢٧٤. صحيح تاريخ الطبري (٣٠١/٣). دراسة نقدية في المرويات (٦٤٧/٢).

بذلك قليلًا، ثم أقبل على أبي عبيدة، فقال: أيها الرجل، متى دخلتم في هذا الدين؟ ومتى دعوتم إليه الناس...؟)[1]، ثم أخذ يسأله عن الرسول ﷺ وعن عيسى ابن مريم، ثم أسلم وفرح المسلمون بإسلامه.

وموقف آخر في معركة اليرموك حينما (دعا -باهان- الدرنجار وكان فيهم رجل ناسك من العرب ممن كان على دين النصرانية، فقال له: ادخل في عسكر هؤلاء القوم، فانظر ما هديهم وما حالهم وما أعمالهم وما يصنعون وكيف سيرتهم، ثم القني بها، فخرج ذلك الرجل حتى دخل عسكر المسلمين فلم يستنكروه؛ لأنه كان رجلًا من العرب لسانه ووجهه، فمكث في عسكرهم ليلة حتى أصبح فوجد المسلمين يصلون الليل كله كأنهم في النهار، ثم أصبح فأقام عامة يومه ثم خرج إليه، فقال له: جئتك من عند قوم يقومون الليل كله يصلون ويصومون النهار ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، رهبان بالليل أُسد بالنهار، لو يسرق ملكهم فيها لقطعوه ولو زنا رجموه؛ لإيثارهم الحق واتباعهم إياه على الهوى. فقال: لئن كان هؤلاء القوم كما تزعم وكما ذكرت لبطن الأرض خير لمن يريد قتالهم ولقاهم...)[2].

وحينما حبس المسلمون رسل المقوقس أعجبتهم صلاة المسلمين، فحينما جاءت رسل المقوقس إليه قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة... إلى أن قال: وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم، يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم. فقال عند ذلك المقوقس: والذي يُحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٩٠.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٥٩.

الجبال لأزالوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد)[(١)].

وأبدى النصارى إعجابهم بانتظام المسلمين في الصلاة حيث لا يتخلّف منهم أحد وهو مظهر من مظاهر الانضباط عند المسلمين. كما أبدوا إعجابهم بما يقومون به بين يدي الصلاة من الوضوء، ثم مظهر السكينة والخشوع الذي يعلو وجوه المؤمنين ويحكم جوارحهم وهم يؤدون الصلاة. ومن هنا نعلم أن هذه الصلاة الجماعية بذلك المظهر الأخّاذ من الخشوع والسكينة تعتبر أعلى مظاهر الدعوة إلى الإسلام.

كما فقه الصحابة ﷺ أثر الصلاة في حياتهم فكانوا يهتمون بأدائها حتى في أصعب الظروف، وما ذلك إلا؛ لأهميتها في تهذيب السلوك وراحة الوجدان، ومن المواقف الدالة على ذلك: (لما حصر المسلمون الحصن، كان عبادة بن الصامت في ناحية يصلي وفرسه عنده، فرآه قوم من الروم، فخرجوا إليه...)[(٢)]. فعبادة لم يقطع صلاته بل أكملها حتى سلّم منها ثم هاجمهم.

كما حرص الصحابة ﷺ على دعوة النصارى إلى إقامة الصلاة بعد الشهادتين؛ لأنها الركن الثاني من أركان الإسلام، قال خالد بن الوليد ﷺ: (نحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا ﷺ وإلى ما أمرنا به أن ندعو الناس إليه، فندعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تقيموا الصلاة...)[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٢) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، ص١٤٠. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٣٢٩/٢).

(٣) تقدم تخريجه، ص٧٨.

٣- الهدية:

لقد حاول الصحابة ﷺ استخدام وسائل متنوعة مع النصارى لجذبهم إلى الإسلام، ومن تلك الوسائل الهدية، وهي من الإحسان الفعلي الذي لا يستلزم التحابب والتواد المنهي عنه في الإسلام[١]. بل هي استجلاب لمودتهم وقبولهم الإسلام، وقد أهدى خالد بن الوليد ﷺ قبته الحمراء[٢] لقائد النصارى باهان حينما رأى إعجابه بها، فقال باهان: إن قبتك هذه الحمراء قد أعجبتني وأنا أحب أن تهبها لي، فإني لم أر قبة من القباب أحسن منها وأفضل... فقال له خالد ﷺ: (هي لك فخذها)[٣]. فلا مانع عند الصحابة ﷺ من إهداء أي شيء من متاع الدنيا الزائل للنصارى؛ مقابل تأليف قلوبهم إلى الإسلام.

٤- القدوة الحسنة[٤].

إن المستعرض لتاريخ انتشار الإسلام في عصر الصحابة ﷺ يجد أن القدوة الصالحة كانت من أسباب نشر دعوة الإسلام إلى من لم تبلغه عن طريق الفتوحات الإسلامية، مما يدل على أن القدوة الحسنة من الوسائل المهمة جدًّا في تبليغ الدعوة إلى الله، وجذب الكثير من النصارى إلى الإسلام؛ لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام فقط، خاصة أن حكام الروم في أواخر أيامهم كانوا يعاملون الأهالي بالظلم ويسومونهم العذاب، فأنف من جورهم أهالي البلاد التي كانت تحت سلطانهم، ومالوا إلى الخلاص من ربقة الذل والاستعباد.

---

(١) انظر: إتحاف القاري، العدوي (٢/٤٦٢).

(٢) القبة: خيمة صغيرة أعلاها مستدير. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٧٠٩) مادة: قبَّ.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٧٩. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٧٤)

(٤) القدوة الحسنة: "أن يكون الداعية المسلم قدوة صالحة فيما يدعو إليه، فلا يناقض قوله فعله ولا فعله قوله". مقومات الداعية، القحطاني، ص٣٢١.

ولأهمية القدوة في منهج دعوة الصحابة للنصارى، كان الخليفة أبو بكر ﷺ يلفت الانتباه إليها في وصاياه للجنود، ومن ذلك وصية أبي بكر لخالد بن سعيد بن العاص -رضي الله عنهما- إذ قال: (إني موصيك فاستمع وصيتي وعِها، إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة في الإسلام وفضيلة عظيمة والناس ناظرون إليك ومستمعون منك، وقد خرجت في هذا الوجه العظيم الأجر، وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله، فثبت العالم وعلم الجاهل وعاتب السفيه المترف، وانصح لعامة المسلمين...)(١). فهنا لفتة عظيمة من أبي بكر ﷺ لخالد، في أن الناس ينظرون إليه بمنظار دقيق؛ كونه من السابقين إلى الإسلام، وهذا يستوجب منه أن يكون مخلصًا في دعوته ويقوم بواجب النشر والتبليغ للمدعوين عامة.

وإن المتأمل لمواقف الصحابة ﷺ مع النصارى يجد أنهم كانوا خير قدوة بتعاملهم الطيب مع أهل الذمة من النصارى؛ تطبيقًا لقول الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢) فكانت أفعال الصحابة وأخلاقهم مثار إعجاب من أعدائهم، ورغبوا في معرفة سلوكهم وهديهم، فعن محمد وطلحة قالا: (وكان أمير الجند -يعني جند الروم باليرموك- قد بعث عينًا من عرب الشام فدخل على المسلمين في عسكرهم فرجع إليه فأخبرهم أنهم بالليل رهبان وبالنهار فرسان، هم فيما بينهم كالعبيد وعلى من سواهم كالأسود، إذا قالوا

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨٣/١٦). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٧٨/٢).

(٢) الممتحنة، الآية: (٨).

صدقوا وإذا وعدوا وفوا، يأخذون لله حقوقه ولو من أنفسهم، فقال: إني لك أن تجيب صادقًا، للموت خير من الحياة، وليمرنَّ علينا منهم شر طويل)[١].

لقد كان ذلك الرجل النصراني لَمَّاحًا سريع الفهم، حيث فهم مزايا المسلمين العالية بتلك السرعة، وكان صادقًا عادلًا، حيث أبرز تلك المزايا لمن بعثه بأمانه، وهي صفات جذَّابة لأصحاب العقول السامية والأفكار السليمة، وهي صفات مرعبة للأعداء؛ لأن الذين بلغوا ذلك الحد من العبادة وأقاموا حياتهم على العدل والحق لا بد أنهم سيحظون بحب الله تعالى ونصره وتأييده.

كما تمثَّلت القدوة الحسنة في منهج الصحابة ﷺ في تطبيق ما تعلموه من مدرسة النبوة، على أنفسهم، من صدق التوكل على الله ﷻ والالتجاء إليه بالدعاء والصلاة مع الحرص على الوفاء بالعهد والعدل حتى مع أنفسهم.

وقد رأى أهل الذمة من النصارى وفاء المسلمين بشروطهم وشاهدوا حسن سيرتهم فيهم، وجربوا معاملتهم، فوقفوا معهم مخلصين، وصاروا عونًا للمسلمين على أعدائهم، وأفصحوا عن سرورهم، وأمنيتهم في نصر المسلمين على عدوهم من الروم، فعن سعيد بن عبد العزيز قال: (بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم[٢]، ولندفعن جمع هرقل عن المدينة مع عاملكم... وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود)[٣].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٩٤).

(٢) الغشم: الظلم الشديد. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٦٥٣). مادة: غشم.

(٣) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان،ص٨٧. وذكره ابن الجوزي في المنتظم (١/٢٩٩).

إن هذه المعاملة الكريمة التي عامل بها الفاتحون المسلمون أهل الذمة كان لها صدى عريض في آفاق الأرض، ولا سيما في البلاد والمدن التي لم يدخل أهلها في صلح، فقد كان أبو عبيدة ﷺ كلما مر بمدينة لم يكن أهلها ممن صالحه بعثوا إليه رؤساءهم يطلبون إليه أن يصالحهم على شروط من سبقهم إلى الصلح، وكان أبو عبيدة يجيبهم مغتبطًا، ويكتب بينه وبينهم كتاب العهد والمصالحة.

ولم تكن هذه المعاملة السمحة لأهل الذمة من النصارى هي منهج أبي عبيدة ﷺ وحده، بل كانت المنهج الذي أقام الإسلام دعائمه، وهو منهج عام في شريعة الإسلام ينبع من مصدريه: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة[(١)].

ومن هنا نصل إلى حقيقية أن القدوة الحسنة كانت ولا زالت سببًا في انتشار الإسلام، فالسيرة الطيبة للصحابة ﷺكانت تجذب أنظار النصارى وتحملهم على اعتناق الإسلام. كما كان سلوكهم دعوة عملية للإسلام يستدل بها النصراني على أحقية الإسلام وأنه من عند الله، لا سيما إذا كان سليم الفطرة سليم العقل. فحينما خرج خالد بن الوليد ﷺ إلى غسان[(٢)] قتل منهم وسبى وصالح عامتهم فأسلموا. كما ورد عن أبي الخزرج الغساني قال: (كانت أمي من ذلك السبي، فلما رأت دين المسلمين وهديهم وصلاحهم وعفافهم، وقع الإسلام في قلبها فأسلمت)[(٣)].

٥- التخطيط :

إن التخطيط الصحيح للقيام بالدعوة إلى الله ﷻ له أهمية كبرى في نجاحها،

---

(١) انظر: الموسوعة في سماحة الإسلام (٤٣٣/١).

(٢) غسان: اسم قبيلة عربية باليمن وكانوا عمالًا للإمبراطورية الرومانية. انظر: معجم قبائل العرب (٨٨٤/٣).

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٧١. وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠٥/٦٦). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٠١/٢)

والتخطيط يعني: التفكير الهادىء والدراسة المستوعبة لكل عمل يريد الإنسان أن يقدم عليه[1]، ولذا حرص الصحابة ﷺ على وضع الخطط للدعوة والتنظيم لها في مواجهاتهم مع النصارى وفق استراتيجيات مدروسة بعيدة عن الفوضى والارتجالية والاستعجال، تمثلت بترتيبات مسبقة للدعوة وأثناءها وبعد انتهائها، متخذين من منهج النبي ﷺ مثلًا أعلى وقدوة حسنة، إذ سار في دعوته وفق خطة محكمة مراعيًا بذلك حال الدعوة والمدعوين من حوله.

ففي خلافة الصديق ﷺ ظهر حسن التخطيط حينما كان هدفه ﷺ السيطرة على الحيرة؛ وذلك لأهميتها العسكرية، فهي نقطة تتصل بها الطرق من جميع الاتجاهات. كما كانت قلب العراق وأقرب منطقة مهمة إلى المدائن عاصمة الإمبراطورية الفارسية التي كانت تدرك هذه الإستراتيجية للحيرة، وهي عدا هذا كانت مهمة للقوات الإسلامية في قتالها الروم في بلاد الشام. وللتخطيط أهميته في تنظيم العمل ووحدة الصف والكلمة ونجاح العمل، ولذا كان أبو بكر الصديق ﷺ يخطط للصحابة الكرام معركة اليرموك فيقول لهم: (إني باعثكم في هذه الوجه ومؤمِّركم على هذه الجنود، وأنا موجِّه مع كل رجل منكم من الرجال ما قدرت عليه، فإذا قدمتم البلد ولقيتم العدو واجتمعتم على قتالهم فأميركم أبوعبيدة بن الجراح، وإن لم يلقكم أبوعبيدة وجمعتكم حرب فأميركم يزيد بن أبي سفيان، فانطلقوا فتجهَّزوا فخرج القوم يتجهَّزون...)[2]. والصحابة ﷺ (لما قدموا الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية ليغزوها ويبث غاراته فيها، فكان عمرو بن العاص يقصد لفلسطين، وكان شرحبيل يقصد الأردن، وكان يزيد بن أبي سفيان

---

(١) انظر: طرق الدعوة الإسلامية، ص٨٩.

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٤. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/١٧٠).

يقصد لأرض دمشق، وكانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه، وإذا احتاج أحدهم إلى معاضدة صاحبه وإنجاده سارع إلى ذلك)[١].

كما كان تخطيط الصحابة رضي الله عنهم موفقًا في اختيار موقع معركة اليرموك، فقد تم اختيار مكان المعركة في موقع يسهل الاتصال فيه مع المدينة قاعدة الحكم[٢].

ومن التخطيط في هذه المعركة ما فعله خالد بن الوليد رضي الله عنه في تقسيم جيش معركة اليرموك إلى كراديس[٣]، ويضم الكردوس ما يقرب من ألف مقاتل. فعن خالد وعبادة قالا: (... خرج خالد في تعبية لم تُعبها العرب قبل ذلك؛ فخرج في ستة وثلاثين كردوسًا إلى الأربعين...فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو ابن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة. وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان. وكان على كردوس من كراديس أهل العراق القعقاع بن عمرو[٤]، وعلى كردوس مذعور ابن عدي[٥]، وعياض بن غنم على كردوس، وهاشم بن عتبة على كردوس، وزياد بن حنظلة[٦] على كردوس، وخالد في كردوس،...)[٧]. كما جعل أبو

---

(١) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٧٥.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي، محمود شاكر (٩٣/٣).

(٣) كراديس: جمع كردوسة، وهي طائفة عظيمة من الخيل والجيش. انظر: المعجم الوسيط (٧٨٢/٢)، مادة: كردس.

(٤) القعقاع بن عمرو التميمي، كان من الشجعان، شهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق. انظر: الإصابة، ابن حجر (٣٤٤/٥).

(٥) مذعور بن عدي العجلي شهد اليرموك وفتوح العراق. انظر: المرجع السابق (٥١/٦).

(٦) زياد بن حنظلة التميمي، بعثه النبي ﷺ لقتل مسيلمة، كان أميرًا في موقعة اليرموك. انظر: الإصابة، ابن حجر (٤٨١/٢).

(٧) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩٦/٣)، وذكره ابن الأثير في تاريخه (٤٠٢/١)، وأدرجه محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٨٤/٣).

عبيدة ﷺ يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله حتى إذا رآه المنهزم استحى منه ورجع إلى القتال[1].

وهذا التخطيط أرعب ملك الروم هرقل، دلَّ على ذلك كتاب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر -رضي الله عنهما- (بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإن ملك الروم هرقل لما بلغه مسيرنا إليه ألقى الله الرعب في قلبه، فتحمل ونزل أنطاكية وخلف أمراء من جنده على مدائن الشام وأمرهم بقتالنا...)[2].

ومن هذه المواقف وغيرها يتبيَّن لنا أن الدعوة إلى الله بحاجة ماسة إلى تخطيط قويم يعنى به دعاة اليوم. كما عني بها دعاة الأمس من الصحابة رضوان الله عليهم؛ حتى يكتب للدعوة النجاح والاستمرار بإذن الله.

٦- الحصار:

وسيلة الحصار من الوسائل التي استخدمها الصحابة ﷺ في أغلب مواجهاهم مع النصارى، وكانت هذه الوسيلة ذات أثر إيجابي في قبول الدعوة. ومن شواهد استخدام الصحابة ﷺ لوسيلة الحصار مع النصارى، حصار أهل دمشق حتى نفدت المؤن من عندهم، ونفد صبرهم، وتم للمسلمين فتح هذه المدينة[3]. وحينما اشتد حصار حمص على الروم، أرسلوا إلى المسلمين فطلبوا إليهم الصلح، فصالحهم المسلمون وكتبوا لهم كتابًا بالأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم[4]. وحاصر الصحابة ﷺ الروم في مصر بقيادة عمرو بن العاص والزبير بن العوام -رضي الله

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، محمود شاكر (٣/٩٦).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٥. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (١/٤٠١)، والكلاعي في الاكتفاء (٢/١٨٢).

(٣) تقدم تخريجه، ص٩٩.

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٢٨.

عنهما- في القصر الذي يقال له باب اليون، وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس، وتوصلوا في النهاية إلى عقد الصلح معهم[(١)].

٧- السفر :

السفر إحدى الوسائل المساعدة للقيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن من حق المدعوين أن يُذهب إليهم ويُبلِّغوا الدعوة حتى تقام الحجة عليهم. قال تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[(٢)]. وقد قام رسول الله ﷺ بوفاء هذا الحق، فبشَّر وأنذر، وخرج أصحابه بعده بالدعوة، فنشروا الدِّين في الآفاق، وأقاموا الحجة على الناس كافة، فقد سافر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه من المدينة إلى بيت المقدس؛ ليعقد الصلح مع النصارى بناءً على طلبهم، فصالحهم على أداء الجزية والخراج. عن يزيد بن أبي حبيب: (أن عمر بن الخطاب بعث خالد بن ثابت الفهمي[(٣)] إلى بيت المقدس في جيش، وعمر بالجابية، فقال: فقاتلهم، فأعطوه أن يكون لهم ما أحاط به حصنها، على شيء يؤدونه، ويكون للمسلمين ما كان خارجًا منها، فقال خالد: قد بايعناكم على هذا، إن رضي به أمير المؤمنين، وكتب إلى عمر، يخبره بالذي صنع الله له، فكتب إليه: أن قف على حالك حتى أقدم عليك، فوقف خالد عن قتالهم، وقدم عمر مكانه، ففتحوا له بيت المقدس على ما بايعهم عليه خالد بن ثابت، قال: فبيت المقدس يسمى: فتح عمر بن الخطاب)[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٠٠.

(٢) الإسراء، الآية: (١٥).

(٣) خالد بن ثابت الفهمي، شهد فتح مصر وغزا إفريقية. الإصابة، ابن حجر (١٩٥/٢).

(٤) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (٣٨٩/١)، رقم (٦٣٩)، وأبو عبيد في الأموال، ص١٦٨، رقم =

وتنقل أبو عبيدة ﷺ بين مدن متعددة لنشر الدعوة، عن سعيد بن عبد العزيز قال: (لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق، وعمرو بن العاص على فلسطين، وشرحبيل على الأردن، وأتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بعلبك، ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت الأنصاري، ومضى نحو حماة فتلقاه أهلها مُذعنين فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج في أرضهم)[1].

وسافر الصحابة ﷺ إلى مصر عن طريق البحر وتتبعوا المدن التي يقطنها الروم بقيادة عمرو بن العاص ﷺ إلى أن تمكنوا من فتحها، فعن أبي معشر قال: (فُتحت مصر سنة عشرين، وأميرها عمرو بن العاص)[2]. وسافر عبد الله بن سعد ﷺ من مصر إلى أفريقية يدعوهم إلى الإسلام وكان يصلي بالناس هناك[3].

من هذه الأمثلة وغيرها يتبيَّن لنا مدى حرص الصحابة ﷺ على تبليغ الدعوة إلى النصارى عن طريق السفر بالرغم مما فيه من مشاق ومتاعب؛ وذلك أن

=

(٤٢٩). وذكره ابن حجر في الإصابة (١٩٥/٢)، والسيوطي في جامع الأحاديث (٨٢/٢٦)، رقم (٢٨٦٢٤)، وفي سنده عبد الله ابن صالح، ذكره العلماء من الضعفاء، وقال النسائي: ليس بثقة. انظر: الكامل في الضعفاء (٢٠٦/٤) المجروحين (٢٠٦/٢) الضعفاء للنسائي (٦٣/١). وقال أبو عبيد: لأن الأسقف اشترط أن يأتي عمر ﷺ بنفسه؛ ليتسلمه فلم يفتح إلا له.

(١) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٨٤. وذكره ابن الأثير في الكامل (٤٣٣/١)، وفي سنده أبو حفص الدمشقي ضعيف. انظر: الكامل في الضعفاء (٥٧/٥). المجروحين (٨٩/٢).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٧١. وعليه جمع من المؤرخين منهم خليفة بن خياط والبلاذري والواقدي.

(٣) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، ص٣١٤.

البعيد عن الإسلام قلبه مريض، ومرضى القلوب لا يعرفون مرضهم ولا يحسون به فلا يشعرون بالحاجة إلى علاجه، فلا بد من إخبارهم بمرضهم من قبل الدعاة ولا ينتظرون مجيئهم إليهم.

٨- الاستعانة بالأعوان:

تمر على الداعي أحيانًا بعض المشكلات والأزمات في مجال الدعوة إلى الله، يحتاج معها أن يستعين بعد الله ﷻ إلى بعض الأعوان من ذوي الخبرة والكفاءة، وهذا من باب التعاون الذي أمر الله ﷻ به في كتابه. قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[١] واشتدت حاجة الصحابة ﷺ للاستعانة بالأعوان، خصوصًا مع كثرة جيوش الروم وما امتازت به من خبرة عسكرية.

ولذا فإن الخليفة أبوبكر الصديق ﷺ استنفر القبائل للجهاد في الجبهة الشامية. كما طلب من خالد بن الوليد ﷺ أن يتوجه من العراق إلى الشام؛ وذلك حتى يستعينوا بقوته وخبرته العسكرية، وليتولى جيوش الشام عند وصوله ويكون عونًا للقواد الآخرين[٢]. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: "ثم دخلت سنة ثلاث عشرة، فبعث أبو بكر ﷺ الجنود إلى الشام، وأمر عليهم يزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة عامر بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص. ونزلت الروم بأعلى فلسطين سبعين ألفًا، فكتبوا إلى أبي بكر يخبرونه ويستمدونه، فأمر خالدًا -وهو بالحيرة- أن يمد أهل الشام من معه من أهل القوة،..."[٣]. وعن عمرو بن

---

(١) المائدة، الآية: (٢).

(٢) انظر: فتوح الشام، الأزدي، ص٥٩.

(٣) مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص٢٦٢.

محصن قال: (إن أبا بكر ﷺ لم يكن يسأم من توجيه الجنود إلى الشام وإمداد الأمراء الذين بعث إليها بالرجال بعد الرجال؛ إرادة إعزاز أهل الإسلام وإذلال أهل الشرك)[1]. كما طلب عمرو بن العاص ﷺ المدد والعون من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حينما استعصى عليه فتح حصن بابليون، فأمده بعدد من الصحابة ﷺ. وكتب إليه عمر ابن الخطاب ﷺ: (إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف، الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو[2] وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد[3]...)[4].

٩- تأليف القلوب بالمال.

إن من وسائل الدعوة العملية تأليف القلوب بالمال، لأن المال مما جبلت النفوس على حبه والتطلع إليه، وأدرك صحابة رسول الله ﷺ هذا الأمر، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[5].

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "بيَّن الله أنه لا ينهانا أن نعطي الكافر،

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٣٣. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٨٦/٢).

(٢) المقداد بن عمرو ن ثعلبة الحضرمي، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، مات سنة ٣٣هـ. انظر: الإصابةابن حجر (١٥٩/٦).

(٣) مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصاري الخزرجي، ولد حين قدم النبي ﷺ المدينة، ولي مصر وتوفي فيها سنة ٦٢هـ. انظر: المرجع السابق (٩٢/٦).

(٤) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، ص١٣٨. وذكره المتقي الهندي في كتر العمال (٧٠٦/٥) رقم (١٤٢٢١)، وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (٢٩٤/٢٦)، وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٥) الممتحنة، الآية: (٨).

أو نبره بالصدقة، والهدية، والهبة، بشرط ألا يكون قاتلنا في الدِّين، أو أخرجنا من ديارنا. أما إذا كان قاتلنا في الدين، فلا كرامة له"[(١)].

ففي خلافة أبي بكر الصديق ﷺ كتب خالد بن الوليد في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق –وكانوا نصارى–: (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طُرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله)[(٢)]. وعمر بن الخطاب ﷺ أمر بإعطاء النصارى من الصدقات؛ تأليفًا لقلوبهم على الإسلام، فعن هشام بن عمار أنه سمع المشايخ يذكرون: (أن عمر بن الخطاب ﷺ عند مقدمه الجابية من أرض دمشق مرّ بقوم مجذومين[(٣)] من النصارى، فأمر أن يُعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت[(٤)])[(٥)].

وفعل عمر بن الخطاب ﷺ؛ تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾[(٦)] قال الإمام ابن كثير –رحمه الله–: "وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام: منهم من يعطى؛ ليُسلم،... ومنهم من يُعطى؛ ليجبى الصدقات ممن يليه، أو ليدفع عن حوزة المسلمين

---

(١) التعليق على صحيح مسلم (٧٢٢/١).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٥١.

(٣) مجذومين: الجذام علة تتآكل منها الأعضاء وتتساقط. انظر: المعجم الوسيط (١١٣/١)، مادة: جذمه.

(٤) القوت: ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام. معجم الصحاح، ص٨٩٠، مادة: قوت.

(٥) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٨٣، وفي سنده جهالة.

(٦) التوبة، الآية: (٦٠).

الضرر من أطراف البلاد"[١]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "يجوز بل يجب الإعطاء؛ لتأليف من يحتاج قلبه إلى تأليف قلبه"[٢]. وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "المؤلفة قلوبهم: وهم الذين يعطون لتأليفهم على الإسلام، إما كافر يرجى إسلامه، وإما مسلم نعطيه لتقوية الإيمان في قلبه، وإما شرير نعطيه لدفع شره عن المسلمين، أو نحو ذلك ممن يكون في تأليفه مصلحة المسلمين"[٣].

والأصل عدم جواز دفع الزكاة للكافر، قال ابن المنذر: "أجمعت الأمة أنه لا يجزئ دفع زكاة المال إلى الذمي"[٤]. وقال الإمام ابن قدامة -رحمه الله-: "لا نعلم بين أهل العلم خلافًا في أن زكاة الأموال لا تُعطى لكافر ولا لمملوك"[٥]. وقد أكد ذلك الإمام الشوكاني -رحمه الله- بقوله: "ولا تحل لكافر ومن له حكمه إلا مؤلفًا"[٦]. والله أعلم.

١٠- من وسائل الدعوة تعليم المسلم الجديد:

إن مما يجب على الداعية تجاه المدعو النصراني الاهتمام به بعد إسلامه وتعليمه ما قد يحتاج إليه من أحكام بالأسلوب الحسن، ومن ذلك التطهر والنظافة عند إسلامه.قال الإمام ابن قدامة -رحمه الله-: "إن الكافر إذا أسلم وجب عليه

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٧٩/٢).

(٢) فتاوى شيخ الإسلام (٢٨٨/٢٨).

(٣) فقه العبادات، ص١٧٣.

(٤) المجموع شرح المهذب، الشيرازي (٥٤/٦). منار السبيل، الضويان (١٩٩/١).

(٥) المغني (٤٨٧/٢).

(٦) السيل الجرار (٦٣/٢).

الغسل"[1]. والشاهد على ذلك من فعل الصحابة ﷺ ما حدث في معركة اليرموك، حينما قال جرجة لخالد بن الوليد ﷺ : (علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه، فشن عليه قربة من ماء، ثم صلى ركعتين...)[2].

١١- من وسائل الدعوة إظهار الفخر والقوة لإرهاب المعاند:

المسلم عزيز على عدوه الكافر في كل وقت من الأوقات، حتى ولو بدا ذلك العدو منتصرًا في بعض الأحيان، فإن عاقبته الذلة والمهانة؛ لأنه من أولياء الطاغوت والمسلم من أولياء الله، والله ﷻ يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[3] ولذلك لا ينبغي للمؤمن أن يظهر الضعف لعدوه، بل عليه أن يتجلد ويريه من نفسه القوة.

قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[4].

ومن شواهد إظهار الصحابة ﷺ للقوة والفخر أمام الملأ من النصارى، أن ماهان طلب خالدًا ﷺ؛ ليبرز إليه فيما بين الصفين في اليرموك فيجتمعا في

---

(١) المغني (١٥٢/١).

(٢) تقدم تخريجه، ص٧٩.

(٣) النساء، الآية: (٧٦).

(٤) النساء، الآية: (١٠٤).

مصلحة لهم، فلما اجتمعا كان فيما عُرض عليه أن قال له: (لقد علمت أن الذي أخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الأمر بكم، وإني قد رأيت أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة[1] تحمل حملها من الطعام والكسوة والآدم[2]، فترجعون بها إلى بلادكم وتعيشون بها أهاليكم... فقال له خالد ﷺ: ما أخرجنا من بلادنا الجوع ولا ضيق الأمر، ولكنا معشر العرب نشرب الدماء، فحدثنا أن لا دماء أحلى من دماء الروم، فأقبلنا نهريق دماءكم ونشربها. قال: فنظر أصحابه بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا ما كنا نحدث به عن العرب من شربها الدماء)[3].

١٢- الإقامة:

قد يضطر الداعية أحيانًا إلى استخدام وسيلة الإقامة لغرض استجابة المدعو للدعوة، وقد استخدم الصحابة ﷺ هذه الوسيلة مع النصارى؛ لأجل اطلاعهم على أحوال المسلمين والتأثر بها فتكون سببًا في دخولهم إلى الإسلام، فحينما أتت رسل المقوقس إلى عمرو بن العاص ﷺ لأجل المصالحة حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: (أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم؟... وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين...فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا همّة، وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على

---

(١) راحلة: القوي من الجمال الصالحة لأن ترحل. انظر: القاموس المحيط، ص١٠٠٥، مادة: الرحل.

(٢) الأدم: جمع أديم وهو الجلد. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١٠/١)، مادة: أدم.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧٤/٢).

ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم، يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاهم. فقال عند ذلك المقوقس: والذي يُحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم...فاجتمعوا على عهد بينهم)[١].

نستنبط من هذا الموقف جوانب الذكاء في القائد عمرو بن العاص ﷺ، حيث استخدم وسيلة بقاء الرسل عنده يومين؛ ليروا عظمة المسلمين فيحملوا هذه الرسالة الوصفية لزعيمهم، وإنما دفعه لهذا التصرف ما يدركه من ذلك الرصيد الضخم الذي يملكه المسلمون آنذاك من الرقي الأخلاقي الذي أذهل أفراد الأمم وقادها.

١٣- ركوب البحر:

لا ريب أنه ينبغي للداعية أن يستخدم كل وسيلة نافعة مشروعة من وسائل الدعوة الحديثة لأجل القيام بالدعوة إلى الله ﷻ، وقد استفاد الصحابة ﷺ من الوسائل الحديثة في عصرهم لدعوة النصارى إلى الإسلام، ومن ذلك ركوب البحر. قال الإمام النووي -رحمه الله-: "جواز ركوب البحر للرجال والنساء وكذا قاله الجمهور"[٢]. ولم يكن العرب وهم عماد الجيش الإسلامي في فتوحاته الأولى أهل خبرة في البحر وركوبه، مقارنة بغيرهم من الأمم المجاورة لهم كالفرس والروم، وقد حاول معاوية بن أبي سفيان ﷺ أن يستأذن عمر ﷺ في ركوب البحر

---

(١) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٥٩/١٣).

بالمسلمين وغزو الروم عن طريقه، فاستوصف عمر ﷺ من معاوية عن البحر وراكبه، فوصفه معاوية ﷺ وصفًا دقيقًا تخوَّف عمر ﷺ منه، وبالتالي لم يأذن له ولا لغيره بالغزو البحري، وقد حاول الروم استغلال البحر لإيقاع ضربات متكررة بالمسلمين في كل من الشام ومصر وخصوصًا المناطق الساحلية، حيث أخذوا يغيِّرون على المسلمين في سفنهم البحرية، فأحس المسلمون أثناء خلافة عثمان ﷺ بضرورة وجود أسطول بحري[1] قوي يعمل على المحافظة على الثغور الساحلية الإسلامية ضد هجمات الروم، بل ويقوم بالفتوح في أماكن جديدة في جزر بحر الروم.

وبعد دراسة متأنية من قبل عثمان ﷺ وأمرائه في الشام ومصر، عمل المسلمون في المنطقتين على بناء السفن، واستعانوا بخبرة أفراد الروم في الشام والقبط في مصر، مقابل أموال يدفعونها لهم، وبدأت نواة الأسطول الإسلامي تتكوَّن، حتى أصبحت سفن المسلمين جاهزة للقيام بفتوح جديدة في البحر.

فاستأذن أمير الشام معاوية بن أبي سفيان ﷺ من الخليفة عثمان ﷺ في فتح قبرص فوافقه عثمان ﷺ واشترط عليه ألا يجبر أحدًا من المسلمين على ركوب البحر، وأن يكون معاوية في الغزو شخصيًّا، وأن يحمل معه أهله قائلًا: (لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم؛ خيِّرهم، فمن اختار الغزو طائعًا فاحمله وأعنه ففعل)[2]. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "إن أول من ركبه للغزو معاوية

---

(١) أسطول بحري: مجموعة من السفن تعد للحرب أو للنقل. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١٧/١)، مادة: الأسطول.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٧٢٩. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٣٦٤/٢) وابن الأثير في الكامل (٤٩٩/١). وقال محقق كتاب الطبري إسناده ضعيف ويشهد له ما ورد في صحيح البخاري عن أم حرام رضي الله عنها. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣١٣/٣).

بن أبي سفيان في خلافة عثمان، وذكر مالك أن عمر ﷺ كان يمنع الناس من ركوب البحر حتى كان عثمان ﷺ فما زال معاوية يستأذنه حتى أذن له"[1].

ودل على خروج معاوية لقتال الروم، قول النبي ﷺ : (**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا. قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّبِي ﷺ: أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ**[2] **مَغْفُورٌ لَهُمْ، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لا**)[3]. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله- قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية؛ لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد؛ لأنه أول من غزا مدينة قيصر"[4]. فخرج معاوية ومعه جمع من الصحابة ﷺ ووصلوا إلى قبرس فطلب أهلها الصلح وأقروا بدفع الجزية، فوافقهم المسلمون واشترطوا أن يكونوا عونًا للمسلمين، وألا يعينوا الروم ضد المسلمين أبدًا، ولكن أهلها أعانوا الروم وكشفوا لهم عورات المسلمين فغزاهم معاوية ﷺ مرة أخرى سنة ٣٣هـ وفتحها عنوة. قال أبو جعفر: (ولما غزا معاوية قبرس؛ صالح أهلها....على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة، ويؤدون إلى الروم مثلها، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك، على ألا يغزوهم ولا يقاتلوا من ورائهم ممن أرادهم من خلفهم، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم...)[5].

---

(١) إتحاف القاري (٢/٦٠٠).

(٢) مدينة قيصر: القسطنطينية وقيل: حمص. إتحاف القاري، العدوي (٢/٦٠٩).

(٣) تقدم تخريجه، ص٩٨.

(٤) إتحاف القاري، العدوي (٢/٦٠٩).

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٧٢٩. وقال محققا الكتاب: ضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٨/٤٧٥).

واستخدم الصحابة ﷺ غزو البحر مرة أخرى في غزوة ذات الصواري[1]، فتحركت في وقت واحد أساطيل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وأساطيل مصر يقودها عبدالله بن سعد بن أبي السرح ﷺ ضد قسطنطين بن هرقل والتي انتهت بانتصار المسلمين[2].

ومما تقدم سابقًا يتبيَّن استفادة الصحابة ﷺ من استخدام وسيلة ركوب البحر في تبليغ الدعوة إلى النصارى وانتشار الإسلام بحمد الله.

١٤- اتخاذ الصحابة ﷺ الألوية والرايات[3]:

ارتبطت الألوية والرايات بالمعارك والحروب ارتباطًا وثيقًا منذ نشأتها على يد رسول الله ﷺ؛ باعتبارها شعارًا من شعارات الحرب، وقد أعطى الرسول ﷺ الراية لعلي بن أبي طالب ﷺ يوم خيبر[4]، وقال له: (**لأعطين الراية –أو قال: ليأخذن– غدًا رجل يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه. فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ ففتح الله عليه**)[5].

قال الإمام ابن العربي –رحمه الله–: "هذه السنة في أهبة الحرب وجماله، وقد

---

(١) ذكر الطبري غزوة الصواري ضمن أحداث سنة ٣١هـ ولكن أغلب المؤرخين ذكرها سنة٣٤هـ. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٣٢٠). فتوح مصر، ص٣٢١.

(٢) ذكر الطبري عدة روايات عن هذه الغزوة كلها ضعيفة. انظر: تاريخ الأمم والملوك، ص٧٣٩. صحيح تاريخ الطبري (٣/٣٢٠). فتوح مصر، ص٣٢٠.

(٣) اللواء: العلم وهو دون الراية، وهو ما لُوي أعلاه أو لُوي كله. والراية: هو ما يأخذه أمير الجيش للعلامة على مكانه. وسُمي راية؛ لأنه يُرى. وقيل: ما يُعقد في الرمح ويترك حتى تصفقه الرياح يحملها رئيس الجيش. والفرق أن اللواء يكون ملويًّ والراية تكون مفلولة. والمقصود منهما المعرفة. الفتح الرباني، البنا (١٤/٥١). القول المفيد، ابن عثيمين(١/١٣٢).

(٤) خيبر: موضع بالحجاز. معجم الصحاح، الرازي، ص٢٨١.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٧١، رقم (٢٩٧٥)، كتاب الجهاد والسير، باب: ما قيل في لواء النبي ﷺ.

كان للنبي ﷺ يوم بدر[1] ثلاثة ألوية"[2]. وقد سار على هديه صحابته الكرام من بعده، فكانوا يعقدون الألوية والرايات لأنفسهم ولأمرائهم وقادتهم عند تقليدهم إدارة الجيوش في الفتوحات الإسلامية ضد النصارى، فقد عقد أبو بكر رضي الله عنه الألوية والرايات لعدد من الصحابة رضي الله عنهم حينما توجَّهت الجيوش الإسلامية إلى الشام؛ لمواجهة الجيش النصراني، وكان يقول: (فإني مؤمِّر عليكم أمراء وعاقد لكم ألوية)[3]. قال الإمام ابن كثير –رحمه الله–: "ثم شرع الصديق في تولية الأمراء، وعقد الألوية والرايات، فيقال: إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص[4]"[5]. وفي حمص[6] (انتهى المسلمون بتسع رايات أول يوم نزلوها، وكان لطي[7] فيها رايتان، وكان لهم عدة وجلدًا وقوة إذا لقوا المشركين)[8]. وعن أدهم بن محرز، قال: (أول راية دخلت أرض حمص ودارت حول مدينتها

---

(١) بدر: وادٍ يقع بين مكة والمدينة، وكان به غزوة بدر المشهورة في صدر الإسلام. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٤٣/١).

(٢) عارضة الأحوذي، ابن العربي (١٣٢/٧).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/٢). وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (١٩٢/٢٥)، والكلاعي في الاكتفاء (١٦٩/٢). وعقد ابن أبي شيبة في مصنفه باباً في عقد الألوية (٥١٣/١٢). اللواء الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب أو صاحب دعوة الجيش ويكون الناس تبعاً له....

(٤) خالد بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة القرشي، أسلم قديمًا، هاجر إلى الحبشة، استعمله أبو بكر رضي الله عنه على الجيش الذي بعثه إلى الشام، قيل: قُتل يوم أجنادين وأكثر الروايات على أنه قتل بمرج الصفر بدمشق. انظر: أسد الغابة، ابن الأثير (٨٧/٢). الإصابة، ابن حجر (٢٠٣/٢). سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٦٢/٣).

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير (٦/٧).

(٦) حمص: بلد مشهور قديم بين دمشق وحلب. معجم البلدان، الحموي (٣٠٢/٢). قال ابن عساكر:"وفي سنة أربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحًا على يدي أبي عبيدة وصالح أهل حلب وكتب لهم كتابًا". تهذيب تاريخ دمشق، بدران (١٦٤/٧).

(٧) طيء: من قبائل الجزيرة إحدى محافظات الجمهورية السورية، ذات مكانة وعراقة. انظر: معجم قبائل العرب، كحالة (٦٨٨/٢).

(٨) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٣٠.

راية ميسرة بن مسروق العبسي[1])[2].

١٥- الجهاد[3]:

أمر الله ﷻ في القرآن الكريم بقتال المحاربين للإسلام من النصارى ممن لم يسلم منهم ولم يقبل دفع الجزية. قال تعالى: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[4] قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "هذه الآية الكريمة نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعدما تمهَّدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجًا واستقامت جزيرة العرب حيث أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى وكان ذلك في سنة تسع، ولهذا تجهَّز رسول الله ﷺ لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك"[5].

وبعد وفاة الرسول ﷺ اهتم الصحابة ﷺ بالجهاد كوسيلة من الوسائل العملية التطبيقية في دعوة النصارى إلى الإسلام، وكانوا يسارعون إلى الخروج في سبيل الله ﷻ. قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "ثم بعد وفاة الرسول ﷺ قاموا -أي

(١) ميسرة بن مسروق العبسي، قائد من شجعان الصحابة، كان أحد التسعة الذين وفدوا على النبي ﷺ، شهد حجة الوداع. انظر: الأعلام (٣٣٩/٧).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٣١. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٤٦/٢)، وابن حجر في الإصابة (١٨٨/٦).

(٣) الجهاد لغة: المشقة. وشرعًا: عرفه شيخ الإسلام بن تيمية-رحمه الله- فقال:"الجهاد هو بذل الوسع وهو القدرة في حصول محبوب الحق، ودفع ما يكرهه الحق"وقال في موضع آخر:"الاجتهاد فيما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان".الفتاوى (١٩٢/١٠-١٩٣).

(٤) التوبة، الآية: (٢٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣٦٠/٢).

الصحابة- بالدعوة والجهاد والتعليم والتفقيه في الشام والعراق واليمن ومصر وغير ذلك، وفي شرق وشمال إفريقيا، ثم لم تزل الدعوة تنتشر في إفريقيا كلها وفي الشرق كله حتى ظهرت الدعوة وانتشرت في أقصى المغرب والمشرق"(١).

وكان الصحابة ﷺ يؤكدون على فرضية الجهاد في كثير من كتاباتهم، ومن ذلك حينما كتب أبو بكر الصديق ﷺ إلى أهل اليمن يستنفرهم إلى الجهاد في بلاد الشام، فقال في كتابه لهم: (بسم الله الرحمن الرحيم. من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قُرىء عليه كتابي من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن. سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فان الله كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافًا وثقالًا، وقال: جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، فالجهاد فريضة مفروضة وثوابه عند الله عظيم، وقد استنفرنا من قبلكم من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك وعسكروا وخرجوا وحسنت في ذلك نيتهم وعظمت في الخير حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم وإلى إحدى الحسنين: إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة، فإن الله لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يترك أهل عداوته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم الكتاب أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون. حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكّى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين، والسلام عليكم. وبعث هذا الكتاب مع أنس ابن مالك)(٢).

ومن ذلك رسالة أبي بكر الصديق ﷺ إلى خالد بن الوليد ﷺ: (من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد،

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١٢٢/٣).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٩٧.

فالحمد لله الذي أنجز وعده ونصر دينه وأعزَّ وليَّه وأذلَّ عدوَّه وغلب الأحزاب فردًا، فإن الله الذي لا إله إلا هو ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[1] وعدًا لا خلف له ومقالًا لا ريب فيه، وفرض على المؤمنين الجهاد، فقال عز من قائل: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[2]"[3]. ولم يقتصر دور الصحابة في الأمر بالجهاد والحث عليه، بل إنهم أكَّدوا على ضرورة الالتزام بآداب القتال؛ اقتداء بمنهج الرسول ﷺ في ذلك[4].

ومن أبرز الوصايا وصية أبو بكر الصديق رضي الله عنه للقائد أسامة بن زيد رضي الله عنه ومن معه من المسلمين قبيل مواجهة الروم في بلاد الشام حيث قال: (يا أيها النـــاس،

---

(١) النور، الآية: (٥٥).

(٢) البقرة، الآية: (٢١٦).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٣٠٢) رقم (١٨٦١٠) والأزدي في فتوح الشام، ص٣٧. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (١/٣٧٧).

(٤) حيث كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرًا على جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه مـــن المسلمين خيرًا وقال: (**اغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال..**). أخرجه الإمام مســـلم في صحيحه، ص٧٢٠، رقم (١٧٣٠)، كتاب الجهاد، باب: جواز الإغارة على الكفار.

قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...)(١). كما كانوا يعرضون دعوة الإسلام على قادة الجيش قبل البدء بقتال النصارى، ومن ذلك قول عبادة بن الصامت ﷺ لملك مصر المقوقس: (ليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك، ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث خصال، فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد الرسول ﷺ من قبل إلينا، أما أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه. فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولا نستحل أذاكم ولا التعرض لكم، وإن أبيتم إلا الجزية فأدُّوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدًا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا. وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم...)(٢). من هذه الآثار وغيرها يتبيَّن منهج الصحابة ﷺ في استخدامهم لوسيلة جهاد

(١) تقدم تخريجه، ص٤٦.

(٢) تقدم تخريجه، ص٩٠.

النصارى. ويمكن تلخيص هذا المنهج بالنقاط الآتية:

١- وجوب تبليغ النصارى دعوة الإسلام وتوضيحها لهم.

٢- دعوتهم إلى الدخول فيه.

٣- فإن لم يقبلوا الإسلام دعوا إلى دفع الجزية.

٤- فإن لم يدفعوها أنذروا بالحرب والقتال.

٥- فإن دعوا إلى السلم والصلح وجنحوا لهما فلا مانع من تلبية دعوتهم، وعقد هدنة معهم.

٦- فإن لم يفعلوا شيئًا من ذلك قوتلوا عندئذ.

٧- لكن لا يقتل إلا من يقاتل. أما النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ومن لم يشارك فلا يجوز قتله(١).

٨- كما لا ينبغي إحراق الزروع والثمار والأشجار بدون حاجة وسبب(٢).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فصل في قتال الكفار هل هو بسبب المقاتلة أو بمجرد الكفر؟ في ذلك قولان مشهوران للعلماء: القول الأول: قول الجمهور، كمالك وأحمد بن حنبل، وأبي حنيفة وغيرهم، وهو أنه يقاتل بسبب قتاله، والقول الثاني: قول الشافعي وبعض أصحاب أحمد، أن القتال لمجرد الكفر. وقول الجمهور هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار. انظر: قاعدة مختصرة في قتال الكفار، ص٩٠. انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، الهيثمي (٢/٨٨).

(٢) ولكن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: (حرّق النبي ﷺ نخل بني النضير). أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٧٨، رقم (٣٠٢١)، كتاب الجهاد، باب: حرق الدور والنخيل. قال الإمام ابن حجر: "وذهب الجمهور إلى جواز التحريق والتخريب في بلاد العدو، وكرهه الأوزاعي والليث وأبو ثور، واحتجوا بوصية أبي بكر لجيوشه ألا يفعلوا شيئًا من ذلك، وأجاب الطبري بأن النهي محمول على القصد لذلك بخلاف ما إذا أصابوا ذلك من خلال القتال، كما وقع في نصب المنجنيق على الطائف، وهو نحو ما أجاب به في النهي عن قتل النساء والصبيان، وبهذا قال أكثر أهل العلم... وقال غيره: إنما نهى =

٩- عدم الخيانة والغلول بأن يكتم شيئًا من الغنيمة وهو من كبائر الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[١].

١٠- عدم الغدر وهو الخيانة، فإذا عاهد المسلمون أهل الذمة فإنه يحرم الغدر. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "الغدر حرام باتفاق، سواء كان في حق المسلم أو الذمي"[٢]. أما الغدر بلا عهد فللمسلمين ذلك؛ لأن الحرب خدعة.

١١- عدم التمثيل، وهو التشويه بقطع الأعضاء عند أسرهم[٣].

١٢- أن يكون بإذن إمام المسلمين، لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور، وليس أفراد الناس، والغزو بلا إذنه تعد على حدوده، ولأن الجهاد يحتاج إلى سلطة وهيبة وقهر، وإلى استخدام السلاح فلا بد فيه من إذن الإمام وطاعته[٤]. فحينما استنفر أبو بكر الصحابة ﷺ لغزو الروم في معركة اليرموك أظهروا استجابتهم وطاعتهم له. قال خالد بن سعيد بن العاص ﷺ لأبي بكر ﷺ : (نحن غير مخالفين لك ولا متخلفين عنك، وأنت الوالي الناصح الشفيق، ننفر إذا استنفرتنا، ونطيع إذا أمرتنا، ونجيبك إذا دعوتنا، ففرح أبو بكر

=

أبوبكر جيوشه عن ذلك؛ لأنه علم أن تلك البلاد ستفتح فأراد إبقاءها على المسلمين. والله أعلم. إتحاف القاري، العدوي (٢/٦٤٥).

(١) آل عمران، الآية: (١٦١).

(٢) إتحاف القاري، العدوي (٢/٧٢٠).

(٣) القول المفيد، ابن عثيمين (٣/ ٢٤٤).

(٤) انظر: الشرح الممتع (٨/٢٥). انظر: التعامل مع غير المسلمين، الطريقي، ص٤٧.

بمقالته...)[1].

كما أن من منهج الصحابة ﷺ العدول عن قتال النصارى في حال أظهروا سلمهم، عن أبي عثمان وجارية، قالا: (وبعث أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين، فلما نزل بالحاضر[2] زحف إليهم الروم، وعليهم ميناس، وهو رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل، فالتقوا بالحاضر، فقتل ميناس ومن معه مقتله لم يقتلوا مثلها، فأما الروم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد، وأما أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أهم عرب، وأهم إنما حشروا ولم يكن من رأيهم حربة، فقبل منهم وتركهم...)[3].

إن استخدام الصحابة ﷺ وسيلة الجهاد مع النصارى كان لها أثر عليهم من حيث إن عملية الجهاد أتاحت لأعداد كبيرة من النصارى المقاتلين الاحتكاك بالمسلمين ومعرفة معتقداتهم وأخلاقهم، الأمر الذي جعل أعدادًا كبيرة منهم يعتنقون الإسلام أو يخضعون لأمر الجزية. كما كان للجهاد أثر في دعوة النصارى من ناحية؛ كونه أتاح الكثير من الاتصالات بين قادة الفريقين سواء عن طريق الرسل أم من خلال الرسائل والمكاتبات، التي حولت نظرة بعض قادة النصارى تجاه المسلمين من عداء لا يقبل النقاش والمفاوضة إلى مهادنة وصلح.

إن قيام الصحابة ﷺ بوسيلة الجهاد ضد النصارى ليس معناه إكراههم على الدخول في الإسلام، ولو كان كذلك ما شُرعت الجزية؛ لأنه يجب أن يدخلوا

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٦٥). وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (٢٥/١٩٤)، والكلاعي في الاكتفاء (٢/١٧٠).

(٢) الحاضر: هو حاضر حلب يجمع أصنافا من العرب من تنوخ وغيرهم، صالحهم أبو عبيدة ثم أسلموا. معجم البلدان، الحموي (٢/٢٠٦).

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٢٦، والكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٥٠)، وابن الأثير في الكامل (١/٤٣٤)، وابن العديم في بغية الطلب (١/٥٧٨)، وقال محققا كتاب الطبري: إسناده ضعيف وله ما يؤيده. صحيح تاريخ الطبري (٣/٢٠٨).

في الدِّين أو يُقاتلوا، وهذا هو الراجح الذي يؤيده القرآن والسنة[١].

على أنه ينبغي التنبيه أن استخدم وسيلة الجهاد مناط بإذن الإمام، قال الإمام ابن قدامة-رحمه الله-:"وأمر الجهاد موكول بالإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته، فيما يراه من ذلك"[٢].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله- "لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر؛ لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور وليس أفراد الناس ، فأفراد الناس تبع لأهل الحل والعقد ، فلا يجوز لأحد أن يغزو دون إذن الإمام"[٣].

---

(١) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين (٣/٢٥٤).

(٢) المغني (١٠/ ٣٦٨).

(٣) الشرح الممتع (٨/ ٢٢).

المبحث الثاني

أساليب الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام

إن منهج دعوة الصحابة ﷺ مع النصارى يظهر في مجموعة الأساليب المستخدمة التي مكنتهم من عرض الدعوة بطريقة مناسبة لحال المدعوين منهم في البلاد المفتوحة، وإن المتأمل لتلك الأساليب يجد أنها تنطوي تحت ثلاثة أساليب رئيسة جاءت نصًّا في كتاب الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1] كما أن الصحابة ﷺ استخدموا أساليب بيانية تخدم في الغالب الأساليب الرئيسة، وعلى هذا الأساس قسمت هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: أساليب رئيسة، ويتضمن :

أولاً: أسلوب الحكمة.

ثانياً: أسلوب الموعظة الحسنة.

ثالثاً: أسلوب المجادلة الحسنة.

المطلب الثاني : أساليب بيانية، ويتضمن:

١- أسلوب الأمر.

٢- أسلوب الاستفهام.

٣- أسلوب التصريح

٤- حسن المنطق.

٥- أسلوب النهي.

---

(١) النحل، الآية : (١٢٥).

المطلب الأول

أساليب رئيسة

الأسلوب الأول: أسلوب الحكمة[1]:

لا شك أن للحكمة أهمية عظيمة في حياة المسلم عامة، وفي حياة الداعية خاصة، إذ إن الحكمة الدعوية من أسباب فاعلية المنهج الدعوي، ومن ثم باتت الحكمة لازمة للمنهج الدعوي ولا تنفك عنه. كما تقتضي الحكمة الإفادة من المنهج الدعوي للوصول بالمدعو إلى أفضل النتائج. فالحكمة الدعوية تدور وجودًا وعدمًا مع مصلحة المدعو.

ولأهمية الحكمة قدَّمها الله ﷻ في كتابه عندما أمر رسوله ﷺ بالدعوة إلى سبيل ربه، وأمته تبع له في ذلك. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [2] ففي هذه الآية بيان لأبرز معالم منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام[3]. والتي منها الحكمة، **التي ظهرت في جوانب متعددة منها:**

---

(١) الحكمة في اللغة: العلم والتفقه وقيل العدل.انظر: معجم الصحاح،الجوهري ص٢٥٢،أما الحكمة في الاصطلاح الشرعي، قال الإمام ابن القيم: "إن أحسن ما قيل في الحكمة أنها: "معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل" مدارج السالكين، ابن القيم (٤٤٨/٢). والحكمة في الدعوة عرفها الشيخ ابن باز–رحمه الله– بأنها:"الدعوة إلى الله بالعلم والبصيرة، والأدلة الواضحة المقنعة الكاشفة للحق، والمبينة له" الدعوة إلى الله، ص٢٨.

(٢) النحل، الآية: (١٢٥).

(٣) وقد اُختلف في الآية هل هي محكمة أم منسوخة بآيات القتال؟ والراجح أنها محكمة لا سيما مع النصارى الذين أجاز لهم الإسلام حق البقاء في ديار المسلمين. قال الإمام القرطبي": إن أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار، ورجي إيمانه بها دون قتاله، فهي فيه محكمة".الجامع لأحكام القرآن (١٣١/١٠).

أ- تنفيذ أبي بكر ﷺ ببعث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-:

حرص أبو بكر ﷺ على إنفاذ جيش أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- بعد وفاة الرسول ﷺ؛ وذلك لمحاربة الروم بالرغم من شدة الأحوال ومعارضة بعض الصحابة ﷺ؛ وذلك امتثالًا لأمر النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: (أن رسول الله ﷺ بعث بعثًا، وأمر عليهم أسامة بن زيد...)[1]، وقال أبو بكر ﷺ : (والله لو أني أعلم أن الذئاب والكلاب تنهشني[2] بها ما رددت أمرًا أَمَرَ به رسول الله ﷺ، امضِ فإن الله سيعيننا...)[3]. فكان خروج أسامة إلى الروم بأرض الشام في ذلك الوقت من أكبر المصالح؛ إذ كان فيه زيادة القوة المعنوية للمسلمين، وإضعاف واضح لمعنويات المنافقين والمرتدين، الذين شعروا أن لدى المسلمين قوة معنوية كبيرة جدًّا، ولو لم يكن ذلك لما تم إرسال هذا الجيش إلى تلك المناطق النائية التي تقع على أطراف الجزيرة العربية وحتى خارج نطاقها.

ب- دعوة الصحابة ﷺ القادة وأصحاب السلطان للإسلام:

إن من حكمة المنهج في دعوة النصارى إلى الإسلام لدى الصحابة ﷺ، الاهتمام بدعوة أصحاب السلطة من القادة والرؤساء، وإقناعهم بالدخول في الإسلام وبذل الجهد في ذلك؛ لما لهم من تأثير على عامة الناس، ومن ذلك:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٤٤٦٨، رقم (٤٤٦٨)،كتاب المغازي، باب: بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد.

(٢) تنهشني: تعضني وتخدشني. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٩٥٨) مادة: نهش.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في السنن (٢/٣٦٨) ورجاله ثقات. انظر: جامع الآثار القوليَّة والفعلية الصحيحة للخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ. ص١٤٣.

دعوة خالد بن الوليد ﷺ أشراف الحيرة إلى الإسلام[١]، ودعوة عبادة بن الصامت ﷺ المقوقس ملك مصر[٢]، ودعوة عمر بن الخطاب ﷺ جبلة بن الأيهم ملك غسان، وتخييره بين الإسلام أو الجزية أو القتال[٣].

ج- عقد الصحابة ﷺ الذمة لنصارى الشام:

لقد عقد الصحابة ﷺ الذمة في كل بلد ذهبوا إليه، وفي ذلك حكمة عظيمة؛ لما قد يترتب عليه من احتكاك النصارى بالمسلمين وتأثرهم بهم ومن ثم دخولهم في الإسلام، وقد أُعجب أهالي بعض المدن المفتوحة بهدي الصحابة ﷺ وشهدوا صورًا من عدلهم وسماحتهم، مما جعلهم يقبلون مقتنعين للدخول في الإسلام. قال العلماء: "الحكمة من وضع الجزية أن الذل الذي يلحقهم ويحملهم على الدخول في الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الاطلاع على محاسن الإسلام"[٤].

د- ترك قتال من لا يُقاتل من النصارى:

إن من مظاهر الحكمة لدى الصحابة ﷺ أنهم لا يقاتلون إلا من قاتل من النصارى، مع ترك النساء والرهبان والأطفال والمرضى وغيرهم ممن لا علاقة له بأمور الحرب، وفي ذلك بيان لسماحة الإسلام ويسره، وتأكيد على أن هدف الصحابة ﷺ من القتال هو إعلاء كلمة الله؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله. فقد كان أبو بكر ﷺ يأمر الجيوش المتوجهة لغزو الروم بعدم التعرض للنساء والأطفال، وكذلك عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلى أمراء الأجناد أن يقاتلوا في

---

(١) تقدم تخريجه، ص٨٩.

(٢) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٣) تقدم تخريجه، ص١١١.

(٤) إتحاف القاري، العدوي (٧٠٧/٢).

سبيل الله، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم، ولا يقتلوا النساء ولا الصبيان[1].

هـ- الاستدلال بالقرآن؛ إعظامًا له أمام المخالف:

إن من الحكمة في دعوة النصارى إلى الإسلام الاستدلال بإدلة من القرآن أثناء المحاورة، وفي هذا إقناع للمدعو ورد على شبهته، ومن المواقف الدالة على استدلال الصحابة بالقرآن، قول عمر بن الخطاب ﷺ لقيصر ملك الروم: (اتق الله ولا تتخذ عيسى إلهًا من دون الله ف ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[2])[3].

وموقف آخر حينما سأل الرومي أبا عبيدة ﷺ فقال: (أخبروني عن قول صاحبكم في عيسى ابن مريم ما كان؟ وما قولكم أنتم فيه؟ قال أبو عبيدة: قول صاحبنا قول الله عز وجل، وهو أصدق القول وأبره. قال الله ﷻ في عيسى ابن مريم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[4]...)[5].

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٤٨.

(٢) آل عمران، الآية: (٥٩).

(٣) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٤) النساء، الآيتان: (١٧١-١٧٢).

(٥) تقدم تخريجه، ص١٩٠.

و- استخدام أسلوب قياس الأولى:

ظهرت حكمة الصحابة ﷺ مع النصارى في استخدمهم أسلوب قياس الأولى، وهو رد فرع إلى أصل بنوع شبه، كما رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم -عليهما السلام- بنوع شبه(١)، أو بعبارة أشمل وأضبط، أن يكون المقيس مماثلًا للمقيس عليه أو أولى بالحكم منه، "فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صحَّ ادِّعاء البنوة والإلهية، في المسيح، فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى"(٢)، فلهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٣). واقتبس الصحابة ﷺ هذا الرد في حوارهم مع النصارى. قال معاذ بن جبل ﷺ لقائد الروم في وقعة فحل: (نحن نؤمن بنبيكم، ونشهد أنه عبد من عبيد الله، وأنه رسول من رسل الله، وأن مثله عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون...)(٤).

ي- أسلوب الاستدلال بمسلمات الخصم(٥):

من الحكمة في دعوة النصارى إلى الإسلام استخدام الأساليب العقلية، ومنها الاستدلال بمسلمات الخصم، عن طريق نفي عقيدة التثليث وإثبات الوحدانية لله

---

(١) معالم التنزيل، البغوي (٤٧٩/١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٣٣.

(٣) آل عمران، الآية: (٥٩).

(٤) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٥) ويعني ذلك: الاستفادة من معتقدات الخصم وما يعترف به؛ لإقناعه بالحق والرد على شبهاته.

تعالى، فعقيدة التثليث لم تكن في أمة من الأمم السابقة، من عهد آدم عليه السلام إلى رفع عيسى عليه السلام. أما عقيدة التوحيد هي دين الأنبياء وأتباعهم. كما أن كتب العهد القديم عند أهل الكتاب ناطقة بأن الله واحد أزليٌّ، أبديٌّ، حيٌّ لا يموت، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته[1]. وقد تولى القرآن الكريم الرد على هذه القضية، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ ﴾[2]. كما نفى الصحابة رضي الله عنهم اعتقادات النصارى الباطلة. قال معاذ بن جبل رضي الله عنه لقائد الروم في وقعة فحل: (...ولا نقول: إنه ثاني اثنين، ولا ثالث ثلاثة، ولا أن لله ولدًا، ولا أن له صاحبة ولا ولدًا، ولا أن معه آلهة أخرى، لا إله إلا هو، تعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا)[3].

الأسلوب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة[4]:

حث الله عز وجل في كتابه الكريم على استخدام أسلوب الموعظة واشترط لها شرطًا أساسيًّا وهامًّا لا تنفك عنه ألا وهو كونها حسنة. قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[5] قال الإمام الخازن –رحمه

---

(١) مختصر كتاب إظهار الحق، الهندي، ص١٢٥.

(٢) النساء، الآية: (١٧١).

(٣) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٤) الموعظة لغة: النصح والتذكير بالعواقب. لسان العرب، ابن منظور (٤٦٦/٧) اصطلاحًا: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. انظر: الفتاوى، ابن تيمية (١٦٤/١٩).

(٥) النحل، الآية (١٢٥).

الله-: "والموعظة الحسنة يعني وادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب"[1]. ولقد كان من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام استخدام أسلوب الموعظة الحسنة عن طريق الترغيب والترهيب. وفيما يلي أعرض عددًا من الشواهد الدالة على استخدام كلا الأسلوبين.

أولا: أسلوب الترغيب[2]:

حرص الإسلام على هداية النصارى؛ لإخراجهم من الضلالة إلى الهدى، وإنقاذهم من النار، ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[3] قال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: "أي لو أن المتمسكين بالكتاب، وهم اليهود والنصارى ﴿ءَامَنُوا۟﴾ الإيمان الذي طلبه الله منهم، ومن أهمها الإيمان بما جاء به محمد ﷺ كما أمروا بذلك في كتب الله المنزلة عليهم ﴿ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ المعاصي التي من أعظمها ما هم عليه من الشرك بالله والجحود لما جاء به رسول الله ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ ﴾ سَيِّـَٔاتِهِمْ التي اقترفوها، وإن كانت كثيرة متنوعة"[4]. وقد تعددت المواقف والموضوعات التي ورد فيها ترغيب الصحابة ﷺ للنصارى، ويمكن تقسيم تلك

---

(١) مختصر تفسير القرآن الكريم للخازن (٢/٧٣٩).

(٢) الترغيب لغة: الحرص على الشيء والطمع فيه. واصطلاحًا: هو تشويق المدعو النصراني إلى الاستجابة إلى الدعوة. انظر: أساليب في الوعظ والإرشاد،محمود عبيدات، ص١٣٣.

(٣) المائدة، الآية: (٦٥).

(٤) فتح القدير (٢/٨٥).

المواقف إلى ترغيب قولي وترغيب عملي، على النحو الآتي:

أ- **الترغيب القولي:**

تمثل ترغيب الصحابة ﷺ للنصارى عن طريق القول في الموضوعات الآتية:

١- إعلامهم أن الإسلام سبب السعادة في الدنيا والآخرة:

استخدم هذا الأسلوب عبادة بن الصامت ﷺ مع المقوقس ملك مصر، حينما قال له: (أما أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدِّين الذي يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله، فإن قبلت أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم...)[١].

٢- بيان فضل من أسلم من أهل الكتاب:

يوضح الداعية للنصراني مبدأ إعطاء الفرصة، وبيان فضل من أسلم، وأن الإنسان إذا أسلم فإن ذنوبه السابقة لا تحط عنه فحسب، بل يبدلها الله تعالى حسنات، فهذا مبدأ عظيم يشرح الصدور لقبول هذه الدعوة الجديدة. وقد كان ذلك من منهج النبي ﷺ حينما قال: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين -وذكر منهم- (**ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنًا ثم آمن بالنبي ﷺ، فله أجران...**)[٢]. وفي معركة اليرموك وفي أثناء حوار أبي عبيدة ﷺ وجمع من الصحابة ﷺ مع أحد قوّاد الروم لدعوته إلى الإسلام. قال الرومي: (أتضمنون

(١) تقدم تخريجه، ص٨٩.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٧٦ رقم (٣٠١١)، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم من أهل الكتابين.

لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم؟ فقالوا له: نعم، إن أنت أسلمت واستسلمت و لم تغير حتى تموت فإنك من أهل الجنة، فقال: فإني أشهد أني من المسلمين...)[1].

٣- أن الإسلام سبب في حماية أموالهم ودماؤهم:

إذا نظرنا إلى ما قدَّمه الدعاة من الصحابة ﷺ لأهل البلاد من المعاملة الحسنة، وكتب الأمان لأبدانهم وأموالهم وممتلكاتهم وأعراضهم، وتخفيف الجزية عنهم، بل العفو عنها عند عجزهم، فإننا نجد في هذا ترغيبًا للنصارى في هذا الدين الجديد، فقد كتب أبو عبيدة ﷺ لأهل بيت المقدس ما نصَّه: (بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة إيلياء وسكانها، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله العظيم ورسوله، أما بعد. فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإذا شهدتم بذلك حرِّمت علينا دماؤكم وأموالكم، وكنتم إخواننا في ديننا...)[2].

٤- أن الإسلام لا يكره أحدًا على الدخول فيه:

من يتأمل فعل الصحابة ﷺ مع النصارى في تخييرهم بين ثلاث خيارات في الدعوة إلى الإسلام، هو ترغيب لهم في الدخول إلى الإسلام؛ لأن النصراني لا يجد نفسه مكرهًا على قبول الإسلام، بل وضعه أمام خيارات يختار منها ما يشاء، وهذا مما يشجع على الدخول في الدِّين الإسلامي. ومن ذلك دعوة خالد بن الوليد ﷺ أهل الحيرة، إذ قال لهم: (إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام، فإن قبلتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٩١.

(٢) تقدم تخريجه، ص٨٦.

فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر، فقالوا: لا حاجة لنا في حربك، فصالحهم)[١].

٥- بيان النقلة النوعية التي أحدثها الإسلام في العرب:

كانت حوارات الصحابة ﷺ مع النصارى تتضمن بيان دين الله وإظهار محاسنه، وهذا كله من الترغيب، كما في الحوار الذي دار بين خالد بن الوليد ﷺ وباهان قائد الروم، وكان مما قاله خالد مبينًا النقلة النوعية التي أحدثها الإسلام في العرب: (كنا معشر العرب أمة من هذه الأمم أنزلنا الله -وله الحمد- منزلًا من الأرض، ليست بها أنهار جارية، ولا يكون به من الزرع إلا القليل...، وعيش شديد، وبلاء دائم لازم، نقطع أرحامنا، ونقتل خشية الإملاق[٢] أولادنا، ويأكل قوينا ضعيفنا وكثيرنا قليلنا، ولا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة، نعبد من دون الله أربابًا وأصنامًا ننحتها بأيدينا من الحجارة التي نختارها على أعيننا، وهي لا تضر ولا تنفع، ونحن عليها مكبون، فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار، من مات منا مات مشركًا وصار إلى النار، ومن بقي منا بقي كافرًا مشركًا بربه قاطعًا لرحمه، إذ بعث الله فينا رسولًا من صميمنا وشرفائنا وخيارنا وكرمائنا وأفضلنا، دعانا إلى الله وحده، أن نعبده ولا نشرك به شيئًا، وأن نخلع الأنداد التي يعبدها المشركون دونه، وقال لنا: لا تتخذوا من دون الله ربكم إلهًا، ولا وليًا ولا نصيرًا، ولا تجعلوا معه صاحبة ولا ولدًا، ولا تعبدوا من دونه نارًا، ولا حجرًا، ولا شمسًا ولا قمرًا، واكتفوا به ربًّا وإلهًا من كل شيء دونه، وكونوا أولياءه، وإليه فادعوا، وإليه فارغبوا، وقال لنا: قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أخرى، وكل من زعم أن لله ولدًا، وأنه ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٤٣.

(٢) الإملاق: الفقر. انظر: المصباح المنير،الفيومي، ص٢٢١، مادة: ملق.

حتى يقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويدخلوا في الإسلام)(١).

٦- بيان محاسن الدِّين الإسلامي:

حرص الصحابة ﷺ في حواراتهم مع النصارى على بيان محاسن الدين، ومنها أن الله ﷻ لا يؤاخذ الكافر بما سبق من عمله قبل إسلامه وذلك فضل من الله ﷻ ورحمة بعباده. قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾(٢). وقال ﷺ: (**مَنْ أَحْسَنَ فِي الإسلام لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإسلام أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ**)(٣). قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "ووجه هذا الحديث أن الكافر إذا أسلم لم يؤاخذ فيما مضى، فان أساء في الإسلام غاية الإساءة وركب أشد المعاصي وهو مستمر على الإسلام، فإنه إنما يؤاخذ بما جنا من المعصية في الإسلام"(٤).

ومن شواهد تبيين مثل هذا الموضوع من مواقف الصحابة ﷺ مع الملأ؛ الحوار الذي دار بين خالد بن الوليد ﷺ وقائد النصارى جرجة حينما أراد دعوته إلى الإسلام، وكان مما قاله جرجة: (...فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا. ثم أعاد عليه جرجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم، وأفضل)(٥).

---

(١) تقدم تخريجه، ص٥٦.

(٢) الأنفال، الآية: (١٠٨).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص١٣٢٠، رقم (٦٩٢١)، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة.

(٤) فتح الباري (٢٦٣/١٤).

(٥) تقدم تخريجه، ص١٨٩.

ب- الترغيب العملي:

لقد تمثَّل ترغيب النصارى إلى الإسلام عن طريق العمل، وذلك بطرق متعددة منها:

١- الإقرار :

استخدم الصحابة ﷺ أسلوب الإقرار، أي أنهم يقرون النصارى المعاهدين على دينهم وعلى أداء شعائرهم الدينية إذا زاولوها بلا إعلان لها أو دعوة إليها، كالصلاة والصيام والأعياد، وكاعتقاد الكفر، والسجود لغير الله تعالى، وتعظيم الصليب، وإقرار الكنائس القديمة في غير جزيرة العرب[1]. والنصراني ما دام معاهدًا فإنه لا يُتعرض لدينه، ولا يُكره على الدخول في الإسلام، فهذا خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ يوصي قادة الجيوش الإسلامية بهذا المبدأ، فقد قال لأسامة بن زيد ﷺ: (...وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)[2]. قال الشيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله-:" إن في إقرارهم دعوة لهم إلى الإسلام، فإن الغالب أنهم متى بذلوا الجزية فإنهم يبقون مدة ثم يدخلون في الإسلام إذا رأوا حسن معاملة المسلمين وحسن صنيعهم معهم"[3].

وليس هذا الإقرار على إطلاقه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"أما أهل الذمة فإنهم وإن أُقروا على ما يستحقون به في دينهم، فليس لهم أن يبيعوا المسلم خمرًا، ولا يهدونها إليه، ولا يعاونوه عليها بوجه من الوجوه، فليس لهم

---

(١) فقه الاحتساب على غير المسلمين، الطريقي، ص١٠٢.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٠٢.

(٣) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين -رحمه الله-، http--ibn-jebreen.com.

أن يعصروها لمسلم، ولا يحملوها له، ولا يبيعوها من مسلم ولا ذمي. وهذا كله مما هو مشروط عليهم في عقد الذمة، ومتى فعلوا ذلك استحقوا العقوبة التي تردعه وأمثالهم عن ذلك"[1].

٢- الاستجابة لطلبات المدعو:

قد يضطر الداعية أحيانًا إلى أن يستجيب لمتطلبات المدعو؛ ترغيبًا له في الاستجابة للدعوة ومراعاة لمصلحتها، فقد استجاب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لطلب أهل إيلياء في أن يكون هو بنفسه المتولي لعقد الصلح معهم، فعن الحسن بن عبد الله قال: (فلما حضر أبوعبيدة أهل إيلياء ورأو أنه غير مُقلع عنهم، وظنوا أنه لا طاقة لهم بحربه، قالوا له: نحن نصالحك. قال: فإني أقبل منكم الصلح. قال: فأرسل إلى خليفتكم عمر فيكون هو الذي يعطينا العهد وهو يصالحنا ويكتب لنا الأمان. فقبل ذلك أبو عبيدة وهمَّ بالكتاب وكان أبوعبيدة قد بعث معاذ بن جبل على الأردن، وكان معاذ لا يفارق أبا عبيدة؛ لرغبته في الجهاد، وكان أبو عبيدة لا يكاد يقطع أمرًا دون رأي معاذ، فأرسل إلى معاذ، فلما قدم عليه أخبره بما سأله القوم، فقال له معاذ: تكتب إلى أمير المؤمنين وتسأله القدوم عليك؛ فلعله يقدم عليك ثم يأبى هؤلاء الصلح فيكون مسيرة عناء وفضلًا، فلا تكتب إليه حتى توثق هؤلاء وتستحلفهم بأيمانهم المغلظة...فأخذ أبو عبيدة عليهم الأيمان المغلظة فحلفوا بأيمانهم...فلما فعلوا ذلك، كتب أبو عبيدة إلى أمير المؤمنين عمرﷺ...) ثم استشار عمر بعض الصحابة، ثم قال: (سيروا على اسم الله، فإني معسكر وساير، وخرج الناس

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/٦٦٤).

معه، أشراف الناس وبيوتات العرب والمهاجرون والأنصار، وأخرج عمر معه العباس بن عبد المطلب[1][2].

واستجاب خالد بن الوليد ﷺ لطلب القائد الرومي جرجة في أن يعلِّمه الإسلام حينما قال: علِّمني الإسلام، استجاب لطلبه خالد، فمال به إلى فسطاطه، فشنَّ عليه قربة من ماء، ثم صلى ركعتين[3]. واستجاب عمرو بن العاص ﷺ لطلب المقوقس في إرسال رسل إليهم، قال المقوقس: أرسلوا إلينا رجالًا منكم نسمع من كلامهم، فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه، فاستجاب لهم عمرو بن العاص ﷺ وبعث عشرة نفر واحدهم عبادة ابن الصامت، وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم[4].

كما استجاب عمرو بن العاص ﷺ لشروط ملك الروم المقوقس، فعن يزيد بْن أَبِي حبيب: (أن المقوقس صالح عَمْرو بْن العاص عَلَى أن يسير منَ الروم من أراد، ويقر من أراد الإقامة منَ الروم عَلَى أمر سمَّاه، وأن يفرض عَلَى القبط دينارين، فبلغ ذلك ملك الروم فتسخَّطه، وبعث الجيوش فأغلقوا باب الإسكندرية، وآذنوا عمرًا بالحرب، فخرج إليه المقوقس، فقال: أسألك ثلاثًا: ألا تبذل للروم مثل الَّذِي بذلت لي، فإنهم قَدِ استغشوني[5]، وألا تنقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم، وإن

---

(١) العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، شهد الفتح وثبت يوم حنين، مات سنة ٣٢هـ. انظر: الإصابة (٣/٥١١).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٢٣.

(٣) تقدم تخريجه، ص٩٢.

(٤) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٥) استغشوني: أي: حملوني على القدوم إليك. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١/٦٥٣). مادة: غشى.

مت فمر بدفني في كنيسة بالإسكندرية ذكرها، فقال عَمْرو: هَـذِهِ أهـون علـي، وكانت قرى من مصر قاتلت فسبى منهم والقرى بلهيت والخيس وسلطيس[(١)]، فوقع سباؤهم بالمدينة فردهم عُمَر بْن الخطاب وصيرهم وجماعة القبط أهل ذمة، وكان لهم عهد لم ينقضوه، وكتب عَمْرو بفتح الإسكندرية إلى عُمَر...)[(٢)].

والاستجابة لطلبات المدعو عند الصحابة ﷺ تكون ضمن ضوابط الشرع، فعن أسلم مولى عمر قال: (لما قدم عمر الشام أتاه رجل من الدهاقين، فقال: إني صنعت طعامًا فأحب أن تجيء فيرى أهل أرضي كرامتي عليك ومترلتي عندك أو كما قال، فقال: إنا لا ندخل هذه الكنائس أو هذه البيع التي فيها الصور)[(٣)].

ثانيًا: أسلوب الترهيب[(٤)].

استخدم الصحابة ﷺ أسلوب الترهيب مع النصارى بعد ترغيبهم في الدعوة؛ وذلك لأجل تحذيرهم من عقوبات الدنيا والآخرة التي أعدها الله لهم، وورد

---

(١) بلهيت والخيس وسلطيس: من قرى مصر، كان أهلها من أعان على عمرو بن العاص ﷺ فسباهم ثم أمر عمر بن الخطاب ﷺ بردهم إلى بلادهم على الجزية أسوة بالقبط. انظر: معجم البلدان، الحموي (٤٩٢/١).

(٢) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص١٣٢. إسناده منقطع ورواته ثقات من رجال الصحيحين. انظر: جامع الآثار القوليَّة والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، عاطف حماد، ص٢٦٦.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٧)، رقم (٣٣٨٤٦)، ورجاله ثقات وإسناده صحيح. انظر: جامع الآثار القوليَّة والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ. عاطف حماد، ص٢٥١.

(٤) الترهيب لغة: التخويف. اصطلاحًا: الترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم ثباته عليه بعد قبوله. أصول الدعوة، ص٤٣٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٣٧٦/١) مادة: رهب.

أسلوب الترهيب للنصارى في القرآن، حيث خاطب الله ﷻ النصارى مهددًا لهم على لسان عيسى ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(١) وتمثّلت جوانب الترهيب في منهج الصحابة ﷺ قولًا وعملًا فيما يلي:

أ- الترهيب القولي:

١- التهديد :

ويُمثل له برسالة عمرو بن العاص ﷺ إلى بطارقة إيلياء ومما جاء فيها: (...أسلموا تسلموا وإلا فاقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتابًا أمانًا على دمائكم وأموالكم وأعقد لكم عقدًا تردُّوا إلي الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإلا فو الله الذي لا إله إلا هو لأرمينكم بالخيل بعد الخيل وبالرجال بعد الرجال، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة وأسبي الذرية، وتكونون كأمة كانت فأصبحت كأنها لم تكن)(٢). وقال عبادة بن الصامت ﷺ لملك مصر المقوقس في حوار طويل دار بينهما: (وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا...)(٣).

٢- الدعاء على الأعداء:

قد يشتد عداء النصارى للمسلمين وأذيتهم لهم، فيُشرع في هذه الحال الدعاء

---

(١) المائدة، الآية: (٧٢).

(٢) تقدم تخريجه، ص٨٢.

(٣) تقدم تخريجه، ص٩٠.

عليهم، اقتداء بالرسول ﷺ حينما دعا على المشركين يوم الأحزاب فقال: (**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**)(١). قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "إن الدعاء على المشركين جائز، وإنما النهي عن ذلك في حق من يُرجى تألفهم ودخولهم في الإسلام"(٢).

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستخدمون وسيلة الدعاء والالتجاء إلى الله عز وجل؛ للتغلب على الصعوبات التي قد تواجههم من النصارى، فقد كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يدعو على النصارى في معركة اليرموك ويقول: (اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى، وحبِّب إلينا اللقاء، ورضنا بالقضاء)(٣). كما كان الصحابة رضي الله عنهم يدعون الله عز وجل في صلاتهم أن يكفيهم شر أعدائهم من أهل الكتاب، ومن ذلك دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال: (اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وألِّف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم العن كفرة أهل الكتاب، الذين يصدون عن سبيلك، ويكذبون رسلك، ويقاتلون أولياءك، اللهم خالف بين كلمتهم، وزلزل أقدامهم، وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين...)(٤).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٦٣ كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة.

(٢) إتحاف القاري، العدوي (٤/٦١٠).

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٩٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/١٥١). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٨٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/١٥).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٢١١) وقال: صحيح موصول. وذكره ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/١٥٨)، وقال: موقوف صحيح.

٣- إماتة المعنويات:

من الأساليب التي استخدمها الصحابة ﷺ إماتة المعنويات لدى النصارى بأسلوب الترهيب، ومن الأمثلة: ما حدث يوم اليرموك، حينما قال ماهان لخالد يوم اليرموك: (إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعامًا وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها، فقال خالد: إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لآدم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك، فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب)[١].

وحينما بعث أبو عبيدة ﷺ جيشًا يقوده خالد بن الوليد ﷺ إلى قنسرين، فلجأ أهلها من نصارى العرب إلى حصونهم؛ ليحتموا بها فخاطبهم قائد المسلمين خالد بن الوليد ﷺ قائلًا لهم: (إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا)[٢]. وبعد سماعهم لهذا الأسلوب الترهيبي الذي أمات معنويات أهل قنسرين وأصابهم الرعب، وافقوا على الاستسلام ودفع الجزية ووقع الصلح بينهم وبين المسلمين.

---

(١) تقدم تخريجه، ص٧٨.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٢٦. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٥٠)، وابن الأثير في الكامل (١/٤٣٤)، وابن العديم في زبدة الحلب (٧/٢٦)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/٦٢). وقال محقق كتاب الطبري: "إسناده ضعيف وله ما يقويه. انظر: صحيح تاريخ الطبري، محمد البرزنجي (٣/٢٠٩).

ب- الترهيب العملي:

١- إعداد الجيوش وقتال النصارى:

اهتم الصحابة ﷺ بإعداد الجيوش بطريقة ترهب الأعداء، ومن ذلك تقسيم خالد بن الوليد ﷺ لجيش المسلمين في معركة اليرموك ضد الروم إلى ستة وثلاثين كردوسًا(١)، وهي تعبئة جديدة للمسلمين كان لها دور في إرهاب الأعداء وتقوية عزيمة المسلمين.

ومن الترهيب الفعلي أيضًا مقاتلة الصحابة ﷺ للنصارى في معركة اليرموك بكل شجاعة، حيث ألقى الصحابة ﷺ دروعهم، وقاتلوا ببسالة منقطعة النظير، حتى قتلوا أو جرحوا جميعًا، وتمكن المسلمون من إعادة الكر على الروم في هجوم معاكس حتى ضيقوا عليهم، فحاول فرسان الروم الفرار من المعركة مذعورين، ولما سمع هرقل ملك الروم بنتيجة المعركة وكان في حمص ارتحل منها متجهًا إلى الشمال يائسًا من بلاد الشام، وقال قولته المشهورة: (سلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرى أن يرجع إليك أبدًا) (٢).

٢- النفي والطرد:

قد يلجأ الصحابة ﷺ إلى أسلوب النفي والطرد كأسلوب ترهيبي في الدعوة إلى الله ﷻ، وذلك في حالة ازدياد خطر النصارى على مجتمع الدعوة، وأصبح وجودهم أمرًا مقلقًا للدولة الإسلامية؛ لما قد يثيرونه من القلائل والفتن. كما حصل ذلك في عصر الصحابة ﷺ لما أخذ نصارى نجران يدبرون في الخفاء بعض تدابير الحرب

---

(١) تقدم تخريجه، ص٢١٥.

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٣٦. وذكره ابن العديم في بغية الطلب (١/٥٧٤)، والكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٩٠).

ويجمعون الخيل والسلاح، أجلوا عن اليمن(١)، دل عليه ما رواه ابن عمر -رضي الله عنهما-: (أن عمر بن الخطاب ﷺ أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز...)(٢). وفي فعل عمر اقتداء بمنهج الرسول حينما قال: (**لأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّىٰ لاَ أَدَعَ إِلاَّ مُسْلِمًا**)(٣). ومن هذه الأمثلة وغيرها نستنتج أن لاستخدم أسلوب الترهيب مع النصارى المعاندين دورًا في نصر الدعوة الإسلامية.

الأسلوب الثالث: المجادلة الحسنة(٤).

أمر الله ﷻ باستخدام أسلوب المجادلة مع النصارى؛ وذلك لإظهار الحق وإقامة الحجة على الخصم، وجعله قرينة الحكمة عند الأمر بالدعوة إلى سبيل الله تعالى. قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(٥) قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن

---

(١) انظر: فتوح البلدان،البلاذري، ص٤٧. الكامل، الطبري (٣٥٨/١).

(٢) أخرجه الامام البخاري في صحيحه، ص٦٠٤، رقم (٣١٥٢)كتاب فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٧٣٣، رقم (١٧٦٧) كتاب الجهاد والسير، باب: إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

(٤) المجادلة لغة: طريقة في المناقشة والاستدلال. اصطلاحًا: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة؛ لإظهار الحق ودحر الباطل بالطريقة الحسنة. الأصول العلمية، المغذوي،ص٣٥٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١١١/١)، مادة: جدل.

(٥) النحل، الآية: (١٢٥).

خطاب"[1]، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾[2]. حيث استثنى الله ﷻ من ظلم من أهل الكتاب، قال الإمام الشوكاني –رحمه الله–: "بأن أفرطوا في المجادلة و لم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم"[3]. وتعود أهمية أسلوب الجدل في الكتاب والسنة إلى أنهما يقدّمان نقاش الخصوم ومجادلاتهم على اختلاف انتماءاتهم الاعتقادية والعملية ما يُفحمهم ويوقفهم على الحقيقة الناصعة بطريقة جذابة فذة وأسلوب رصين مقنع بمناهج متنوعة بأروع حجة وأحكم برهان وفق مقتضيات الحال وما يوصل إلى المطلوب بأقرب الطرق[4].

ولقد عمل الصحابة ﷺ على استخدام أسلوب الجدل؛ وذلك بسبب كثرة الفتوحات الإسلامية، ودخول كثير من الأمم إلى حوزة الدولة الإسلامية، وسريان كثير من رواسب تلك الأمم إلى المسلمين بحكم الجوار والمخالطة. قال الإمام القرافي –رحمه الله–: إن ذلك دليل على أنهم على الباطل، ولو كانوا على الحق ما احتاج المسلمون إلى جدالهم بالفكرة[5].

وقد كان الجدل في عصر الصحابة ﷺ مقصورًا على ما تدعو إليه الحاجة من تبيان الحق ودفع الشبه وهداية الخلق[6]، مع اتباع أفضل الأساليب وأحسنها، في

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٦١٣).

(٢) العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٣) فتح القدير (٤/٢٩٢).

(٤) انظر: المرأة المسلمة، أباطين، ص٥٤٠.

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة، ص٢٩.

(٦) وهذا هو الجدل الممدوح، فهو كل جدل أيد الحق أو أفضى إليه بنية صالحة وطريق صحيح. بخلاف الجدال المذموم وهو كل جدل ظاهر الباطل أو أفضى إليه. انظر: مناهج الجدل، الألمعي، ص٦١.

إقناع الطرف الآخر بالفكرة التي يدور حولها الجدال، وتحسينها بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة[١]. ومن شواهد الجدل في عصر الصحابة ﷺ الجدال الطويل الذي كان بين خالد ابن الوليد ﷺ والملك باهان حيث ابتدأ باهان بالجدال فقال: (الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء وملكنا أفضل الملوك وأمتنا خير الأمم فلما بلغ هذا المكان. قال خالد للترجمان وقطع على صاحب الروم منطقه ثم قال: الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وبجميع الأنبياء، وجعل الأمير الذي وليناه أمورنا رجلًا كبعضنا، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا ولسنا نرى أن له على رجل من المسلمين فضلًا إلا أن يكون أتقى منه عند الله وأبر، والحمد لله الذي جعل أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقر بالذنب وتستغفر الله منه وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا، قل الآن ما بدا لك. فاصفر وجه ماهان ومكث قليلًا، ثم قال باهان: الحمد لله الذي أبلانا فأحسن البلاء عندنا، وأغنانا من الفقر، ونصرنا على الأمم، وأعزنا فلا نذل، ومنعنا من الضيم[٢] فلا يباح حريمنا، ولسنا فيما أعزنا الله به وأعطانا من ديننا ببطرين[٣] ولا مرحين[٤] ولا باغين[٥] على الناس، وقد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران كنا نحسن جوارهم ونُعظم قدرهم... ونفي لهم بالعهد،

---

(١) انظر: كيفية دعوة أهل الكتاب، القحطاني، ص٥.

(٢) الضيم: الظلم. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص١١٣٢، مادة: ضامه.

(٣) بطرين: البطر: الطغيان عند النعمة. ص٨٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص٨٣. مادة: بطر.

(٤) مرحين: المرح هو العجب والاختيال. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٨٦١/٢) مادة: مرح.

(٥) باغين: البغي هو مجاوزة في الحد وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء. معجم الصحاح، ص١٠٠، مادة: بغي.

وخيرناهم بلادنا ينـــزلون منها حيث شاؤوا فينـــزلون آمنين ويرحلون آمنين، وكنا نرى أن جميع العرب ممن لا يجاورنا سيشكر لنا ذلك...فلم يرعنا منكم إلا وقد فاجأتمونا بالخيل والرجال، تقاتلوننا على حصوننا وتريدون أن تغلبونا على بلادنا، وقد طلب هذا من قبلكم من كان أكثر منكم عددًا وأعظم مكيدة وأوفى جندًا، ثم رددناهم عنها فلم يرجعوا عنا إلا وهم بين قتيل وأسير، وأراد منا ذلك فارس، فقد بلغكم كيف صنع الله ﷻ بهم... ولم تكن أمة من الأمم بأرق عندنا منكم شأنًا ولا أصغر أخطارًا، إنما جلكم رعاء الشاء والإبل وأهل الصخر والحجر والبؤس والشقاء، فأنتم تطمعون أن نُجلي لكم عن بلادنا بئس ما طمعتم فيه منا،... فإن أبت أنفسكم إلا أن تحرصوا وتشرهوا[1]، وأردتم نزيدكم من بيوت أموالنا ما يقوى به الضعيف منكم ويرى الغايب أن قد رجع إلى أهله بخير فعلنا ونأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار، ونأمر لكم بمثلها، ونأمر لرؤسائكم بألف دينار بألف دينار، ونأمر لجميع أصحابك بمائة دينار مائة دينار على أن توثقوا الأيمان المغلظة ألا تعودوا إلى بلادنا ثم سكت. فقال خالد -رحمه الله-: الحمد لله الذي لا إله إلا هو. فلما فسَّر له الترجمان قوله الحمد لله الذي لا إله إلا هو رفع يده إلى السماء ثم قال لخالد: نعمّا قلت، ثم قال خالد: وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ. فلما فسَّر له الترجمان قال باهان: الله أعلم! ما أدري لعله كما تقول، فأخبر خالدًا الترجمانُ، ثم قال خالد -رحمه الله-: أما بعد، فإن كل ما ذكرت به قومك ومن الغناء والعز ومنع الحريم والظهور على الأعداء والتمكن في البلاد فنحن به عارفون، وكل ما ذكرت من أنعامكم على

---

(١) تشرهوا: من شره. شرها: أي: اشتد حرصه عليه. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٤٨١/١).

جيرانكم منا فقد عرفناه؛ وذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم وإصلاحكم كان إليهم وإحسانكم إليهم كان ذلك زيادة في ملككم وعزًّا لكم، ألا ترون أن ثلثيهم أو شطرهم دخل معكم في دينكم، فهم يقاتلوننا معكم؟ وأما ما ذكَّرتنا به من رعي الإبل والغنم فما أقل من رأيت واحدًا منا يكرهه... وأما قولكم أنَّا أهل الصخر والحجر والبؤس والشقاء فحالنا والله كما وصفته، ما ننتفي من ذلك ولا نتبرأ منه، وكنا على أسوأ وأشد مما ذكرت، وسأقص عليك قصتنا وأعرض عليك أمرنا وأدعوك إلى حظك إن قبلت، إنَّا كنا معشر العرب أمة من هذه الأمم، أنزلنا الله -فله الحمد- منـــزلًا من الأرض ليست بها أنهار جارية، ولا يكون بها الزرع إلا القليل... نقطع أرحامنا ونقتل؛ خشية الإملاق أولادنا، ويأكل قوينا ضعيفنا وكثيرنا قليلنا، ولا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة، نعبد من دون الله أربابًا وأصنامًا ننحتها بأيدينا من الحجارة التي نختارها على أعيننا وهي لا تضر ولا تنفع، ونحن عليها مكبون، فبيننا نحن كذلك على شفا حفرة من النار من مات منا مات مشركًا..إذ بعث الله فينا رسولًا من صميمنا وشرفائنا وخيارنا وكرمائنا وأفضلنا، دعانا إلى الله وحده أن نعبده ولا نشرك به شيئًا، وأن نخلع الأنداد التي يعبدها المشركون دونه، وقال لنا: لا تتخذوا من دون الله ربكم إلهًا ولا وليًّا ولا نصيرًا، ولا تجعلوا معه صاحبة ولا ولدًا، ولا تعبدوا من دونه نارًا ولا حجرًا ولا شمسًا ولا قمرًا، واكتفوا به ربًّا وإلهًا من كل شيء دونه، وكونوا أولياءه وإليه، فادعوا وإليه فارغبوا. وقال لنا: قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أخرى، وكل من زعم أن لله ولدًا، وأنه ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة؛ حتى يقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن يدخلوا في الإسلام. فإن فعلوا حرمت دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا

بحقها، وهم إخوانكم في الدِّين لهم ما لكم وعليهم وعليكم، فإن هم أبوا أن يدخلوا في دينكم وأقاموا على دينهم فاعرضوا عليهم الجزية أن يؤدوها عن يد وهم صاغرون، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن أبوا فقاتلوهم فإنه من قتل منكم مات شهيدًا حيًّا عند الله مرزوقًا وأدخله الله الجنة، ومن قتل من عدوكم قتل كافرًا وصار إلى النار مخلدًا فيه أبدًا. ثم قال خالد: ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا ﷺ وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس، فندعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتقروا بما جاء من عند الله ﷻ، فإن أنتم فعلتم فأنتم إخواننا في الإسلام لكم مالنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فإن نعرض عليكم أن تعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن فعلتم قبلنا منكم وكففنا عنكم، وإن أبيتم أن تفعلوا فقد والله جاءكم قوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة، فاخرجوا بنا على اسم الله؛ حتى نحاكمكم على الله، فإنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم سكت خالد. فقال باهان: أما أن ندخل في دينكم فما أبعد من ترى من الناس أن يترك دينه ويدخل في دينكم. وأما أن نؤدي الجزية فتنفس الصعداء وثُقلت عليه وعظمت عنده. فقال: سيموت من ترى جميعًا قبل أن يؤدوا الجزية إلى أحد من الناس، وهم يأخذون الجزية ولا يعطونها. وأما قولك فاخرجوا حتى يحكم الله بيننا فلعمري ما جاءك هؤلاء القوم وهذه الجموع إلا ليحكموك الله. وأما قولك أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده فصدقت والله ما كانت هذه الأرض التي نقاتلكم عليها وتقاتلوننا فيها إلا لأمة من الأمم كانوا قبلنا فيها فقاتلناهم عليها، فأخرجناهم منها وقد كانت قبل ذلك لقوم آخرين فأخرجهم منها هؤلاء الذين كنا قاتلناهم عنها، فابرزوا على اسم

الله فإنا خارجون إليكم...)[1].

كما حدث جدال آخر بين عبادة بن الصامت ﷺ وملك مصر المقوقس، حينما أرسله عمرو بن العاص ﷺ وأمره أن يكون متكلم القوم، وألا يجيبهم إلى شيء دعوه إلا ثلاث خصال: إما الإسلام، أو الجزية، أو القتال. فحينما قدم عبادة بدأ المقوقس بالجدال، فقال: (تقدم يا أسود وكلمني برفق فإني أهاب سوادك، وإن اشتد كلامك عليّ ازددت لذلك هيبة. فتقدم إليه عبادة، فقال: قد سمعت مقالتك وأن فيمن قد خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سوادًا مني وأفظع منظرًا، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي، وأنا قد وليت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعًا وكذلك أصحابي، وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا، ولا طلب للاستكثار منها. إلا أن الله ﷻ قد أحل لنا ذلك، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالًا، وما يبالي أحدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهمًا...ثم أقبل المقوقس على عباد بن الصامت، فقال له: أيها الرجل الصالح، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك، ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تطيقوهم؛ لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة مائة دينار

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٢٧.

ولخليفتكم ألف دينار، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به. فقال عبادة بن الصامت: يا هذا، لا تغرنَّ نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه، وإن كان ما قلتم حقًّا فذلك والله أرغب ما نكون في قتالهم، وأشد لحرصنا عليهم... وأما قولك أنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن في أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه، فانظر الذي تريد فبيِّنه لنا، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك، ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث خصال، فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد الرسول ﷺ من قبل إلينا، أما أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه. فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولا نستحل أذاكم ولا التعرض لكم، وإن أبيتم إلا الجزية فأدُّوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدًا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم. هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم. فقال المقوقس: هذا ما لا يكون أبدًا، ما تريدون إلا أن تتخذونا نكون لكم عبيدًا ما كانت الدنيا. فقال له عبادة بن الصامت: هو ذاك فاختر ما شئت. فقال له المقوقس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه

الثلاث خصال. فرفع عباده يديه وقال: لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء، مالكم عندنا خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم. فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه، فقال: قد فرغ القول فما ترون؟ فقالوا: أو يرضى أحد بهذا الذل؟ أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا ما لا يكون أبدًا، ولا نترك دين المسيح ابن مريم وندخل في دين غيره لا نعرفه...)[1].

ونلحظ من هذه المواقف الجدلية أن الصحابة ﷺ ضربوا أروع الأمثلة في صلابة الموقف أمام النصارى، والامتناع التام عن الخضوع لمطالبهم والاستجابة لتهديداهم أو إغراءاهم، وكان جواهم في كل موقف تعرضوا له جوابًا واحدًا لا يتغيَّر، مما يدل على عمق التربية الدينية التي رباهم عليها الرسول ﷺ، ووضوح المبدأ الذي يدافعون عنه وينطقون باسمه، والتصميم الجازم على الخيارات الثلاثة التي تكررت معنا في كل فتوحات الإسلام؛ باعتبارها من توجيهات النبي ﷺ.

كما حرص الصحابة ﷺ في تلك المواقف الجدلية على إقناع[2] النصارى الدخول في الإسلام، من خلال عدة نقاط أبرزها:

١- **بيان ضرورة الإيمان بأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء**، لاسيما وأن كتبهم قد بشَّرت به. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[3]. فكان

---

(١) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٢) الإقناع: فعل متعدد الأشكال يسعى لإحداث تأثير أو تغيير معيَّن في الفرد أو الجماعة. الإقناع والتأثير، د.ابراهيم الحميدان، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٤٩) ص٢٤٧.

(٣) البقرة، الآية: (١٤٦).

حري بهم أن يؤمنوا به وينا صروه، ولكن الذي حدث هو العكس، فقد كادوه وجحدوا رسالته، لا لشيء إلا للحسد الذي ملأ قلوبهم.

٢- **تذكيرهم بأن الإسلام هو خاتم الأديان**، وأن الله لا يقبل دينًا غيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[١]. ولذا حرص الصحابة ﷺ على بيان هذه الحقيقة للنصارى، كما في قول عبادة بن الصامت ﷺ لملك مصر المقوقس: (ليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث خصال، فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك بالباطل، بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا، إما أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله...إلى أن قال: وإن أبيتم إلا الجزية فأدُّوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون... وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف)[٢].

---

(١) آل عمران، الآية: (٨٥).

(٢) تقدم تخريجه، ص٩٠.

المطلب الثاني

الأساليب البيانية

ويُقصد بالأساليب البيانية: هي الأساليب الفنية التي استخدمها الصحابة ﷺ والمتعلقة بجمال التعبير وتحسينه من الناحية اللفظية؛ ليكون أكثر تأثيرًا في نفوس النصارى، ومن تلك الأساليب:

١- أسلوب الأمر(١) الصريح:

استخدم الصحابة ﷺ أسلوب الأمر الصريح المباشر الذي لا يحتمل غيره، ولا يحتاج إلى كبير معاناة في الفهم، ومن ذلك دعوة عمر بن الخطاب ﷺ لقيصر ملك الروم: (اتقِ الله ولا تتخذ عيسى إلهًا من دون الله)(٢). ومن ذلك، رسالة عمرو بن العاص ﷺ لأهل إيلياء وجاء فيها: (...إذا أتاكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا، وإلا فاقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتابًا أمانًا على دمائكم وأموالكم، وأعقد لكم عقدًا، تؤدوا إليَّ الجزية عن يد وأنتم صاغرون...)(٣). وقول عمر بن الخطاب ﷺ للعجوز النصرانية: (أسلمي تسلمي)(٤).

فكل الألفاظ السابقة في تلك المواقف ألفاظ صريحة واضحة الدلالة تصل إلى السامع مباشرة، وفي ذلك اقتداء بفعل الرسول ﷺ حينما قال لهرقل: (**أسلم تسلم...**)(٥).

---

(١) الأمر: هو قول القائل لمن دونه: افعل. التعريفات، الجرجاني، ص ٣٨.

(٢) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٣) تقدم تخريجه، ص٨٢.

(٤) تقدم تخريجه، ص١٤٣.

(٥) تقدم تخريجه، ص١٠٤.

٢- أسلوب الاستفهام[1]:

قد يحتاج الداعية أحيانًا لاستخدام الاستفهام مع المدعوين، وقد استخدم هذا الأسلوب صحابة رسول الله ﷺ مع النصارى، فقد يبدأ الداعية بالسؤال والمدعو يجيبه، أو العكس يبدأ المدعو بسؤال الداعية عن هدفه فيرد عليه بإجابة كافية، كما في وقعة فحل حينما أرسل أبوعبيدة رضي الله عنه كتابًا إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، فلما وصل الرجل، سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ما دينك؟ قال: نصراني. ورآه عاقلًا. قال: ويحك! فما يدلك عقلك هذا الذي أرى على أن تسلم؟ ودعاه عمر رضي الله عنه إلى الإسلام، وقال: ويحك! أسلم فهو خير لك. فأسلم على يدي عمر وحسن إسلامه)[2]. وكما في الحوار الذي دار بين جرجة وخالد بن الوليد رضي الله عنه أثناء وقعة اليرموك، إذ قال له: (...إلام تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء بما عند الله. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطها، قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله...)[3]. ومثله ما حدث في وقعة فحل، حينما قال القائد الرومي: كيف تستحلون قتالنا وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابنا؟ فقال معاذ رضي الله عنه: (نحن نؤمن بنبيكم، ونشهد أنه عبد من عبيد الله، وأنه رسول من رسل الله، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون..)[4].

---

(١) الاستفهام: استعلام ما في ضمير المخاطب. التعريفات،الجرجاني،ص٢٦.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٤٦.

(٣) تقدم تخريجه، ص٧٩.

(٤) تقدم تخريجه، ص٨٤.

٣- أسلوب التصريح بالاسم أو الكنية:

من أساليب الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام التصريح باسم المدعو النصراني من باب إنزاله منزلته، وخاصة إذا كان المدعو ذا مكانة في قومه، وهذا الأسلوب استخدمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ مع ملك غسان جبلة بن الأيهم، إذ قال له: (يا جبيلة، فلم يجبه، ثم قال: يا جبيلة، فلم يجبه، ثم قال: يا جبلة، فأجابه، فقال: اختر مني إحدى ثلاث: إما أن تسلم فيكون لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، وإما تؤدي الخراج، وإما أن تلحق بالروم. قال: فلحق بالروم)(١).

وقد ينادي الداعية النصراني بكنيته من باب ترغيبه في الإسلام، وهذا لا بأس به كما ذكر ذلك العلماء، فقد سُئل الإمام أحمد: "أهل الذمة يكنون؟ قال: نعم، لا بأس. وذكر أن عمر بن الخطاب قد كنى"(٢)، فعن يحي بن أبي كثير قال: (إن عمر بن الخطاب قال لنصراني: يا أبا حسان، أسلم تسلم)(٣). وبشرط ألا تكون تلك الكنى مما اشتهر بها المسلمون(٤)؛ حتى يتميَّزون عنهم؛ لما قد جاء في شروط نصارى الشام على أنفسهم: (ولا نتكنى بكناهم)(٥).

---

(١) تقدم تخريجه، ص١١١.

(٢) أحكام أهل الملل، الخلال،ص٣٩٢، رقم (١١١٥).

(٣) أخرجه الخلال في أحكام أهل الملل، ص٣٩٣، رقم (١١٢٠). وذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١٣٢١/٣)، وقال محقق الكتاب: إسناده ضعيف بسبب الانقطاع بين يحي بن كثير وعمر بن الخطاب ﷺ.

(٤) وقد ذكر ابن القيم أمثلة لذلك، كمحمد وأحمد وأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير، فهذا النوع لا يُمكنون من التسمي بها. أحكام أهل الذمة (١٣١٧/٣).

(٥) تقدم تخريجه، ص١٠.

وأما إذا لم تكن هناك مصلحة في تكنية النصارى وكان في ذلك تودد لهم فإن هذا من الموالاة المنهي عنها في الإسلام؛ لأن الكنية فيها تقدير للشخص واحترام له، وهذا مما يتنافى مع إذلالهم. قال الإمام النووي -رحمه الله-: "وقد أُمرنا بالإغلاظ عليهم، فلا ينبغي أن نكنيهم، ولا نرقق لهم العبارة، ولا نلين لهم قولًا، ولا نظهر لهم ودًّا ولا مؤالفة"(١).

٤- حسن المنطق وانتقاء العبارات المؤثِّرة على المدعو:

للكلمة الجميلة والعبارة المؤثرة أثرها على نفوس المدعوين، لذا حرص صحابة رسول الله ﷺ على انتقاء العبارات وقوة الألفاظ في حواراتهم مع النصارى، شهد بذلك النصارى أنفسهم، ومن أمثلة ذلك: حوار عبادة بن الصامت ﷺ مع المقوقس، ومما جاء فيه، قال عبادة: (قد سمعت مقالتك وأن فيمن قد خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سوادًا مني وأفظع منظرًا، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي، وأنا قد وليت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعًا وكذلك أصحابي؛ وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ولا طلب للاستكثار منها، إلا أن الله ﷻ قد أحل ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالًا، وما يبالي أحدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهمًا؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليله ونهاره، وشملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله، واقتصر على هذا

---

(١) الأذكار، ص٢٥٥.

الذي بيده ويبلغه ما كان في الدنيا؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا نبينا ﷺ وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يمسك جوعته ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه. فلما سمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها...)[1].

٥- أسلوب النهي:

بما أن الدعوة إلى الله ﷻ أمر بمعروف ونهي عن منكر، فإن هذا الأمر يحتم على الداعية استخدام أسلوب النهي في الدعوة، كما كان ذلك من منهج الصحابة ﵃ في دعوة النصارى إلى الإسلام، فقد نهى عمر بن الخطاب ﵁ قيصر ملك الروم من اتخاذ عيسى ﵇ إلهًا، فقال: (اتق الله ولا تتخذ عيسى إلهًا من دون الله فـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾[2][3] ونهى ابن عباس -رضي الله عنهما- عن بعض شعائر النصارى المحرمة فقال: (أيما مصر مصرته العرب، فليس للعجم أن يبنوا فيه بيعة، ولا يضربوا فيه ناقوسًا، ولا يشربوا فيه خمرًا، ولا يتخذوا فيه خنزيرًا)[4].

---

(١) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٢) آل عمران، الآية: (٥٩).

(٣) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٤) تقدم تخريجه، ص١٢٩.

ونفى الصحابة ﷺ اعتقادات النصارى الباطلة. قال معاذ بن جبل ﷺ لقائد الروم في وقعة فحل: (...ولا نقول: إنه ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة، ولا أن لله ولدًا، ولا أن له صاحبة ولا ولدًا، ولا أن معه آلهة أخرى، لا إله إلا هو، تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا)[1].

وفي نهاية هذا الفصل المتعلق بوسائل وأساليب دعوة النصارى إلى الإسلام، نصل إلى أن الصحابة ﷺ اعتمدوا في منهجهم على كل وسيلة مشروعة سواء أكانت قوليَّة أم فعلية، كما أنهم لم يغفلوا الأساليب الرئيسة في الدعوة القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وما يتبع ذلك من استخدام أساليب فنية متنوعة.

---

(١) تقدم تخريجه، ص٨٤.

الفصـــل الثالـــث
مقومات منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى
إلى الإسلام وضوابطه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مقومات منـــهج الصـــحابة ﷺ في دعـــوة النصارى إلى الإسلام.

المبحث الثانـــي: ضوابط منـــهج الصـــحابة ﷺ في دعـــوة النصارى إلى الإسلام.

تمهيد:

لقد حمل الصحابة ﷺ عبء الرسالة، فقاموا بالدعوة خير قيام، وجاهدوا في سبيل نشر الدين، فكانوا الأسوة والقدوة بعد النبي ﷺ، بذلوا الأموال والأنفس رخيصة في سبيل الله ﷻ، فنصروا الدِّين وضربوا أروع الأمثلة في قوة الإيمان والعقيدة وسمو الهدف، فخضعت لهم أكبر وأقوى دولة في عصرهم وهي دولة الروم، وذلك بفضل من الله ﷻ ثم بالتزام الصحابة ﷺ بمقومات وضوابط ساعدتهم على تبليغ دعوتهم وانضباط منهجهم.

وقبل بيان تلك المقومات والضوابط، نعرض بصورة موجزة المقصود بكلا المصطلحين.

أولاً: تعريف المقومات:

في اللغة: أصل من الفعل الثلاثي قَوَمَ، "وقَوَّمَتُ الشيء فهو قَويمٌ، أي مُستَقِيمٌ"[1]. "وقِوامُ كل شيء: عمادهُ ونظامهُ"[2]، "وقَوّمَته تقويمًا فتقوم بمعنى عدلته فتعدل"[3]. فالمقومات: عماد الأمر وقوامه ومعدلاته، وهي الأسس التي يقوم عليها البناء.

في الاصطلاح: الأسس التي قام عليها منهج دعوة الصحابة ﷺ للنصارى من الجوانب الروحية والسلوكية والفكرية، فكانت السبب في انتشار الدعوة الإسلامية في البلاد المفتوحة[4].

---

(١) معجم الصحاح، الجوهري، ٨٩٤، مادة: قوم.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/ ٧٦٧) مادة: قام.

(٣) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ص١٩٩. مادة: قوم.

(٤) تعريف الباحثة.

ثانيًا: تعريف الضوابط:

في اللغة: جمع ضابط،"وضَبطُ الشيءِ: حِفظهُ بالحَزم"[1] "و" الضبطُ لـزوم الشيء وحَبسهُ"[2].

في الاصطلاح: القواعد التي التزم بها الصحابة ﷺ؛ لحفظ المنهج الدعوي من الخلل والاضطراب[3].

المبحث الأول

مقومات منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام

إن انتشار الدعوة الإسلامية في عصر الصحابة رضوان الله عليهم كان بتوفيق الله ﷻ، ثم اتصافهم بعدد من المقومات في شخصياتهم وأفعالهم التي لها الأثر الفاعل في استجابة النصارى إلى الإسلام، وهي مما تشتد حاجة الدعاة اليوم إلى معرفته والوقوف عليه. وسيتم توضيح تلك المقومات في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: المقومات الأساسية في منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام. ويتضمن:

أولاً : الجانب الروحي. ويشمل: الإيمان، الإخلاص، التقوى.

ثانيًا : الجانب الفكري. ويشمل: العلم، حسن المنطق، تحديد الهدف.

ثالثًا : الجانب السلوكي. ويشمل:الرفق،الصبر، الوفاء بالعهد،الشجاعة، الزهد، التسامح، العدل، الصدق، التواضع، الاعتزاز بالإسلام، الشورى.

---

(١) معجم الصحاح، الجوهري،ص٦١٢، مادة ضبط.

(٢) لسان العرب، ابن منظور (٧ / ٣٤٠) مادة: ضبط.

(٣) تعريف الباحثة.

المطلب الثاني: المقومات اللازمة في منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام[1] ويتضمن:

أولاً: حرص الصحابة ﷺ على هداية النصارى إلى الإسلام.

ثانياً: انتهاز الفرص.

ثالثاً: الفطنة والذكاء.

رابعاً: التجدد والتنوع في الأساليب والوسائل.

المطلب الأول

المقومات الأساسية في منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام

تعود المقومات الأساسية في منهج الصحابة ﷺ إلى ثلاثة جوانب:

أولاً : الجانب الروحي.

ثانيًا : الجانب الفكري.

ثالثًا : الجانب السلوكي.

أولاً: الجانب الروحي.

المقصود بالجانب الروحي في شخصية الصحابة ﷺ: الصلة الداخلية بالله تعالى، وتعلقهم النفسي والعاطفي به –سبحانه– من حيث الإيمان والإخلاص والتقوى، وما يتبع ذلك من أنواع العبادات، كالصلاة والدعاء وذكر الله ﷻ.

ويمكن إجمال مكونات الجانب الروحي في شخصية الصحابة ﷺ بما يلي:

---

(١) **المقومات الأساسية** : أي الأصول التي لا تقوم الدعوة إلا بها. **والمقومات اللازمة**: تعني الصفات التي تلزم الداعية ولا تجب عليه.

١- الإيمان[١]:

إن الإيمان هو أساس العقيدة السمحة، وهو أول ما يجب على الداعية معرفته والعمل به، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم من السابقين إلى الإيمان. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[٢]. قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "إن قولهم ﴿ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ دليل على المشاركة في الإيمان، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة"[٣].

ولقد كانت قوة إيمان الصحابة ﷺ من أهم العوامل التي ساعدهم على نجاح دعوهم مع النصارى. يقول محمد الشريف:" ثم هناك عوامل نفسية ساعدت العرب الفاتحين على انتصاراهم المذهلة، منها: رسوخ إيمان العرب بدينهم، وارتفاع روحهم المعنوية وتحفزهم، فهم خير أمة أخرجت للناس، وكانوا يحاربون على الأرض والقلب مشدود على السماء؛ بغية الاستشهاد"[٤].

---

(١) الإيمان لغة: التصديق. وشرعًا: "اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان". شرح العقيدة الواسطية، ص١٧٩. وقد اختلف العلماء في معنى الإيمان والإسلام: هل هما متغايران أم متحدان؟ فذهب المحققون إلى أنهما متغايران، فكل مسلم مؤمن وليس كل مسلم مؤمنًا، وإذا افترق لفظ الإيمان والإسلام، فإنهما بمعنى واحد يشمل الدِّين كله. أما إذا اجتمعا فبينهما فرق، فيُفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام ونحوها، والإيمان بما حل في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويدل على هذا قول الله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ الحجرات الآية (١٤). انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/٧). التعليق على صحيح مسلم، ابن عثيمين (٤٧٤/١).

(٢) الحشر، الآية: (١٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص٨٥٢.

(٤) محاضرات في تاريخ صدر الإسلام، ص٩٢.

وإن من يتأمل الفتوحات الإسلامية التي قام بها الصحابة ﷺ مع النصارى يدرك أن هذه المعارك كانت معارك العقيدة، وأن المجاهدين كانوا مدفوعين بدافع الإيمان، ولو كان في سبيل مغانم ومكاسب دنيوية، لقبلوا بعروض قواد الروم المغرية، إلا أن عقيدة التوحيد هي التي استقرت في نفوس الصحابة ﷺ وواجهوا فيها أكبر الجيوش عدة وعتادًا.

من أجل ذلك أرشد عمر بن الخطاب ﷺ أصحابه -حينما طلبوا الاستمداد للجيوش في اليرموك- أن يتعلقوا بالله وحده في مواجهاهم مع النصارى. يقول عمر ﷺ: (إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني، وإني أدلكم على من هو أعز نصرًا وأحضر جندًا، الله ﷻ، فاستنصروه فإن محمدًا ﷺ قد نُصر يوم بدر في أقل من عدتكم ، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني. قال: فقاتلناهم فقتلناهم وهزمناهم...)(١).

ومن المواقف التي يشار إليها في هذا المجال ما رواه أبو رافع قال: (وجَّه عمر جيشًا إلى الروم، فأسروا عبد الله بن حذافة(٢)، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد طرفة عين. قال: إذن أقتلك. قال: أنت وذاك. فأُمر به فصُلب،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ص٦٨، رقم (٣٤٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٣/٦) رقم (١٠٣٦٩) وقال: رجاله رجال الصحيح. وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٠٩/١) وقال إسناد صحيح.

(٢) عبدالله بن حذافة بن قيس القرشي السهمي، من السابقين الأولين، يقال أنه شهد بدرًا، وشهد فتح مصر ومات بها في خلافة عثمان. انظر: الإصابة، ابن حجر (٥٠/٤).

وقال للرماة: ارموه قريبًا من بدنه، وهو يُعرض عليه ويأبى، فأنزله. ودعا بقدر، فصب فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فأُلقي فيها، وهو يُعرض عليه النصرانية، وهو يأبى. ثم بكى. فقيل للملك: إنه بكى. فظن أنه قد جزع، فقال: ردوه. ما أبكاك؟ قلت: هي نفس واحدة تُلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله. فقال له الطاغية: هل لك أن تقبِّل رأسي وأُخلي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم. فقبَّل رأسه. وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره. فقال عمر: حق على كل مسلم أن يُقبِّل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ. فقبَّل رأسه)[1].

هذا الموقف يبين بوضوح أثر التربية الإيمانية من مدرسة رسول الله ﷺ، فهذا عبد الله ابن حذافة ﷺ يقف بثبات أمام إغراءات ملك الروم، ويصبر على الأذى في سبيل الدعوة.

إن إيمان الصحابة ﷺ جعلهم مستشعرين معية الله ﷻ في كل الخطوات والأسباب التي اتخذوها لأجل مواجهة النصارى، وأعظم أمر في هذا المجال، هو إقامتهم للصلاة في حلهم وترحلهم، والوصية بها للجيوش الإسلامية المتوجهة إلى فتح بلاد الروم، مع الحرص على أداء الشعائر الدينية والإكثار من ذكر الله ﷻ، ومن ذلك: وصية أبي بكر لشرحبيل بن حسنة -رضي الله عنهما- حينما أراد التوجه إلى بلاد الشام قال له: (أوصيك بالصلاة في وقتها، وبالصبر يوم

---

(١) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/٢) وقال: "أخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق البيهقي، وكذا الحافظ في الإصابة (٣٦٣/٣). وله شاهد من حديث ابن عباس، موصولًا عند ابن عساكر، وابن الاثير في أسد الغابة (٢١٢/٣). وذكره الألباني في إرواء الغليل (١٥٧/٨) وقال: ضعيف.

البأس حتى تظفر أو تقتل، وبعيادة المرضى وبحضور الجنائز، وذكر الله كثيرًا على كل حال...)[1]. وكان أبو عبيدة ﷺ يقول للجيوش في معركة اليرموك: (والزموا الصمت إلا من ذكر الله)[2]. وفي ذلك كله اقتداء بمنهج النبي ﷺ. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:" وإذا لقي عدوه، وقف ودعا واستنصر الله، وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله، وخفضوا أصواتهم"[3].

هذا بخلاف النصارى الذين يستمدُّون عونهم ونصرهم من الرهبان كما ذكر ذلك الإمام الطبري في رواية عن شعيب إذ قال: (وطلع باهان على الروم، وقد قدم قدامه الشمامسة والرهبان والقسيسين يُغرونهم ويحضونهم على القتال...)[4].

ومن هنا يتبيَّن أثر نعمة الإيمان على الصحابة ﷺ، والفرق بين من يكون على الهدى ممن هو في ضلال مبين، كما حدث في غزوة ذات الصواري، حيث يصوِّر لنا الإمام الطبري في رواية عن الصنعاني قال: (...حتى لو بلغوا ذات الصواري، فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل، فقال: أشيروا عليَّ. قالوا: ننظر الليلة، فباتوا يضربون النواقيس، وبات المسلمون يصلون ويدعون الله)[5].

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١١، وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٧٤/٢).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١١٥. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٨٢/٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٢/٧). وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٨/٢).

(٣) مختصر زاد المعاد، ص١٩١. انظر: صحيح مسلم، ص٧٣١، رقم (١٧٦٣).

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥١. وذكره ابن الجوزي في المنتظم (١١٨/٤)، وذكره محقق كتاب الطبري في صحيح تاريخ الطبري (٨٢/٣).

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٧٤٠. وقال محقق الكتاب: إسناده ضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٥٠٢/٨).

إن إيمان الصحابة ﷺ بالقيام بالدعوة جعلهم يطمعون بفضل الله ورحمته، ويتمنون الشهادة في سبيله، ومما يدل على ذلك حينما بلغ سعيد بن عامر بن حذيم رضي الله عنه[(١)] أن أبا بكر -رضي الله عنهما- يريد أن يبعثه، فلما أبطأ ذلك عليه، ومكث أيامًا لا يذكر له أبو بكر شيئًا، قال: (يا أبا بكر، قد بلغني أنك أردت أن تبعثني في هذا الوجه، ثم رأيتك قد سكت، فما أدري ما بدا لك، فإن كنت تريد أن تبعث غيري فابعثني معه، فما أرضاني بذلك، فإن كنت لا تريد أن تبعث أحدًا فإن لي رغبة في الجهاد، فأذن لي -رحمك الله-؛ كيما ألحق بالمسلمين، فقد ذكر لي أن الروم قد جمعت لإخواننا جمعًا عظيمًا...)[(٢)].

وحينما يتغلغل الإيمان في نفوس الصحابة فإن قلوبهم لا تعرف حقدًا أو حسدًا، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه لم يحقد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما عزله عن إمرة الجيوش واستبدله بأبي عبيدة رضي الله عنه، بل على العكس أثنى كل منهما على الآخر، فعن عبد الملك بن عمير قال: (استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح على الشام وعزل خالد بن الوليد. قال: فقال خالد بن الوليد: بعث عليكم أمين هذه الأمة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **خالد سيف من سيوف الله عز وجل، ونعم فتى العشيرة**)[(٣)].

---

(١) سعيد بن عامر بن حذيم القرشي الجمحي، من كبار الصحابة وفضلائهم، أسلم قبل خيبر، وولاه عمر حمص، مات سنة ٢٠هـ. انظر: الإصابة (٩٤/٣).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٥/٢١). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٨٤/٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ص١٢٠٨، رقم (١٦٩٤٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٩/٩)، رقم (١٥٨٧٧). وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٢٩/٧)، وابن عساكر في تاريخ =

ولقد شهد النصارى بأنفسهم الأعمال الإيمانية التي قام بها الصحابة ﷺ حينما بعث قائد الروم رجلًا من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة ﷺ، فلما رجع إليه سأله: ما وراءك؟ قال: (بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجِم؛ لإقامة الحق فيهم. فقال له القبقلار[1]: لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها...)[2].

٢- الإخلاص[3]:

إن الإخلاص من المقومات الأساسية في الدعوة إلى الله ﷻ، وقد دلَّ على ضرورة الإخلاص قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[4]. فالداعية يدعو إلى الله ﷻ ونيته خالصة له سبحانه، وبها يؤجر ويُثاب عند الله ﷻ.

وأرشد النبي ﷺ إلى أهمية الإخلاص الدعوة، وذلك حينما جاء رجل إليه فقال: **(الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر والرجل، يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**[5].

=

دمشق (٢٤١/١٦)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الملك بن عمير لم يدرك أبا عبيدة ولا عمر".

(١) القبقلار: رتبة عسكرية عند الروم. تاريخ الإسلام، الذهبي (٨٢/٣).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٠٨.

(٣) الإخلاص لغة: الصفاء والنقاء من الشوائب. واصطلاحًا: قال الإمام ابن رجب: "هو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه، فهو مخلص لله". جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١٢٩/١).

(٤) يوسف، الآية (١٠٨).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٤٣، رقم (٢٨١٠)، كتاب الجهاد والسير، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "وفيه بيان أن الأعمال إنما تحتسب بالنية الصالحة... وفيه ذم الحرص على الدنيا وعلى القتال لحظ النفس في غير الطاعة"[1].

ولقد كان من مقومات منهج دعوة الصحابة ﷺ للنصارى، أنهم لا يريدون جاهًا أو مالًا أو أي حظ من حظوظ النفس، بل كانت نيتهم وقصدهم الأول هو إعلاء كلمة الله تعالى وطلبًا لرضوانه، ولعل من المواقف الدالة على إخلاص الصحابة ﷺ أن الخليفة أبا بكر الصديق ﷺ كان يحتسب خطواته في جهاد النصارى في سبيل الله ﷻ، فحينما بعث جيشًا إلى الشام خرج يشيعهم[2] على رجليه، فقالوا: يا خليفة رسول الله، لو ركبت؟ قال: (إني أحتسب خطاي في سبيل الله)[3]. قال الإمام الزرقاني -رحمه الله- معلقًا: "لكونها مشيًا في طاعة الله"[4] وكثيرًا ما كان الخلفاء والقواد في المعارك مع النصارى يوصون الجنود بالإخلاص في الجهاد، وما ذلك إلا لأهميته في قبول الأعمال عند الله ﷻ والمجازاة عليها، ومن ذلك وصية خالد بن الوليد ﷺ للجيوش في معركة اليرموك. عن خالد وعبادة، قالا: (فلما أحس المسلمون خروجهم وأرادوا الخروج متساندين سار فيهم خالد بن الوليد؛ فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي. أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم؛ فإن هذا يوم له ما بعده)[5].

---

(١) إتحاف القاري، العدوي (٢/٥٦٧).

(٢) يشيعهم: أي: خرج معه ليودعه. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١/٥٠٣) مادة: شايعه.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، ص٢٨٥، رقم (٥١٨) كتاب: الجهاد باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو. وذكره الألباني في إرواء الغليل (٥/١٤)، وقال: إسناده صحيح.

(٤) شرح الزرقاني (٣/١٩).

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٢. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٩٦)، وابن الأثير في الكامل (١/٤٠٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/١١). وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح =

وكان من حرص الصحابة ﷺ على الإخلاص في الجهاد التذكير به قبل البدء في مقاتلة النصارى، من ذلك: وصية سعد بن أبي وقاص ﷺ لهاشم بن عتبة ﷺ حينما توجه لقتال الروم في الشام، إذ قال: (يا ابن أخي، لا تطعن طعنة ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيدًا وراجع إلى الله قريبًا، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته أو عمل صالح أسلفته. فقال: أي عم، لا تخافن مني غير هذا، إني إذن لمن الخاسرين إن جعلت حلي وارتحالي وغدوي ورواحي وسيفي وطعني وضربي بسيفي رياءً للناس)[1]. وفي وقعة أجنادين أوصى معاذ بن جبل ﷺ المسلمين فقال: (يا معشر المسلمين، اشروا أنفسكم اليوم لله ﷻ، فإنكم إن هزمتموهم اليوم كانت لكم هذه البلاد دار الإسلام أبدًا مع رضوان الله والثواب العظيم من الله)[2].

ومما يدل على إخلاص الصحابة ﷺ عدم قبولهم أي إغراءات مادية يقدمها لهم الروم، فهذا معاذ بن جبل ﷺ يعرض عليه قائد الروم في فحل عروضًا مغرية، فيقول له: (نعطيكم البلقاء[3] وما والى أرضكم من سواد الأردن وتنحَّوا عن بقية أرضنا وعن مدائننا، ونكتب عليكم كتابًا نسمي فيه خياركم وصلحاءكم، ونأخذ فيه عهودكم ومواثيقكم على ألا تطلبوا من أرضنا غير ما صالحناكم عليه...). فقال معاذ ﷺ: (هذا الذي عرضتم علينا وتعطوناه كله

=

تاريخ الطبري (٣/٨٣).

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٨. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/١٨٤)

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٧٧. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٠٣).

(٣) البلقاء: مدينة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، وهي حاليًّا إحدى محافظات الأردن. انظر: معجم البلدان، الحموي (١/٤٨٩).

في أيدينا، ولو أعطيتمونا جميع ما في أيديكم مما لم نظهر عليه، ومنعتمونا خصلة من الخصال الثلاث التي وصفت لكم ما فعلنا. قال: فغضبوا عند ذلك...)[1].

إن معاذ بن جبل ﷺ حينما أحس أن النصارى قد أشغلوه بأموالهم ترفع عن هذه الأموال؛ ليبين لهم أن المال ليس هو هدف المسلمين من الجهاد وإن كان أباح الله ﷻ لهم الغنائم؛ ليتقووا بها على أعدائهم، ولكن حينما يكون هدف الأعداء مساومة المسلمين أنفسهم ومبادئهم بأموالهم، فإنها مساومة مردودة لدى أقوياء الإيمان الذين اتضحت أهدافهم واستقامت مناهجهم؛ لأنهم لا يرضون التخلي عن الأهداف السامية مقابل متاع عاجل مهما كان قدره وأثره.

٣- التقوى[2]:

إن تقوى الله ﷻ من أهم مقومات منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام، وعامل من عوامل نجاحها؛ لأن التقوى يستلزم أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله ﷻ وقاية باتباع أوامره واجتناب نواهيه ومراقبته في ذلك في كل زمان ومكان، فينجو بذلك من العقوبات كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[3].

ولقد كان عصر الصحابة ﷺ عصرًا يحمل طابع التقوى والصلاح والتمسك بروح الدين والفضيلة التي عرفوها عن رسول الله ﷺ، وكانت الوصية بالتقوى

---

(١) تقدم تخريجه، ص٦٤.

(٢) التقوى: لغة: الخشية والخوف. اصطلاحًا: هو الاحتراز بطاعة الله من عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك. التعريفات، الجرجاني،ص٦٣. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١٠٥٢/٢) مادة: وقى.

(٣) الطلاق، الآية (٢).

لأمير الجيش؛ لأن تقواه سبب لتقوى من تحت ولايته. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "وصية الإمام لنوابه وأمرائه وولاته بتقوى الله والإحسان إلى الرعية، فبهذين الأصلين يحفظ على الأمير منصبه، وتقر عينه به، ويأمن فيه من النكبات والغير، ومتى ترك هذين الأمرين أو أحدهما فلا بد أن يسلبه الله عزة ويجعله عبرة للناس، فما إن سلبت النعم إلا بترك تقوى الله والإساءة إلى الناس"[1]. وكانت الوصية بالتقوى من أساسيات منهج الدعوة عند الصحابة ﷺ، فقد أوصى أبو بكر ﷺ يزيد بن أبي سفيان ﷺ في الجيش المتوجه إلى الشام إذ قال: (يا يزيد، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته والإيثار له والخوف منه...)[2]. وكذا وصيته لعمرو بن العاص ﷺ إذ يقول: (يا عمرو، اتق الله في سر أمرك وعلانيته، واستحيه فإنه يراك ويرى عملك...)[3]. وعن سعيد الجمحي قال: (لما مات عياض بن غنم ولى عمر بن الخطاب سعيد بن عامر بن حذيم عمله، وكان على حمص وما يليها من الشام، وكتب إليه كتابًا يوصيه فيه بتقوى الله والجد في أمر الله والقيام بالحق الذي يجب عليه ويأمره بوضع الخراج والرفق بالرعية)[4]. وفي وقعة أجنادين أقبل خالد بن الوليد ﷺ على كل قبيلة وكل جماعة، يقول: (اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في الله من كفر بالله، ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، ولكن أقدموا كإقدام الأسد...)[5]. كما كانت التقوى هي أساس المفاضلة بين الصحابة ﷺ لا لهيئة ولا لشكل ولا لمنصب، فعن أبي سعيد المقبري قال: (بعث عمر سعيد ابن عامر في

---

(١) أحكام أهل الذمة (٨٨/١).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٨. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٧٣/٢).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٦/٢). وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (٨٨/٢٥)، رقم (٢٧٨٥٣)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٦٢١/٥)، رقم (١٤٠٩٥).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٥٥/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٦/٢١).

(٥) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص ١٧٤. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٠٣/٢).

جيش يكون ألفًا أو ألفين إلى اليرموك بالشام ثم دعاه، فقال: يا سعيد بن عامر، إني قد وليتك هذا الجيش ولست بخير من رجل منهم إلا أن تكون أتقى لله منهم، فلا تشتم أعراضهم، ولا تضرب أبشارهم، ولا تحقر ضعيفهم، ولا تؤثر قويهم، وكن للحق تابعًا ولا تتبع هوى شاذًا...)[1] فهنا أوصى عمر بالتقوى وما يتبع ذلك من أعمال تدل عليه، من تجنب الشتم والضرب والاحتقار، ومع الحرص على العدل واتباع الحق وتجنُّب أهواء النفس وشهواتها.

ثانيًا: الجانب الفكري.

لا تقوم حجة الداعية على الناس، ولا يدخل بالإسلام إلى عقولهم، إلا إذا كان على درجة كافية من الفقه والفهم بأن الإسلام الذي يدعو إليه هو أصلح الأديان، ولقد توفرت مقومات الجانب الفكري في منهج دعوة الصحابة ﭫ للنصارى. ومن تلك المقومات:

١- العلم الشرعي:

لقد كان منهج دعوة الصحابة ﭫ للنصارى قائم على البصيرة والعلم بأحكام الشريعة، وذلك مصداقًا لقول الله ﻷ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2]. قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس آمرًا له أن يُخبر الناس أن هذه سبيله، أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٦٦. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٦٧).

(٢) يوسف، الآية: (١٠٨).

يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان عقلي وشرعي"[1].

لقد تميَّز صحابة رسول الله ﷺ بالعلم الوافر، وبلغوا في ذلك مبلغًا عظيمًا، ونهلوا من مدرسة النبوة الشيء الكثير. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "فمنذ بعث الله فيهم رسوله زكاهم، وعلمهم الكتاب والحكمة، وفضلهم في العلم والعمل والهدى والمعارف الإلهية والعلوم النافعة المكملة للنفوس على جميع الأمم، فلم تبق أمة من الأمم تدانيهم في فضلهم وعلومهم وأعمالهم ومعارفهم"[2].

إن هذا العلم الذي كان لدى الصحابة ﷺ ساعدهم كثيرًا في القيام بواجب دعوة النصارى إلى الإسلام، فكانوا على بصيرة بحال الدعوة في البلاد النصرانية، وعلى بصيرة في موضوعات الدعوة وكيفية أدائها.

فقد كان الصحابة ﷺ يستشهدون بالآيات من القرآن الكريم ويقتفون منهج النبي ﷺ في دعوته للنصارى، بتخيير المدعو النصراني بين الإسلام أو الجزية أو القتال، وعدم إكراهه على الإسلام، مع الرفق بأهل الذمة منهم والعدل معهم وقتال المقاتلين منهم.

قال عمرو بن العاص ﷺ للمقوقس : (إنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال، إما إن دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون. وإما إن جاهدناكم بالصبر والقتال ﴿ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[3])[4]. وكما في

(١) تفسير القرآن العظيم (٥١٣/٢).

(٢) هداية الحيارى، ص١٥٨.

(٣) الأعراف، الآية: (٨٧).

(٤) سبق تخريجه، ص٨٠.

حوار عبادة بن الصامت رضي الله عنه مع المقوقس إذ قال: (يا هـذا، لا تغـرن نفسك ولا أصحابك. أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنَّا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه... وأن الله عز وجل قال لنا في كتابه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]")[2].

كما كان لدى الصحابة رضي الله عنهم حرص على العلم بواقع المجتمع النصراني قبل بدء الدعوة، فإن ذلك مما أعانهم على أداء مهمتهم الدعوية بكل نجاح، فهـذا الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه لم يقدم على فتح مصر إلا بعد معرفته بأحوالها، وهذا عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه لم يذهب إلى غزو أفريقية إلا بعد أن أخذ معلومات كافية عن تلك البلاد، من ناحية سكانها ومداخلها ومخارجها وقوتها وعددها وموقعها الجغرافي الاستراتيجي، فحينئذ كتب إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه يخبره بهذه المعلومات المهمة عن أفريقية، ويستأذن بناء على تلك المعلومات بفتحها، فكان له ما طلب[3].

كما أن الحركة الفكرية الدعوية لم تتوقف في عصر الصحابة رضي الله عنهم يومًا ما، فقد اجتهد المسلمون في الحفاظ على وحدتهم الثقافية والروحية التي كانت دعامة قوية للفتوحات الإسلامية، وحرصوا على نشر العلم في البلاد المفتوحة، فنهل المسلمون الجدد تعاليم دينهم، وانكبوا على حفظ كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك يقول

---

(١) البقرة، الآية: (٢٤٩).

(٢) سبق تخريجه، ص٦٩.

(٣) انظر: الفتح الإسلامي، ص٩٩.

عمر بن الخطاب ﷺ: (إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم[1]، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم؛ ليعلموكم دينكم وسنتكم...)[2].

٢- حسن المنطق وجودة الكلام:

إن لجودة الحديث وحسن المنطق أثره الفعال في التأثير على النصارى واستجابتهم للدعوة، وقد تميَّز الصحابة ﷺ بهذا الأمر في حوارهم مع النصارى، ومن الشواهد على ذلك حوار المقوقس ملك مصر مع عبادة بن الصامت ﷺ حينما قال المقوقس: (تقدَّم يا أسود، وكلمني برفق، فإني أهاب سوادك، وإن اشتد عليَّ كلامك ازددت لك هيبة، فتقدَّم إليه عبادة، فقال: قد سمعت مقالتك، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سوادًا مني وأفظع منظرًا، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم لي، وأنا قد وليت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب رجلًا من عدوي لو استقبلوني جميعًا، وكذلك أصحابي، وذلك إنما رغبتنا وبغيتنا الجهاد في الله تعالى واتباع رضوان الله، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا، ولا طلب للاستكثار منها، إلا أن الله قد أحل ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالًا، وما يبالي أحدنا: أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهمًا؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا، أكلة يأكلها يسد بها جوعته وشملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله، واقتصر على هذا الذي بيده؛ لأن نعيم الدنيا ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا، وأمر به نبينا، وعهد علينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يمسك جوعته،

---

(١) أبشاركم: جمع بشرة وهي ظاهر الجلد. الفتح الرباني، البنا (٨٧/٢٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ص٦٢، رقم (٢٨٦)، والحاكم في المستدرك (٤٣٩/٤)، رقم (٨٣٥٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضا ربه وجهاد عدوه. فلما سمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره، وإن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها)[1].

٣- تحديد الهدف والسعي في تحقيقه:

سعى الصحابة ﷺ في منهج دعوهم النصارى إلى الإسلام إلى تحقيق أهداف سامية، تمثلت في إخراج النصارى من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، وأداء الأمانة التي كان الصحابة ﷺ يحملونها في أعناقهم، وإقامة الحجة على النصارى؛ حتى لا يتعذر متعذر منهم بعدم بلوغ الدعوة إليه، وكانت إستراتيجية تحقيق الأهداف واضحة من خلال الوصايا والرسائل المتبادلة بين الخليفة وقائد المسلمين وبين قائد المسلمين وقائد النصارى. وسعى الصحابة ﷺ إلى تحقيق أهدافهم السابقة الذكر، فقاموا بواجب دعوة النصارى إلى الإسلام، فإن لم يقبلوا فالجزية فإن لم يقبلوا فالقتال. كما أن الصحابة ﷺ لم يقبلوا من النصارى أي مساومة على تلك الأهداف، فحينما قال المقوقس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث الخصال؟ فرفع عبادة يديه وقال: (لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء، مالكم عندنا خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم...)[2] وهذا أبو بكر الصديق يحدد هدفه-حينما أراد فتح الشام- فيقول: (وقد رأيت أن استنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام؛ ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا...)[3].

---

(١) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٢) سبق تخريجه، ص٩٠.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٦٣). وذكره السيوطي في جامع الأحاديث =

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يقيم الحجة على عجوز نصرانية قبل وفاها بدعوها إلى الإسلام، فلما رفضت لم يضغط عليها بل أشهد الله أنه بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة بدون إكراه على دخول الدِّين. قال عمر: (أيتها العجوز، أسلمي تسلمي، بعث الله محمدًا ﷺ بالحق. قال: فكشفت عن رأسها، فإذا مثل الثغامة، فقالت: عجوز كبيرة وأنا أموت الآن، فقال عمر ﷺ: اللهم اشهد)[1].

وسارت حركة الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق نحو غايتها ومقصدها الشرعي المتمثِّل في مصلحة نشر الدعوة، فقاموا بإعداد الجيوش وتوجيهها إلى البلاد الرومية ووضع الاستراتيجيات العسكرية اللازمة لنجاح تبليغ الدعوة.

ولم يفهم الروم هدف المسلمين من فتوحاهم، فظنوا أنهم جاؤوا لأجل مطامع دنيوية، ولكن الصحابة ﷺ ضربوا أروع الأمثال في صلابة الموقف أمام الأعداء والامتناع التام من الخضوع لمطالبهم والاستجابة لتهديدهم أو إغرائهم.

ومن هنا نعلم أن من العوامل التي ساعدت في نجاح الفتوحات التي قام بها الصحابة ﷺ وضوح الهدف، والسعي في تحقيقه، والحماس لأجله، والتجانس بين القادة والأمراء والأفراد، وهذا ما كان مفقودًا في الجيوش البيزنطية، حيث كان أفرادها مرغمين على المشاركة في حروب لا يعرفون عن أهدافها شيئًا[2].

ثالثًا: الجانب السلوكي:

تميَّز منهج دعوة الصحابة الكرام –رضوان الله عليهم- بمقومات سلوكية

=

(١٩٠/٢٥)، رقم (٢٧٨٥٥)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٦٦٨/٥) رقم (١٤١٧٢).

(١) تقدم تخريجه، ص١٤٣.

(٢) انظر: محاضرات في تاريخ صدر الإسلام، محمد الشريف، ص٩٠.

كانت محط أنظار المدعوين من النصارى، وجذبت عقولهم ونفوسهم إلى الدخول في الإسلام أو الخضوع إلى حكمه؛ لعلمهم أن الإسلام ليس فكرًا مجردًا يُكتفى فيه بالمجادلة والمناظرة وإقامة الحجة فحسب، وإنما هو دين عملي شرعه الله؛ ليقوم به المجتمع الإنساني الفاضل الذي تسعد به البشرية وتتحقق فيه العبادة الخالصة لله تعالى، فيكون سلوك المسلم وعمله وتصرفاته منطبقة كلها على ما شرع الله وأمر، ويمكننا بيان تلك المقومات السلوكية على النحو الآتي:

١- الرفق[(١)]:

عظَّم الإسلام شأن الرفق في الأمور كلها، وحثَّ على التخلق به؛ لأن الرفق سبب كل خير، ويحصل به من الأغراض والمطالب والثواب ما لا يحصل بغيره. وقد أمر الرسول ﷺ صحابته بالرفق في الدعوة، فحينما بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إلى الْيَمَن قَال: (**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**)[(٢)]. واعتنى الصحابة ﵃ بالرفق مع المدعوين من النصارى، ومن مظاهر هذه العناية: النهي عن قتل من لا يقاتل في الحرب من النساء والأطفال والشيوخ ونحو ذلك. كما في وصية أبي بكر ﵁ للجيوش المتوجهة لغزو الروم في الشام، إذ قال: (يا أيها الناس، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف

---

(١) الرفق لغة: ضد العنف. اصطلاحًا: لين الجانب بالقول والفعل مع المدعو وترك الغضب والتعنيف. مقومات الداعية، القحطاني، ص١٦٧. معجم الصحاح، الجوهري، ص٤١٩. مادة رفق.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٣٠٤١، رقم (٣٠٣٨)، كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب.

تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...)[1].

ومن الرفق بالنصارى إعفاؤهم من الجزية في حال العجز عنها، وإعانتهم من بيت مال المسلمين، ففي خلافة أبي بكر الصديق ﷺ كتب خالد بن الوليد ﷺ في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى: (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر، حتى صار أهل دينه يتصدَّقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام)[2]. وكتب عمر ابن الخطاب ﷺ إلى أمراء الأجناد: (أن لا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسي، ولا تضرب الجزية على النساء والصبيان)[3]. وظهر تعاطف عمر ورحمته حينما مرَّ في رحلته إلى الشام بقوم مجذومين من النصارى، فيأمر بمساعدة اجتماعية لهم من بيت مال المسلمين، فعن هشام بن عمار قال: (إن عمر بن الخطاب ﷺ عند مقدمه الجابية من أرض دمشق مرَّ بقوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت)[4].

وأنكر الصحابة ﷺ تعذيب أهل الذمة وتعنيفهم على أخذ الجزية، فحينما مرّ هشام ابن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: سمعت رسول

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٠.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٥١.

(٣) تقدم تخريجه، ص١٦٧.

(٤) تقدم تخريجه، ص٢٢١.

الله ﷺ يقول: (**إن الله يعذّب الذين يعذّبون الناس في الدنيا**)[1]. قال القاضي أبو يوسف -رحمه الله-: "ولا يُقاموا في الشمس ولا غيرها، ولا يُجعل عليهم في أبدانهم شيء من المكاره ولكن يرفق بهم..."[2].

وقد اعترف النصارى أنفسهم برفق الصحابة ﷺ مما جعلهم يفضلوهم على قومهم، دلَّ عليه ما كتبه المسيحيون في الشام إلى أبي عبيدة ﷺ وهو معسكر في فحل، يقولون: (يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا)[3].

وكان النصارى يفضلون دفع الجزية للمسلمين أكثر من الروم، وما ذلك إلا لرفقهم بهم. قال صاحب الإسكندرية لعمرو بن العاص ﷺ: (إني قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إليَّ منكم -معشر العرب- لفارس والروم، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبايا[4] أرضي، فعلت...)[5].

وقد يعدل الصحابة ﷺ أحيانًا من الرفق إلى الشدة مع النصارى، وذلك في حالة الظلم والاعتداء؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[6]. ولاشك أن نقض الصلح مع المسلمين وقتالهم

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٦١.

(٢) الخراج، ص١٢٣.

(٣) تقدم تخريجه، ص١٠.

(٤) سبايا: جمع سبي وهم الأسرى. القاموس المحيط،الفيروزآبادي، ص١٢٩٣، مادة: سبي.

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٧١. وذكره ابن حبان في الثقات (٢/٢٢٠)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/٢٩١)، والكلاعي في الاكتفاء (٢/٣٤٩)، وقال محقق كتاب الطبري: إسناده ضعيف وله ما يؤيده. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٢٦٣).

(٦) البقرة، الآية: (١٩٤).

من الظلم والاعتداء الذي يستلزم معه الشدة. قال الإمام النووي –رحمه الله–: "إن المعاهد والذمي إذا نقض العهد صار حربيًّا وجرت عليه أحكام أهل الحرب"[(١)].

وقد أوقع الصحابة ﷺ العقوبات على أهل الذمة المخالفين لشروط الصلح، فحينما (استكره رجلٌ من أهل الذمة امرأة مسلمة على نفسها، رُفع الأمر إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، فقال: ما على هذا صالحنكم، فضرب عنقه)[(٢)]. وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– أنه: (مرَّ به راهب فقيل له: هذا يسب النبي ﷺ! فقال ابن عمر: لو سمعته لقتلته أنا، لم نعطهم الذمة على أن يسبُّوا نبينا ﷺ)[(٣)].

٢– الصبر[(٤)].

أمر الله ﷻ عباده بالاتصاف بالصبر وأثنى على الصابرين، ورتَّب على صبرهم ثمرات يجنيها العبد في الدنيا والآخرة، والصبر نصف الإيمان. قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–: "وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر"[(٥)].

ولقد كان الصبر من مقومات منهج الصحابة ﷺ في سبيل تبليغ الدعوة للنصارى، فقد تركوا الشهوات وملذات الدنيا، وصبروا على مفارقة الأرض والأهل

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٩١/١٢).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٥٥.

(٣) ذكره الخلال في أحكام أهل الملل، ص٢٥٦، رقم (٧٢٦)، كتاب الحدود، باب: شتم النبي ﷺ. وذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١٣٥٨/٣)، وقال محقق الكتاب: إسناده ضعيف من أجل جهالة الراوي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) الصبر لغة: الحبس وحسن احتمال المكروه دون جزع. اصطلاحًا: حبس النفس عن الجزع والتسخط. وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش". المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٥٠٥/١) مادة: صبر. مدارج السالكين ، ابن القيم (١٥٥/٢).

(٥) مدارج السالكين، ابن القيم (١٥١/٢).

والديار، وتحملوا مشاق السفر خارج الجزيرة العربية في البلاد الشامية والمصرية والأفريقية، وصبروا على مجاهدة النصارى وحصارهم؛ إعلاء لكلمة الله، وقيامًا بواجب الدعوة ونشر العقيدة الصحيحة.

ولأهمية الصبر في منهج الدعوة، كان الخلفاء وقواد المعارك يحثون جنودهم على الصبر قبل البدء بالمواجهة مع النصارى؛ لعلمهم بأهمية هذا المقوم في استمرارية الدعوة ونجاحها، واقتداء برسول الله ﷺ حينما قال: (**إذا لقيتموهم فاصبروا**)(١)، فقد أوصى أبوبكر رضي الله عنه هاشمًا بن عتبة رضي الله عنه حينما وجهه للشام فقال: (إذا لقيت عدوَّك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوة، ولا تنفق نفقة، ولا يصيبك ظمأ ولا نصب، ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملًا صالحًا، إن الله لا يضيع أجر المحسنين...)(٢). وقبيل معركة اليرموك سار خالد بن الوليد رضي الله عنه في الصفوف يقف على أهل كل راية، ويقول: (يا أهل الإسلام، إن الصبر عز وإن الفشل عجز، وإن مع الصبر تنصرون، فإن الصابرين هم الأعلون...)(٣). وعن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: (كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب، يذكر له جموعًا من الروم وما يتخوّف منهم، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجًا، وإنه لن يغلب عسر يسرين)(٤)،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٤٧، رقم (٢٨٣٣)، كتاب الجهاد والسير، باب: الصبر عند القتال.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٠٩.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٧٠. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٦٨).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ص٢٨٤، رقم (٥١٧)، كتاب الجهاد، باب: الترغيب في الجهاد. وأخرجه الإمام الذهبي في السير (١/١٥)، وقال: إسناده قوي ورجاله ثقات.

وإن الله يقول في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١). وكان أبوهريرة ﷺ يقول للجنود في اليرموك: (تزيّنوا للحور العين، وارغبوا في جوار ربكم في جنات النعيم، فما أنتم إلى ربكم في موطن من مواطن الخير أحب إليه منكم في هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم)(٢).

وصبر الصحابة ﷺ على ما واجههم من أذى في المعارك مع الروم، ففي وقعة فحل (خرج صفوان بن المعطل الخزاعي(٣) ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمي(٤) يومًا في خيل لهما، فأغارا فغنما غنائم كثيرة، فلما انصرفا عرضت لهم الروم فقاتلوهم قتالًا شديدًا، وإنما كانا جميعًا في نحو مائة فارس، وخرج الدرنجار(٥) في خمسة آلاف خيل، فطاردوهم وصبروا لهم واحتسبوا في قتالهم، ثم إن الروم غلبوهم على غنيمتهم)(٦).

وحينما حاصر المسلمون دمشق تحت إمرة أبي عبيدة ﷺ ظن الروم أن المسلمين لا يستطعون أن يصمدوا أمام طول الحصار، وخاصة في أيام الشتاء، ولكن المسلمين أصحاب العقيدة الراسخة والصبر الطويل صبروا أمام تغيرات الطقس، ونصب

---

(١) آل عمران، الآية: (٢٠٠).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٠٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦٠/٢٠).

(٣) صفوان بن المعطل بن ربيعة، شهد الخندق والمشاهد، قال عنه النبي ﷺ: ما علمت عنه إلا خيرًا، توفي سنة ١٩هـ. انظر: الإصابة،ابن حجر (٣٥٦/٣).

(٤) معن بن يزيد بن الأخنس السلمي، بايع النبي ﷺ، شهد وقعة مرج راهط وفتح دمشق، توفي سنة ٥٤هـ. انظر: المرجع السابق (١٥١/٦).

(٥) الدرنجار: أي قائد الروم البيزنطيين. الاكتفاء، الحميري (٢٠٠/٢).

(٦) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٨. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٢٧/٢).

المسلمون خلال فترة الحصار المجانيق، واستمر الرمي بها سبعين يومًا[1]. كما صبر الصحابة ﷺ على ما أصابهم من أذى في معاركهم مع النصارى، مستشعرين قول الله ﷻ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[2]. ومن أمثلة الأذى الذي حصل للصحابة ﷺ ما رواه عروة بن الزبير قال: (كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف، إحداهن في عاتقه، قال: إن كنت لأدخل أصابعي فيها. قال: ضرب اثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك)[3]. وعن أبي عثمان وخالد: (وكان ممن أصيب في الثلاثة آلاف الذين أُصيبوا يوم اليرموك: عكرمة[4]، وعمرو بن عكرمة[5]، وسلمة بن هشام[6]، وعمرو بن سعيد[7]، وأبان بن سعيد[8]، وأثبت خالد بن سعيد، فلا يدري أين مات بعد، وجنــدب بن عمرو بن حممة الدوسي[9]، والطفيل ابن عمرو[10]، وضرار بن

---

(١) تقدم تخريجه، ص٩٩.

(٢) آل عمران، الآية: (١٦٩).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٧٥٤، رقم (٣٩٧٣)، كتاب المعازي، باب: قتل أبي جهل.

(٤) عكرمة بن أبي جهل القرشي المخزومي، أسلم عام الفتح، قاتل قتالًا شديدًا في اليرموك، وقُتــل بأجنادين. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٢٣/١). الإصابة، ابن حجر (٤٤٣/٤).

(٥) عمر بن عكرمة بن أبي جهل المخزومي، أسلم مع أبيه، أدرك النبي ﷺ، وشهد اليرموك في خلافة عمر واستشهد فيها. انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر (٢٩٧/٤٥).

(٦) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي، من السابقين إلى الإسلام، شهد غزوة مؤتة، ثم خــرج إلى الشام مجاهدًا، فاستشهد بمرج الصفر سنة ١٤هـــ. انظر: الإصابة، ابن حجر (١٣١/٣).

(٧) عمرو بن سعيد بن العاص الأموي، من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة، استشهد يوم أجنــادين. انظر: المرجع السابق (٥٢٦/٤).

(٨) أبان بن سعيد بن العاص الأموي أسلم يوم خيبر، وشهدها مع النبي ﷺ، له صحبة، هــاجر إلى الحبشة مع أخيه عمرو، قُتل يوم أجنادين. انظر: الإصابة، ابن حجر (١٦٨/١).

(٩) جندب بن عمرو بن حممة الدوسي، له صحبة، شهد اليرموك، قُتل يوم أجنادين. انظر: تــاريخ دمشــق، ابن عساكر (٣١٦/١١).

(١٠) الطفيل بن عمرو الدوسي، أسلم بمكة وشهد الفتح، استشهد بأجنادين. انظر: الإصابة، ابــن =

الأزور[١] أثبت، فبقي، وطليب بن عمير بن وهب[٢] من بني عبد ابن قصي، وهبار بن سفيان[٣]، وهشام بن العاصي[٤])[٥].

وصبر الصحابة على ما لاقوه بعد دعوة النصارى من أذى، والمتمثل في نقضهم العهود والصلح مع المسلمين. كما في نقض أهل الإسكندرية عهدهم مع المسلمين حيث سار إليهم عمرو بن العاص ﷺ بكل صبر وأخضعهم مرة أخرى إلى حظيرة الإسلام.

كما صبر الصحابة ﷺ على معاملة أهل الذمة الخاضعين لحكم الدولة الإسلامية، من حيث حمايتهم ومراعاة ظروفهم.

كما أن من صبر الصحابة ﷺ المواصلة والاستمرار في القيام بالدعوة رغم الصعوبات والأحداث العصيبة التي مرت في عصرهم، بدءًا بوفاة الرسول ﷺ وحروب المرتدين ووفاة الخلفاء، بالإضافة إلى ما أصاب المسلمين من مجاعة وأمراض كطاعون عمواس[٦] بالشام الذي هلك فيه قرابة خمسة وعشرون ألفًا،

=

حجر (٣/٤٢٢).

(١) ضرار بن الأزور، له صحبة، روى عن النبي ﷺ، شهد اليرموك ومات بأجنادين. انظر: المرجع السابق (٣/٣٩٠).

(٢) طليب بن عمير بن وهب، هاجر إلى الحبشة، قُتل بأجنادين. انظر: الإصابة، ابن حجر (٣/٤٣٩).

(٣) هبار بن سفيان المخزومي، هاجر إلى الحبشة واستشهد بأجنادين. انظر: المرجع السابق (٦/٤١٤).

(٤) هشام بن العاصي بن وائل السهمي، أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة، استشهد بأجنادين. الإصابة، ابن حجر (٦/٤٢٣).

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/٤٠٦). وذكره محقق كتاب الطبري في الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري، ص٨٨.

(٦) عمواس: بلدة بفلسطين قرب بيت المقدس. معجم البلدان، الحموي (٤/١٥٧).

مات فيه أبو عبيدة، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان -رضي الله عنهم- وغيرها من الأحداث والنكبات.

٣- **الوفاء بالعهد**[١]:

أكد الإسلام على الوفاء بالعهد، وشدد على ذلك، فقال سبحانه: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[٣]. قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "قال الزجاج: أوفوا بعقد الله عليكم وعقد بعضكم على بعض"[٤]. وبين الإمام الشوكاني -رحمه الله- ضابط العقد الذي يجب الوفاء به فقال:"والعقد الذي يجب الوفاء به ما وافق كتاب الله وسنة رسول الله، فإن خالفهما فهو رد لا يجب الوفاء به ولا يحل"[٥].

وبيَّن رسول الله ﷺ حرمة ذمة المعاهد النصراني، ووجوب الوفاء له، قال ﷺ: (**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**)[٦]. وسار على نهجه صحابته الكرام، فقد كانوا يأمرون بالوفاء بالعهد لأهل الذمة من النصارى، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ينازع الموت بعدما طُعن يوصي الخليفة من بعده فيقول: (وأوصيه بذمة الله وذمة

(١) الوفاء بالعهد لغة: ضد الغدر. اصطلاحًا: القيام بحفظه على الوجه الشرعي. فتح القدير، الشوكاني (٣/٣٢٤). معجم الصحاح، الرازي،ص١١٥٢.

(٢) الإسراء، الآية: (٣٤).

(٣) المائدة، الآية: (١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٦/٧).

(٥) فتح القدير (٢/٧).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٦٠٧، رقم (٣١٦٦)، كتاب الجزية، باب: إثم من قتل معاهدًا بغير جرم.

رسوله ﷺ، أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم)[١]. وقال: (أُوصِيكُمْ بِذِمَّةِ اللَّهِ فَإِنَّهُ ذِمَّةُ نَبِيِّكُمْ وَرِزْقُ عِيَالِكُمْ[٢]) [٣].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "في الحديث الحض على الوفاء بالعهد، وحسن النظر في عواقب الأمور"[٤]. وقال القاضي أبو يوسف -رحمه الله-: "ووفِّ لهم بشرطهم الذي شرطت لهم في جميع ما أعطيتهم"[٥].

وكان عثمان بن عفان ﷺ يوصي بأهل الذمة، فقد ذكر الإمام الطبري -رحمه الله- أن أول كتاب كتبه عثمان ﷺ إلى عماله، قال فيه: (ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم، فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة، فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم...)[٦].

ولم يكن منهج الصحابة ﷺ مجرد وصايا، بل كانت أفعالًا شهد بها النصارى أنفسهم، ويشهد لذلك ما فعله أبو عبيدة ﷺ مع أهالي حمص ودمشق، إذ أمر عامله على الخراج أن يرد على الأهالي ما كان قد أخذه منهم؛ خوفًا من عدم القدرة على حمايتهم. قال أبو عبيدة لحبيب ابن مسلمة[٧] -رضي الله عنهما-: (اردد على القوم الذين كنا صالحنهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم، فإنه لا ينبغي بنا إذ لم نمنعهم أن

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٢٧١، رقم (١٣٩٢)، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي ﷺ.

(٢) رزق عيالكم: أي ما يؤخذ منهم من الجزية والخراج. إتحاف القاري (٢/٧١١).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٦٠٦، رقم (٣١٦٢)، كتاب الجزية، باب: الوصاة بأهل ذمة رسول الله ﷺ.

(٤) إتحاف القاري، العدوي (٢/٧١١).

(٥) الخراج، ص١٤١.

(٦) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٧٢٢. وإسناده ضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٨/٤٦٢).

(٧) حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري، له صحبة، فتح أرمينية وأصبح واليًا فيها، فمات بها سنة ٤٢هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٢/٢٢).

نأخذ منهم شيئًا، وقل لهم: نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح، لا نرجع عنه إلا أن ترجعوا عنه، وإنما رددنا عليكم أموالكم أنّا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم، ولكنا نتنحَّى إلى بعض الأرض ونبعث إلى إخواننا فيقدموا علينا ثم نلقى عدونا فنقاتلهم، فإن أظفرنا الله بهم وفّينا لكم بعهدكم، إلا ألا تطلبوا ذلك. فلما أصبح أمر الناس أن يرتحلوا إلى دمشق، ودعا حبيب ابن مسلمة القوم الذين كانوا أخذ منهم المال فأخذ يرد عليهم، وأخبرهم بما قال أبو عبيدة، وأخذ أهل البلد يقولون: ردكم الله إلينا، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا، لا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا)[1].

وحينما (أقام أبو عبيدة بدمشق يومين أمر سويد بن كلثوم القرشي أن ترد على أهل دمشق ما كان اجتبى منهم الذي كانوا أمنوا وصولحوا، فرد عليهم ما كان أخذ منهم، وقال لهم المسلمون: نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم، ونحن معيدون لكم أمانًا ومتممون ما كنا صالحناكم عليه)[2]. قال الشيخ رشيد رضا - رحمه الله- بعد ذكره لشواهد من حرص الصحابة ﷺ على الوفاء بالذمة: "ولا تَظُنَّنَّ أَنَّ شرط الْمنْعة فِي الْجزْيَة إِنَّما كان يُقصد به مُجرَّد تطَيُّب نُفوس أَهل الذِّمة، وإسكان غيظهم و لم يقع به العمل قطُّ، فَإِنَّ من أَمعن النَّظر فِي سير الصَّحابة، واطَّلع على مَجَاري أَحوالِهم، عرف من غير شكٍّ أَنَّهُم لَم يَكْتُبُوا عهدًا، ولَا ذكروا شَرْطًا إِلَّا وقد عضُّوا عليها بالنَّواجذ، وأَفرغوا الجهد في الوفاء بِها"[3].

كما ينبغي الإشارة إلى أن حق النصراني في الوفاء بالعهد متوقف على

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٣٤. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (٤٧٠/١)، والكلاعي في الاكتفاء (٢٥٣/٢).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٤٣. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٥٥/٢)، والهندي في مجموعة الوثائق السياسية، ص٤٧٢.

(٣) تفسير المنار (٢٦٠/١٠).

وفائهم بالعهد مع المسلمين، إذ هم مأمورون بذلك، وقد شرط عليهم الإسلام أن يمتنعوا عن إحداث أشياء في دولة الإسلام وإذا فعلوها يكونون قد نقضوا العهد، ومنها: إشاعة المعاصي والفسق، وما يسيء إلى شريعة الله وما يؤذي المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم ومشاعرهم[١].

قال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[٢]. قال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: "إن الكفار إن نكثوا العهود التي عاهدوا بها المسلمين ووثقوا لهم بها وضموا إلى ذلك الطعن في دين الإسلام والقدح فيه، فقد وجب على المسلمين قتالهم"[٣].

٤- الشجاعة:

إن الدعوة إلى الله تعالى بحاجة إلى دعاة يتصفون بالشجاعة والجرأة في قول كلمة الحق، وقتال المحاربين للدعوة الإسلامية بالضوابط الشرعية، وقد ضرب الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في الشجاعة القولية والفعلية، متخذين من هدي النبي ﷺ المثل الأعلى في ذلك، حيث إن مواقف شجاعته لا حصر لها، فقد ضحَّى -صلوات ربي وسلامه عليه- بنفسه وماله وكل ما يملك؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدِّين لله ﷻ.

وتعددت مواقف الشجاعة للصحابة ﷺ في مواجهاتهم للنصارى، ومنها على سبيل المثال لا الحصر؛ ما أظهره الصحابة ﷺ من شجاعة يوم اليرموك، فحينما أقبل رجل من نصارى العرب على خالد بن الوليد ﷺ يوم اليرموك، قال له: (يا خالد! إن الروم في جمع كثير، مائتي ألف أو يزيدون، فإن رأيت أن ترجع

---

(١) انظر: موسوعة حقوق الإنسان، ص٦٢١.حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص٧٤.

(٢) التوبة، الآية: (١٢).

(٣) فتح القدير (٢/٤٩٥).

على حاميتك فافعل، فقال خالد ﷺ -بكل شجاعة-: أبالروم تخوفني؟!..)[١]
وظهرت شجاعة خالد بن الوليد ﷺ في اليرموك (حينما حمل عليهم خالد -رحمه الله- فقصف بعضهم على بعض وشدخ[٢] منهم في العسكر نحوًا من عشرة آلاف رجل)[٣]. وشجاعة سعيد بن زيد ﷺ كانت واضحة في معركة اليرموك. يقول حبيب بن مسلمة ﷺ: (اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله در سعيد! ما سعيد يومئذ إلا مثل الأسد، جثا -والله- على ركبتيه، حتى إذا دنوا منه وثب في وجوههم مثل الليث، فطعن برايته أول رجل من القوم، فقتله...)[٤]. (وقاتل قباث بن أشيم[٥] يومئذ قتالًا شديدًا... وكسر في ذلك اليوم ثلاثة أرماح[٦]، وقطع سيفين، وأخذ يقول كلما قطع سيفًا أو كسر رمحًا: من يعين بسيف أو برمح في سبيل الله، رجل قد حبس نفسه مع أولياء الله، وقد عاهد الله لا يفر ولا يبرح، يقاتل المشركين حتى يظهر الله المسلمين أو يموت؟ وكان من أحسن الناس بلاء يومئذ)[٧]. (وقاتل شرحبيل بن حسنة في ربعه[٨] الذي كان فيه قتالًا شديدًا، وكان وسطًا من الناس إلى جنب سعيد بن زيد، وجعل ينادي ويقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٤. وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/١٦٤) وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٨٨).

(٢) شدخ: كسر. النهاية في غريب الحديث، ص٤٦٤.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٠٢. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٨٥).

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام،ص٢٠٤. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٨٦).

(٥) قباث بن أشيم الليثي له صحبة، أسلم بعد بدر، وشهد بعض المشاهد مع الرسول ﷺ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٥/٣١٠).

(٦) أرماح: جمع رمح قناة في رأسها سنان يُطعن به. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١/٣٧١).

(٧) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٠٤. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٨٦).

(٨) ربعه: الموضع الذي نزل فيه. النهاية في غريب الحديث، ص٣٣٩.

﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١) ثم يقول: أين الشارون أنفسهم؛ ابتغاء مرضاة الله؟ أين المشتاقون إلى جوار الله في داره؟)(٢) ولا ننسى موقف عكرمة بن أبي جهل ﷺ، فحينما أَسْلَمَ أَتَى النَّبِي ﷺ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُ مَقَامًا قُمْتُهُ لِيُصَدَّ بِهِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا قُمْتُ مِثْلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا أَتْرُكُ نَفَقَةً أَنْفَقْتُهَا لِيُصَدَّ بِهَا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ نَزَلَ فَتَرَجَّلَ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا فَقُتِلَ فَوُجِدَ بِهِ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ مِنْ بَيْنِ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ وَضَرْبَةٍ)(٣).

إن هذه الأمثلة لشجاعة الصحابة ﷺ في معركة اليرموك،كان لها دور واضح في إشعار ملك الروم بالخوف، إذ إنه لما سمع بنتيجة المعركة وكان في حمص ارتحل منها متجهًا إلى القسطنطينية يائسًا من بلاد الشام، وقال قولته المشهورة: (سلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرى أنه يرجع إليك أبدًا)(٤).

كما أظهر الصحابة ﷺ الشجاعة والجرأة في قول كلمة الحق والحوار مع قادة الروم، كشجاعة عبادة بن الصامت ﷺ وجرأته في الحوار مع المقوقس ملك مصر، وحوار خالد بن الوليد ﷺ مع قائد الروم باهان(٥).

إن هذه الشجاعة التي اتصف بها الصحابة ﷺ أثارت الرعب لدى النصارى لدرجة تفكيرهم بمساومة المسلمين، دل على ذلك قول هرقل لجنوده: (أرى من

---

(١) التوبة، الآية: (١١١).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام ص٢٠٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٦/٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٧/٤)، رقم (١٩٥٢٣). وللأثر طريق آخر، كما جاء في المستدرك على الصحيحين (٢٧١/٣) رقم (٥٠٥٩) وقال الحاكم: صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٤) تقدم تخريجه، ص(٢٥٩).

(٥) انظر: ص٦٩، ص٧٨ من هذه الدراسة.

الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم، وأن تصالحوهم، فو الله لئن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام، وتأخذوا نصفًا وتقر لكم جبال الروم، خير لكم من أن يبلغوكم على الشام، ويشاركوكم في جبال الروم...)[1]. كما ظهر الرعب على قائد الروم في وقعة اليرموك، حيث قال لأصحابه: (لفوني بالثياب، فليت أني لم أقاتل هؤلاء القوم اليوم. فلفوه بالثياب، وقال: لوددت أن الله عافاني من حرب هؤلاء القوم ولم أرهم ولم يروني ولم أنصر عليهم ولم ينصروا علي، وهذا يوم سوء. فما شعر حتى غشيه المسلمون فقتلوه)[2].

كما أن علماء النصارى اعترفوا بشجاعة الصحابة، فعَنِ الْأَقْرَعِ مُؤَذِّنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: (بَعَثَنِي عُمَرُ إلى الْأُسْقُفِّ فَدَعَوْتُهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : وَهَلْ تَجِدُنِي فِي الْكِتَابِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ تَجِدُنِي؟ قَالَ: أَجِدُكَ قَرْنًا. فَرَفَعَ عَلَيْهِ الدِّرَّةَ، فَقَالَ: قَرْنٌ مَهْ؟ فَقَالَ: قَرْنٌ حَدِيدٌ أَمِينٌ شَدِيدٌ...)[3].

ولا يعني اتصاف الصحابة ﷺ بالشجاعة أنهم كانوا يسلكون مسلك القوة دائمًا، بل كانوا يعلنون أنهم لا يحاربون إلا ضد الذين يحاربونهم ويرفضون الصلح أو ينقضونه، وأنهم إذا دخلوا بلدًا بصلح كان لأهل هذا البلد الأمان والحماية.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٥/٢). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٣٠٠/٢)، وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٨٩/٣).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٠٣. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٨٥/٢). صحيح تاريخ الطبري (١٠٤/٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، ص٦٥٨، رقم (٤٦٥٦)، كتاب السنة، باب: في الخلفاء، وأخرجه ابن شبه في أخبار المدينة (٢٩٩/٣)، وقال الدويش: رجاله ثقات.

٥- الـــزهـــد[١]:

إن أكبر ما يعيق المسلم في طريقه التي يسير بها إلى ربه حب الدنيا، فهي دار ابتلاء وغرور، ولذا فقد حذر الله ﷻ من الاغترار بها والركون إليها. قال تعـــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[٢]

وفهم النبي ﷺ وصحابته الكرام حقيقة الدنيا فعزفوا عنها، وسطروا أروع الصـــور في الزهد عنها؛ رغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى.

ومن يتتبع مواقف الصحابة ﵃ مع النصارى أثناء دعوهم إلى الإسلام يجـــد أهم صرحوا بزهدهم في زينة الحياة الدنيا، بأقوالهم وأفعالهم، وشهد لهم بـــذلك أعداؤهم. ومن ذلك ما حدث في وقعة فحل، حينما ذهب معاذ بن جبل ﵁؛ لدعوة القائد الرومي إلى الإسلام، وإذا بالفرش والبسط الفاخرة قـــد زينـــت الأرض، فما كان من معاذ ﵁ إلا أن قال: (إنما هي من زينة الدنيا وغرورهـــا، وقد زهد الله في الدنيا وذمها، ونهى عن البغي والسرف فيها، فأنا أجلس ها هنا على الأرض، وكلّموني أنتم بحاجتكم...)[٣]. وقال عبادة بـــن الصـــامت ﵁ لملك مصر المقوقس: (ليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الـــدنيا، ولا طلب للاستكثار منها... وما يبالي أحدنا أكان له قنطار[٤] من ذهب أم كان لا

---

(١) الزهد لغة: ترك الميل إلى الشيء. اصطلاحًا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ترك ما لا ينفـــع في الآخرة. وقيل: عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلُّف. انظر: مدارج الســـالكين، ابـــن القـــيم (١٣/٢). التعريفات،الجرجاني، ص١٠٨.

(٢) فاطر، الآية: (٥).

(٣) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٤) قنطار: معيار مختلف المقدار عند الناس، وهو بمصر ويساوي مائة رطل، والقناطر: المال الكـــثير. =

يملك إلا درهمًا؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته لليله ونهاره، وشملة يلتحفها. فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله، واقتصر على هذا الذي بيده ويبلغه ما كان في الدنيا؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا ﷺ وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يمسك به جوعه ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه. فلما سمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها...)[1].

كما اعترف قائد الروم بزهد الصحابة في الحياة الدنيا ورغبتهم في الآخرة، وأن ذلك هو سبب انتصارهم بعد توفيق الله ﷻ لهم. عن عبيد الله بن العباس قال: (إن الهزيمة لما انتهت إلى ملك الروم وهو بأنطاكية، فكان أول من جاءه رجل من المنهزمة فأخبره بهزيمة الروم. قال: قد كنت أعلم أنهم سيهزمونكم. قال: فقال له بعض جلسائه: ومن أين علمت ذلك أيها الملك؟ قال من حيث إنهم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة، ويرغبون هم الآخرة أشد من رغبتكم أنتم في الدنيا، فلا يزالون ظاهرين ما كانوا هكذا)[2]. وقال المقوقس: (والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا، وإن الرجل

=

انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٧٦٢). مادة: قنطر.

(١) تقدم تخريجه، ص١٠٨.

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢١١.

الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل يتمنى أن لا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده، ويرون أن لهم أجرًا عظيمًا فيمن قتلوا منا، ويقولون: إن قتلوا دخلوا الجنة، وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلا على قدر بلغة العيش من الطعام واللباس، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها...)[1].

٦- التسامح[2]:

ظهر تسامح الصحابة ﷺ مع النصارى عن طريق إحسان معاملتهم، وإقامة العدل معهم، والصفح عن زلاتهم؛ رجاء هدايتهم؛ تطبيقًا عمليًا لما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ﴾[3].

ومن يتتبع مواقف الصحابة ﷺ يتضح له أن السماحة في التعامل قولًا وعملًا من مقومات دعوة النصارى إلى الإسلام، فقد أوصى أبو بكر أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- لما وجهه إلى الشام، بالوفاء لمن يعاهدهم، وبالرحمة في الحرب، وترك الرهبان أحرارًا في ديارهم وصوامعهم[4]. وفي خلافته عاهد خالد بن الوليد ﷺ أهل الحيرة على ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة، ونصَّ في المعاهدة على أن الجزية يعفى منها الشيخ العاجز عن العمل، ويعال هو وأولاده من بيت مال المسلمين. قال أبو بكر الصديق ﷺ : (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر، حتى صار

---

(١) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٢) هناك فرق بين السماحة والتسامح: فالسماحة وصف عام للأحكام والقيم والمبادىء الإسلامية. أما التسامح فهو التطبيق العملي لهذه الأحكام والقيم والمبادىء. انظر: وسطية الإسلام،الصالح، ص٢٩١.

(٣) الممتحنة، الآية: (٨).

(٤) تقدم تخريجه، ص١٠.

أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام)(١).

وظهرت سماحة الصحابة ﷺ مع النصارى في الاستجابة لطلبهم بإعطاء الأمان في كل بلد يذهبون إليه مقابل دفع الجزية، وعدم إكراههم على الإسلام، فقد استجاب أبوعبيدة ﷺ لطلب نصارى بعلبك في طلب الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم(٢). كما أعطى عمرو بن العاص ﷺ الأمان لأهل مصر(٣).

ومن السماحة ما كان يفعله أبو عبيدة ﷺ من الاستجابة لرغبات بعض النصارى، فحينما انتهى من كتابة عقد الذمة مع نصارى الشام. قال النصارى لأبي عبيدة ﷺ: (اجعل لنا يومًا في السنة نُخرج فيه صلباتنا بلا رايات، وهو يوم عيدهم الأكبر، ففعل ذلك لهم وأجابهم إليه، فلم يجدوا بدًّا من أن يفوا لهم بما شرطوا، ففتحت المدن على هذا. فلما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم حسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعونًا للمسلمين على أعدائهم)(٤).

كما أن هذا التسامح من الصحابة ﷺ مع النصارى جعل أهالي المدن يطلبون بأنفسهم حضور المسلمين إلى بلادهم وعقد الذمة معهم طائعة مختارة، فعن مكحول الشامي قال: (فلما رأى أهل المدن التي لم يصالح عليها أبو عبيدة ما لقي أصحابهم من المشركين من القتل بعثوا إلى أبي عبيدة يطلبون الصلح...وكلما مرَّ على مدينة مما كان صالح أهلها وكان واليه فيها قد رد عليهم ما كان أخذ منهم تلقوه بالأموال التي كان ردها عليهم مما كانوا

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٥١.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٦٠.

(٣) تقدم تخريجه، ص١٤١.

(٤) أخرجه أبو يوسف في الخراج، ص١٣٨.

صولحوا عليه من الجزية والخراج، وتلقوه بالأسواق والبياعات[1]، فتركهم على الشرط الذي كان قد شرط لهم، لم يغيره و لم ينقصه)[2].

٧- العدل:

إن العدل من أهم المقومات التي اتخذها الصحابة ﷺ في تنظيم علاقاتهم بالنصارى؛ لأن العلاقات في الإسلام قائمة على أساس العدالة. كما أن العدالة حق للأعداء كما هي حق للمسلمين، وقد حذر القرآن الكريم المسلمين أن تحملهم العداوة على الظلم. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾[3]. وكيف لا يكون منهج الصحابة كذلك ورسولنا ﷺ نهى عن ظلمهم وتكليفهم فوق طاقتهم، بل وسيخاصم عنهم يوم القيامة، فقد قال ﷺ: **(من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة)**[4].

وتتعدد جوانب عدل الصحابة ﷺ مع النصارى، سواء أكان ذلك في السلم أم في الحرب، ففي السلم بالعدل مع أهل الذمة منهم ما داموا يؤدون الجزية، وفي الحرب بعدم تجاوز الحد الذي أمر الشرع به، والتزام الآداب الإسلامية في

---

(١) البياعات: جمع بيعة وهي معبد النصارى. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٧٩/١). مادة: باعه.

(٢) أخرجه أبو يوسف في الخراج، ص١٤٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: (٨).

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، ص٤٤٧، رقم (٣٠٥٢)، كتاب الخراج، باب: في تعشير أهل الذمة، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٤٤/٩)، وقال الألباني" حديث حسن. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٨٩/٣).

الحروب، من عدم التخريب ومنع قتل النساء والشيوخ والصبيان.

كما كان الصحابة ﷺ حريصين على العدل في تحصيل الأموال من أهل الذمة، فعن زياد بن حدير ﷺ أن أباه كان يأخذ من نصراني العشر في كل سنة مرتين، فقال عمر: (ألا تعشرهم في السنة إلا مرة)[1]. يقول محمود شاكر عن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ: "وكان مع الذميين نعم الحاكم العادل، كان يفرض على الذميين ألا يتشبهوا بالمسلمين، في لباسهم، وركوبهم، وما عدا ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم إلا في أمور قليلة معروفة...وكتب إلى ولاته يأمرهم أن يمنعوا المسلمين من ظلم أحد من أهل الذمة"[2].

وفي عصر علي بن أبي طالب ﷺ ظهر العدل مع النصارى حينما رأى علي ﷺ درعه عند نصراني[3]، فلم يأخذها بنفسه، بل لجأ إلى القاضي ليحكم بينه وبين من أخذ درعه، وما أعظم عناية قاضي المسلمين شريح -رحمه الله- بإقامة العدل! لم يأمر برد الدرع إلى عليٍّ ﷺ من حيث إن المُدِّعي أمير المؤمنين، والمُدَّعى عليه رجل من أهل الذمَّة، بل طلب من أمير المؤمنين تقديم بيِّنة تدل على صدق دعواه.

و لم يقف القاضي عند هذا، بل قرر إبقاء الدرع لدى النصراني حيث لم يتمكن أمير المؤمنين من تقديم بينة تؤيِّد دعواه. وهذا ما جعل النصراني يدهش بهذا المشهد العظيم، فلم يكن منه إلا أن أعلن دخوله في الدِّين الذي أمر أتباعه بمثل هذا العدل[4].

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٥٣.

(٢) التاريخ الإسلامي، محمود شاكر (٣/٢١٠).

(٣) تقدم تخريجه، ص١١.

(٤) انظر: السلوك وأثره في الدعوة إلى الله، فضل الهي، ص١٣١.

كما ظهر العدل في استجابة عمرو بن العاص ﷺ لطلب القبط في رد أموالهم التي اغتصبها الروم بعد أن أقاموا البينة على أنها أموالهم، مما كان السبب في إسلام الكثير منهم، وإنقاذهم من ظلم وعداء الكنيسة النصرانية لهم(١).

وكان عدل الصحابة ﷺ مثار إعجاب نصارى الشام، فقد كتبوا إلى أبي عبيدة ﷺ وهو بفحل يعلنون إعجابهم بعدل المسلمين وإن كان الروم على دينهم(٢). كما أن نصارى حمص قالوا للمسلمين: (لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم(٣) ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم)(٤).

إن عدل المسلمين كان من مقومات قبول دعوة الإسلام، بخلاف الحكام الرومان الذين عاملوا شعوبهم بالظلم والاضطهاد فابتعدوا عنهم وكرهوا معاملتهم. يقول توماس: "إن الناظر لتاريخ مصر يجد الفرق شاسعًا بين دخول الإسلام لمصر ودخول المسيحية، فالمسيحية ظلت غريبة على أهل مصر، بينما اجتذب الإسلام أقباط مصر..."(٥).

٨- الصدق:

لقد كان الصدق من مقومات منهج دعوة الصحابة ﷺ الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(٦). قال

---

(١) انظر: معاملة غير المسلمين، إبراهيم عيسى، ص١٤٨.

(٢) تقدم تخريجه، ص٧٩.

(٣) الغشم: الظلم، معجم الصحاح، ص٧٧٥، مادة: غشم.

(٤) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٨٧.

(٥) الدعوة إلى الإسلام، سيرتوماس وأرنولد، ص١٠٥.

(٦) التوبة، الآية: (١١٩).

الإمام البغوي -رحمه الله-: "قال نافع: مع محمد وأصحابه، وقال سعيد بن جبير: مع أبي بكر وعمر ﵄، وقال ابن جريج: مع المهاجرين"[١]. ولقد ظهرت مواقف للصحابة ﵃ التي تدل على صدقهم مع النصارى، فهذا قائد النصارى جرجة يقول لخالد بن الوليد ﵁: (يا خالد! اصدقني ولا تكذبني، فإن الحرَّ لا يكذب، ولا تخادعني...)[٢]، ثم شرع يطرح عليه الأسئلة الواحد تلو الآخر، ولما رأى جرجة صدق خالد ﵁ في الحديث معه قال جرجة: (بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني! قال: بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة، وإن الله لولي ما سألت عنه. فقال: صدقتني، وقَلَبَ الترس[٣] ومال مع خالد، وقال: علِّمني الإسلام...)[٤] فأسلم جرجة وصدق في إسلامه فشارك المسلمين في محاربة الروم، واستشهد ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما، ومن هذا الموقف تبيَّن لنا أثر الصدق في استجابة المدعو النصراني إلى الإسلام.

وهذا بخلاف النصارى الذين عُرف عنهم الكذب والخيانة ونقض العهود، مما جعل الصحابة ﵃ يستوثقون منهم بالأيمان المغلظة، فحينما استشار أبو عبيدة معاذ بن جبل -رضي الله عنهما- في الأمر الذي طلبه قائد النصارى وهو حضور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ من المدينة إلى فلسطين لعقد الصلح. قال معاذ ﵁: (لا تكتب إليه حتى توثق هؤلاء وتستحلفهم بأيمانهم المغلظة... فأخذ أبو عبيدة عليهم الأيمان المغلظة فحلفوا بأيمانهم؛ لأن عمر أمير المؤمنين قدم

---

(١) معالم التنـــزيل (٣/١٢٥).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٨٨.

(٣) الترس: ما كان يتوقى به في الحرب. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١/٨٤)، مادة: ترس.

(٤) تقدم تخريجه، ص٩٢.

عليهم ونزل بهم، فأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وكتب لهم على ذلك كتابًا، ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الشام، فلما فعلوا ذلك كتب أبو عبيدة إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ)[1].

من هنا نعلم أهمية الصدق في منهج الدعوة مع النصارى، وأنه أمر ضروري لقبول الدعوة، إذ يشعر المدعو بحرارة عاطفة الداعية وصدق لهجته فيترك فيه انطباعًا عميقًا بمصداقية الفكرة التي يدعو إليها ويؤمن بها. كما أنه يزرع الثقة والطمأنينة في نفسية المدعو فيتأثر بالدعوة ويستجيب لها.

٩- التواضع[2]:

حث الإسلام على الاتصاف بالتواضع، وبيَّن أنه من صفات المؤمنين. قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾[3]. قال الإمام البغوي -رحمه الله-: "يعني بالسكينة والوقار متواضعين"[4] ونبينا محمد ﷺ هو الأسوة للدعاة، فقد كان متواضعًا في دعوته للناس، فعن أبي مسعود ﷺ قال: (أَتَى النَّبِيّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ[5]، فَقَالَ لَهُ: **هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا**

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٢٣. وذكره الهندي في مجموعة الوثائق السياسية (٤٨٢/١).

(٢) التواضع لغة: التذلل. واصطلاحًا: خفض الجناح، ولين الجانب. مدارج السالكين، ابن القيم (٣١٤/٢). معجم الصحاح، الجوهري،ص١١٤٥.مادة: وضع.

(٣) الفرقان، الآية: (٦٣).

(٤) معالم التنزيل (٢٤٦/٤).

(٥) فرائصه: جمع فريصة وهي لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٦٨٢/٢)، مادة: فرص.

ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ[1])[2]. وسار على نهجه صحابته الكرام في تواضعهم للمدعوين، حيث تمثلت هذه السمة في شخصية خالد بن الوليد ﷺ في حواره مع جرجة قائد الروم، عند قوله: (فأنا من أشد المسلمين على المشركين)، و لم يقل: (فأنا أشد المسلمين على المشركين). فهو لم يحصر الشجاعة في نفسه فقط، و لم يتكبر في ذلك، بل جعل نفسه من ضمن الشجعان من الصحابة ﷺ، وحينما قال أيضًا: (منـــزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا)[3]. فكل هذه الكلمات توضح تواضع الداعية، وهي ترغب المدعو إلى الله والإسلام. وإشعاره حقًّا أن الإسلام لمن صدق لا من سبق، فإن آمن فله ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وثوابه كثوابهم.

وقد تجلت صورة متعددة للتواضع من خلال موقف معاذ بن جبل ﷺ مع ملك الروم في فحل، فحينما أقبل إلى الروم يقود فرسه يدعوهم إلى الإســـلام، فقـــالوا لبعض غلمانهم: (انطلق إليه فأمسك له فرسه، فجاء الغلام ليمسك له دابته، فقـــال معاذ: أنا أمسك فرسي لا أريد أحدًا يمسكه غيري...وجلس علـــى الأرض علـــى طرف البساط، فقالوا له: لو دنوت فجلست معنا كان أكرم لك. إن جلوسك مع هذه الملوك على هذه المجالس مكرمة لك، وإن جلوسك على الأرض متنحيًا صنيع العبد بنفسه، فلا نراك إلا قد أزريت[4] بنفسك. فأخبره الترجمان بمقالتهم، فجثـــا معاذ على ركبتيه واستقبل القوم بوجهه، وقال للترجمان: قل لهم: إن كانت هـــذه

---

(١) القديد: اللحم المملوح المجفف في الشمس. النهاية في غريب الحديث،ابن الأثير، ص٧٢١.

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه، ص٤٨٠، رقم (٣٣١٢)، كتاب الأطعمة، بـــاب: أطايـــب اللحم، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجة، رقم (٢٦٩٣).

(٣) تقدم تخريجه، ص١٨٩.

(٤) أزريت: إذا قصرت واحتقرت. معجم الصحاح، الجوهري، ص٤٥٠، مادة: زري.

المكرمة التي يدعونني إليها استأثرتم بها على من هو مثلكم، إنما هي للدنيا التي زهد الله فيها، فهي عندكم مكرمة في الدنيا، فهذه المكرمة لكم لا حاجة لنا في شرف الدنيا ولا في فخرها ولا في شيء يباعدنا عن ربنا، وإن زعمتم أن هذه المجالس والدنيا التي في أيدي عظمائكم فأنتم مستأثرون على ضعفائكم... وأما قولكم: إن جلوسي على الأرض متنحيًا صنيع العبد بنفسه، ألا فصنيع العبد بنفسه صنعت، وأنا عبد من عبيد الله، جلست على بساط الله ولا أستأثر بشيء من مال الله على إخواني من أولياء الله. وأما قولكم: إني أزريت بنفسي من مجلسي فإن كان ذلك إنما هو عندكم، وليس ذلك عند الله كذلك، فلست أبالي كيف كانت منزلتي عندكم إذا كانت عند الله على غير ذلك. وإن قلتم: إنما دخل على ذلك عباد الله فقد أخطأتم خطأ بيّنًا؛ لأن أحب عباد الله إليه المتواضعون لله، القريبون من عباد الله الذين لا يشغلون أنفسهم بالدنيا ولا يدعون التماس نصيبهم في الآخرة. قال: فلما فسر هذا الترجمان لهم نظر بعضهم إلى بعض وتعجبوا مما سمعوا منه، وقالوا لترجمانهم: قل له: أنت أفضل أصحابك؟ فقال معاذ عند ذلك: معاذ الله أن أقول ذلك، وليتني لا أكون شرهم. قال: فسكتوا عنه ساعة...)(١).

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقابل ملوك الروم بهيئة متواضعة؛ ليبين أن العزة والرفعة بالتمسك بالدِّين الإسلامي لا للهيئة والمنظر. عن قيس قال: (لما قدم عمر الشام، استقبله الناس وهو على البعير، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو ركبت برذونا(٢) يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر: لا أراكم ها هنا، إنما

---

(١) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٢) برذون: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال عظيم الخلقة. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٤٨/١). مادة: برذن.

الأمر من هنا، وأشار بيده إلى السماء)[1]. وفي تواضع عمر ﷺ اقتداء بالرسول ﷺ في تواضعه، حيث ركب الحمار والبغل والفرس والبعير.

وحينما أرسل المقوقس رسلًا إلى عمرو بن العاص ﷺ ليفاوضه في الصلح، أبقى عمرو الرسل عنده لمدة يومين؛ ليروا حال المسلمين، ولما عادوا إلى المقوقس وقد وقع في نفوسهم ما عند العرب من بساطة وإيمان فرح المقوقس بعودهم إليه سالمين، وسألهم عن حال العرب فقالوا: (رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إلى أحدهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم، وما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم. فقال عند ذلك المقوقس: والذي يُحلفُ به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد)[2]. هذه المواقف العظيمة للصحابة ﷺ في التواضع، بيَّنت للنصارى أن العزة والرفعة والتمكين لا تأتي عن طريق الكبر والغطرسة والإعجاب بالنفس أو الجاه أو السلطان، وإنما يأتي ذلك كله لمن تمسك بالإسلام.

١٠- الاعتزاز بالإسلام:

أكد القرآن الكريم اعتزاز المسلم بدينه، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩/٧)، رقم (٣٣٨٤٤). وذكره الخلال في السنة (٣١٧/٢)، رقم (٣٩٧)، والسيوطي في جامع الأحاديث (٣٨١/٢٨)، ورجاله ثقات وإسناده صحيح. انظر: جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ص٢٥٠.

(٢) تقدم تخريجه، ص٢٠٨.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وأظهر الصحابة ﷺ اعتزازهم بدينهم مقابل الديانات المختلفة، فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، ولذلك حرص الخلفاء على توجيه الجيوش المحاربة للروم، إعزازًا للإسلام وإظهارًا له، فعن عمرو بن محصن ﷺ[2] قال: (إن أبا بكر لم يكن يسأم من توجيه الجنود إلى الشام، وإمداد الأمراء الذين بعث إليها بالرجال بعد الرجال؛ إرادة إعزاز أهل الإسلام وإذلال أهل الشرك)[3]. وكان عمر بن الخطاب ﷺ يفتخر ويصرح بالاعتزاز بدين الإسلام، فعن طارق ابن شهاب[4] قال: (خرج عمر بن الخطاب إلى الشام[5] ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة[6] وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفيه[7] فوضعهما على عاتقه[8]، وأخذ بزمام[9] ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبوعبيدة: يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام

---

(١) المنافقون، الآية: (٨).

(٢) عمرو بن محصن الأسدي أخو عكاشة، هاجر إلى المدينة، وشهد أحدًا. انظر: الإصابة، ابن حجر (٥٦٢/٤).

(٣) تقدم تخريجه، ص٢٢٠.

(٤) طارق بن شهاب البجلي، رأى النبي ﷺ وهو رجل، ويُقال: إنه لم يسمع منه شيئًا، مات سنة ٨٢هـ. الإصابة، ابن حجر (٤١٤/٣).

(٥) وحضور عمر ﷺ إلى الشام كان بناء على أن أبا عبيدة بن الجراح ﷺ حاصر أهل إيلياء فسألوه الصلح على أن يكون عمر هو الذي يعطيهم ذلك ويكتب لهم أمانًا. تاريخ خليفة خياط، ص١٣٥.

(٦) مخاضة: هي الموضع القليل الماء الذي يعبر فيه الناس النهر مشاة وركبانًا. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة (٢٦٢/١)، مادة: خاض.

(٧) خفيه: الخف ما يُلبس في الرِّجْل من جلد رقيق. القاموس الفقهي ، سعدي أبو حبيب، ص١١٨.

(٨) عاتقه: موضع الرداء من المنكب. معجم الصحاح، الجوهري،ص٦٦٩، مادة: عتق.

(٩) زمام: ما يُشد به الحيوان من حبل ونحوه لقيادته. معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد عمر (٩٩٧/٢)، مادة: زمم.

ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك[1]. فقال عمر: أوه! لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة، جعلته نكالًا[2] لأمة محمد ﷺ إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)[3].

كما كان من منهج الصحابة إظهار الاعتزاز بالإسلام في اللباس، فقد غضب عمر ابن الخطاب حينما قدم على الصحابة وقد لبسوا لبس العجم. عن سويد بن غفلة قال: (شَهِدْنَا الْيَرْمُوكَ فَاسْتَقْبَلَنَا عُمَرُ، وَعَلَيْنَا الدِّيبَاجُ وَالْحَرِيرُ، فَأَمَرَ فَرُمِينَا بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَقُلْنَا: مَا بَلَغَهُ عَنَّا؟ قَالَ: فَنَزَعْنَاهُ وَقُلْنَا: كَرِهَ زِيَّنَا، فَلَمَّا اسْتَقْبَلَنَا رَحَّبَ بِنَا وَقَالَ: إِنَّكُمْ جِئْتُمُونِي فِي زِيِّ أَهْلِ الشِّرْكِ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ لِمَنْ قَبْلَكُمُ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ)[4].

كما أن المتأمل لأغلب الحوارات بين المسلمين والروم، يلحظ قوة ألفاظ الصحابة ﷺ المعبرة عن مدى اعتزازهم بالإسلام، وفخرهم بالانتماء إليه والدعوة له.

١١- الشورى[5]:

حث الشارع على المشاورة، فقال سبحانه لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي

---

(١) استشرفوك: أي اطلعوا عليك، وأصل الاستشراف: أن تضع يدك على حاجبك وتنظر، كالذي يستظل من الشمس؛ حتى يستبين الشيء. انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ص٤٦٩.

(٢) نكالا: أي عقوبة تردعهم من إتيان مثل صنيعه.انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٩٥٣). مادة: نكل.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٣٠) رقم (٢٠٧)، وابن أبي شيبة بنحوه في مصنفه (١٣/٤١)، رقم (٣٤٥٣٩)، وقال الألباني: صحيح على شرط الشيخين. انظر: السلسلة الصحيحة (١/١١٧).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/١٥٤)، رقم (٢٤٦٧٨). وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، ص٥٨. وبنحوه أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٢٨، وإسناده ضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٨/٢٦٣).

(٥) الشورى لغة: طلب الرأي. اصطلاحًا: الرجوع إلى أهل الرأي والاختصاص في الأمور التي لا يوجد فيها نص شرعي واضح، للوصول إلى الأصلح للأمة والأنفع لها. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١/٤٩٩) مادة: شار. النظام السياسي في الإسلام، سعود آل سعود وسليمان العيد وآخرون،ص١٣٤.

ٱلۡأَمۡرِ﴾[1] حيث تضمنت الآية الكريمة أمرًا من الله ﷻ لرسوله الكريم ﷺ أن يستشير من معه من المؤمنين، فإذا كان الله ﷻ يأمر رسوله ﷺ بذلك، مع كمال عقله، وجزالة رأيه، ونزول الوحي عليه، ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا أو كرهوا، فكيف بغيره؟[2].

وذكر الله ﷻ الشورى من صفات المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾[3]. قال الإمام القرطبي –رحمه الله–: "فمدح الله المشاور في الأمر بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك، وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب؛ وذلك في الآراء الكثيرة، و لم يكن يشاورهم في الأحكام؛ لأنها منزلة من عند الله... فأما الصحابة بعد استئثار الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون في الأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة، وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة... وتشاوروا في أهل الردة... وتشاوروا بعد رسول الله ﷺ في الحروب"[4].

ومن تطبيقات الشورى في منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام، حينما أراد أبو بكر ﷺ أن يغزو الروم ويعد الجيوش لفتح بلاد الشام شاور في ذلك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وبعد أن أخذ رأيهم وما أجمعوا عليه أمر الجند بالتجهيز للتوجه لما أمروا به. وكان مما قاله: (قد أردت استنفاركم إلى الروم بالشام، فمن هلك هلك شهيدًا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعًا

---

(١) آل عمران، الآية: (١٥٩).

(٢) معالم التنزيل، البغوي (٥٧٢/١).

(٣) الشورى، الآية: (٣٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٦/١٦).

عن الدين، مستوجبًا على الله ﷻ ثواب المجاهدين، هذا رأيي فليشر عليَّ كل امرئ بمبلغ عن رأيه. فقام عمر ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وقال: (ابعث الرجال تتبعها الرجال، والجنود تتلوها الجنود، فإن الله ﷻ ناصر دينه، ومعز أهله، ومنجز ما وعد رسوله)[1] ثم تتابع بقية الصحابة بعرض آرائهم.

وحينما أتى المدد البيزنطي لأهل دمشق وحمص، لم يدر أبو عبيدة بأيهما يبدأ بدمشق أو بفحل، فكتب إلى الخليفة عمر يستشيره، فأشار عليه بأن يبدأ بدمشق؛ لأنها قاعدتهم بالشام، وأن يرسل جنودًا يقفون بإزاء فحل؛ حتى لا تتقدم فرقها لتدعيم دمشق، ونفذ أبو عبيدة ما أمر به عمر، فسار إلى دمشق وحاصرها بجيوشه. عن خالد وعبادة قالا: (ولما جاء عمر الكتاب عن أبي عبيدة بالذي ينبغي أن يبدأ به كتب إليه: أما بعد؛ فابدؤوا بدمشق، فانهدوا لها؛ فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم ، وأشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم وأهل فلسطين وأهل حمص؛ فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب...)[2].

واستشار عمر بن الخطاب عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ﷺ في الاستجابة لطلب قائد النصارى في الحضور إلى إيلياء؛ لعقد الصلح معهم. قال الإمام ابن كثير –رحمه الله–: "فاستشار عمر الناس في ذلك، فأشار عثمان بن عفان ﷺ بأن لا يركب إليهم؛ ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم. وأشار علي

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٦٨/٦). وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٣/٢)، والسيوطي في جامع الأحاديث (١٩٠/٢٥)، رقم (٢٧٨٥٥)، والهندي في كنز العمال (٦٦٨/٥)، رقم (١٤١٧٢).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٦٦. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٢٠/٢)، وابن الجوزي في المنتظم (١٤٣/٤)، وابن الأثير في الكامل (٤٠٨/١)، وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (١٣٩/٣).

بن أبي طالب رضي الله عنه بالمسير إليهم؛ ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فهوى ما قال علي و لم يهوَ ما قال عثمان. وسار بالجيوش نحوهم..."[1]. كما استشار عثمان بن عفان رضي الله عنه كبار الصحابة رضي الله عنهم في غزو أفريقية، فأذن لعبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه في غزوها، وندب الناس إلى ذلك[2].

مما سبق ذكره يتضح ضرورة الشورى ومشروعيتها في الأمور التي لا نص فيها من قبل الشارع، ودورها في نجاح الفتوحات الإسلامية وانتشار الدعوة.

---

(١) البداية والنهاية (٥٥/٤).

(٢) أخرجه ابن عبدالحكم في فتوح مصر، ص٣١٢، والبلاذري في فتوح البلدان، ص١٣٨. وذكرها محقق كتاب الطبري في قسم الضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري، ص٤٦٩.

المطلب الثانـــي

المقومات اللازمة في منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام

تمثلت المقومات اللازمة في منهج دعوة الصحابة ﷺ للنصارى، في عدد من من الأمور منها:

١- حرص الصحابة ﷺ على هداية النصارى إلى الإسلام:

حرص الصحابة ﷺ على تبليغ الدعوة بكل الأساليب والوسائل المشـــروعة ولجميع أصناف المدعوين من النصارى؛ استشعارًا منهم بأهمية القيام بواجـــب دعوتهم وهدايتهم إلى الإسلام. قال الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-: "أول ما يتعامل به المسلم مع الكافر الدعوة إلى الله، دعوة الكفار إلى الإسلام، ودعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأجل مصـــلحتهم وهدايتـــهم وســـعادتهم في الـــدنيا والآخرة"[١]. وقد زخر عصر الصحابة ﷺ بنماذج مشرقة من حرصهم علـــى هداية النصارى إلى الإسلام. ومن تلك النماذج:

أ- دعوة ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم:

عن هشام بن العاص الأموي[٢] قال : بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صـــاحب الروم ندعوه إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة يعني غوطة دمشق[٣]، فنـــزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني، فدخلنا عليه، فإذا هو على سرير لـــه، فأرســـل إلينـــا برسول نكلّمه، فقلنا: والله لا نكلّم رسولًا، إنما بعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلّمنـــاه،

---

(١) أحكام التعامل مع غير المسلمين، ص١٣.

(٢) هشام بن العاص الأموي. لم يذكر ابن حجر ترجمة له،و إنما كتفى بإيراد القصة.وذكر أن القصة وردت بوجه آخر ولكن فيها أنه هشام بن العاص السهمي.انظر: الإصابة، ابن حجر (٤٢٤/٦).

(٣) غوطة دمشق: اسم البساتين والمياه التي عند دمشق. انظر: معجم البلدان، الحموي (٢١٩/٤).

وإلا لم نكلم الرسول، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك، قال: فأذن لنا فقال: تكلموا: فكلمه هشام بن العاص، ودعاه إلى الإسلام...)(١).

ب- دعوة العبد المملوك:

لقد شملت دعوة الصحابة ﷺ جميع طبقات المجتمع النصراني بما في ذلك المملوكين من العبيد، كما جاء في قصة وسق الرومي. قال وسق: (كنت مملوكًا لعمر بن الخطاب ﷺ، وكان يقول لي: أسلم، فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغي لي أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم، قال: فأبيت، فقال: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾(٢). قال: فلما حضرته الوفاة أعتقني، وقال: اذهب حيث شئت)(٣). وعن أبي هلال الطائي قال: (رأيت الذي أعتقه عمر، وكان نصرانيًا)(٤).

ج- دعوة نساء النصارى:

لم يغفل الصحابة ﷺ عن جانب دعوة نساء النصارى، وذلك حينما قام عمر بن الخطاب ﷺ بدعوة عجوز نصرانية إلى الدخول في الإسلام حينما قال لها: (أسلمي تسلمي، بعث الله محمدًا ﷺ بالحق...)(٥).

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/٢٦٢). والسيوطي في جامع الأحاديث (٢٤/٤٨٤)، رقم (٢٧٥٢١)، وابن حجر في الإصابة (٦/٤٢٤)، والهندي في كنز العمال (١٠/٦٠٤)، رقم (٣٠٣٠٩). وذكره المتقي الهندي في مجموعة الوثائق السياسية، ص٧٣٢، وقال ابن كثير: إسناده لا بأس به.

(٢) البقرة، الآية: (٢٥٦).

(٣) تقدم تخريجه، ص١٤٠.

(٤) الأموال، أبو عبيد، ص٣٩، رقم (٨٨).

(٥) تقدم تخريجه، ص١٤٣.

د- دعوة القبائل النصرانية:

لم يكتف الصحابة ﷺ بالقيام بالدعوة الفردية للنصارى، بل مارسوا الدعوة الجماعية عن طريق دعوة القبائل النصرانية إلى الإسلام. فقد دعا أبو عبيدة بن الجراح ﷺ بعض القبائل النصرانية في قنسرين إلى الإسلام، فأسلم بعضهم. عن عبد الرحمن بن غنم قال: (رابطنا مدينة قنسرين...فلما ورد أبو عبيدة عليهم أسلم بعضهم وصالح كثير منهم على الجزية، ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلا من شذَّ عن جماعتهم، وكان بقرب مدينة حلب حاضر تدعى حاضر حلب يجمع أصنافًا من العرب من تنوخ وغيرهم، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية، ثم أنهم أسلموا بعد ذلك)(١).

هـ- الدعاء للنصارى بالهداية:

كان الصحابة ﷺ يدعون للنصارى بالهداية؛ رجاء إسلامهم، فحينما جاء الرسول الرومي للمسلمين ورأى صلاتهم ودعاءهم واستغفارهم، قال أبو عبيدة ﷺ: (والله! إني لأرجو أن يكون الله ﷻ قد قذف في قلبه الإيمان. فلبث الرومي بذلك قليلًا ثم أقبل على أبي عبيدة، فقال: أيها الرجل، أخبرني متى دخلتم في هذا الدين؟ ومتى دعوتم إليه الناس؟ قال: منذ بضع وعشرين سنة...)(٢).

---

(١) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٩٢، وإسناده صحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٢٠٨).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٣٥. وكان من هدي النبي ﷺ الحرص على هداية الكفار، قال لعلي ﷺ: (انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بساحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلَامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب:مناقب علي بن أبي طالب، رقم ٣٧٠١.

و- الفرح بإسلام النصارى:

إن مما يدل على حرص الصحابة ﵃ على هداية النصارى الفرح بإسلامهم، ففي معركة اليرموك وفي أثناء حوار أبي عبيدة ﵁ مع أحد قواد الروم لدعوته إلى الإسلام. قال الرومي: (أتضمنون لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم؟ فقالوا له: نعم، إن أنت أسلمت واستسلمت و لم تغير حتى تموت فإنك من أهل الجنة، فقال: فإني أشهد أني من المسلمين، فأسلم وفرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ودعوا له بخير...)(١).

وكان الصحابة ﵃ يكبرون فرحًا بإسلام النصارى، فبعد الانتهاء من فتح مصر، قال عمرو بن العاص ﵁: (فجمعنا ما في أيدينا من السبايا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل مما في أيدينا، ثم نخيِّره بين الإسلام وبين النصرانية، فإذا اختار الإسلام كبَّرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية، قال: ثم نحوزه إلينا، وإذا اختار النصرانية نخرت(٢) النصارى، ثم حازوه إليهم، ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعًا شديدًا...)(٣).

إن فرح المسلمين بإسلام النصارى وتكبيرهم لأجل ذلك، جعلت بعض السبي من النصارى يختار الإسلام غير مكترث بأهله وعشيرته الذين بقوا على النصرانية، كما جاء في رواية الطبري إذ قال: (وقد أتي فيمن أتينا به بأبي مريم

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٣٦.

(٢) نخرت: أي مدَّ الصوت في خياشيمه. والنخير: الصوت بالأنف. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٤٨٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٩٠٩/٢)، مادة: نخر.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٧١. وذكره ابن حبان في الثقات (٢٢١/٢)، والكلاعي في الاكتفاء (٣٤٩/٢)، وقال محقق الكتاب: إسناده معضل وله ما يؤيده. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٢٦٣/٣).

عبد الله بن عبد الرحمن -قال القاسم: وقد أدركته وهو عريف بني زبيد[1]، قال: فوقفناه، فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية -وأبوه وأمه وإخوته في النصارى- فاختار الإسلام، فحزناه إلينا، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا، حتى شققوا عليه ثيابه...)[2].

ز- الحماس في تبليغ الدعوة:

كان الصحابة ﷺ يظهرون الحماس للقيام بالدعوة، كما فعل سعيد بن العاص ﷺ (حينما خرج هو وأخوته وغلمانه ومن تبعه من أهل بيته، فكان أول من عسكر، وأمر أبوبكر بلالًا[3] فنادى في الناس أن انفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام)[4].

ح- تعليم النصارى أمور دينهم:

إن مما يدل على حرص الصحابة ﷺ على هداية المدعوين من النصارى، تعليمهم ما يحتاجون إليه بعد إسلامهم؛ حتى يعبدوا الله على بصيرة، ومن شواهد ذلك؛ حرص خالد بن الوليد ﷺ على تعليم جرجة الإسلام، كما جاء في الرواية: (فقلب جرجة ترسه ومال مع خالد وأسلم، وعلّمه الإسلام، واغتسل وصلى ركعتين، ثم خرج مع خالد فقاتل الروم)[5]. كما حرص الصحابة ﷺ على تعليم أحكام الإسلام في كل بلد يذهبون إليه. قال الإمام ابن قيم الجوزية-رحمه الله-: "والعلم إنما انتشر في

---

(١) بني زبيد: قبيلة يمنية كبيرة. انظر: معجم قبائل العرب، عمر كحالة (٤٦٤/٢).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٣٢.

(٣) بلال بن رباح الحبشي، شهد جميع المشاهد مع النبي ﷺ، وخرج مجاهد في الشام حتى مات فيها سنة ٢٠هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٤٥٥/١).

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٣.

(٥) تقدم تخريجه، ص٧٩.

الآفاق عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد، والقلوب بالعلم والقرآن، فملؤوا الدنيا خيرًا وعلمًا"[١].

٢- انتهاز الفرص:

لقد كان الصحابة ﷺ ينتهزون الفرص والمواقف؛ للقيام بدعوة النصارى إلى الإسلام، وإيصال الدعوة إليهم في كل الأوقات. ومن مظاهر ذلك:

أ- انتهاز فرصة السفر للقيام بالدعوة:

ومن ذلك ما حصل يوم اليرموك حينما انتهز خالد بن الوليد ﷺ فرصة ذهابه من العراق إلى الشام؛ ليقوم بقتال نصارى بني تغلب وغيرهم من المقاتلين الذين صادفهم في مسيره[٢].

ب- انتهاز فرصة قدوم المدعو:

انتهز عمر بن الخطاب ﷺ فرصة قدوم رجل نصراني إليه كان قد بعثه أبو عبيده ﷺ في وقعة فحل؛ ليخبره عن أوضاع المعركة، فدعاه عمر ﷺ إلى الإسلام وفرح بإسلامه وقال: (الحمد لله الذي يهدي من يشاء إذا شاء إلى الإسلام، ويجعل معرفة الإسلام في قلوبهم)[٣].

ج- انتهاز فرصة الحوار للقيام بالدعوة:

انتهز خالد بن الوليد ﷺ فرصة الحوار مع جرجة في وقعة اليرموك؛ ليدعوه إلى الإسلام، ولم تشغله المعركة عن ذلك، مما كان سببًا في استجابة جرجة إلى الإسلام[٤].

---

(١) هداية الحيارى، ابن القيم، ص١٦٦.

(٢) انظر: فتوح الشام، ص٦٣.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١١١.

(٤) تقدم تخريجه، ص٧٩.

د- انتهاز فرصة الدخول إلى بيت نصرانية:

انتهز عمر بن الخطاب ﷺ فرصة دخوله إلى بيت نصرانية ليقوم بدعوتها إلى الإسلام، فقد روى أسلم مولى عمرﷺ: (أن عمر توضأ من بيت نصرانية أتاها، فقال: أيتها العجوز، أسلمي تسلمي)[١].

هـ- انتهاز فرصة انشغال المدعو:

حينما حاصر الصحابة ﷺ نصارى دمشق عدة أشهر، وصلت الأخبار إلى خالد بن الوليد ﷺ أن بطريق الروم ولد له مولود، وأنه يقيم وليمة للجند والناس، وإنهم باتوا ليلتهم سكارى، وشعر خالد بضعف قتال الجند الذين على الأسوار وقلة حركة الناس عامة، فانتهز خالد الفرصة، فأحضر السلالم واستدعى أشداء القوم أمثال القعقاع بن عمرو ﷺ، فلما صاروا أعلى سور دمشق رفعوا أصواتهم بالتكبير؛ لإرهاب العدو، ونزلوا على حراس الباب فقتلوهم، حتى طلبوا الصلح فصالحهم. عن خالد وعبادة قالا: (وولد للبطريق الذي دخل على أهل دمشق مولود؛ فصنع عليه، فأكل القوم وشربوا، وغفلوا عن مواقفهم؛ ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد؛ فإنه كان لا ينام ولا ينيم، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء؛ عيونه ذاكية وهو معني بما يليه، قد اتخذ حبالًا كهيئة السلاليم وأوهاقًا[٢]، فلما أمسى من ذلك اليوم نهد[٣] ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم، وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي[٤] وأمثاله من أصحابه في أول يومه، وقالوا: إذا سمعتم

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٤٣.

(٢) أوهاقًا: جمع وهق، وهو حبل تُشد به الإبل والخيل؛ لئلا تند. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٩٨١.

(٣) نهد: نهض ومضى. المعجم الوسيط (٩٥٧/٢) مادة: نهد.

(٤) مذعور بن عدي العجلي، يقال أن له صحبة، شهد اليرموك بالشام، وفتوح العراق. انظر: =

تكبيرنا على السور فارقوا إلينا، وانهدوا للباب... وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق، وأكثره ماء، وأشده مدخلًا، وتوافوا لذلك، فلم يبق ممن دخل معه أحد إلا رقى أو دنا من الباب؛ حتى إذا استووا على السور حدر عامة أصحابه، وانحدر معهم؛ وخلَّف من يحمي ذلك المكان لمن يرتقي، وأمرهم بالتكبير، فكبَّر الذين على رأس السور، فنهد المسلمون إلى الباب ومال إلى الحبال بشر كثير، فوثبوا فيها، وانتهى خالد إلى أول من يليه فأنامهم، وانحدر إلى الباب، ومال إلى الحبال بشر كثير، فوثبوا فيها، وانتهى خالد إلى أول من يليه فأنامهم، وانحدر إلى الباب، فقتل البوابين، وثار أهل المدينة، وفزع سائر الناس؛ فأخذوا مواقفهم، ولا يدرون ما الشأن!...فلم يفجأهم إلا وهم يوحون لهم بالصلح، فأجابوهم وقبلوا منهم، وفتحوا لهم الأبواب...)[(١)].

٣- الفطنة والذكاء:

اتصف الصحابة ﷺ بالذكاء والفطنة في مواجهة النصارى في البلاد المفتوحة. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "إن الصحابة كانوا أمة يُضرب بها المثل في الذكاء وقوة الحافظة وصفاء الطبع وسيلان الذهن وحدة الخاطر"[(٢)].

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: ما حصل مع نصارى اللاذقية وذلك (حينما استخلف أبو عبيدة عبادةَ بن الصامت الأنصاري على حمص، فأتى اللاذقية فقاتله أهلها، فكان بها باب عظيم لا يفتحه إلا جماعة من الناس، فلما رأى

=

الإصابة، ابن حجر (٥١/٦)، تاريخ دمشق، ابن عساكر (١٩٨/٥٧).

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٦٧. وأدرجه محقق الكتاب في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (١٣٤/٣).

(٢) الإصابة، ابن حجر (٢٩/١).

صعوبة مرامها عسكر على بعد من المدينة ثم أمر أن تحفر حفائر كالأسراب يستر الرجل وفرسه في الواحدة منها، فاجتهد المسلمون في حفرها حتى فرغوا منها، ثم إنهم أظهروا القفول إلى حمص، فلما جن عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم وحفائرهم وأهل اللاذقية غارون[١] يرون أنهم قد انصرفوا عنهم، فلما أصبحوا فتحوا بابًا وأخرجوا سرحهم[٢] فلم يرعهم إلا تصبيح المسلمين إياهم ودخولهم من باب المدينة، ففتحت عنوة...)[٣].

ومن ذكاء الصحابة ﷺ بث العيون؛ لمعرفة مخططات النصارى في اليرموك. عن عبد الله بن قرط قال: (لما نزلت الروم منزلهم الذي نزلوا به دسسنا إليهم رجالًا من أهل البلد كانوا نصارى وأسلموا، وحسن إسلامهم، فأمرناهم أن يدخلوا عسكرهم، ويكتموا إسلامهم، ويأتوا بأخبارهم...)[٤].

٤- التجدد والتنوع في الأساليب والوسائل:

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ دعاة حق يسيرون نحو هدفهم بمختلف الطرق، فكانت وسائلهم وأساليبهم في منهج دعوتهم للنصارى متجددة بين الوسائل القولية، كالحوار والكتابة ونحوها وبين الوسائل العملية كإرسال الرسل والحصار والاستعانة بالأعوان واستخدام القتال كمرحلة أخيرة من مراحل الدعوة، مع التنوع في الأساليب الموجهة للنصارى ما بين الحكمة والموعظة

---

(١) غارون: أي غافلون من الغرة، وهي الغفلة. انظر: معجم الصحاح، الجوهري، ص٧٧٠، مادة: غرر.

(٢) سرحهم: الإبل والخيل السريعة المشي. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٤٢٦/١) مادة: سرح.

(٣) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٨٤.

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٥٤. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٦١/٢).

والجدال بالتي هي أحسن، على حسب ما يقتضيه حال المدعو النصراني[(١)]. وفي ذلك اقتداء بمنهج القرآن الكريم الذي لم يقتصر على أسلوب واحد في عرضه لدعوة الأقوام، فمرة يسوق عرضه الدعوي بأسلوب الترغيب وأخرى بالترهيب.

وتجدد الصحابة ﷺ في الوسائل والأساليب، فيه اقتداء بمنهج رسول الله ﷺ حيث إن دعوته اشتملت على أساليب ووسائل متجددة، كانتهاجه أسلوب الحوار وانتهاز الفرص والمجادلة بالتي أحسن.

(١) سبق الحديث عن الوسائل والأساليب في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

المبحث الثاني

ضوابط منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام

إن منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام لم يخلُ من ضوابط وأسس ساروا خلال دعوتهم عليها و لم يكونوا عشوائيين في دعوتهم، بل كانت وفق ضوابط محددة، يتم بيانها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

ضوابط منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام المتعلقة بالداعية.

وتتضمن الآتي :

١- الاعتماد على القران الكريم.

٢- الاعتماد على سنة الرسول ﷺ.

٣ - فقه الأولويات.

٤- مراعاة المصالح والمفاسد.

٥- السمع والطاعة لولاة الأمر.

٦- الوسطية والاعتدال.

٧- اعتبار المقاصد.

٨- فقه المقامات.

٩- وجود المساند.

١٠-القدرة.

المطلب الثاني

ضوابط منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام المتعلقة بالمدعو

ويتضمن الآتي:

١- عدم إكراه المدعو. ٢- معرفة أحوال المدعوين.

٣- الجدال بالتي هي أحسن. ٤- التدرج.

٥- المساواة.

المطلب الأول

ضوابط منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام المتعلقة بالداعية.

الضابط الأول: الاعتماد على القرآن الكريم:

اعتمد الصحابة ﷺ على منهج القرآن الكريم في تبليغ الدعوة إلى النصارى، مستشعرين الآيات الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1]. فكان قرار الصحابة ﷺ بإرسال الجيوش لفتح البلاد الرومية استجابة لمقتضى نصوص الوحي، فكان ابتداؤهم ببلاد الروم كمقدمة لتبليغ الدعوة إلى العالمين، ولكونها البلاد التي تلي مباشرة البقعة المباركة التي تشرفت بتلقي الرسالة وهي مكة والمدينة، فسبيل تبليغ الدعوة للناس في كل زمان ومكان تكون بالبدء بالبلدان والأماكن التي تلي ديار الإسلام، ثم التي تليها، حتى تعم الدعوة جميع الخلائق في بلدانهم المختلفة[2].

وقد فقه الصحابة ﷺ نص الأمر بقتال النصارى الأقرب فالأقرب إليهم في البلاد، كما في جواب معاذ بن جبل ﷺ لقائد الروم حين سأله عن سبب مجيئه لبلادهم، قال معاذ: (وأما قولكم: ما أدخلكم بلادنا وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم ببعيد وتركتم أهل فارس وقد هلك ملكهم، فإني أخبركم عن ذلك، وما بدأنا بقتالكم إلا أنكم أقرب إلينا منهم، وأنكم عندنا جميعًا بالسواء،

---

(١) الأعراف، الآية: (١٥٨).

(٢) انظر: المصلحة العامة من منظور إسلامي، فوزي خليل، ص٥٠٥.

وما جاءنا كتابنا بالكف عنهم، ولكن الله ﷻ أنزل في كتابه على نبينا محمد ﷺ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ ﴾[1]. فكنتم أقرب إلينا منهم، فبدأنا بكم لذلك...)[2]. قال الإمام الطبري -رحمه الله-:" ابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم دارًا، دون الأبعد فالأبعد"[3].

كما اعتمد الصحابة رضي الله عنهم على منهج القرآن في عرضه للديانة النصرانية وحقيقة المسيح عليه السلام، وأنه عبد الله ورسوله، وفقه الصحابة رضي الله عنهم تلك النصوص القرآنية فانطلقوا منها لدعوة النصارى إلى الإسلام، كما في الحوار الذي دار بين معاذ بن جبل رضي الله عنه وقائد الروم في وقعة فحل، فكان مما قاله: (وأما قولكم: كيف تستحلون قتالنا وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابنا؟ فأنا أخبركم عن ذلك: نحن نؤمن بنبيكم، ونشهد أنه عبد من عبيد الله، وأنه رسول من رسل الله، وأن مثله ﴿ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4] ولا نقول: إنه الله، ولا نقول: إنه ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة، ولا أن لله ولدًا، ولا أن له صاحبة ولا ولدًا، ولا أن معه آلهة أخرى، لا إله إلا هو ﴿ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[5]"[6].

وفقه الصحابة رضي الله عنهم أن الله ﷻ ينصر الفئة القليلة الصابرة على الفئة الكثيرة بإذن الله ﷻ، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه للمقوقس ملك مصر: (يا هذا، لا

---

(١) التوبة، الآية: (١٢٣).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٠٦.

(٣) مختصر تفسير الطبري (١/٣٤٤).

(٤) آل عمران، الآية: (٥٩).

(٥) النحل، الآية: (٣).

(٦) تقدم تخريجه، ص١٠٦.

تغرن نفسك ولا أصحابك. أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنَّا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقًا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم، وأشد لحرصنا عليهم، ثم استدل بقوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1])[2].

وكثيرًا ما كانت وصايا الخلفاء تحثُّ القادة في الجيوش الإسلامية على التمسك بمنهج القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن ذلك ما وصى به أبو بكر ﷺ حينما تجهز خالد بن سعيد ﷺ لغزو الروم قال له: (إنما أرجو أن تكون من نصحاء الله في عباده بإقامة كتابه واتباع سنة نبيه محمد ﷺ...)[3]. فكان القرآن الكريم بذاته دعوة للإسلام ومنارًا للدعوة وحصنًا للدعاة، تُعلم أحكامه وتحفظ آياته في كل الأمصار.

الضابط الثاني: الاعتماد على سنة الرسول ﷺ.

أخذ الصحابة ﷺ بعد إقامة كتاب الله ﷻ المتابعة والموافقة لرسول ﷺ في منهج دعوتهم للنصارى، ومما يبين ذلك مبادرة الصديق بإنفاذ جيش أسامة ﷺ المتوجه لمحاربة الروم في الشام بالرغم من مطالبة المسلمين بإيقافه؛ نظرًا لتغير الأحوال وتدهورها بعد وفاة الرسول ﷺ، وأجاب الصديق عليهم بمقولته المشهورة: (والذي نفس أبا بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به

(١) البقرة، الآية: (٢٤٩).

(٢) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٤. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٣/٣٨).

رسول الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته)[1]. كما جهَّز أبو بكر الجيوش؛ للتوجه نحو الشام لمحاربة النصارى؛ اقتداء برسول الله ﷺ. قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "استهلت هذه السنة[2] والصديق عازم على جمع الجنود؛ ليبعثهم إلى الشام، وذلك بعد مرجعه من الحج؛ وذلك عملًا بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3]. وبقوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[4]، واقتداءً برسول الله ﷺ، فإنه جمع المسلمين لغزو الشام"[5].

كما كانوا يعتمدون على نصوص السنة وفقه تلك النصوص المتعلقة بمنهجية التعامل مع النصارى، فحينما انقضى العهد بين المسلمين والروم أراد معاوية أن يغزوهم، فإذا رجل على دابة يقول: الله أكبر، وفاء لا غدر، وإذا هو عمرو بن عبسة رضي الله عنه، فسأله معاوية عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من كان بينه وبين قوم عهدٌ فلا يشدّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على**

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٤٩٤. وذكره ابن الجوزي في المنتظم (٤/٧٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/٣٣٥)، وقال محقق كتاب الطبري: إسناده ضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٨/٢٦).

(٢) يعني سنة ثلاث عشرة للهجرة.

(٣) التوبة، الآية: (١٢٣).

(٤) التوبة، الآية: (٢٩).

(٥) البداية والنهاية (٧/٥).

سواء). فرجع معاوية[1].

قال يزيد لم يرد معاوية أن يغيِّر عليهم قبل انقضاء المــدة، ولكنــه أراد أن تنقضي وهو في بلادهم فيغير عليهم وهم غارون، فأنكر ذلك عمرو بن عبسة، ألا يدخل بلادهم حتى يعلمهم ويخبرهم أنه يريد غزوهم..."[2]. قال الإمام أبو عبيد -رحمه الله-:" وكذلك فعل رسول الله ﷺ بكل من كان بينه وبينه عهــد إلى مدة، ثم انقضت، وزادهم في الوقت أيضًا، وبذلك نزل الكتاب"[3].

كما فقه الصحابة ﷺ حديث الرسول ﷺ في ضرورة الرفق بأهل الذمة من النصارى، واستشهدوا به حينما لزم الأمر ذلك، فحينما مرّ هشام بن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقــال: ماشــأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الله يعذّب الذين يعذّبون الناس في الدنيا**)[4].

كما كان منهج الصحابة ﷺ امتدادا لمنهج الرسول ﷺ في وصــية القــادة وأفراد الجيش قبل التوجه إلى المعركة، إذ كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المســلمين خــيرًا، ثم قال: (**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال**

(١) تقدم تخريجه، ص١٧٣.

(٢) الأموال، أبو عبيد، ص١٧٦.

(٣) وهو في قوله تعالى في سورة براءة: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ التوبة، الآيــة: (٢). فقد أعطاهم مهلة أربعة أشهر وهي أزيد من المدة التي كانت قد بقيت لبعضهم. المرجع السابق، ص١٧٦.

(٤) تقدم تخريجه، ص١٦١.

(أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم)[1].

وقد صرح الصحابة ﷺ في حوارهم مع النصارى أنهم يلتزمون منهج رسول الله ﷺ في دعوتهم،كما في قول خالد بن الوليد ﷺ لقائد الروم باهان: (وهذا والله الذي لا إله إلا هو، هو دين الله الذي لا إله إلا هو، أمر الله نبيه ﷺ فعلمنا، وأمرنا به أن ندعو الناس إليه، ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا ﷺ وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس، فندعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتقروا بما جاء من عند الله ﷻ...)[2].

كما حرص أبو عبيدة بن الجراح ﷺ على الامتثال لأمر الرسول ﷺ في دعوته لرسول القائد الرومي يوم فحل إذ قال له: (...وأمرنا ﷺ فقال: إذا أتيتم المشركين فادعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله، وبالإقرار بما جاء من عند الله ﷻ، فمن آمن وصدق فهو أخوكم في دينكم، له ما لكم، وعليه ما عليكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية؛ حتى يؤدوها عن يد وهم صاغرون)[3]. وكما في حوار عبادة بن الصامت ﷺ مع المقوقس حينما أراد دعوته إلى الإسلام، قال له: (ليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت، ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين، وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا...)[4]. فقوله: (وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا) دليل على التزامهم بمنهج رسول الله ﷺ في منهج

---

(١) تقدم تخريجه، ص٢٣٢.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٢٧.

(٣) تقدم تخريجه، ص٧٩.

(٤) تقدم تخريجه، ص٩٠.

دعوتهم للنصارى.

وبشكل عام نجد أن الصحابة ﷺ ساروا سيرًا حميدًا على منهاج النبوة في تبليغ الإسلام للنصارى، وفقهوا نصوص سنته ﷺ، واقتفوا أثره حتى شهد بذلك غير المسلمين. يقول توماس: "ويرجع انتشار هذا الدِّين في تلك الرقعة الفسيحة من الأرض، إلى أسباب شتى: اجتماعية وسياسية ودينية، على أن هناك عاملًا من أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هي الأعمال المطردة التي قام بها دعاة المسلمين، وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدي الرسول مثلًا أعلى وقدوة حسنة"(١).

كما جعل الصحابة ﷺ فقه النصوص الشرعية والعمل بها المقياس لصلاح الشخص وفساده، قال معاذ بن جبل ﷺ لقائد الروم في وقعة فحل: (إن يكن ملككم هرقل فإن ملكنا الله ﷻ الذي خلقنا، وأميرنا رجل منا، إن عمل فينا بكتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ أقررناه علينا، وإن عمل بغير ذلك عزلناه عنا، وإن هو سرق قطعنا يده، وإن زنى جلدناه، وإن شتم رجلًا منا شتمه كما يشتمه...)(٢).

وهكذا نرى أن الله تعالى قد ربط انتصار الأمة وعزها باتباع النبي الكريم ﷺ، فمن أطاعه واتبعه في دعوته فله النصر والتمكين، ومن عصاه فله الذل والهوان.

الضابط الثالث: فقه الأولويات.

لقد قامت دعوة الصحابة ﷺ للنصارى على منهج مراعاة الأولويات في عرض الإسلام، وقد بدا ذلك واضحًا في الأساليب والوسائل التي سلكوها مع

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص٢٦.

(٢) تقدم تخريجه، ص٧٩.

النصارى. وهذه بعض صور مراعاة الأولويات في منهج الصحابة ﷺ:

أ- **في موضوعات الدعوة:** كان الصحابة ﷺ يراعون مبدأ الأولويات في موضوعات الدعوة المقدمة للنصارى، فيقدمون البدء بموضوعات العقيدة ويركزون عليها ثم موضوعات الشريعة والأخلاق، ومن الأمثلة على ذلك: دعوة معاذ بن جبل ﷺ قائد الروم في فحل، إذ قال له: (إن أول ما أدعوكم إلى الله أن تؤمنوا بالله وحده وبمحمد ﷺ، وتكسروا الصليب وتجتنبوا شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ثم أنتم منا ونحن منكم وأنتم إخواننا في ديننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأدُّوا الجزية إلينا في كل عام وأنتم صاغرون ونكف عنكم، وإن أنتم أبيتم هاتين الخصلتين فليس شيء مما خلق الله ﷻ نحن قابلوه منكم، فابرزوا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)(١). فالصحابي معاذ ﷺ بدأ بالقضية الأساسية وهي الإيمان بالله ﷻ وحده لا شريك له، ثم بالإيمان بمحمد ﷺ؛ لسابق علمه بضلال النصارى في هذين الجانبين الأساسين،؛ لاعتقادهم بالتثليث، وإنكارهم نبوة محمد ﷺ، ثم تطرق إلى قضايا فرعية تتعلق بالنهي عن الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير.

ب- **في أساليب الدعوة ووسائلها:** كان الصحابة ﷺ يرعون فقه الأولويات في استخدام وسائل الدعوة وأساليبها وترتيبها بحسب المصالح والمفاسد، فقد كانوا لا يستخدمون وسيلة القتال إلا بعد القيام بإنذارهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن. كما أنهم لا يقومون باستخدام أسلوب الترهيب للنصارى إلا بعد الترغيب.

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٠٦.

ج- **في ميدان الدعوة:** راعى الصحابة ﷺ فقه الأولويات في منهج دعوهم مع النصارى فيما يتعلق بميدان الدعوة، فبدؤوا بالأقرب إلى الجزيرة العربية، مصداقًا لقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[(1)].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولًا فأولًا، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام... وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلوهم من العتاة الفجار"[(2)].

وقد صرح الصحابة ﷺ بهذا المنهج في حوارهم مع النصارى، قال معاذ ﷺ لقائد الروم في فحل: (وأما قولكم: ما أدخلكم بلادنا وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم ببعيد وتركتم أهل فارس وقد هلك ملكهم، فإني أخبركم عن ذلك: ما بدأنا بقتالكم؛ لأنكم أقرب إلينا منهم، وإنكم عندنا جميعًا بالسواء، وما جاءنا كتابنا بالكف عنهم، ولكن الله ﷻ أنزل في كتابه على نبينا ﷺ فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[(3)]. وكنتم أقرب إلينا منهم، فبدأنا بكم لذلك، وقد أتاهم طائفة منا وهم يقاتلوهم، وأرجو أن يظفرهم الله ويفتح عليهم)[(4)].

ومن فقه الأولويات في ميدان الدعوة عند الصحابة ﷺ تقديم الاهتمام ببعض المدن على بعض، فقد كانت الدولة الإسلامية عدة ولايات رئيسة وبعضها كان

---

(١) التوبة، الآية: (١٢٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٤١٦).

(٣) التوبة، الآية: (١٢٣).

(٤) تقدم تخريجه، ص٧٩.

يتألف من عدد من الإمارات التي دون الولايات، وكان لبعض الولايات أهمية خاصة؛ لما فيها من ثغور أو بما تتولاه من أمر الجهاد والقتال، ومن أشهرها منطقة الشام التي أوصى الرسول ﷺ بها قبل وفاته في تسيير جيش أسامة ﵁ لمحاربة الروم فيها، وأكمل صحابته الكرام اهتمامهم بمنطقة الشام فكان فتح دمشق ومعركة اليرموك اللتين كان لهما دور كبير في السيطرة على المنطقة بأكملها والتي أصبحت فيما بعد منطلق الجيوش الإسلامية إلى أفريقية(١).

كما قدّم الصحابة ﵃ البدء بفتح دمشق قبل فحل. عن خالد وعبادة قالا: (ولما جاء عمر الكتاب عن أبي عبيدة بالذي ينبغي أن يبدأ به كتب إليه: أما بعد، فابدؤوا بدمشق فانهدوا لها فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم...)(٢).

ومن المدن التي ركّز عليها الصحابة ﵃ مدينة مصر؛ لأن الرسول ﷺ أوصى قبل موته بقبط مصر، وأنهم سيكونون عدة وأعوانًا في الجهاد في سبيل الله ﷻ. قال ﷺ: (**إنكم سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَـإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إلى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً(٣) وَرَحِمًا(٤)** ...)(٥). وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: (**إذا فُتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا**)(٦). عن أم سلمة -رضي الله

---

(١) انظر: حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل، ص٤٣.

(٢) تقدم تخريجه، ص٣٢٨.

(٣) الذمة: هي الحرمة والحق. صحيح مسلم بشرح النووي (٩٧/١٦).

(٤) قال الإمام النووي: "وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وإما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم". المرجع السابق (٩٧/١٦).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص ١٠٢٧، رقم (٢٥٤٣)، كتاب فضائل الصحابة، باب: وصية النبي ﷺ بأهل مصر.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦١/١٩)، والحاكم في المستدرك (٦٠٣/٢)، رقم (٤٠٣٢)، =

عنها-[1] أن رسول الله ﷺ أوصى قبل وفاته فقال: (**الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانًا في سبيل الله**)[2].

ولذلك أقدم عمرو بن العاص رضي الله عنه على الاستئذان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسير إليها، وقال له مبينًا أهميتها: (إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونًا لهم، وهي أكثر الأرض أموالًا وأعجزها عن القتال والحرب...)[3].

كما حرص الصحابة رضي الله عنهم على فتح بيت المقدس؛ وذلك لما تميزت به من مكانة خاصة لدى أهل الديانات السماوية جميعًا ولدى المسلمين خصوصًا، حيث كانت أولى القبلتين وثالث المسجدين ومسرى رسول الله ﷺ.

وبهذا يتضح لنا أن فقه الأولويات من ضوابط منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة النصارى إلى الإسلام الذي كان له الأثر الكبير في نجاح الدعوة وتبليغها.

الضابط الرابع: مراعاة المصالح والمفاسد:

اعتنى الصحابة رضي الله عنهم في دعوتهم للنصارى بتقدير المصلحة في كل أمر يعرض

=

وقال: صحيح على شرط الشيخين. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٦)، رقم (١٦٦٧٩)، وقال: روي بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، وصححه السيوطي في الجامع الصغير، رقم (٧٢٢)، والألباني في صحيح الجامع، رقم (٦٩٨).

(١) أم سلمة: هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية أم المؤمنين، أسلمت قديما وهاجرت إلى الحبشة والمدينة، توفيت سنة٦٢هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٨/٤٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/٢٦٥). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، (١٠/٦٣)، باب: ما جاء في مصر وأهلها، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٣١١٣)، وقال: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٣) أخرجه ابن عبدالحكم في فتوح مصر، ص٨٠. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٣٢٤)، والسيوطي في حسن المحاضرة (١/١٠٦).

لهم أثناء الفتوحات الإسلامية، ومن تطبيقات هذا الضابط ما يلي:

أ- أخذ الجزية من نصارى بني تغلب باسم الصدقة:

لقد صالح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ نصارى بني تغلب على دفع الجزية باسم الصدقة، وأن يكون عليهم الضعف مما على المسلمين، فعن زرعة بن النعمان: (أنه كلَّم عمر في بني تغلب وقال له: إنهم عرب يأنفون من الجزية، فلا تعن عدوك بهم. فصالحهم عمر على أن أضعف عليهم الصدقة، فاشترط عليهم: ألا ينصروا أولادهم. قال مغيرة: فحدثت أن عليًّا بن أبي طالب قال: لئن تفرغت لبني تغلب لأقتلن مقاتلتهم ولأسبين ذراريهم، فقد نقضوا وبرئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم)[١].

قال الإمام أبو عبيد -رحمه الله-: "وهذا الحديث هو الذي عليه العمل، أن يكون عليهم الضعف مما على المسلمين"[٢]. وهذا الحكم خاص ببني تغلب. قال الإماما بن قدامة -رحمه الله-: "فأما سائر أهل الكتاب من النصارى وغيرهم، فلا يقبل منهم إلا الجزية، ولا يؤخذون بما يؤخذ به بنو تغلب. نص عليه أحمد"[٣].

إن اجتهاد عمر بن الخطاب ﷺ مبني على مراعاة جلب المصلحة المرجوة ودفع المفسدة المتوقعة عن المسلمين؛ وذلك أن عمر في أول الأمر رفض أن

---

(١) أخرجه الإمام ابن حزم في المحلى (١١٢/٦)، وأبو يوسف في الخراج، ص١٢٠، وأبو عبيد في الأموال، ص٣٤ رقم (٧١)، وأخرجه البلاذري بنحوه في فتوح البلدان، ص١١٣، وأخرجه الخلال في أحكام أهل الملل، ص٦٨، وقال أحمد شاكر: خبر بني تغلب هذا روي من طرق كثيرة تطمئن النفس إلى أن له أصلًا صحيحًا وله ما يؤيده.

(٢) الأموال. ص٣٤.

(٣) الكافي (٣٥١/٤).

يأخذ منهم ما يأخذ إلا باسم الجزية، شأنهم شأن غيرهم. لكن لما شرح له ما يترتب على ذلك من مضار ومفاسد، وأن القوم يمكن أن يلحقوا بالأعداء، وهم ذوو عدد وشوكة، ويمكن أن يستعين العدو بهم على المسلمين، راعى المصلحة العامة للأمة. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "فهذا الذي فعله عمر رضي الله عنه وافقه عليه جميع الصحابة والفقهاء بعدهم... فإن عمر رضي الله عنه كان بعد مشغولًا بقتال الكفار وفتح البلاد، فلم يأمن أن يلحقوا بعدوّه فيقووهم عليه"(١).

ب- رفض الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مواصلة الفتح في أفريقية:

أراد الصحابة رضي الله عنهم استكمال الفتوحات الإسلامية في المنطقة الأفريقية، فطلب عمرو بن العاص رضي الله عنه من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه السماح له بذلك، ولكن عمر رفض طلبه؛ خوفًا عليهم من المخاطر المتوقعة هناك، ولأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مطلعًا على الأحوال السياسية في أفريقية، وكان محيطًا بثورات أهلها ونكثهم بالعهود وغدرهم بأصحاب السلطان، وكان من الطبيعي أن يرفض عمر طلب عمرو بمواصلة الفتح والتغرير بالمسلمين في مخاطرة لا يعلم نتائجها إلا الله، فآثر أن يقف المسلمون إلى هذا الحد من الفتوحات، وكتب إلى عمرو قائلًا: (لا إنها ليست بأفريقية ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت)(٢).

ج- رفض عمر رضي الله عنه تقسيم الأرض على المقاتلين:

أثناء الفتوحات الإسلامية طالب بعض الصحابة رضي الله عنهم بتقسيم الأراضي عليهم،

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/٢١١).

(٢) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، ص٢٩٧، والبلاذري في فتوح البلدان، ص١٣٨. وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (٢٨/٢٢١)، رقم (٣٠٩٨٨)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٥/٧١٠)، رقم (١٤٢٣٣).

ولكن عمر ﷺ أبى عليهم ذلك، وجعلها وقفًا للمسلمين عامة؛ وذلك لمصلحة رآها ولاعتبارات أخرى رآها أرجح في ميزان الشرع من التقسيم، الذي يعتبره المطالبون حقًّا أثبته لهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. عن سفيان بن وهب الخولاني قال: (لما افتتحنا مصر قام الزبير بن العوام فقال: يا عمرو بن العاص، اقسمها. فقال عمرو: لا أقسمها. فقال الزبير: والله لتقسمنَّها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر. قال عمرو: والله لا أقسمها؛ حتى أكتب إلى أمير المؤمنين. وكتب إلى عمر فكتب إليه عمر أن أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة[1])[2]. قال أبو عبيد -رحمه الله-: "أراه أراد: أن تكون فيئًا موقوفًا للمسلمين ما تناسلوا، يرثه قرن بعد قرن، فتكون قوة لهم على عدوهم"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "إن رأى المصلحة جعلها غنيمة قسمها بين الغانمين، كما قسم النبي ﷺ خيبر، وإن رأى أن لا يقسمها جاز. كما لم يقسم النبي ﷺ مكة، مع أنه فتحها عنوة. شهدت بذلك الأحاديث الصحيحة والسيرة المستفيضة، وكما قاله جمهور العلماء، ولأن خلفاء بعده-أبا بكر وعمر وعثمان- فتحوا ما فتحوا من أرض العرب والروم وفارس: كالعراق، والشام، ومصر، وخراسان[4]، ولم يقسم أحد من الخلفاء شيئًا من العقار المغنوم بين

---

(١) حبل الحبلة: قال ابن عبد الحكم:"يريد حتى يغزو منها أولاد الأولاد ويكون عامًّا في الناس والدواب، أي: يكثر المسلمون فيها بالتوالد". فتوح مصر، ص١٧٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ص١٥٢، رقم (١٤٢٤)، وأبو عبيد في الأموال، ص٦٤، رقم (١٤٩)، وابن زنجويه في الأموال (١/١٩٢)، رقم (٢٢٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢)، رقم (٩٧٦٨)، وقال: فيه رجل لم يسم وابن لهيعة. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) الأموال، ص٦٤.

(٤) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها العراق وآخر حدودها مما يلي الهند. وهي الآن في الشمال الشرقي لدولة إيران. انظر: معجم البلدان، الحموي (٢/٣٥٠).

الغانمين... بل جعل العقار فيئًا للمسلمين داخلًا في قوله: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ ﴾[1]. و لم يستأذنوا في ذلك الغانمين، بل طلب كثير من الغانمين قسم العقار فلم يجيبوهم إلى ذلك. كما طلب بلال من عمر أن يقسم أرض الشام، وطلب منه الزبير أن يقسم أرض مصر، فلم يجيبوهم إلى ذلك..."[2]. ومن هنا نعلم أن اجتهاد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ليس هو من باب تعطيل النصوص؛ لأن تشريع تقسيم الأرض المفتوحة بعد القتال كان من الأمور الاجتهادية التي تركها الشرع للناس؛ ليجتهدوا فيها برأيهم؛ فالرسول ﷺ قد قسم الأرض المفتوحة مرة و لم يقسمها أخرى، والضابط في ذلك مصلحة المسلمين.

د- غزو بلاد فارس قبل غزو الروم:

يتمثل هذا الأمر في بدء الخليفة أبي بكر ﷺ بغزو الفرس في العراق قبل غزو الروم في الشام؛ لأن البعثات العسكرية السابقة لأرض الشام كانت تواجه مصاعب أثناء تحركاتها في أرض الشام. كما أن قوة الدفاع وشدة البأس اللتين يعترف بهما العرب للرومان واستلزام هذه الحروب معدات حربية زائدة وقوى فائقة، كل هذا كان من الأسباب التي حملت الخليفة أبا بكر ﷺ على إيثار فتح العراق، وإحراز الظفر أولًا على دولة الفرس المجوسية، التي كانت حينذاك أضعف شأنًا وأقل مقاومةً من دولة الرومان، وبذلك يكون الجيش قد غنم الكثير من المعدات الحربية، وازداد بها قوة واستعدادًا، وصار من السهل عليه

---

(١) الحشر، الآية: (٦).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٤/١١٨).

مهاجمة الرومانيين وقتالهم في الشام[1].

هـ- إلزام النصارى بعدم مشابهة المسلمين:

حرص الصحابة رضي الله عنهم على تميزهم عن النصارى، في هيئتهم وفي تكنيتهم والسلام عليهم، فقد جاء في شروط عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الذمة من النصارى: (...وأن نلزم زيّنا حيثما كنا، وألا نتشبَّه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، وأن نجز مقادم رؤوسنا ولا نفرق نواصينا، ونشد الزنانير على أوساطنا...)[2]. وفي هذا كله مراعاة لفقه المصالح، فإن هذا الغيار لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا أبي بكر رضي الله عنه، وإنما وضعه الفاروق رضي الله عنه لما كثر الذميُّون المخالطون للمسلمين، فأراد أن يميزهم ليعرفوا، وهذا اجتهاد لا يخالف نصًّا، وهو من جملة اجتهاداته رضي الله عنه بناء على ما اقتضته المصلحة آنذاك؛ لئلا تُفْضِي مشابهتهم إلى أن يعامَلَ الكافر معاملة المسلم. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:"إن الشروط المضروبة على أهل الذمة تضمنت تمييزهم عن المسلمين في اللباس والشعور والمراكب وغيرها؛ لئلا تُفْضِي مشابهتهم إلى أن يعامَلَ الكافر معاملة المسلم، فسدت هذه الذريعة بإلزامهم التميز عن المسلمين"[3].

كما أن المصلحة أحيانًا تتطلَّب السلام عليهم وتكنيتهم؛ رجاء إسلامهم. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (ومدار هذا الباب وغيره مما تقدم على المصلحة الراجحة، فإن كان في كنيته وتمكينه من اللباس وترك الغيار والسلام عليه أيضًا ونحو ذلك؛ تأليفًا له، ورجاء إسلامه وإسلام غيره كان فعله أولى)[4].

---

(١) انظر: عبقرية خالد بن الوليد العسكرية،أحمد اللحام، ص٢٥.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٦٨.

(٣) إعلام الموقعين (٣/١٧٤).

(٤) أحكام أهل الذمة (٣/١٣٢١).

من هنا تبيَّن أهمية فقه المصالح والمفاسد، وأن غياب هذا الفقه عند بعض الدعاة له أثره السيئ في جلب المفاسد وتفويت المصالح.

الضابط الخامس: السمع والطاعة لولي الأمر:

يُعد هذا الضابط من مسائل العقيدة التي اهتم بها علماء الشريعة؛ وذلك لآثارها الكبيرة على الناس جميعًا، وقد أمر الله ﷻ بطاعة ولاة الأمر. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[١] قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "أمر بطاعته جل وعز أولًا، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله ثانيًا فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثًا؛ على قول الجمهور"[٢]. واختلف العلماء في المقصود بأولي الأمر، منهم من قال الأمراء ومنهم من قال العلماء. قال الإمام النووي-رحمه الله-:" قال العلماء: المراد بأولي الأمر، من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء. هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم"[٣]. وقال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "والظاهر -والله أعلم- أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء"[٤]. وطاعة ولاة الأمر تكون في طاعة الله ﷻ. عن النبي ﷺ قال: **(السمع والطاعة حق مالم يُؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)**[٥].

---

(١) النساء، الآية: (٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/١٨١).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/٢٢٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/٥٣٠).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٦٧، رقم (٢٩٥٥)، كتاب الجهاد، باب: السمع والطاعة للإمام.

من أجل ذلك كان السمع والطاعة لولاة الأمر عند الصحابة ﷺ من ضوابط منهج دعوة النصارى إلى الإسلام في البلاد المفتوحة، ولعل من صور تطبيقهم لهذا الضابط:

أن أبا سفيان بن حرب ﷺ كان يستأذن من عمر بن الخطاب ﷺ في جهاد الروم بالشام حينما قال له: (إني أحب أن تأذن لي فأخرج إلى الشام متطوِّعًا بمالي وانصر المسلمين وأقاتل المشركين وأُحضر جماعة من هناك من المسلمين فلا ألوهم نصيحة ولا خيرًا. فقال له عمر: قد أذنت لك يا أبا سفيان تقبَّل الله جهادك)[1].

وقد كان الصحابة ﷺ لا يقدمون على أي أمر إلا بعد إخبار الخليفة، ومن ذلك حينما احتار أبو عبيدة ﷺ هل يبدأ بفحل أم بدمشق لمحاربة الروم، فكتب في ذلك إلى خليفة المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، فأشار عليه بأن يبدأ بدمشق[2]. ولم يُقدم عمرو بن العاص ﷺ على فتح مصر إلا بعد مشاورة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قائلًا: (يا أمير المؤمنين، ائذن لي أن أسير إلى مصر، وحرضه عليها وقال: إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونًا لهم، وهي أكثر أموالًا وأعجزها عن القتال والحرب، فتخوَّف عمر بن الخطاب ﷺ على المسلمين وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر الخطاب ويُخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن عمر لذلك، فعقد له على أربعة آلاف رجل)[3].

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٩٧، والكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٨٢).

(٢) تقدم تخريجه، ص٣٢٨.

(٣) أخرجه ابن عبدالحكم في فتوح مصر، ص١٣٠. وذكره السيوطي في حسن المحاضرة (١/١٠٦)، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

وحينما أراد قائد الروم في الإسكندرية مصالحة المسلمين على دفع الجزية مقابل رد السبايا، بعث إليه عمرو بن العاص ﷺ قائلًا: (إن من ورائي أميرًا لا أستطيع أن أصنع أمرًا دونه، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني؛ حتى أكتب إليه بالذي عرضت عليَّ، فإن هو قبل ذلك منك قبلت، وإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره...)(١). كما أن عبد الله بن أبي السرح ﷺ أمير مصر لم يُقدم على غزو أفريقية إلا بعد الكتابة إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ يستأذنه في الغزو(٢).

ولم يقف الأمر عند الاستئذان من الخليفة فقط، بل تعدَّى ذلك إلى طاعته في كل ما يأمر به، وذلك حينما قال عبادة بن الصامت ﷺ للمقوقس: (ليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث خصال، فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين، وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا)(٣).

ومن هذه المواقف وغيرها يتبيَّن حرص الصحابة ﷺ على السمع والطاعة لولاة الأمر في منهج دعوتهم للنصارى، فكان لذلك أثر كبير في إظهار دينهم وطاعة ربهم. قال الإمام ابن رجب -رحمه الله-: "وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم"(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٧١. وذكره ابن حبان في الثقات (٢٢٠/٢)، وقال محقق كتاب الطبري: إسناده ضعيف وله ما يؤيده. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٢٦٣/٣).

(٢) تقدم تخريجه، ص٢٠٧.

(٣) تقدم تخريجه، ص٩٠.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١١٧/٢).

الضابط السادس: الوسطية والاعتدال.

لقد كان من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام مراعاة ضابط الوسطية والاعتدال؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]. قال الإمام البغوي -رحمه الله-: "قال الكلبي: يعني أهل الدين وسط بين الغلو والتقصير؛ لأنهما مذمومان في الدين"[2]. وقال الإمام الشوكاني -رحمه الله-:" أي: هذه الأمة لم تغلُ غلو النصارى في عيسى، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم"[3]. فهم وسط وعدل بين سائر فرق الأمة، ومن هذه الوسطية، الوسطية في عقيدة الولاء والبراء من النصارى، إذ إن الصحابة ﷺ لم يبالغوا في البراءة من النصارى لدرجة ظلم أهل الذمة منهم، بل عملوا بما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[4] فأحسن الصحابة ﷺ إلى أهل الذمة من النصارى وأعطوهم حقوقهم كاملة وعاملوهم بكل صدق وعدل. ولم يبالغ الصحابة ﷺ في موالاة أهل الذمة من النصارى لدرجة اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، بل امتثلوا لأمر الله في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ

---

(١) البقرة، الآية: (١٤٣).

(٢) معالم التنزيل، البغوي (١/١٦٨).

(٣) فتح القدير، الشوكاني (١/٢٣٤).

(٤) الممتحنة، الآية: (٨).

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[1]. فكان منهج الصحابة واضح في عدم إعزازهم أو تفضيلهم على المسلمين، ويدل على ذلك الشروط التي اشترطها عمر بن الخطاب ﷺ على أهل الذمة من النصارى في الشام والمعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم. كما يدل عليه قول عمر بن الخطاب ﷺ: (لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم، ولا تأمنوهم إذ خوّنهم الله ﷻ)[2].

الضابط السابع: اعتبار المقاصد.

إن للشريعة الغراء غايات عظيمة ومقاصد نبيلة، فقهها الصحابة ﷺ في منهج دعوتهم للنصارى، فالجهاد مثلًا مقصده: هداية العباد، ودفع الصاد عن سبيل الله ﷻ، وليس المقصد قتل العباد. وقد فقه الصحابة ﷺ ذلك المقصد فنهوا عن الابتداء بقتل النصارى قبل دعوتهم، يدل عليه وعظ أبي عبيدة ﷺ المسلمين في معركة اليرموك إذ قال: (عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. يا معشر المسلمين، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر مرضاة للرب ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدؤوهم بالقتال...)[3].

ومن السماحة أن يراعى في معاملة النصارى كل مصلحة وقصد صحيح، فعن عبد الله بن قيس قال: (كنت فيمن تلقى عمر بن الخطاب ﷺ مع أبي عبيدة مقدمه من الشام[4]، فبينما عمر يسير إذ لقيه المقلّسون[5] من أهل

---

(١) المائدة، الآية: (٥١).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٢٢.

(٣) تقدم تخريجه، ص١٠٩.

(٤) يعني عند قدومه إلى الشام لتسلم بيت المقدس. الأموال، أبو عبيد، ص١٦٦.

(٥) قال أبو عبيد: "المقلسون: قوم يلعبون بلعبة لهم بين أيدي الأمراء إذا قدموا عليهم، فأنكرها عمر =

أذرعات[1] بالسيوف والريحان، فقال عمر: مه، ردوهم وامنعوهم. فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، هذه سنة العجم أو كلمة نحوها، وإنك إن تمنعهم منها يروا أن في نفسك نقضًا لعهدهم، فقال عمر: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة)[2]. قال الإمام أبو عبيد -رحمه الله-: "أهل الصلح يُتركون على ما كانوا عليه قبل ذلك من أمورهم"[3]. لأجل ذلك استجاب عمر لرأي أبي عبيدة -رضي الله عنهما-؛ خشية أن يظنوا أنه مبغض لهم، عازم على نقض عهده معهم، وبحسبه من السماحة أن احتمال هذا الظن وحده يجعله يغير من عادته، فرضي أن يلعبوا أمامه بالسيوف والرمحان[4]. ومن هذا كله نعلم مدى اهتمام الصحابة ﷺ بفقه المقاصد، فليس المهم هو مجرد الأمر والنهي دون النظر إلى المقاصد أو العواقب، أو إلى ما أمره الله به، من أن يكون أمره ونهيه بالرفق والمعروف؛ كي تتحقق المقاصد المنشودة والغايات المطلوبة.

=

وكرهها ثم أقرها؛ لأنها متقدمة لهم قبل الصلح، وكذلك كل ما كان من سنتهم وبيعهم وكنائسهم وغير ذلك، فوقع الصلح عليه، فليس لأحد نقضه". الأموال، ص١٦٧.

(١) أذرعات: موضع بالشام.ترتيب مختار الصحاح،الرازي، ص٢٧٩.مادة: ذرع.

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال، ص١٦٦، رقم (٤٢٥)، وابن زنجويه في الأموال، ص٣٨٦، رقم (٦٣٣)، وذكره البلاذري في فتوح البلدان، ص٨٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٦/٣٢). والسيوطي في جامع الأحاديث (٢٧١/٢٨)، رقم (٣١٠٧٤). المتقي الهندي في كنز العمال (٢٢٤/١٥)، رقم (٤٠٦٨٠)، وفي سنده الوليد بن مسلم، قال عنه العلماء: إنه كثير التدليس. انظر: طبقات المدلسين، ابن حجر (٥١/١). تقريب التهذيب، ابن حجر (٥٨٤/١).

(٣) الأموال، ص١٦٦.

(٤) انظر: سماحة الإسلام، قريشي، ص٣٧. معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام، إبراهيم عيسى، ص٧٠.

الضابط الثامن: فقه المقامات:

علم الصحابة ﷺ فقه المقامات في كثير من المواقف التي كانت بينهم وبين النصارى في السلم والحرب، ففي مقام الحرب لم يقاتلوا إلا من قاتلهم، أو امتنعوا عن دفع الجزية أو نقضوا الصلح بينهم وبين المسلمين، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[1]. وفي مقام السلم أعطوا النصارى حقوقهم وحرياتهم مقابل أداء الجزية، وعاملوا أهل الذمة بكل رفق وعدل وسماحة؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

الضابط التاسع: وجود المساند في الدعوة.

إن القيام بدعوة النصارى إلى الإسلام ليس بالأمر الهيِّن أو اليسير، إذا نظرنا إلى طبيعته وإلى اصطدامه بشهوات المدعوين ونزواتهم وأهوائهم، وغرور بعضهم وكبرياء الآخر، فيهم الحاكم المتسلط، وفيهم المعاند، وفيهم الحاقد على الإسلام.

ولذا كان لا بد من مساندة وقيادة مؤمنة تساند الداعية في دعوته وتحمل منهج الله ﷻ في الأرض بما ترسمه من الوسائل والخطط وبما تنظمه من إمكانيات.

---

(١) التوبة، الآية: (٢٩).

(٢) الممتحنة، الآية: (٨).

والمتأمل لمواقف الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام يلحظ أهمية وجود المساندة والسلطة في المؤازرة والدعم المادي والمعنوي لاستمرار الدعوة، فكان الخلفاء يقدمون النصح والتوجيه للقادة والجنود في المعارك مع الروم. كما يزودونهم بالعدة والسلاح والجنود إذا احتاجوا إلى ذلك. ومن تطبيقات هذا الضابط في منهج الصحابة ﷺ مساندة أبي بكر الصديق ﷺ لهشام بن عتبة ﷺ بالنصيحة حينما وجهه للشام: (إذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوة، ولا تنفق نفقة، ولا يصيبك ظمأ ولا نصب، ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملًا صالحًا، إن الله لا يضيع أجر المحسنين...)(١). ومن ذلك مساندة الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ للقائد أسامة بن زيد ﷺ ومن معه من المسلمين قبيل مواجهة الروم في بلاد الشام حيث أوصاهم قائلًا: (يا أيها الناس، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقًا. اندفعوا باسم الله)(٢). ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كانوا يباشرون الدعوة بأنفسهم إذا احتاج الأمر إلى ذلك، فقد رحل عمر بن الخطاب ﷺ من المدينة إلى بيت المقدس؛ استجابة إلى طلب بطريقها لأجل كتابة الصلح مع النصارى(٣).

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٠٩.

(٢) تقدم تخريجه، ص٢٣٣.

(٣) تقدم تخريجه، ص٢١٧.

ومن هنا يتبيَّن للداعية ضرورة وجود السلطة المنظمة والمساندة للدعوة، وإن لذلك دورًا كبيرًا في نجاحها واستمراريتها بإذن الله.

الضابط العاشر: القدرة.

لقد كان من ضوابط منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام القـــدرة، أي: القدرة العلمية والجسمية في مواجهتهم. قال الإمام الشـــوكاني -رحمـــه الله-: "وأما إذا علموا بالقرائن القوية أن الكفار غالبون لهم، مستظهرون عليهم، فعلـــيهم أن يتنكبوا عن قتالهم ويستكثروا من المجاهدين، ويستصرخوا أهل الإسلام، وقد اُســـتدل على ذلك بقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [(١)]. وهي تقتضـــي ذلك بعموم لفظها...ومعلوم أن من أقدم وهو يرى أنه مقتول، أو مأســـور، أو مغلوب فقد ألقى بيده إلى التهلكة"[(٢)].

ولذا نجد أن الخلفاء كانوا يختارون من الصحابة ﷺ من يكون لدية القدرة على المجادلة والحوار مع النصارى، بما تتوفر لديه من حجج وبراعة في الأسلوب وقوة في الإقناع وشجاعة في المواجهة وتمكنًا من عقيدة الخصم. ومن الصـــحابة الـــذين تم توجيههم لمواجهة النصارى وحوارهم أبوعبيدة ﷺ الذي قال عنه الرسول ﷺ: **(إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا -أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ- أَبُوعُبَيْدَةَ ابْنُ الْجَرَّاحِ)**[(٣)]. قال الإمام ابن حجـــر -رحمه الله-: "الأمين هو الثقة، وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غـــيره لكن السياق يُشعر بأن له مزيدًا في ذلك"[(٤)].

---

(١) البقرة، الآية: (١٩٥).

(٢) السيل الجرار (٥٢٩/٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٧١٤، رقم (٣٧٤٤)، كتاب فضائل الصـــحابة،باب: مناقب أبي عبيدة بن الجراح ﷺ.

(٤) إتحاف القاري، العدوي (١٧٣/٣).

كما تم اختيار أبي بكر الصديق ﷺ لخالد بن الوليد ﷺ لنجدة الصحابة ﷺ في الشام، وقال قولته المشهورة: (والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد)[1]؛ وذلك لعلمه بشجاعته وخبرته في أمور الحرب، وقد قال عنه الرسول ﷺ: (**سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ**)[2].

كما أرسل أبو عبيدة ﷺ معاذ بن جبل ﷺ لدعوة قائد الروم إلى الإسلام، وقد عُرف عن معاذ ﷺ أنه أعلم الناس بالحلال والحرام، كما قال الرسول ﷺ: (... **وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ...**)[3]. وقد بكى عمر بن الخطاب ﷺ والصحابة الكرام ﷺ على وفاة معاذ ﷺ وذهاب علمه، كما ذكر ذلك الأزدي حيث قال: (فلما أتى عمر ﷺ وفاة معاذ إثر أبي عبيدة جزع عليه جزعًا شديدًا، وبكى عمر -رحمه الله- عليه والمسلمون، وحزنوا عليه حزنًا شديدًا، وقال عمر ﷺ: رحم الله معاذًا، والله لقد رفع الله بهلاك معاذ من هذه الأمة علمًا جمًّا، ولرب مشورة له صالحة قد قبلناها منه ورأيناها أدت إلى خير وبركة، وربَّ علم قد أفادناه وخير قد دلنا عليه جزاه الله جزاء الصالحين)[4].كما أثنى أبو بكر الصديق ﷺ على قدرة عمرو بن العاص ﷺ حينما وجهه للشام قائلًا له: (يا عمرو، إنك ذو رأي وتجربة بالأمور وبصر بالحرب، وقد خرجت مع أشراف قومك ورجال من صلحاء المسلمين وأنت

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٦. صحيح تاريخ الطبري (١/٩٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٧١٦، رقم (٣٧٥٧)، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب خالد بن الوليد ﷺ.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، ص١٠٣٨، رقم (٣٨٠٠)، كتاب المناقب، باب: مناقب معاذ بن جبل. وقال: حسن صحيح. وذكره الإمام الذهبي في السير (١/٤٤٦)، وقال: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٤٨.

قادم على إخوانك، فلا تألهم نصيحة ولا تدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور)[١].

بالإضافة إلى القدرة العلمية، لا بد من توافر القدرة الجسمية والعددية؛ لمواجهة المخاطر التي قد تواجه الداعية مع النصارى بحيث يتصرف الداعية بحسب القدرة والاستطاعة، ولذا تردد عمر بن الخطاب ﷺ من موافقة عمرو بن العاص ﷺ على فتح مصر؛ لخوفه من عدم قدرة المسلمين على ذلك؛ لتفرق الجيوش الإسلامية في الشام، إضافة إلى ما كان يخشاه عمر ﷺ من التوسع في الفتح، وخاصة أن أقدام المسلمين لم تثبت بعد في البلاد التي فتحوها، فلم يزل عمرو ابن العاص ﷺ يهوّن عليه فتحها ويُعظم أمرها، ويبين له أن فتحها يعني تثبيت فتوحات المسلمين في الشام وفلسطين وتأمينها من ناحية الجنوب، فاقتنع عمر ووافق على طلب عمرو[٢].

كما رفض عمر بن الخطاب ﷺ ركوب البحر لمواجهة الروم؛ خوفًا على المسلمين. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "إن عمر كان يمنع الناس من ركوب البحر حتى كان عثمان، فما زال معاوية يستأذنه حتى أذن له"[٣].

ورفض خالد بن الوليد ﷺ خروج ميسرة بن مسروق ﷺ لمبارزة بطريق من بطارقة الروم في معركة اليرموك قائلًا له: (أنت شيخ كبير، وهذا الرومي شاب، ولا أحب أن تخرج إليه، فإنه لا يكاد الشيخ الكبير يقوى على الشاب الحديث السن...وأراد عمرو بن الطفيل أن يخرج إليه فقال له خالد: يا بن أخي، أنت غلام حديث السن، وأخاف ألا تقوى عليه...)[٤].

والقدرة لها أهميتها في نجاح الدعوة، خاصة إذا اجتمعت مع الخبرة. كما

---

(١) المرجع السابق، ص٤٠.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، حسن ابراهيم (١/٢٣٤).

(٣) إتحاف القاري، الأزدي (٢/٦٠٠).

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٧١. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٦٩).

كان معاوية ابن أبي سفيان ﷺ ذا خبرة في قتال الروم منذ أن اشترك في الفتوح الأولى أيام أبي بكر الصديق ﷺ، وحين آلت إليه الخلافة اســـتمر في ضـــرب الحدود الرومية، فكان يرسل الصوائف والشواتي، وهي جيوش تخرج كل عـــام في الصيف أو الشتاء تغير على الروم وتغزو بلادهم، وقد نجحت هذه الحملات في إرباك الروم وإضعافهم(١).

(١) انظر: الفتوح الإسلامية، العمري، ص١٦٤.

المطلب الثاني

ضوابط منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام المتعلقة بالمدعو

الضابط الأول: عدم الإكراه على الإسلام.

اقتضت حكمة الله ﷻ أن يكون المدعوين مختلفين في عقائدهم وأهدافهم. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(١). قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم"(٢). كما نص القرآن على عدم الإكراه في الإسلام، فقال سبحانه: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾(٣). قال الإمام البغوي -رحمه الله-: "قال قتادة وعطاء: نزلت في أهل الكتاب إذ قبلوا الجزية"(٤).

وقد كان عدم الإكراه من ضوابط منهج دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام، فإن المتتبع للوصايا والمعاهدات التي كانت بين الصحابة ﷺ وبين النصارى يجد أنها تنص على إعطاء الحرية الدينية للنصارى، فقد كان أبو بكرﷺ يوصي الجيوش الإسلامية الفاتحة بقوله: (وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)(٥). وجاء في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إلى أهل إيلياء (القدس) نص على حريتهم الدينية،

---

(١) هود، الآيتان: (١١٨-١١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٨١).

(٣) البقرة، الآية: (٢٥٦).

(٤) معالم التنزيل (١/٣٦٢).

(٥) تقدم تخريجه، ص٢٣٣.

وحرمة معابدهم وشعائرهم[1]، ومثله في كتاب عمرو بن العاص ﷺ لنصارى مصر[2]، وكتاب أبي عبيدة ﷺ الأمان لنصارى بعلبك[3].

إن هذه الحرية الدينية للنصارى جعلت النصارى يرحبون بالفتح الإسلامي ويطلبون بأنفسهم الصلح معهم، فقد كتب نصارى الشام إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ يقولون: (يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا)[4]. كما رحب القبط في مصر بالمسلمين، حيث وجدوا من عمرو بن العاص ﷺ أعظم التسامح؛ لأنه أنقذهم من الاضطهاد الديني، ومن عسف الروم وتنكيلهم بمخالفيهم في المذاهب، وحقق لهم الحرية الدينية التي يبتغونها. قال توماس: "ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة العرب قبل كل شيء إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي؛ لما عرفوا به من الإدارة الظالمة... فقد كانوا يُعذِّبون القبط ويلقون بهم في اليم...وقد جلب الفتح الإسلامي لهؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان، فقد تركهم عمرو أحرارًا على أن يدفعوا الجزية، وكفل لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية"[5].

ومن هنا نعلم أن المسلمين لم يمارسوا أي وسيلة للضغط على النصارى

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٣٠.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٣٤.

(٣) تقدم تخريجه، ص١٤٠.

(٤) تقدم تخريجه، ص١٠.

(٥) الدعوة إلى الإسلام، ص١٢٣.

لاعتناق الإسلام في البلاد المفتوحة، بخلاف النصارى، فإن الدولة الرومانية لما اعتنقت ملة النصرانية عملت على فرضها بالقوة وأكرهت الناس عليها.

الضابط الثاني: معرفة أحوال المدعوين ومراعاهًا.

اعتنى الصحابة ﷺ بمعرفة أحوال المدعوين من النصارى ومعرفة طبائعهم وعاداهم وثقافاهم؛ لتأليف قلوهم وجذب نفوسهم إلى الإسلام، وهذا الأمر لا يكون إلا بمخالطتهم والإحسان إليهم والعدل معهم وتحسس حوائجهم(١)، يدل عليه ما رواه أسلم مولى عمر ﷺ: (أن عمر بن الخطاب ضرب لليهود والنصارى والمجوس بالمدينة إقامة ثلاث ليال يتسوقون بها ويقضون حوائجهم ولا يقيم أحد منهم فوق ثلاث ليال)(٢). واستجاب الخليفة عثمان بن عفان ﷺ لطلب نصارى مصر في إرجاع ولاية عمرو بن العاص ﷺ بدلًا من عبدالله بن أبي السرح ﷺ؛ لأنه أعرف بحالهم وله هيبة في نفوس الأعداء، فعن يزيد بن حبيب قال: (كان عثمان عزل عمرو بن العاص عن مصر وجعل عليها عبد الله بن سعد، فلما نزلت الروم الإسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرًا حتى يفرغ من قتال الروم؛ لأن له معرفة بالحرب وهيبة في أنفس العدو، ففعل)(٣).

كما وحرص الصحابة ﷺ على مراعاة المدعوين من النصارى في فرض الجزية على حسب القدرة، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وهو ينازع الموت بعدما طعن يوصي الخليفة من بعده بأهل الذمة فيقول: (وأوصيه بذمة الله وذمة

---

(١) ولكن إذا يئس من دعوهم فلا ينبغي مخالطتهم. انظر: الفتاوى الشرعية، مجموعة من العلماء، ص١١٩.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الصغرى (٨/٤)، رقم (٢٩٤٣)، وعبد الرزاق (٥١/٦)، ورجاله ثقات وإسناده صحيح. انظر: جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ص٩٩.

(٣) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص١٣٧، وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف.

رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم)[١]. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "ويستفاد من هذه الزيادة ألا يؤخذ من أهل الجزية إلا قدر ما يطيق المأخوذ منه"[٢].

كما أن الجزية لم تكن مقيدة بجنس محدد، بل أخذها الصحابة ﷺ على حسب ما يقدرون عليها من دنانير أو دراهم أو نحو ذلك.

كما كان الصحابة ﷺ يراعون أهل الذمة في اشتراط الضيافة وذلك على حسب اليسر والعسر. قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-:" فكان عمر ﷺ يراعي في ذلك حال أهل الكتاب؛ كما كان يراعي حالهم في الجزية وفي الخراج. فبعضهم شرطها عليهم يومًا وليلة؛ وبعضهم شرطها عليهم ثلاثًا"[٣]. كما أن عمر ﷺ لم يشترط قدر الطعام المقدم للمسلمين في الضيافة، وإنما يرجع فيه إلى عادة كل قوم وعرفهم[٤].

وراعى الصحابة ﷺ اختلاف اللغة بينهم وبين النصارى، فكانوا يبعثون إليهم من العجم من يتكلَّم بلسانهم وبلغتهم، مع مراعاتهم لعاداتهم وأعرافهم.

وكان اختيار الخلفاء للقواد فيه؛ مراعاة لأحوال المدعوين أيضًا، حيث اختار أبو بكر الصديق خالدًا بن الوليد -رضي الله عنهما- لقيادة الجيوش، واختار عمر بن الخطاب أبا عبيدة -رضي الله عنهما-، لأن خالدًا كان شديدًا كعمر بن الخطاب، وأبا عبيدة كان لينًا كأبي بكر -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-

---

(١) تقدم تخريجه، ص٣٠٧.

(٢) إتحاف القاري (٢/٧١١).

(٣) أحكام أهل الذمة (٣/١٣٤٣).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣/١٣٤٥).

وكان الأصلح لكل منهما أن يولي من ولاه؛ ليكون أمره معتدلًا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "المتولي الكبير إذا كان خلقه يميل إلى اللين، فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى الشدة، وإذا كان خلقه يميل إلى الشدة، فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى اللين؛ ليعتدل الأمر"(١).

الضابط الثالث: الجدال بالتي هي أحسن.

لقد التزم الصحابة ﷺ بهذا الضابط في دعوتهم للنصارى، فجادلوهم بالتي هي أحسن، مما كان سببًا في إقبالهم على الإسلام، وتأثرهم بأخلاق دعاته من الصحابة ﷺ(٢).

الضابط الرابع: التدرج في الدعوة:

إن من يتأمل منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام، يجد أنهم راعوا ضابط التدرج في دعوتهم، والتدرج يعني الانتقال بالمدعو من الأسهل إلى الأصعب ومن الكليات إلى الجزئيات، ولأجل ذلك ابتدأ الصحابة ﷺ بدعوة النصارى إلى الإسلام وبيان حقيقته قبل قتالهم. قال الإمام النووي -رحمه الله-: إن من الواجب دعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم إن لم تكن بلغتهم دعوة الإسلام، وإن كانت بلغتهم فالدعاء مستحب(٣). فإن استجاب هؤلاء المحاربون إلى الإسلام وقبلوا دعوته وجب كف القتال عنهم. لقول النبي ﷺ: **(أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله)**(٤)، فإن امتنعوا عن

---

(١) الجهاد (٢٤١/١).

(٢) سبق الحديث عن الجدال، ص٢٧٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٠٧/٤).

(٤) أخرجه البخاري، ص٢٧٣، رقم (١٣٩٩)، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة.

الإجابة إلى الإسلام دعوهم إلى إعطاء الجزية، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[1]. فإن قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، فإن أبوا قبول الجزية استعانوا بالله عليهم وقاتلوهم، ملتزمين كافة آداب الحرب والقتال[2].

ومن شواهد حرص الصحابة ﷺ على التدرج في الدعوة، حينما نزل جيش المسلمين إلى اليرموك، لم يبدؤوا بالقتال مباشرة، فعن محمد وطلحة وعمرو بن ميمون قالوا: (ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك، بعث إليهم المسلمون: إنا نريد كلام أميركم وملاقاته، فدعونا نأته ونكلمه)[3]. واتضح التدرج في وصية أبي عبيدة لخالد بن الوليد -رضي الله عنهما- إذ قال: (القهم فادعهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فهو حظهم وكانوا قومًا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإن أبو فاعرض عليهم الجزية بأن يؤدوها عن يد وهم صاغرون، فإن أبو فأعلمهم أنا نناجزهم ونستعين الله عليهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)[4]. وحينما دخل عمرو بن العاص ﷺ ومعه جمع من الصحابة ﷺ إلى مصر، لقيهم أبو مريم ومعه الأسقف أبو مريام، فدعاهم عمرو بن العاص إلى الإسلام أو

---

(١) التوبة، الآية: (٢٩).

(٢) انظر: منهج الإسلام في الحرب والسلام، عثمان ضميرية، ص١٧٠. ركائز الدعوة إلى الله تعالى، فضل الهي، ص٤٠.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٥/٢). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٣٠١/٢)، وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٨٩/٣).

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٧٤. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٧١/٢).

الجزية أو القتال، وأمهلهم ثلاثة أيام و لم يستجيبوا ثم نشب القتال، فهزم أهل مصر، وقتل منهم عددًا كبيرًا[1].

الضابط الخامس: المساواة.

دعا الصحابة ﷺ إلى المعاملة الطيبة مع أهل الذمة من النصارى؛ لأنهم يشاركون المسلمين في الأصل الإنساني الذي يقتضي المساواة في الأمور الإنسانية[2]، فأعطى الصحابة ﷺ أهل الذمة حقوقهم الإنسانية كاملة، وكانوا خير مثال في ذلك. فقد أعطوهم حق الأمان في المجتمع الإسلامي، وحفظوا لهم أموالهم وأعراضهم، ورفقوا بهم، فاطمأن النصارى في حياتهم وعاشوا بحرية وسلام في ظل تلك المساواة، حتى قال نصارى حمص للمسلمين: (لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم)[3]. وسرعان ما دانت أكثر الشعوب النصرانية بالإسلام عن رغبة واختيار، وسرعان ما صارت البلاد المفتوحة موئلًا للإسلام، وأهلها دعاته وحملة لوائه.

---

(١) تقدم تخريجه، ص٨٤. انظر: التاريخ الإسلامي، محمود شاكر (٣/ ١٦٣).

(٢) إلا ما تعلق منها بشؤون الدين فيتركون وما يدينون، لا توقع عليهم الحدود الإسلامية فيما لا يحرمونه.

(٣) تقدم تخريجه، ص٢١٢.

الفصل الرابع

معوقات دعوة النصارى إلى الإسلام وسبل علاجهم لها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معوقات خارجية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام وسبل علاجهم لها.

المبحث الثاني: معوقات داخلية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام وسبل علاجهم لها.

تمهيد:

اقتضت حكمة الله ﷻ ألا يخلو طريق الدعوة من المعوقات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومن سنة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق"(١). ولقد تعرض الصحابة ﷺ إلى محن قاسية وتحملوا أعباء كبيرة؛ من أجل التمكين لهذا الدِّين القيِّم إلى الأرض، فخرجوا من قلب الجزيرة العربية إلى العالم أجمع يحملون لهم الدواء الناجع؛ لما كانت تعانيه الإنسانية من ضياع وتمزق غير عابئين بما ضحّوا في سبيل ذلك.

و لم يكن غريبًا أن يبذل النصارى جهودهم لتعويق الإسلام والقضاء عليه، من أجل ذلك واجه الصحابة ﷺ الكثير من المصاعب والمعوقات في سبيل تبليغ الدعوة الإسلامية إليهم.

وقبل البدء بسرد تلك المعوقات، رأيت أن من المناسب أن أبيِّن بإيجاز مفهوم المعوقات في اللغة والاصطلاح على النحو الآتي:

المعوقات في اللغة: من عاقه عن الشيء عوقًا: منعه منه وشغله عنه. ويقال: عاقه عن كذا: أي حبسه وصرفه عنه، فهو عائق، والجمع عوائق(٢).

المعوقات في الاصطلاح: العقبات والتحديات التي واجهت وشغلت الصحابة ﷺ في منهج دعوتهم للنصارى، سواء أكانت معوقات خارجية أم داخلية(٣).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥٧/٢٨).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٦٣٧/٢). معجم الصحاح،الجوهري، ص٧٥٦، مادة: عوق.

(٣) تعريف الباحثة.

وعلى أساس هذا التعريف قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: معوقات خارجية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام وسبل علاجهم لها.

المبحث الثاني: معوقات داخلية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام وسبل علاجهم لها.

المبحث الأول

معوقات خارجية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام وسبل علاجهم لها

لقد واجه الصحابة ﷺ في دعوتهم النصارى إلى الإسلام مجموعة من المشكلات الحسية والصعوبات الإدارية المتعلقة بالمحيط الخارجي للدعوة. يقول شكري فيصل: "بدأت العقبات تتضح وتنمو في طريق الدعوة، واتخذت هذه العقبات إشكالًا، لعل منها شدة المقاومة، ولعل منها كثرة العدد، ولعل منها ما سنرى من موقف العرب ومساندتهم للروم"(١).

ويمكننا بيان تلك المعوقات في ضوء المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

المعوقات الخارجية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام

ويتضمن مايلي:

١- التفوق العددي.
٢- مشكلة تنظيم الأوضاع في الولايات المفتوحة.
٣- حصانة المدن.
٤- العوامل الجغرافية.
٥- الخلافات السياسية والفتن.
٦- المشكلات الاقتصادية.

المطلب الثاني

سبل علاج الصحابة ﷺ للمعوقات الخارجية لدعوة النصارى إلى الإسلام.

ويتضمن مايلي:

---

(١) حركة الفتح الإسلامي، ص٣٩.

١- تمسك الصحابة ﷺ بالعقيدة.
٢- التوكل على الله ﷻ.
٣- تأييد الله ﷻ لعباده المؤمنين.
٤- الدعاء.
٥- محاربة المرتدين.
٦- التنظيم والتخطيط.
٧- طلب الإمدادات.
٨- رفع المعنويات.
٩- الاستفادة من جميع وسائل الحرب.
١٠- استخدام نظام تعبئة الجيش.
١١- التعاون.
١٢- أخذ الحيطة والحذر.
١٣- بث العيون الاستطلاعية.
١٤- فرض الحصار.
١٥- شجاعة الصحابة ﷺ.
١٦- اهتمام الصحابة ﷺ بحماية الحدود.

المطلب الأول

المعوقات الخارجية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام

١- التفوق العددي لجيوش الروم:

إن من أكبر المعوقات التي عانى منها الصحابة ﷺ مواجهتهم لدولة الروم التي تعد من أقوى وأكبر الدول في ذلك الوقت من حيث العدد والخبرة الإدارية والعسكرية، وقد وصفهم عبد الرحمن بن عوف ﷺ[1] فقال: (يا خليفة رسول الله! إنها الروم وبنو الأصفر حد حديد وركن شديد)[2]. وهذا الأمر أصاب المسلمين بالهيبة من غزوهم، فحينما حض أبو بكر ﷺ الصحابة ﷺ لغزو الروم قائلًا: (فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمِّر عليكم أمراء وعاقد لكم ألوية فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. قال: فسكت الناس، فو الله ما أجابه أحد؛ هيبة لغزو الروم؛ لما يعلمون من كثرة عددهم وشدة شوكتهم...)[3].

ولقد بعثت جيوش الروم في معركة اليرموك الهيبة في نفوس المسلمين؛ لكثرة من خرج معهم. عن خالد وعبادة وأبي حارثة قالوا: (وأوعب[4] القواد بالناس

---

(١) عبدالرحمن بن عوف القرشي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، شهد المشاهد كلها، مات سنة ٣٢هـ. انظر: الإصابة، ابن حجر (٢٩٣/٤).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٣/٢). وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٦٦٩/٥). وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (١٩٢/٢٥)، والكلاعي في الاكتفاء (١٦٩/٢).

(٣) سبق تخريجه، ص١٩٣.

(٤) أوعب: خرجوا كلهم للغزو. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١٠٤٢/٢)، مادة: وعب.

نحو الشام، وعكرمة رِدء[1] للناس، وبلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل، وخرج هرقل حتى نزل بحمص فأعد لهم الجنود، وعبى لهم العساكر، وأراد اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله، وأرسل إلى عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه، فخرج نحوهم في تسعين ألفًا، وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلق[2] بأعلى فلسطين، وبعث جرجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة، وبعث الفيقار بن نسطوس في ستين ألفًا نحو أبي عبيدة، فهابهم المسلمون، وجميع فرق المسلمين واحد وعشرون ألفًا سوى عكرمة في ستة آلاف)[3].

كما خاف المسلمون على أنفسهم من الهلاك بسبب أعداد الروم الهائلة في وقعة قنسرين، فحينما بعث أبوعبيدة ميسرة بن مسروق -رضي الله عنهما- (وكان ميسرة في ألفي فارس من المسلمين وكان أولئك أكثر من ثلاثين ألفًا من الروم، وكان ميسرة قد أشفق على من معه وخاف على نفسه وعلى أصحابه الهلاك فإنهم لكذلك، إذ طلع عليهم الأشتر في ثلاثمائة فارس... فهزمهم)[4].

كما ظهرت كثرة الروم في فتح حمص، حيث أعد هرقل ملك الروم جيشًا عظيمًا لإعاقة المسلمين عن هدفهم[5]. وأثناء فتح الإسكندرية واجه الصحابة

---

(١) ردءًا: عونًا. معجم الصحاح، الجوهري،ص٤٠٠، مادة: ردأ.

(٢) ثنية جلق: لفظة أعجمية، وهي دمشق نفسها، وقيل: موضع بقرية من قرى دمشق. انظر: معجم البلدان، الحموي (١٥٤/٢).

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥١. وذكره محقق الكتاب في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٨٠/٣). واختلفت الروايات في العدد الفعلي للمسلمين والروم، واتفقت في مجملها على التفوق العددي للروم.

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢١٥. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٩١/٢).

(٥) انظر: فتوح البلدان، البلاذري، ص١٣٦.

ﷺ أثناء زحفهم جموعًا كبيرة من الروم، حاولت عرقلة المسلمين ومنع وصولهم إليها(١).

قال الإمام ابن عبد الحكم-رحمه الله-:" بلغت قوات العرب أثناء الزحف على الإسكندرية نحوًا من عشرين ألفًا فيما يؤكده أكثر المؤرخين، بينما كان يقابلهم خمسون ألفًا من البيزنطيين يحمون الإسكندرية، ويساندهم في دفاعهم القوي الراسي أسطولهم في قاعدتها الحربية الكبرى"(٢).

ومن هذه المواقف وغيرها نلحظ أن النصارى اتخذوا الحرب وكثرة الجيوش وسيلة لإطفاء نور الإسلام.

٢- مشكلة تنظيم الأوضاع في الولايات المفتوحة:

واجهت الدولة الإسلامية بعض من المشكلات الإدارية؛ نتيجة التوسع والفتوحات خارج الجزيرة العربية، خاصة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ الذي تميَّز بكثرة الفتوح وتوسُّع نطاقها، فعندما تسلَّم عمر مهام الخلافة تزايدت المشاكل والمسؤوليات التي كانت تواجه الخليفة، كالمشكلات المالية والعسكرية وغيرها(٣).

٣- حصانة المدن:

لقد عانى الصحابة ﷺ من عقبة حصانة المدن الرومية، ومن تلك الحصون حصن دمشق الذي ظل الصحابة يحاصرونه مدة طويلة؛ لأنها كانت محصنة بسور عظيم مبني بالحجارة الضخمة وكان ارتفاعه ستة أمتار تقريبًا، وسماكته خمسة

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٨.

(٢) فتوح أفريقيا والأندلس، ابن عبدالحكم، ص٨.

(٣) محاضرات في تاريخ صدر الإسلام،محمد الشريف، ص٥٩.

أمتار، فكان من الصعب جدًّا اقتحامه بأي وسيلة كانت. كما أن حول السور من خارجه خندقًا فيه ماء غزير، فكان لا بد لمن أراد الوصول أن يسبح في الماء. كما ظلت قيسارية ممتنعة من المسلمين نحوًا من سبع سنين؛ لمناعة أسوارها[١]. كما عانى الصحابة ﷺ من فتح حصن بابليون. قال الإمام السيوطي -رحمه الله-:" وكانوا قد خندقوا حول حصنهم، وجعلوا للخندق أبوابًا، وجعلوا سكك الحديد موتدة[٢] بأفنية الأبواب... وهذه التحصينات المنيعة كان لها دور في تأخر الفتح على المسلمين. قال الليث ابن سعيد ﷺ: "وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر"[٣].

كذلك واجه الصحابة ﷺ الحصون المنيعة لمدينة الإسكندرية وأسوارها الشاهقة[٤]. كما أن عمرو بن العاص ﷺ عانى من مواجهة حصون مدينة طرابلس[٥] حينما توجه إليها فاتحًا لمناجزة الروم ومناهضة من بها منهم، فقد حاصرها شهرًا وهو لا يقدر عليها؛ لأنها ذات حصون منيعة وأسوار حصينة تحيط بها من جميع الجهات، بالإضافة إلى يقظة الروم الذين يتولون الدفاع عنها[٦].

٤- العوامل الجغرافية:

كان الصحابة ﷺ يعانون من بعض العوامل الجغرافية التي تجعل من أدائهم

---

(١) انظر: الخلفاء الراشدون، الحميدي، ص٢٣١. الفتوح الإسلامية، العمري، ص١٣٤. التاريخ الإسلامي، الحميدي (١١١/٦).

(٢) موتدة: مثبتة. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١٠٠٩/٢) مادة: وتد.

(٣) حسن المحاضرة، السيوطي (١٠٨/١).

(٤) انظر: فتوح مصر،ابن عبدالحكم، ص١١٨، جولة تاريخية، محمد الوكيل، ص٢٤٧.

(٥) طرابلس: عاصمة ليبيا. معجم البلدان، الحموي (٢٥/٤).

(٦) انظر: تاريخ شمال افريقية، الثعالبي، ص٣٠.

لمهمتهم أمرًا أصعب، كطبيعة بعض الأماكن والبلدان، ومن ذلك ما حصل للمسلمين في فحل. قال ابن إسحاق: (لما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فحل من أرض الأردن، وقد اجتمعت فيها رافضة الروم، والمسلمون على أمرائهم، وخالد على مقدمة الناس. فلما نزلت الروم بيسان بثقوا[1] أنهارها؛ وهي أرض سبخة[2]، فكانت وحلًا[3]، ونزلوا فحلًا- وبيسان بين فلسطين وبين الأردن- فلما غشيها المسلمون ولم يعلموا بما صنعت الروم، وحلت[4] خيولهم، ولقوا فيها عناء، ثم سلمهم الله)[5].

كما كان لطبيعة الأراضي المصرية دور في تأخر الفتح على المسلمين، إذ لما سار الصحابة ﷺ لفتح حصن بابليون طال حصارهم لها لمدة سبعة أشهر تقريبًا؛ وذلك لعدة أسباب منها فيضان النيل[6].

وعانى المسلمون من برودة الطقس في بعض المناطق، كما حصل في حمص. عن أبي عثمان قال: (وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حمص، وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها، فكانوا يغادون[7] المسلمين ويراوحونهم في كل يوم بارد؛ ولقي

---

(١) بثقوا: أي خرقوا وشقوا وفجروا. انظر: معجم الصحاح، الجوهري،ص٧٢، مادة بثق.

(٢) سبخة: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص٤٠٧.

(٣) وحلًا: أي طينًا. انظر: المصباح المنير،الفيومي،ص٢٤٩، مادة: وحل.

(٤) وحلت: وقعت في الوحل. انظر: القاموس المحيط،الفيروز آبادي، ص١٠٦٧، مادة: وحل.

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٦٥. وذكره محقق الكتاب في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (١٣٣/٣).

(٦) تاريخ الإسلام، حسن ابراهيم (٢٣٦/١).

(٧) يغادون: من الغدو وهو نقيض الرواح. انظر: معجم الصحاح، الجوهري، ص٧٦٥، مادة: غدو.

المسلمون بها بردًا شديدًا، والروم حصارًا طويلًا، فأما المسلمون فصبروا ورابطوا، وأفرغ الله عليهم الصبر، وأعقبهم النصر...)(١).

وكذلك البرد عند فتح بيت المقدس. يقول حسن إبراهيم: "نزلت المنجنيقات التي نصبها الروم على أسوار بيت المقدس خسائر فادحة بالعرب الذين قاسوا الأمرّين من شدة البرد"(٢).

كما واجه الصحابة ﷺ صعوبة بُعد بعض المناطق الجغرافية عن مركز الخلافة، كمنطقة أفريقية مثلًا، ولذا تردد الصحابة ﷺ في إرسال القادة إليها؛ لجهلهم بمخاطرها(٣).

٥- الخلافات السياسية والفتن الداخلية:

إن ظهور الفتن كان لها دور واضح في انشغال الصحابة ﷺ عن الفتوحات الإسلامية للبلاد الرومية، فبعد وفاة الرسول ﷺ ظهرت حركة الارتداد عن الإسلام والامتناع عن دفع الزكاة، وظهور العصبية التي دفعت بعضًا منهم إلى ادعاء النبوة. عن الزبير ابن العوام ﷺ قال: (لما بويع أبو بكر ﷺ وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه، قال: ليتم بعث أسامة، وقد ارتدت العرب، إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت(٤) اليهود والنصارى...)(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٢٥، وخليفة بن خياط في تاريخه ص١٣٠، والبلاذري في فتوح البلدان، ص١٧٨، وإسناده ضعيف. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٢٠٦).

(٢) تاريخ الإسلام (١/٢٣٠).

(٣) تاريخ الإسلام (١/٢٦١).

(٤) اشرأبت: ارتفعت وعلت. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ص٤٦٦.

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٤٩٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/٣١٥)، وإسناده ضعيف. انظر: ضعيف تاريخ الطبري (٨/٢٦).

كما شهد أواخر عصر عثمان بن عفان ﷺ ظهور تمرد سياسي، القصد منه القضاء على الخلافة، وإشاعة الفوضى في صفوف المسلمين، وإشغالهم عن القيام بالدعوة، وأثمرت تلك الفتن عن قتل الخليفة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-، وظهور العديد من الفتن والبدع والتيارات الفكرية المنحرفة، مثل: الخوارج وما قاموا به من أعمال عنف دامية أضرت بمسيرة منهج دعوة الصحابة ﷺ [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن مقتل عثمان: "فلما قتل ﷺ تفرقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار، وذل الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزًا عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وهو أحق الناس بالخلافة حينئذٍ وأفضل من بقي، لكن كانت القلوب متفرقة ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة و لم تنتظم الجماعة، و لم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير، ودخل في الفرقة والفتنة أقوام، وكان ما كان، إلى أن ظهرت الحرورية[2] المارقة مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، فقاتلوا أمير المؤمنين عليًّا ومن معه؛ فقتلهم بأمر الله ورسوله..."[3].

فانشغل الصحابة ﷺ في مواجهة تلك الأحداث الداخلية ومعالجة الفتن، فتوقفت

---

(١) الخوارج: من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام، انقسمت إلى عدة فرق، ومن أصولهم تكفير مرتكب الكبيرة. الموسوعة، الندوة العالمية (١٠٥٣/٢).

(٢) الحرورية: هم طائفة من الخوارج تُنسب إلى حروراء بقرب الكوفة؛ لأنه كان بها أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا عليا. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١٦٥/١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٥/٢٥).

على إثرها حركة الجهاد والفتوحات في عهد الخليفة علي ﷺ التي كانت سمة بـــارزة لعصر من سبقه من الخلفاء الراشدين ﷺ، ولم تسجل كتب التاريخ فتوحات جديدة في خلافة علي ﷺ، لكن بالرغم من تلك الأحداث والفتن، فإنه قد تمـــت المحافظـــة على ما تم فتحه، وكان ولاة الأطراف متيقظين لمواجهة العدو، وكذا المرابطـــون في الثغور يقومون بواجب الحراسة والحماية(١).

٦- المشكلات الاقتصادية:

إن من المشكلات التي واجهت الدعوة الإسلامية في عصـــر الصـــحابة ﷺ بعض المشكلات الاقتصادية المتعلقة بمعالم الحياة اليومية لسكان البلاد المفتوحة، والتي تُمثِّل عنصرًا مهمًّا لاستقرار الأوضاع فيها. ولعـــل مـــن أهـــم تلـــك المشكلات، مشكلة استغلال الأراضي الزراعية التي فتحتها جيوش المســـلمين، ومصير أهلها المقيمين عليها.

٧- التهيب من استخدام وسائل جديدة في الدعوة:

كان الصحابة ﷺ حديثي عهد بركوب البحر والقتال فيه، فكانوا يتهيَّبون هـــذا الأمر، على العكس من الروم الذين كانت لهم ثقة بخبرتهم البحرية، فقد كـــانوا هـــم أهل البحر منذ القدم، وقد مرُّوا بتجارب طويلة في الحروب البحرية، فكانوا يتـــأملون النصر؛ لممارستهم أحواله وفنونه، ولعلمهم بحداثة عهد المسلمين به، فاستغل الـــروم ذلك في إيقاع المزيد من الهجمات على المسلمين من خلال المناطق الساحلية.

٨- انحياز نصارى العرب مع الروم:

لقد كان نصارى العرب ينحازون إلى الروم ويتعاونون معهم ضد المسلمين منذ

---

(١) انظر: الخلفاء الراشدون من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، ص٥٥٦.

عصر الرسول ﷺ. كما كانت الروم في عصر الصحابة رضي الله عنهم تحارب هؤلاء المستنفرين العرب في المواقع المختلفة. فقد استنفر الروم القبائل العربية لمواجهة المسلمين في تيماء[1]. عن المغيرة ومحمد عن أبي عثمان قالوا: (فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، وبنزول من استنفرت الروم، ونفر إليهم من بهراء، وكلب[2]، وسليح[3]، وتنوخ، ولخم[4]، وجذام[5]، وغسان...)[6]. وفي معركة اليرموك جمع هرقل جموعًا كثيرة من الروم وأهل الشام وأهل الجزيرة وأرمينية، وولى عليهم رجلًا من خاصته، وبعث على مقدمته جبلة بن الأيهم الغساني في مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم، وعزم على محاربة المسلمين[7].

كما كان نصارى العرب يحرضون الروم على المسلمين، فحينما حاصر المسلمون حمص اتصل النصارى من عرب الجزيرة بهرقل وحرضوه على

---

(١) تيماء: بليد من أطراف الشام ين الشام ووادي القرى. معجم البلدان، الحموي(٢/٦٧).

(٢) كلب: بطن من القحطانية. المرجع السابق (٣/٩٩١).

(٣) سليح: بطن من قضاعة من القحطانية. معجم البلدان (٢/٥٤٠).

(٤) لخم: وهي إحدى قبائل العرب القحطانية اليمانية الأصل. انظر: معجم قبائل العرب، كحالة (٣/١٠١١).

(٥) جذام: إحدى قبائل العرب القحطانية اليمانية الأصل. انظر: المرجع السابق (١/١٧٤).

(٦) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٧١)، وإسناده ضعيف وله ما يؤيده. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٧٧).

(٧) انظر: فتوح البلدان، البلاذري، ص٨٦. تاريخ الطبري، ص٤٣٠. وقد وجد الرومان في الغساسنة حلفاء أقوياء يمكن الاعتماد عليهم في حروبهم مع المسلمين، وكان سلطان الغساسنة قد امتد إلى قسم كبير من بلاد الشام، وقد اعتنق الغساسنة المسيحية في غضون القرن الرابع الميلادي وقاموا بدور ملحوظ في نشرها بين العرب، وخصوصًا في إقليم الشام ومدينة نجران واليمن ، وكان للغساسنة دور في السيطرة على قبائل عربية كثيرة، كلخم وجذام وكلب وجهينة وتنوخ وغيرها. انظر: المسلمون والروم في عصر النبوة، عبدالرحمن سالم، ص٤٥.

استخلاصها وأمدوه، ووعدوه المقاومة عن أنفسهم، فتشجع الروم على التحرك المضاد ضد القوات الإسلامية الزاحفة(١).

بل إن النصارى كانوا يستخدمون نصارى العرب في التجسس والتطلـــع، كما حصل في موقعة أجنادين، ذكر ذلك الإمام الطبري -رحمه الله- عن عروة قال: (لما تدانى العسكران بعث القبقلار رجلًا عربيًا -قال: فحدثت أن ذلـــك الرجل رجل من قضاعة(٢) من تزيد ابن حيدان يقال له ابن هزارف- فقـــال: ادخل في هؤلاء القوم، فأقم فيهم يومًا وليلة ثم ائتني بخبرهم. قـــال: فـــدخل في الناس رجل عربي لا ينكر، فأقام فيهم يومًا وليلة، ثم أتاه فقال له: مـــا وراءك؟ قال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجِم؛ لإقامة الحق فيهم. فقال له القبقلار: لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن حظيَّ من الله أن يخلِّي بيني وبينـــهم، فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي)(٣).

---

(١) انظر: أثر أهل الكتاب في الفتن، جميل المصري، ص٢٠٧.

(٢) قضاعة: قبيلة عربية قديمة، واختلف النسابون فيهم، منهم من يقول: إنهم من حمير من القحطانية، وذهب بعضهم إلى أن قضاعة من العدنانية. معجم قبائل العرب ، كحالة (٣/٩٥٧).

(٣) تقدم تخريجه، ص٢١١.

المطلب الثاني

سبل علاج الصحابة ﷺ للمعوقات الخارجية لدعوة النصارى إلى الإسلام

إن النقلة السريعة التي نقل بها الإسلام جماعة الصحابة ﷺ تدل على عظمة عقيدة التوحيد في النفوس التي ما إن تستقر في النفوس حتى تتحول إلى حركة ساعية إلى الخير لا تبالي بالمصاعب والمشقات، ولذا فإن الصحابة ﷺ سعوا إلى علاج تلك المعوقات بكل قوة وشجاعة وصبر؛ حتى تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدِّين كله لله. ومن سبل علاج الصحابة للمعوقات الخارجية للدعوة ما يلي:

١- تمسك الصحابة ﷺ بالعقيدة الصحيحة:

إن المتأمل في مواقف الصحابة ﷺ في معاركهم مع الروم يجد أن الانتصار يكون حليفهم في كل مرة على الرغم من قلة عدد المسلمين مقارنة بعدد الروم وخبرتهم في بعض الأمور، وما ذلك إلا دلالة واضحة على تفوق العقيدة الصحيحة على الخبرة العسكرية.

إن العقيدة الصحيحة هي القاعدة الصلبة التي ينطلق من خلالها الداعية في ميدان الدعوة، ولقد تغلغلت هذه العقيدة في نفوس الصحابة ﷺ في مواجهتهم للنصارى، فكانت السبب بعد الله ﷻ في التغلب على معوقات دعوتهم، فهذا شرحبيل بن حسنة ﷺ وهو في موقعة اليرموك يقاتل الروم إلى جنب سعيد بن زيد ﷺ، فلما انكشف عنه أصحابه ثبت وهو يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]. أين الذين يبيعون

---

(١) التوبة، الآية: (١١١).

أنفسهم ابتغاء مرضاة الله؟ وأين المشتاقون إلى جوار الله في داره؟)[1].

وهذا عبادة بن الصامت ﷺ يقول للمقوقس بصوت كله ثقة وإيمان: (يا هـذا، لا تغرن نفسك وأصحابك ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم، فلعمري ما كان هذا بالذي تخوِّفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه... إن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2]. وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساءً أن يرزقه الشهادة...)[3].

ولما أقبل خالد بن الوليد ﷺ من العراق قال رجل من نصارى العرب: (ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال خالد: ما أقل الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان؛ لا بعدد الرجال...)[4].

كما تغلبت العقيدة الصحيحة على الخبرة العسكرية في غزوة ذات الصواري بقيادة عبد الله بن أبي السرح ﷺ حيث قتل من الروم مقتلة لم يقتلوا مثلها قط، وفرَّ القائد الرومي من المعركة بالرغم من أن المسلمين حديثو عهد بركوب البحر، والروم هم أهل البحر منذ القدم، وبالرغم من كثرة مراكب الروم مقارنة بالمسلمين[5].

إن العقيدة الصحيحة التي ملأت قلوب الصحابة ﷺ جعلتهم يثقون بنصر

---

(١) تقدم تخريجه، ص٣١٠.

(٢) البقرة، الآية: (٢٤٩).

(٣) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٣. وأورده المحقق في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٨٥).

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/٢٢٥).

الله ﷻ لهم، بغض النظر عن العدد والخبرة العسكرية. وهذا ما اعترف به قائد الروم حينما بلغه هزيمة جيشه إذ قال: (قد كنت أعلم أنهم سيهزمونكم. فقال له بعض جلسائه: ومن أين علمت ذلك أيها الملك؟ قال من حيث إنهم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة، ويرغبون هم الآخرة أشد من رغبتكم أنتم في الدنيا، فلا يزالون ظاهرين ما كانوا هكذا)(١).

إن تمسك الصحابة ﷺ بعقيدتهم الصحيحة ودفاعهم عنها بكل شجاعة بثّ في نفوس الروم الخوف والهلع، لدرجة أن الروم حاولوا مساومة المسلمين بالمال ونحوه لأجل العدول عن محاربتهم، فهذا معاذ بن جبل ﷺ يعرض عليه قائد الروم في فحل عروضًا مغرية فيقول له: (نعطيكم البلقاء وما والى أرضكم من سواد الأردن، وتنحَّوا عن بقية أرضنا وعن مدائننا، ونكتب عليكم كتابًا نسمي فيه خياركم وصلحاءكم، ونأخذ فيه عهودكم ومواثيقكم على ألا تطلبوا من أرضنا غير ما صالحناكم عليه)(٢).

ومن هنا نصل إلى ضرورة تمسك الداعية بالعقيدة الإسلامية في منهج دعوته للنصارى إلى الإسلام، إذ هي السبيل -بعد الله- لعلاج ما قد يعتري الداعية من معوقات في دعوته.

٢- التوكل(٣) على الله والثقة بالنصر:

تغلَّب الصحابة ﷺ على أغلب الصعوبات التي واجهوها في دعوة النصارى إلى الإسلام، بالتوكل على الله ﷻ مع الأخذ بالأسباب والثقة بنصر الله ﷻ

---

(١) تقدم تخريجه، ص٣١٤.

(٢) تقدم تخريجه، ص٢٨٩.

(٣) التوكل: هو الاعتماد على الله بفعل المطلوب وزوال المكروه مع فعل الأسباب المأذون بها. القول المفيد، ابن عثيمين، (٢/١٨٥).

حتى لو قلَّ عددهم وضعفت إمكانياتهم، إذ النصر ليس معلَّقًا بذلك. قال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(١). واتضح التوكل في مقولات الصحابة ﷺ، ومن ذلك ما كتبه خالد ابن الوليد إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- بفتح الله ﷻ يوم أجنادين، وكان مما قاله: (فإني أخبرك -أيها الصديق- أنَّا التقينا والمشركون، وقد جمعوا لنا جموعًا كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعنَّاهم بالرماح ثم صرنا إلى السيوف فقارعنهم بها، ثم إن الله أنزل نصره وأنجز وعده وهزم الكافرين...)(٢).

كما كانت حوارات الصحابة ﷺ مع النصارى لا تخلو من عبارات التوكل. قال معاذ بن جبل ﷺ لقائد الروم في وقعة فحل: (وأما قولكم: جنودنا كثيرة، فإنها وإن عظمت وكثرت حتى تكون أكثر من نجوم السماء وحصى الأرض، فإنا لا نثق بها ولا نتكل عليها ولا نرجو النصر على عدونا بها، ولكن نتبرأ من الحول والقوة، ونتوكل على الله ﷻ، ونثق بربنا، فكم من فئة قليلة قد أعزها الله ونصرها وأغناها، غلبت فئة كثيرة بإذن الله! وكم من فئة كثيرة قد أذلها الله وأهانها!)(٣).

كما أن الصحابة لا يكتفون بالتوكل على الله ﷻ دون اتخاذ الأسباب، فحينما وافق الخليفة عثمان ﷺ على غزو المسلمين للبحر درس الموضوع دراسة

---

(١) البقرة، الآية: (٢٤٩).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٨٠. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٠٤).

(٣) تقدم تخريجه، ص٨٤.

متأنية واستعان بخبرة أهل الذمَّة من النصارى في صناعة السفن وبناء أسطول بحري كان له دور في حماية ثغور المسلمين البحرية، وإعانة لهم على مزيد من الفتوحات.

٣- تأييد الله ﷻ لعبادة المؤمنين:

لقد أيَّد الله عباده المؤمنين في مواطن كثيرة وبوسائل متعددة، مما كان له الأثر الكبير في التغلب على معوقات الانتصار على الروم، ومن تلك التأييدات:

أ- تبشير الرسول ﷺ صحابته بانتصارهم على الروم:

بشَّر الرسول ﷺ صحابته بالانتصار على الروم. عن أبي هريرة ؓ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **(إذا هلكَ كِسرَى[١] فلا كسرَى بعدَه، وإذا هلكَ قَيصَرُ فلا قَيصرَ بعده. والذي نفس محمد بيدِه، لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله)**[٢].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: "قال الشافعي وسائر العلماء: معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه ﷺ، فعلَّمنا ﷺ بانقطاع ملكهما في هذين الإقليمين، فكان كما قال ﷺ، فأما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الأرض وتمزق ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة رسول الله ﷺ، وأما قيصر فانهزم من الشام ودخل أقاصي بلاده فافتتح المسلمون

---

(١) قال الإمام ابن حجر: "كسرى: لقب لكل من ولي مملكة الفرس، وقيصر: لقب لكل من ولي مملكة الروم، وقد استشكل هذا مع بقاء مملكة الفرس؛ لأن آخرهم قتل في زمن عثمان، واستشكل أيضًا مع بقاء مملكة الروم، وأُجيب عن ذلك بأن المراد لا يبقى كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام وهذا منقول عن الشافعي". إتحاف القاري (١٢٤/٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٩٦، رقم (٣١٢٠) كتاب فرض الخمس، باب: قول النبي ﷺ (أحلت لكم الغنائم).

بلادهما واستقرت للمسلمين ولله الحمد"[1]. كما بشَّر الرسول ﷺ صحابته بفتح مصر، فقال: (**إنكم سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا...**)[2].

قال الإمام النووي -رحمه الله-:" وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ، منها: إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومنها أنهم يفتحون مصر)[3].

ب- توظيف الرؤيا الصالحة[4]:

إن الصحابة رضي الله عنهم كما نصروا بالرعب فقد نصروا بالمبشرات عن طريق الرؤيا الصالحة. قال الرسول ﷺ: (**لَمْ يَبْقَ مِنْ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ. قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**)[5]. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يرون في منامهم ما يبشرهم بالفتح، ومن ذلك رؤيا شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه التي ذكرها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قبيل معركة اليرموك، إذ قال:(يا خليفة رسول الله، رأيت فيما يرى النائم كأنك في جماعة من المسلمين كثيرة وكأنك بالشام ونحن معك، إذ استقبلنا النصارى بصلبها والبطارقة بكتائبها وانحطوا عليك من كل حدب وشرف كأنهم السيل، فاعتصمنا بلا إله إلا الله وقلنا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم نظرنا فإذا نحن بالقرى والحصون من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وإذا

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٤٢/٦).

(٢) تقدم تخريجه، ص٣٥٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٩٧/١٦).

(٤) كان الصحابة رضي الله عنهم يستأنسون بالرؤيا ولا يجعلونها مصدرا للتلقي والمعرفة كالصوفية، الذين يرتبون على المنامات أحكاما شرعية واعتقادات دينية ليست صحيحة.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص١٣٣٥، رقم (٦٩٩٠)، كتاب التعبير، باب: المبشرات.

نحن برجل قد أتانا حتى نزل على شاهقة في الجبل ثم أخرج كفه وأصابعه فإذا هي نار ثم أوري بها[1] إلى ما استقبله من الحصون والقرى، فصارت نارًا تأجج، ثم أنها خبت فصارت رمادًا، ثم نظرنا إلى ما استقبلنا من نصاراهم وبطارقتهم وجموعهم، فإذا الأرض قد ساخت[2] بهم، فرفع الناس رؤوسهم وأيديهم إلى الله ربهم، يحمدونه ويمجدونه ويشكرونه ثم انتبهت، فقال أبوبكر – رحمه الله–: نامت عينك، هذا بشرى من الله ﷻ وهو الفتح إن شاء الله...)[3]. ومثلها رؤيا أبي عبيدة ﵁ إذ قال: (أيها الناس، أبشروا فإني رأيت في ليلتي هذه فيما يرى النائم كأن رجالًا أتوني فحفوا بي وعلي ثياب بيض ثم دعوا لي رجالًا منكم أعرفهم، ثم قالوا لنا: أقدموا على عدوكم ولا تهابوهم، فإنكم الأعلون، وكأنا مضينا إلى عسكر عدونا فلما رأونا قاصدين إليهم انفرجوا لنا انفراج الرأس، وجئنا حتى دخلنا عسكرهم وولوا مدبرين. فقال له الناس: أصلحك الله! نامت عينك، هذه بشرى من الله بشَّرك الله بالخير)[4].

ج- تأييد الله عز وجل للصحابة ﵃ بتحقيق النصر:

اتضح تأييد الله ﷻ بالنصر للصحابة ﵃ في جميع المواقع التي شهدوها مع النصارى، بالرغم من الصعوبات التي واجهوها معهم، وكانوا يبعثون البشارة بالنصر إلى الخليفة في المدينة. ولنأخذ مثالًا على ذلك: رسالة خالد بن الوليد ﵁ إلى الخليفة أبي بكر الصديق ﵁ حيث قال: (بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله أبي بكر خليفة

---

(١) أوري بها: أي أوقدها. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١٠٢٨/٢)، مادة: ورى.

(٢) ساخت: انخفست. انظر: القاموس المحيط، ص٢٥٣. مادة: السنخ.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٠. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٧٤/٢).

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٩٠. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٨٠/٢).

رسول الله ﷺ، من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على المشركين. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإني أخبرك -أيها الصديق- أنّا التقينا نحن والمشركون، وقد جمعوا لنا جموعًا جمة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعنّاهم بالرماح ثم سرنا إلى السيوف فقارعناهم بها، ثم إن الله أنزل نصره وأنجز وعده وهزم الكافرين، فقتلناهم من كل فج وشعب...فأحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنع لأوليائه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[1].

وهكذا ظهر تأييد الله ﷻ للدعاة الفاتحين في كل زمان ومكان؛ إظهارًا لكلمة الحق، وإعلاءً لكلمة التوحيد، ودحرًا للنصارى المشركين.

٤- الدعاء:

لقد كان دعاء الله ﷻ والالتجاء إليه والإكثار من ذكره سبحانه من أعظم الأسلحة التي استخدمها الصحابة ﷺ في مواجهة جميع ما يقف في وجه دعوة النصارى من مصاعب ومشقات، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٨٠، وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٠٤)، والهندي في مجموعة الوثائق السياسية (١/٣٩٥).

(٢) الأنفال، الآيتان (٤٥-٤٦).

ففي معركة اليرموك جعل معاذ بن جبل ﷺ كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول: (اللهم زلزل أقدامهم وأرعب قلوبهم وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى وحبب إلينا اللقاء ورضنا بالقضاء...)(١). وروى سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: (لما جلنا هذه الجولة سمعنا صوتًا قد كان يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات، يا لمعشر المسلمين! فتعطفنا عليه فإذا هو أبو سفيان بن حرب)(٢). كما وأنه في الليلة التي تسبق معركة الصواري بات الصحابة ﷺ يدعون الله ﷻ ويصلون، فنصرهم الله على عدوهم بسبب دعائهم وتوكلهم على ربهم وأخذهم بأسباب النصر. وكان أبو سفيان ﷺ يقف على الجيش في اليرموك ويقول: (اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك)(٣).

٥- محاربة المرتدين:

إن جزيرة العرب هي قاعدة الفتوح، فكيف يتسنى الفتح إذا لم تكن له قاعدة أو كانت القاعدة مضطربة غير مستقرة؟ ولذا فقد واجه أبو بكر ﷺ حركة المرتدين بإيمان راسخ وعزيمة ثابتة وتفاؤل عظيم، حتى ثبت وحارب مدعي النبوة والمرتدين، وأعاد للمسلمين قوتهم، وللخلافة هيبتها، ولليائسين تفاؤلهم، وذلك بما عُرف عنه من حزم وعزم وغيرة على الدِّين، فبادر إلى تسيير الجيوش إلى المرتدين ومانعي الزكاة، وعقد اللواء؛ لقتالهم وأرسل إلى جميع المرتدين كتابًا يدعوهم فيه الرجوع إلى حظيرة الدِّين، وقال قولته الشهيرة:

---

(١) تقدم تخريجه ص١٢٨.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/١٥٧).

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٣. وذكره محقق الكتاب في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٨٥).

(واللهِ لأُقاتلنّ من فرّقَ بينَ الصلاةِ والزكاةِ، فإنّ الزكاةَ حقّ المالِ. واللّهِ لو منعوني عَناقًا كانوا يُؤدّونَها إلى رسولِ اللّهِ ﷺ لقاتلتُهم على مَنعِها. قال عمر ﷺ: فوَ اللّهِ ما هوَ إلاّ أنْ قد شرَحَ اللّهُ صدرَ أبي بكرٍ ﷺ فعرَفتُ أنه الحقّ)[١].

قال الإمام النووي -رحمه الله- عن أبي بكرﷺ: "وحصل في خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم واتساع الإسلام"[٢].

وكان القضاء على حركة الردة عاملًا مساعدًا للفتوحات الإسلامية في العراق والشام ومصر، فعن الوليد بن مسلم قال: (سمعت أشياخنا يذكرون المغازي فكان من جملة كلامهم: أن أبا بكر لما أنفذ الجيوش لقتال أهل الردة ثم أتته وفود العرب مقرة بما كانت أنكرت راجعة إلى ما كانت خارجة منه، ورأى أبو بكر حسن خلافته وما سهل عليه فيه ربه وما منَّ به عليه من النصر، دعا العرب إلى جهاد قيصر وكسرى ومن يليهما من أهل ملكهما، فاجتمع له أربعة وعشرون ألفًا وولَّى عليهم الأمراء ثم وجَّههم للجهاد)[٣].

ولقد واجهت الجيوش الإسلامية في سبيل إعادة هؤلاء المرتدين إلى جادة الإسلام صعوبات ونكبات، وقتلًا مريعًا في حَمَلة الإسلام وحَفَظة القرآن الكريم، لجلد أولئك المرتدين ومنافحتهم عن أعراضهم وأولادهم وكرائم أموالهم[٤].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٢٧٢، رقم (١٣٩٨)، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٦١).

(٣) تهذيب تاريخ دمشق، عبدالقادر بدران (١/١٣١).

(٤) للاستزادة في تفاصيل القضاء على حركة الردة، انظر: سبي الفتوحات الإسلامية، سليمان السويكت،ص٦١.

ثم لما فرغ أبو بكر من أمر المرتدين، واستتب الأمن واستقرت الأوضاع في الجزيرة العربية، أعد الجيوش لنشر الإسلام خارجها، فأخذ يستنفر الناس ويدعوهم لجهاد الروم. يقول شكري فيصل-رحمه الله-: "واستطاعت الجيوش الإسلامية بعد سلسة من الاصطدامات والمعارك في أطراف بلاد العرب ووسطها، أن تطفيء لهب الردة وأن تعيد إلى الدولة التي خلفها الرسول مظاهر وحدتها، وإلى المدينة مكانتها في قيادة الجزيرة وتوجيهها، وعادت الألوية التي عقدها أبو بكر، وفي مقدمتها لواء خالد إلى المدينة، وقد كللها الظفر وأتاحت لها هذه المغامرات البعيدة قدرًا من التجربة والتمرس، ووهبتها فوق ما كانت تملك من يقين وثقة. واستطاع أبو بكر أن يتنفَّس في جو من الطمأنينة والنقاء، وعادت تلح عليه استشرافات الرسول نحو الشام، ومطالب الدعوة نحو العراق، وحاجة الإسلام إلى أن يتمخَّض عن اتساع جديد"(١).

٦- التنظيم والتخطيط:

لقد احتاج الصحابة ﷺ لاستخدام التخطيط والتنظيم؛ لمواجهة أكبر دولة في ذلك الوقت وهي دولة الروم، ولقد عرفت الدولة الإسلامية تطورات كبيرة وسريعة جدًّا، من شأنها أن تربك أكثر الحكومات الحديثة تنظيمًا ومقدرة، وعمل الخلفاء على استيعاب مثل هذه الأمور، فعلى الرغم من قصر مدة خلافة الصديق ﷺ إلا أنها كانت مليئة بالأعمال الجليلة التي رسَّخت دعائم الإسلام ووطدت أركانه بدءًا من إنفاذ جيش أسامة ﷺ، ومن ثم محاربة المرتدين ومواجه الدولة الفارسية والرومية.

---

(١) حركة الفتح الإسلامي، ص٣٢. وانظر: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الخلفاء الراشدين، سعود الأغا، ص٥١.

ولما جاء عصر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عمل على بلورة مجموعة من التنظيمات، مستخلصة من القواعد العامة للشريعة الإسلامية، ترمي إلى إيجاد خطة عملية تطبيقية لسياسة الجيوش الفاتحة، وسياسة القبائل التي ينتمي إليها الفاتحون، وسياسة البلدان المفتوحة، ومن ذلك إيجاد التنظيمات المالية، كالديوان الذي هو عبارة عن سجلات حكومية لضبط دخل الدولة، وديوان العطاء الذي يعنى بشؤون الجيش، وديوان الخراج المختص بالأراضي وغلاتها.

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في خلافة عمر ﷺ قسم الدولة إلى أقسام إدارية كبيرة؛ ليسهل حكمها والإشراف على مواردها. كما عيَّن عمر عمالًا وولاة يستمدُّون سلطتهم من الخليفة. كما دعت حاجة الدولة إلى وجود نظام تشريعي يأخذ على عاتقه القضاء بين الناس في مختلف الأمصار، ومن ثم عيَّن عمر قضاة ينوبون عنه.

وتم تعيين صاحب للخراج يتولى الشؤون المالية في الولاية، كما يرتبط التنظيم الإداري للولايات بما أقدم عليه الخليفة من تمصير الأمصار، التي أصبحت فيما بعد مراكز علمية هامة في العصر الإسلامي. كما ربط عمر الأقاليم المفتوحة بالمدينة عاصمة الدولة بواسطة البريد الذي رتَّبه ليساير سرعة الاتصال مع الولاة، وللوقوف على أوضاع المدعوين ومسيرة الدعوة[١].

ولقد كان عمر ﷺ جديرًا بتأمين وتطوير كل ما يستلزمه التوسع الإسلامي في الأقاليم المفتوحة، فكانت دولة الإسلام في عهد عمر ﷺ الدولة التي يشهد لها التاريخ على مر العصور من حيث التنظيم والإدارة والعدالة الاجتماعية[٢].

---

(١) انظر: محاضرات في تاريخ صدر الإسلام، محمد الشريف، ص٥٩.

(٢) الإدارة الإسلامية، فاروق مجدلاوي، ص٢٩٠.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ثم أُستخلف عمر، فقهر الكفار من المجوس وأهل الكتاب، وأعز الإسلام ومصَّر الأمصار، وفرض العطاء ووضع الديوان، ونشر العدل وأقام السنة، وظهر الإسلام في أيامه ظهورًا بان به تصديق قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٢). وقول النبي ﷺ: **«إذا هلكَ كِسرَى فلا كسرَى بعدَه، وإذا هلكَ قَيصَرُ فلا قَيصرَ بعده. والذي نفسي بيدِه، لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله»**(٣). فكان عمر ﷺ هو الذي أنفق كنوزها، فعلم أنه أنفقها في سبيل الله"(٤).

وقد أخبر النبي ﷺ عن كثرة انتفاع الناس بتنظيمات الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فقال: **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ(٥) عليها دلو، فَنزَعْتُ(٦) مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أخذها ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فنــزع منها ذَنُوبًا(٧) أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ -والله يغفر له-**

(١) الفتح، الآية: (٢٨).

(٢) النور، الآية: (٥٥).

(٣) سبق تخريجه، ص٣١١.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٥/٣٠٣).

(٥) قليب: القليب هو البئر. انظر: المعجم الوسيط، مجم اللغة (٢/٧٥٣)، مادة: قلب.

(٦) فنــزعت: النــزع أي الاستقاء. صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٦٠).

(٧) ذنوبًا: الذنوب: الدلو العظيمة. وقيل: لا تسمى ذنوبًا إلا إذا كان فيها ماء. النهاية في غريب =

ضَعْفٌ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا[1] مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عمر بن الخطاب، حَتَّى ضَرَبَ بِعَطَنٍ[2])[3].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: "هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبي بكر وعمـــر -رضي الله عنهما- في خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما". وقال في موضع آخر عن أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-: "وحصل في خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم واتساع الإسلام، ثم توفي فخلفه عمر ﷺ، فاتسع الإسلام في زمنه وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبر بالقليب عن أمر المسلمين؛ لما فيها من الماء الذي به حياتهم وصلاحهم وشبَّه أميرهم بالمستقى لهم وسقيه هو قيامه بمصالحهم وتدبير أمورهم. وأما قوله ﷺ في أبي بكر ﷺ وفي نزعه ضعف، فليس فيه حط فضيلة أبي بكر ولا إثبات فضيلة لعمر، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر؛ لطولها ولاتساع الإسلام وبلاده والأموال وغيرها من الغنائم والفتوحات ومصَّر الأمصار ودوَّن الدواوين"[4].

=

الحديث، ابن الأثير، ص٣٣٠.

(١) عبقريًّا: العبقري: هو السيد. صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٦١).

(٢) بعطن: العطن: مبرك الإبل حول الماء، والمعنى أي: ارووا إبلهم ثم آووها إلى عطنها، وهو الموضع الذي تُساق إليه بعد السقي لتستريح. ضُرب ذلك مثلًا لاتساع الناس في زمن عمر، وما فتح الله علـــيهم من الأمصار. النهاية في غريب الحديث، ص٦١٢. صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٦١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٩٧٤، رقم (٢٣٩٢)، كتاب فضائل الصـــحابة، بـــاب: فضائل عمر.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٦١).

٧- طلب الإمدادات العاجلة:

لقد حاول الصحابة ﷺ معالجة مشكلة الكثرة العددية للجيوش الرومية، وذلك عن طريق الإمدادات العاجلة من الخليفة، فحينما عزم أبو بكر ﷺ على فتح الشام ورأى كثرة جيوش الروم وقلة جيش المسلمين في اليرموك، أمد الجيوش الإسلامية بجيش خالد بن الوليد ﷺ الذي كان في العراق؛ لعلمه أن هؤلاء الجنود من أقوى الجنود التي صقلتها حروب الردة وعانت كثيرًا من القسوة والشدائد، فأورثها ذلك مناعة منيعة وقوة قوية، خاصة بعد توحيد الجيوش الإسلامية جميعها تحت إمرة خالد بن الوليد ﷺ(١). عن محمد وطلحة وعمرو والمهلب قالوا: (ولما نزل المسلمون اليرموك واستمدوا أبا بكر، قال: خالد لها، فبعث إليه وهو بالعراق، وعزم عليه واستحثه في السير، فنفذ خالد لذلك. فطلع عليهم خالد وطلع باهان على الروم، وقد قدم قدامه الشمامسة، والرهبان والقسيسين يغرونهم ويحضضونهم على القتال، ووافق قدوم خالد قدوم باهان، فخرج بهم باهان كالمقتدر، فولي خالد قتاله وقاتل الأمراء من بإزائهم، فهزم باهان، وتتابع الروم على الهزيمة...)(٢).

كما استعان الصحابة ﷺ بأهل اليمن لمساندة جيوش المسلمين فقد (خرج أبو بكر ذات يوم معه رجال من أصحابه كثير حتى انتهى إلى عسكرهم فرأى عدة حسنة و لم يرض كثرتها للروم، فقال لأصحابه: ماذا ترون في هؤلاء؟ أترون أن نشخصهم إلى الشام في هذه العدة؟ فقال له عمر: ما أرضى هذه العدة

---

(١) انظر: حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل، ص٣٩.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥١، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/١٦٣)، وأورده محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٨٢).

لجموع بني الأصفر، فأقبل أبو بكر على أصحابه، فقال لهم: ماذا ترون؟ قالوا: نحن نرى أيضًا ما رأى عمر، فقال أبو بكر: أفلا نكتب كتابًا إلى أهل اليمن ندعوهم إلى الجهاد ونرغبهم في ثوابه؟ فرأى ذلك جميع الصحابة فقالوا: نِعْمَ ما رأيت! فكتب إليهم) [١].

كما قدمت وفود كثيرة من العرب منها وفد حمرة بن مالك الهمداني[٢] (أنه قدم في جمع عظيم من همذان[٣] على أبي بكر ﷺ، فقدموا وهم أكثر من ألفي رجل، فلما رأى أبوبكر عددهم وجلدهم، فرح بهم وسُرَّ بذلك، وقال: الحمد لله على صنيعه بالمسلمين، ما يزال الله يتيح لهم مددًا من أنفسهم ما يشد به ظهورهم ويقصم به عدوهم)[٤]. وعن عمرو ابن شعيب قال: (إن عمرو بن العاص كان في مسيره الذي بعثه إلى الشام يستنفر من مرَّ به من الأعراب فينفر معه ناس كثير، فلما أجمعوا هو ومن كان قدم به معهم من المدينة وكانوا نحوًا من ألفي رجل، فلما قدموا على أبي عبيدة سُرَّ أبو عبيدة ومن معه واستأنس بهم أبوعبيدة)[٥]. وعن سهل بن سعد قال: (ما زال أبو بكر ﷺ يبعث بالأمراء إلى الشام أميرًا أميرًا ويبعث القبائل قبيلة قبيلة حتى ظن أنهم قد اكتفوا)[٦].

وكان الصحابة ﷺ يفرحون بتلك الإمدادات، فقد أرسل أبو بكر ﷺ عبد

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/٢). وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (١٩٥/٢٥)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٦٧٢/٥).

(٢) حمرة بن مالك الهمداني، قدم وفد همدان على رسول الله ﷺ. انظر: الإصابة (١٠٤/٢).

(٣) همذان: مدينة تاريخية قديمة مشهورة في خراسان. انظر: معجم البلدان (٤١٠/٥).

(٤) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٣٢. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٨٥/٢).

(٥) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٤٤.

(٦) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٣٥. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٩١/٢).

الله بن قرط، وقال له: (أخبر المسلمين أني ممد المسلمين مع هاشم بن عتبة وسعيد بن عامر بن حذيم، فخرج عبد الله بن قرط بكتاب أبي بكر حتى قدم على يزيد فقرأه على المسلمين ففرحوا به وسُرّوا)[1].

٨- رفع المعنويات:

كان القادة من المسلمين يستخدمون أسلوب رفع المعنويات لمعالجة أغلب معوقات الدعوة، وذلك عن طريق التشجيع تارة وبذل النصيحة تارة أخرى، وهذا أمر تحتاجه الدعوة في مسيرتها في كل زمان ومكان، إذ قد يعتري الداعية -أحيانًا- حالات من الخوف والقلق من مواجهة المدعوين، خاصة إذا كانوا من ذوي البأس الشديد، كما هو حال الروم الذين واجههم الصحابة ﷺ.

ومن أمثلة استخدام الصحابة ﷺ لهذا العلاج، حينما شجع أبو بكر الصديق ﷺ خالدًا ابن سعيد بن العاص ﷺ على الإقدام على محاربة الروم في تيماء، قائلًا له: (أن أقدم ولا تُحجم، واستنصر الله، فسار إليهم خالد، فلما دنا منهم تفرَّقوا وأعرَوا[2] منزلهم فنزله، ودخل عامة من كان تجمع له في الإسلام)[3].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يرفع معنويات الجيش الإسلامي في اليرموك عن طريق تذكيرهم بالله ﷻ وتوكلهم عليه لا على أعدادهم ولا على قوتهم. عن عياض بن غنم الأشعري قال: (شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض، وليس عياض

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٧. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٨٣/٢).

(٢) وأعروا: تباعدوا عن منازلهم وتركوها. انظر: المعجم الوسيط (٥٩٧/١)، مادة: عرى.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧١/٢). وإسناده ضعيف، انظر: صحيح تاريخ الطبري (٧٧/٣).

هذا الذي حدث سماكًا. قال: وقال عمر رضي الله عنه: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة. قال: فكتبنا إليه أنه قد جاش إلينا الموت واستمددناه، فكتب إلينا: أنه قد جاءني كتابكم تستمدونني، وإني أدلكم على من هو أعز نصرًا وأحصن جندًا الله عز وجل، فاستنصروه فإن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا جاءكم كتابي فقاتلوهم ولا تراجعوني. قال: فقاتلناهم فهزمناهم...)[1].

كما كان الصحابة رضي الله عنهم يرفعون معنويات المقاتلين بتذكيرهم بالصبر، فحينما سار أبوعبيدة رضي الله عنه بالمسلمين في اليرموك كان يقول: (عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. يا عباد الله، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب...)[2].

ومن الاستعداد لمواجهة الملأ، رفع معنويات الجنود وتذكيرهم بالله أثناء المعركة، وبث الحماس فيهم؛ لمواجهة العدو بكل ثقة، وهذا ما كان يفعله أبو سفيان وخالد بن الوليد -رضي الله عنهما- أثناء مرورهما بجيش المسلمين في أحداث وقعة اليرموك، فقد كان أبو سفيان رضي الله عنه يسير فيقف على الكراديس، فيقول: (الله الله! إنكم ذادة[3] العرب، وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك! اللهم إن هذا يوم من أيامك؛ اللهم أنزل نصرك على عبادك! قالا: وقال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال خالد: ما أقل الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ص٦٨، رقم (٣٤٤). مسند عمر بن الخطاب، وابن حبان في صحيحه (٨٣/١١)، رقم (٤٧٦٦). وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر: جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. عاطف محمد، ص٢٤٩.

(٢) تقدم تخريجه، ص٨٨.

(٣) ذادة: من الذود، أي: الدفع، أي: هم المدافعون. انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٢٨١، مادة: الذود.

بالنصر وتقل بالخذلان ؛ لا بعدد الرجال...)[1].

وفي وقعة أجنادين (أقبل خالد يقف خلف كل قبيلة وكل جماعة ويقول: اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في الله من كفر بالله ولا تنكصوا[2] على أعقابكم ولا تهنوا من عدوكم، ولكن أقدموا كإقدام الأسد وأنتم أحرار كرام، فقد أبيتم الدنيا واستوجبتم على الله ثواب الآخرة، ولا يهولكم ما ترون من كثرتهم فإن الله منزل عليهم رجزه وعقابه)[3].

وحينما حُصر أبو عبيدة ﷺ مع أصحابه في حمص كتب إليه الخليفة عمر ﷺ بكلمات يذكره فيه بالصبر، فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: (لما أتى أبوعبيدة الشام حصر هو وأصحابه وأصابهم جهد شديد، فكتب إليه عمر: سلام عليكم، أما بعد، فإنه لم تكن شدة إلا جعل الله بعدها فرجًا، ولن يغلب عسر يسرين)[4].

لقد كان لكلمات هؤلاء الصحابة ﷺ وأمثالها أثر بالغ على عموم المسلمين في الثبات، فإن الموقف كان شديدًا تعلوه الرهبة والتخوف من وقع المفاجأة بأعداد الروم.

كما كان للانتصارات المتتالية للمسلمين دور كبير في رفع معنويات المقاتلين والاستمرار في الفتوحات والدعوة إلى الإسلام.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦٦/٢٣). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٩٧/٢)، وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٨٥/٣).

(٢) تنكصوا: النكص هو الإحجام عن الشيء، ويقال: نكص على عقبيه: أي رجع. انظر: معجم الصحاح، الجوهري، ص١٠٦٨، مادة: نكص.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٧٧، والكلاعي في الاكتفاء (٢٠٣/٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٨/٧)، رقم (٣٣٨٤٠)، والأثر حسن. انظر: جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، عاطف محمد، ص٢٥٠.

٩- الاستفادة من جميع وسائل الحرب:

للمسلمين أن يستعملوا من أسلحة القتال كل ما من شأنه إضعاف أمر العدو والوصول إلى النصر؛ لدخولها في عموم القوة التي أمر الله ﷻ بإعدادها في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[١]. قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "ثم أمر الله تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة"[٢]. وقد استخدم الرسول ﷺ بعضًا من أدوات الحرب. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "وكان يلبس الدرع والخوذة[٣]، ويتقلد السيف، ويحمل الرمح[٤] والقوس[٥] العربية ويتترس بالترس. وقاتل مرة بالمنجنيق"[٦].

وسار على نهجه صحابته الكرام ﷺ في استخدم بعض آلات الحرب وما شابهها، كأدوات مساعدة للقتال، وهي من باب أخذ الحذر من العدو ولأجل الدفاع عن النفس والتغلب على معوقات الدعوة. ومن أمثلة الوسائل الحربية التي استخدمها الصحابة:ﷺ المنجنيق، والسيوف، والسلالم[٧]، والنبال[٨]،

---

(١) الأنفال، الآية: (٦٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٣٤).

(٣) الخوذة: المغفر يُجعل على الرأس والجمع خوذ. انظر: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة (١/٢٦١) مادة: خاوذ.

(٤) الرمح: قناة في رأسها سنان يطعن به، استخدمها الصحابة ﷺ في وقعة أجنادين. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١/٣٧١). فتوح الشام، الواقدي، ص١٧٨.

(٥) القوس: آلة على هيئة هلال تُرمى بها السهام. المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٢/٧٦٦)، مادة: قاس.

(٦) مختصر زاد المعاد، ابن القيم،ص١٩٣.

(٧) استخدم الزبير بن العوام ﷺ السلم في تسلق حصن مصر، واستخدم الصحابة ﷺ السلالم في فتح دمشق. انظر: فتوح مصر، ابن عبدالحكم، ص١٤١. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ص٢٣٤.حسن المحاضرة، السيوطي (١/١٠٨).

(٨) النبال: السهام. انظر: معجم الصحاح، ص١٠١٧. واستخدمها الصحابة ﷺ في غزوة ذات =

والرماح. وقد ذكر الإمام ابن حجر-رحمه الله- أن اتخاذ الآلات لا ينافي التوكل، والحذر لا يرد القدر، ولكن يضيق مسالك الوسوسة لما طبع عليه البشر[(١)].

١٠- استخدام نظام تعبئة الجيش:

يشرع لقائد المعركة أن يعبأ جيشه، فيقوم بترتيب المقاتلة وصفهم للقتال وتهيئتهم وفق خطط علمية مدروسة يضعها أهل الاختصاص، وفي ذلك اقتداء بالرسول ﷺ حيث كان يجهز أصحابه ويصفهم للقتال. قال الإمام ابن العربي -رحمه الله-: "صف النبي ﷺ أصحابة ليلة بدر عند الصباح قبل أن تنزل قريش..."[(٢)].

فكانت التعبئة عملية تنظيمية لها أهميتها في إحراز النصر على جيوش الروم، ومن أنواع التعبئة التي قام بها الصحابة ﷺ، التعبئة في المسير،حيث يتم تقسيم القوات في مسيرها إلى خمسة أقسام: مقدمة، وقلب، وجناحين: ميمنة، وميسرة، وساقة. وعلى هذا سارت قوات المسلمين في عصر الرسول ﷺ، وبقي هذا التنظيم متبعًا في العهد الراشدي.

كما طبَّق الصحابة ﷺ أسلوب الكراديس في الفتوحات الإسلامية، فحينما خرج خالد بن الوليد ﷺ لقتال الروم في اليرموك، قسم جيشه ستة وثلاثين إلى أربعين كردوسًا، كل كردوس ألف رجل عليهم أمير للجند، وقال لهم: (إن

=

الصواري بقيادة عبدالله بن أبي السرح ﷺ حيث بدأت المعركة مع الروم بتبادل الرمي بالنبال. تاريخ الأمم والملوك،الطبري، ص٤٤٣.البداية والنهاية، ابن كثير (٢٥٨/٧). وللاستزادة في معرفة أنواع الأسلحة التي استخدمها الصحابة ﷺ، انظر: الجيش والقتال في صدر الإسلام، محمود عواد،ص٢٨١.

(١) انظر: إتحاف القاري، العدوي (٦٠٤/٢).

(٢) عارضة الأحوذي (١٢٩/٧).

عدوكم كثر وطغى وليس من التعبية تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس...)[1]. وإذا وصل الجيش الإسلامي ساحة القتال يعاد تنظيمهم في تعبية قتالية بنظام الصف في القتال الذي أشارت له الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[2]. ويعني هذا النظام أن يصطف المقاتلة بعضهم إلى جانب البعض الآخر كالبنيان المرصوص بدقة متناهية، كما يصطفون للصلاة. وطُبِّق هذا النظام في عصر الرسول ﷺ، فقد كان يسوي الصفوف في غزوة بدر، كما استمر أسلوب الصفوف في عصر الصحابة رضي الله عنهم[3].

ومن هنا يظهر اهتمام الصحابة رضي الله عنهم في تنظيم الجيوش وتعبئتها وفق أنظمة وخطط مدروسة، مما يقلل الخسائر المتوقعة في الجيوش الإسلامية، ويقوي عزائم المسلمين، ويساعد على التغلب على أغلب معوقات الانتصار على جيوش الروم.

١١- التعاون:

حثنا ديننا الإسلامي الحنيف على التعاون، فقال سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[4]. كما بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أهمية التعاون فقال: "وكل ابن آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا

---

(١) تقدم تخريجه، ص٢١٥.

(٢) الصف، الآية: (٤).

(٣) انظر: الجيش والقتال، محمود عواد ص٢١٥. انظر: عصر الخلافة الراشدة، أكرم العمري، ص٣٥٣.

(٤) المائدة، الآية: (٢).

ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر"[١]. ولقد كان تعاون الصحابة رضي الله عنهم وتكاتفهم مع قوة إيمانهم من العلاجات التي واجهوا بها مشاكلهم مع الروم في ميدان الدعوة، فحينما تهيَّب المسلمون من عدد الروم في معركة اليرموك جاء الأمر إليهم بالاجتماع. عن خالد وعبادة وأبي حارثة، قالوا: (ففزعوا جميعًا بالكتب وبالرسل إلى عمرو: أن ما الرأي؟ فكاتبهم وراسلهم: أن الرأي الاجتماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يُقرن فيه لأحد ممن استقبلنا، وأعد لكل طائفة منا، فاتَّعَدوا[٢] اليرموك؛ ليجتمعوا به. وقد كتب إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عَمْرًا، فطلع عليهم كتابه بمثل رأي عمرو: بأن اجتمعوا، فتكونوا عسكرًا واحدًا، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف، والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه)[٣].

وحينما نزل الصحابة رضي الله عنهم على دمشق لحصارها نزل كل واحد منهم على جانب منها، (فكان أبو عبيدة على ناحية، وعمرو على ناحية، ويزيد على ناحية، وهرقل يومئذ بحمص، ومدينة حمص بينه وبينهم، فحاصروا أهل دمشق نحوًا من سبعين ليلة حصارًا شديدًا)[٤]، مما كان سببًا في فتحها على أيدي المسلمين.

كما بدا التعاون في رجوع الصحابة رضي الله عنهم لرأي القائد والامتثال لأوامره والاجتماع على رأيه، فكانوا يدًا واحدة في مواجهة الأعداء، بخلاف النصارى

---

(١) الحسبة في الإسلام، ص٣٣٣.

(٢) اتعدوا: أي جهزوه وهيئوه.انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (٥٨٧/١). مادة: عدّ.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥١. وأورده محقق الكتاب في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٨١/٣).

(٤) تقدم تخريجه، ص٩٩.

الذين لا يستجيبون لرأي قائدهم ولا يلتزمون به في بعض المواقف مما يتسبب لهم في التفرق والهزيمة. ولذا كانت طاعة الأمراء من وصايا الخلفاء لقواد المعارك، ومن ذلك ما أوصى به أبو بكر الصديق ﷺ أصحابه حينما أراد غزو الشام، إذ قال: (فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمِّر عليكم أمراء وعاقد لكم ألوية، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم...) [١]. وكتب عمر بن الخطاب إلى يزيد بن أبي سفيان -رضي الله عنهما-: (أما بعد، فقد وليت يزيد بن أبي سفيان أجناد الشام، وأمرته أن يسير إلى قيسارية، فلا تعصوا له أمرًا ولا تخالفوا له رأيًا، والسلام) [٢].

ومن هنا نعلم أهمية التعاون والاجتماع تحت قيادة واحدة، فكلما قويت شوكة المسلمين وانتشر وجودهم الحربي فإن الأعداء يرهبونهم، وكلما ضعف أمر المسلمين وتضاءل وجودهم الحربي فإن الأعداء يطمعون بهم، ويصعب عليهم والحال هذه القضاء على قوة أعدائهم.

١٢- أخذ الحيطة والحذر:

إن الإسلام يوجب على المسلمين أن يكونوا دائمًا على حذر من مهاجمة العدو لهم، وعلى استعداد دائم للقائه، وأن يعدوا له من الجنود والعتاد ما يُرهبه ويُلقي في قلبه الرعب، ويمنعه من التفكير في الاعتداء على المسلمين. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾[٣]. وقال النبي ﷺ: (الحرب

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٩٣.

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٥٠. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٣١٩).

(٣) النساء، الآية: (٧١).

خَدْعَةٌ)[1]. قال الإمام النووي -رحمه الله-: "واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب...إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل"[2].

ولقد كان الصحابة ﷺ في أغلب فتوحاتهم يأخذون الحيطة والحذر من هجمات الروم، حتى أثناء الحوار معهم، فحينما أراد خالد بن الوليد ﷺ حوار جرجة أثناء وقعة اليرموك، أخذ منه الأمان قبل المحاورة. عن عبادة وخالد قالا: (وخرج جرجة، حتى كان بين الصفين ونادى: ليخرج إليَّ خالد، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيده مكانه، فوافقه بين الصفين، حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وقد أمن أحدهما صاحبه...)[3].

كما كان الصحابة ﷺ يأخذون الحيطة والحذر في كل وقت، فعندما توجه الصحابة ﷺ إلى فحل وجدوا الأرض غارقة بالوحل والماء، وبحث المسلمون حولهم فوجدوا أنفسهم بأطيب مقام، الأرض خصبة والخيرات كثيرة والعيش رغد والروم محصورون لا يصلهم مدد، فأقام الجيش حتى يأتيه أمر الخليفة، ولكنهم كانوا على حذر من مباغتة الروم لهم، وهذا ما حصل بالفعل، إذ عزم قائد الروم على مباغتة المسلمين ليلًا، ولكن محاولته باءت بالفشل إذ فوجئ باستعدادات المسلمين لمواجهته، فخاب أمله في كل ما كان يتوقعه من غفلة المسلمين وعدم انتباههم.

كما كان الصحابة ﷺ يأخذون حذرهم وحيطتهم بعد الفتح الإسلامي؛ خوفًا

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٥٧٩، رقم (٣٠٣٠)، كتاب الجهاد والسير، باب: الحرب خدعة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/٤٥).

(٣) تقدم تخريجه، ص١٨٨.

من الغدر والخيانة من النصارى، فقاموا بتأمين البلاد المفتوحة ضد هجمات الروم الخارجية، وهذا ما ساعد على استقرار الأوضاع في تلك البلدان.

١٣- بث العيون الاستطلاعية:

لا خلاف في وجوب أخذ الحذر بكل طريق مشروع ممكن، ومن ذلك اتخاذ الدولة الإسلامية الطلائع والعيون لتستطلع أخبار العدو وتحركاته. ولقد اهتم الصحابة ﷺ بأمر العيون في حروبهم مع النصارى؛ لأن ذلك من العوامل المساعدة في التغلب عليهم فيما توفره هذه العيون من معلومات، وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[١].

ففي معركة اليرموك بعث الصحابة ﷺ العيون؛ ليأتوهم بأخبار الجيوش الرومية. كما أن عيون القائد أبي عبيدة بن الجراح ﷺ أخبروه بتجمع الروم ومسيرهم نحوه، فكتب بذلك للقيادة العليا بالمدينة، فكان مما قاله في كتابه: (...إن عيوني قدموا علي من أرض أنطاكية فخبَّروني أن هرقل عدو الله قد أمر بعساكر فصرفت إلى ناحيتنا، وقد توجهوا إلينا وزحفوا إلى ما قبلنا، وأنهم قد جمعوا من الجموع ما لم يجمعه أحد قط لأمة من الأمم...)[٢].

وفي وقعة اليرموك أتى المسلمين رجالًا من العرب كانوا نصارى فأسلموا، فقال لهم أبو عبيدة وخالد بن الوليد -رضي الله عنهما-: (ادخلوا في عسكر الروم فاكتموهم إسلامكم وألقونا بأخبارهم، فإن في هذا لكم أجرًا، والله حاسبه لكم جهادًا، فإنكم تدفعون بذلك عن حرمة الإسلام وتدلون على عورة

---

(١) النساء، الآية: (٧١).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٣.

الشرك. فانطلقوا فدخلوا عسكر الروم، ثم جاؤوا بعد ما مضى من الليل نصفه، فأتوا أبا عبيدة بن الجراح، فقالوا له: إن القوم قد أوقدوا النيران وهم يتعبون لكم ويتهيَّأون للقائكم، وهم مصبحوكم بالغداة فما كنتم صانعين فاصنعوا الآن. فخرج أبو عبيدة ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، فعبوا الناس وصفُّوهم فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا)[١].

١٤- فرض الصحابة ﷺ الحصار على النصارى:

لقد كان الحصار الذي قام به الصحابة ﷺ وسيلة للتغلب على مشكلة الحصون المنيعة للنصارى، وقد حاصر الصحابة حصن دمشق وفحل وقيسارية وحصن بابليون في مصر، فكان ذلك سببًا في طلبهم للصلح وخضوعهم لحكم المسلمين.

١٥- شجاعة الصحابة ﷺ في مواجهة النصارى:

ظهر لنا من خلال المعارك التي دارت بين المسلمين والروم مدى ما اتصف به الصحابة ﷺ من شجاعة قولية وفعلية في قول كلمة الحق والدفاع عنها. قال عبادة بن الصامت ﷺ للمقوقس ملك مصر: (يا هذا، لا تغرن نفسك ولا أصحابك. أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنَّا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوِّفنا به، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقًّا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم، وأشد لحرصنا عليهم، ثم استدل بقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢])[٣]. كما ظهرت

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٨٥. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٧٩).

(٢) البقرة، الآية: (٢٤٩).

(٣) تقدم تخريجه، ص٢٦٧.

شجاعة الصحابة الفعلية في التخطيط الحربي المتفوق، والتصرف الفوري عند حدوث المفاجآت، مما كان سببًا من أسباب التغلب على صعوبات المواجهة مع الروم، الذين لا تتوفر فيهم مثل هذه الصفات العالية، التي يحتاجها الداعية في ميدان الدعوة.

إن هذه الشجاعة من الصحابة ﷺ بثت الخوف والرعب في قادة النصارى، مما جعل بعضهم يهرب خائفًا من المواجَهة. يقول حسن إبراهيم -رحمه الله-: "إن عمرو بن العاص ظلَّ مع جيشه بفلسطين؛ للقضاء على القوة التي كانت لا تزال مع قسطنطين بن هرقل، فسار إلى قيسارية حيث عسكر قسطنطين بجيش كثيف، وقد تغلبت على هذا الأمير عوامل الخوف حين علم بسقوط طبرية وهرب أبيه من أنطاكية، وتوهَّم أن عمرو بن العاص اخترق أسوار المدينة، فانسل من قصره هو وأسرته خفية، ورحل إلى القسطنطينية، كما رحل أبوه من قبل، ولما علم الأهلون بهرب أميرهم سلموا لعمرو"(١).

ولما غلب الخوف على أغلب ملوك الروم وأمرائهم ضعفت دولتهم بعد حروب طويلة عانى فيها المسلمون المشاق والمتاعب.

١٦- اهتمام الصحابة ﷺ بحماية حدود الدولة الإسلامية:

لقد حرص الصحابة ﷺ على حدود الدولة الإسلامية وحمايتها من أي اعتداء خارجي، وهذا الأمر له أهميته في استقرار الأوضاع في البلاد المفتوحة واستمرار الدعوة، ولأجل تحقيق هذا الهدف أمر عمر بن الخطاب ﷺ بإقامة قواعد عسكرية على الحدود بينها وبين البلاد المفتوحة؛ لترد أي عدوان خارجي، وكمركز تجمع للجند ولنشر الإسلام، كمدينة الفسطاط بمصر وثغور أخرى بسواحلها وسواحل

---

(١) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، ص٢٣١.

الشام؛ لرد هجمات الروم من البحر.

كما جنّد منطقة الشام إلى أربعة أجناد، فيقال: جند حمص، وجند دمشق، وجند الأردن، وجند فلسطين؛ وذلك لتسهيل عملية إدارها من الناحية العسكرية، هذا إلى جانب المعسكرات والتحصينات التي بالثغور والتي سبق إجلاء العدو عنها واستولى عليها المسلمون واتخذوها قواعد عسكرية لهم واسكنوا بها جندهم؛ لحماية حدود الدولة الإسلامية، ثم صار المسلمون كلما تقدموا في الفتح أقاموا في نهاية توسعهم ثغرًا يحرس الحدود ويتولى أمره قائد من أكفأ القوّاد.

وحينما انتهت وقعة اليرموك استخلف عليها أبو عبيدة ﷺ، فعن خالد وعبادة قالا: (لما هزم الله جند اليرموك وتهافت أهل الواقوصة[1] وفرغ من المقاسم والأنفال وبعث بالأخماس وسرحت الوفود، استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشيرًا بن كعب بن أبي الحميري؛ كي لا يغتال بردة)[2]. كما كان أبو عبيدة ﷺ يستخلف من الصحابة ﷺ في كل بلد يفتتحونه. عن سعيد بن عبد العزيز، قال: (لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق، وعَمْرَو بن العاص على فلسطين، وشرحبيل على الأردن، وأتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بعلبك، ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت الأنصاري)[3].

وكان عمرو بن العاص ﷺ يبعث مرابطين لحماية الإسكندرية. عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن هبيرة، يزيد أحدهما على صاحبه قال: (لما استقامت البلاد وفتح الله على المسلمين الإسكندرية، قطع عمرو بن العاص من

(١) الواقوصة: واد بالشام من أرض حوران، نزله المسلمون أيام أبي بكر الصديق ﷺ على اليرموك لغزو الروم. معجم البلدان، الحموي (٥/٣٥٤).

(٢) أخرجه الطبري، ص٥٦٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٢٢٠). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٢٠)، وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/١٣٤).

(٣) سبق تخريجه، ص١٤٦.

أصحابه لرباط الإسكندرية ربع الناس خاصة...)[1]، وعندما فتح أبو عبيدة ﷺ ثغر أنطاكية بالحدود الشامية الشمالية كتب إليه الخليفة عمر ﷺ قائلًا: (أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة، واجعل بها مرابطة، ولا تحبس عنهم العطاء)[2].

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، ص٣٢٤. وذكره السيوطي في حسن المحاضرة (١٦٣/١)، وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان، ص٩٣. والأثر ضعيف. انظر: دراسة نقدية في المرويات، عبدالسلام آل عيسى (١٠٨٥/٢).

المبحث الثاني

معوقات داخلية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام وسبل علاجهم لها

لقد واجه الصحابة ﷺ معوقات داخلية تتمثل بالأمور المعنوية الموجودة في نفوس النصارى، والمانعة لهم من قبول الحق والانقياد له، وقد ذكرها الإمام ابن القيم الجوزية -رحمه الله-فقال: "والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدًا، فمنها: الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس، فإن من جهل شيئًا عاداه وعادى أهله. فإذا انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده، كان المانع من القبول أقوى. فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأغراضه، قوي المانع من القبول جدًّا. فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه. كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد الرسول ﷺ، ازداد المانع من قبول الحق قوة،...ومن أعظم الأسباب الحسد..."(١). ومن خلال هذا المبحث يتم بيان تلك المعوقات الداخلية التي واجهها الصحابة ﷺ وسبل علاجهم لها من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: المعوقات الداخلية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام. ويتضمن:

١- التكبر عن قبول الحق. ٢- الحسد. ٣- إثارة الشبهات.٤- خوف الملأ من النصارى على المكانة والسمعة. ٥- المقاومة الشديدة.٦- نقض النصارى

(١) هداية الحيارى، ص٢٥.

لعقد الذمة. ٧- تأثير بطانة السوء. ٨- التعصب للنصرانية. ٩- افتتان النصارى بالحياة الدنيا. ١٠- المساومات.

١١- الحاجز اللغوي.

المطلب الثاني: سبل علاج الصحابة ﷺ للمعوقات الداخلية لدعوة النصارى إلى الإسلام. ويتضمن:

١- اللجوء إلى الله، وكثرة العبادة. ٢- تثبيت الإسلام في نفوس المدعوين. ٣- التغلب على حاجز اللغة. ٤- تقوية عزائم المسلمين. ٥- تفنيد الشبهات وبيان بطلانها. ٦- المعاملة الحسنة. ٧- تأديب المعاندين. ٨- عقد الذمة. ٩- القتال.

المطلب الأول

المعوقات الداخلية في دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام

لقد عاني الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام من معوقات وصعوبات داخلية، تمثلت فيما يلي:

١- التكبر عن قبول الحق:

الكبر من الحوائل الكبيرة التي تحول عادة دون قبول المستكبرين للحق وإذعانهم له، وأخطر ما يواجه الداعية من أصناف المدعوين المتكبرون، ولقد واجه الصحابة ﷺ الكبر من النصارى وخاصة الملأ منهم؛ لعظم مكانتهم عند قومهم، ولحرصهم على الرياسة والمنزلة الرفيعة، ومما زاد صفة الكبر لدى النصارى إعجابهم بما لديهم من إمكانات وقوة عسكرية، بالرغم من أنهم يعترفون بصدق الدعوة التي جاء بها الصحابة ﷺ في الكثير من أقوالهم.

فحينما دعا عبادة بن الصامت ﷺ المقوقس إلى الإسلام أو الجزية أو القتال، قال المقوقس: (هذا مما لا يكون أبدًا، ما تريدون إلا أن تأخذونا عبيدًا ما كانت الدنيا)، ثم قال لأصحابه: (أويرضى أحد بهذا الذل؟! أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم، فهذا لا يكون أبدًا، ولا نترك دين المسيح ابن مريم وندخل في دين لا نعرفه. وأما ما أرادوا من أن يسبونا ويجعلونا عبيدًا أبدًا، فالموت أيسر من ذلك، لو رضوا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارًا، كان أهون علينا)(١). وحينما عرض خالد بن الوليد ﷺ الإسلام أو الجزية أو القتال على قائد الروم باهان قال باهان: (أما أن ندخل في دينكم، فما أبعد ما ترى من الناس من أن يترك

---

(١) تقدم تخريجه، ص٩٠.

دينه ويدخل في دينكم. وأما أن نؤدي الجزية- ثم تنفس صعدًا وثقلت عليه وعظمت عنده- فقال: سيموت من ترى جميعًا قبل أن يؤدوا الجزية إلى أحد من الناس، وهم يأخذون الجزية ولا يعطونها. وأما قولك: فاخرجوا حتى يحكم الله بيننا، فلعمري ما جاءك هؤلاء القوم وهذه الجموع إلا ليحاكموك إلى الله...)[1]. وتكبَّر جبلة بن الأيهم عن قبول الإسلام. قال حسن إبراهيم -رحمه الله-:" أرسل أبو عبيدة إلى جبلة رسلًا يؤنبونه؛ لانضمامه إلى الروم، وينصحونه بأن يرجع إلى الإسلام، أو يكف عن قتالهم ويدفع الجزية، فلم يزده ذلك إلا مكابرة"[2].

٢- الحسد:

شهد عصر الصحابة ﷺ مدًّا إسلاميًّا قويًّا وحركة إسلامية جهادية مباركة، حيث انساح المجاهدون المسلمون في البلدان، وجاهدوا أعداء الله، وأدخلوا شعوب المنطقة في الإسلام، وأحدثت هذه الانتصارات الإسلامية زيادة في حقد وحسد النصارى، فخططوا وتآمروا على الإسلام والمسلمين.

والحسد لا يقل شأنًا في باب عوائق وصول الدعوة إلى النصارى، بل هو أخطر من الكبر، إذ زيادة عن صرف صاحبه عن دعوة الحق والخير يحمله على الكيد للداعية والمكر به ما أمكنه ذلك.

وهذا ما واجهه الصحابة ﷺ مع النصارى، حيث أظهرت تصرفاتهم الحسد الذي يشعرون به تجاه الدعوة، بدءًا من بعثة أسامة بن زيد ﷺ إليهم. قال حسن إبراهيم -رحمه الله-:" وكانت نيران الانتقام والحقد تأكل قلوب الروم

---

(١) تقدم تخريجه، ص٢٦٥.

(٢) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، ص٢٢٧.

من جراء هذه الغارة التي شنَّها على بلادهم أسامة بن زيد، فجمع الإمبراطور هرقل جيشًا جرَّارًا عسكر به على مقربة من حدود بلاد العرب وفلسطين"(١).

كما حاول الروم مرات عديدة عرقلة المسلمين. قال ابن إسحاق: (لما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فحل من أرض الأردن، وقد اجتمعت فيها رافضة الروم، والمسلمون على أمرائهم وخالد على مقدمة الناس. فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها، وهي أرض سبخة، فكانت وحلًا، ونزلوا فحلًا -وبيسان بين فلسطين وبين الأردن- فلما غشيها المسلمون و لم يعلموا بما صنعت الروم، وحلت خيولهم، ولقوا فيها عناء، ثم سلمهم الله)(٢). ولقد كره المسلمون ما حدث لهم في فحل من انبثاق الأنهار، ولكنها كانت خيًرا لهم وعونًا لهم على عدوهم، إذ تساقط الروم في الوحل وكان سببًا في انتصار المسلمين عليهم.

ولما كبر على الروم خروج الإسكندرية من أيديهم ظلوا يتحيَّنون الفرص لإعادتها إلى حوزتهم، فراحوا يحرضون من بالإسكندرية من الروم على التمرد والخروج على سلطان المسلمين؛ ذلك لأن الروم كانوا يعتقدون أنهم لا يستطيعون الاستقرار في بلادهم بعد خروج الإسكندرية من ملكهم، وصادف تحريض الروم لأهل الإسكندرية هوى في نفوس سكانها، فاستجابوا للدعوة وكتبوا إلى قسطنطين بن هرقل يخبرونه بقلة عدد المسلمين، ويصفون له ما يعيش فيه الروم بالإسكندرية من الذل والهوان، وفي أثناء ذلك وصل منويل الخصي قائد قوات الروم؛ لإعادة الإسكندرية وتخليصها من يد المسلمين.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢٤.

(٢) تقدم تخريجه، ص٣٨٩.

فلما وصل إليها قتل من فيها من المسلمين، وأعاد تحصينها وتجهيزها بالقوات؛ ليواصلوا الزحف على المسلمين جنوبًا، إلا أن المسلمين لم يمهلوهم، فقاد عمرو بن العاص رضي الله عنه جيوش المسلمين نحو الإسكندرية قبل استعدادهم، وخاض في الطريق إليهم العديد من المعارك، ثم تمكَّن من محاصرة الإسكندرية، واقتحمها المسلمون عنوة بالقوة وأعادوا تنظيمها والسيطرة عليها مرة أخرى، فصارت قاعدة ينطلقون منها في الفتوح شمال أفريقيا. يدل عليه ما رواه موسى بن علي عن أبيه: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه (أنه فتح الإسكندرية الفتحة الأخيرة عنوة قسرًا في خلافة عثمان بن عفان بعد موت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين)[١].

كما ازداد حقد الأحبار وزعماء النصارى للسياسة التي سنها عمر بالحد من وظائف أهل الكتاب في الدولة. كما ازداد حقدهم بعد أن نفَّذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصية رسول الله ﷺ في إجلائهم عن جزيرة العرب، حينما قال: (**لأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّىٰ لاَ أَدَعَ إِلاَّ مُسْلِمًا**)[٢]. وذلك أن نصارى نجران كانوا من أكبر التكتلات النصرانية في الجزيرة العربية، والتي تمثِّل خطرًا على المسلمين، فتفرقوا في الشام والعراق ومصر وفي قلوب بعضهم حقد وحسد على الإسلام ودولته، وتمكَّنوا من إثارة بعض النصارى في هذه الأمصار ضد الإسلام، ولكن شخصية عمر القوية كانت تقف حائلًا أمام مخططاتهم، فكان يرسل المعلمين لمن دخل الإسلام يعلمونهم القرآن ويفقهونهم في الدِّين[٣].

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، ص٣٠٥. وذكره السيوطي في حسن المحاضرة (١٦٢/١). وكان فتحها الأول سنة٢١هـ، وفتحها الثاني سنة ٢٥هـ.

(٢) تقدم تخريجه، ص٢٦٠.

(٣) أثر أهل الكتاب في الفتن، جميل المصري، ص٢١٩-٢٢٣.

وما زال حسد النصارى وحقدهم على الإسلام والمسلمين قائمًا على مر العصور، كفانا الله شرهم ونصر الإسلام وأعز أهله.

٣- إثارة الشبهات:

أثار النصارى عددًا من الشبهات حول الدعوة الإسلامية، عن طريق إطلاق الأكاذيب والافتراءات، وإذاعة ما يثير الشك والارتياب في صدق الدعاة من الصحابة ﷺ، وحول الحق الذي يدعون إليه، فيمنع ذلك من التفاف الناس حولهم، أو تأخير الاستجابة إليهم. وذلك مصداقًا لقول الله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١). ولذا فقد تآمر النصارى على الإسلام والمسلمين وخاصة ذوي الملأ منهم، فقد نشروا الإشاعات الكاذبة ضد الخليفة والولاة، وهم يهدفون من ذلك إلى نشر الفوضى وتعميق الفرقة بين المسلمين؛ وذلك لحقدهم على الإسلام، الذي قضى على أدياهم الباطلة، وحطَّم دولهم وقضى على جيوشهم.

ومن تلك الشبهات التي أثارها النصارى لأجل التنفير من الدعوة اتهام الصحابة ﷺ بأنهم أهل الفقر والجوع، إذ لم يكتف النصارى بعدم قبول دعوة الإسلام فحسب، بل أن الأمر وصل بهم إلى السخرية والاستهزاء من الدعاة الفاتحين، فهم ينظرون إليهم نظرةً دنيا، ويرون فيهم أنهم ليسوا أهلًا للسيادة، فهم قوم يعيشون على ألبان الإبل ويسكنون الخيام، ولا يعرفون إلا الخشن من الطعام والثياب. فحينما بلغ هرقل قدوم جيش المسلمين قال: (...والله ما كنا نعتدهم ولا نخاف أن نبتلى بهم، وقد ساروا إلينا حفاة عراة جياعًا، أخرجهم إلى بلادكم قحط المطر وجدوبة الأرض

---

(١) الصف، الآية: (٨).

وسوء الحال، فسيروا إليهم فقاتلوهم عن دينكم وبلادكم...)[1]. وعندما عسكرت الجيوش في اليرموك، خرج ماهان إلى خالد بن الوليد ﷺ وقال له: (قد علمت أن الذي أخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الأمر بكم، وإني قد رأيت أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة تحمل حملها من الطعام والكسوة والأدم، فترجعون بها إلى بلادكم وتعيشون بها أهاليكم، ونحن نعين لكم هذا في هذه المرة، فإذا كان من قابل بعثتم إلينا فبعثنا إليكم بمثله، فإنا قد جئناكم ومعنا من الجيوش والعدد ما لا قبل لكم به. فقال خالد: ما أخرجنا من بلادنا جوع ولا ضيق أمر، ولكنا -معشر العرب- نشرب الدماء، فقيل لنا: لا دم أحلى من دم الروم، فأقبلنا نهريق دماءكم ونشربها. قال: فنظر أصحابه بعضهم إلى بعض، وقالوا: هذا ما كنا نحدث به عن العرب من شربها الدماء ثم انصرفا)[2].

وقال قائد الروم في فحل لأبي عبيدة ﷺ: (اخرج أنت ومن معك من أصحابك وأهل دينك من بلادنا التي تنبت الحنطة والشعير والفواكه والأعناب والثمار، فلستم لها بأهل، وارجعوا إلى بلادكم بلاد البؤس والشقاء، وإلا أتيناكم فيما لا قبل لكم به، ثم لم ننصرف وفيكم عين تطرف. فرد عليه أبو عبيدة فقال: أما قولكم: اخرجوا من بلادنا فلستم لها ولما تنبت بأهل، فلعمري ما كنا لنخرج منها وقد أذلّكم الله بنا فيها وأورثناها ونزعها من أيديكم وصيرها لنا، وإنما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله، والله ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء. وأما قولكم في بلادنا: إنها بلاد البؤس والشقاء، فصدقتم وما نجهل ما قلتم، إنها لكذلك، وقد أبدلنا الله بها بلاد العيش الرفيع والسعر الرخيص والأنهار الجارية

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٣. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (١٨٠/٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧٤/٢).

والثمار الكثيرة، فلا تحسبونا تاركيها ولا منصرفين عنها حتى نفنـيكم ونخـرجكم منها)[1].

٤- خوف الملأ من النصارى على المكانة والسمعة:

لقد كان المدعو النصراني -خاصة ذوي الملأ منهم- يمتنع عن قبول الدعوة؛ خوفًا من أن يصل ذلك إلى الملوك الآخرين، فتهتز سمعتهم ويخسرون مكانتهم. كما اعتبروا أن هجوم المسلمين على بلادهم فيه زوال لسلطانهم. فحينما أراد لمسلمون غزو بلاد الشام كان الروم يدركون مركز بلاد الشام من إمبراطوريتهم، وكـانوا يعرفـون أن اقتطاعها هو اقتطاع لمصر أيضًا، فهم لم ينـزلوا عنها في يسر وبساطة، وجهزوا كل ما قدروا عليه من جيوش، وخاضوا كل ما ملكوا أن يخوضوا من معارك، واستنفروا كل من كان في وسعهم أن يستنفروه من العرب وأهل أرمينية والبيزنطيين وسـكان المقاطعات الأخرى، غير أنهم لم يوفقوا[2].

وحينما أراد المسلمون الاستيلاء على منطقة الإسكندرية التي تعتبر قصبة الـديار المصرية وثاني حواضر الإمبراطورية الشرقية بعد القسطنطينية وأول مدينة تجاريـة في العالم، أيقن الروم أن سقوطها في أيدي المسلمين يؤدي حتمًا إلى زوال سـلطانهم عن مصر، لذلك بادر الإمبراطور إلى إرسال الجيش إليها، ونشطوا للـدفاع عـن المدينة وأغلقوا أبوابها وتحصنوا فيها[3].

٥- المقاومة الشديدة:

من الطبيعي أن يواجه الصحابة ﷺ المقاومة من الروم، يقول شكري فيصل

---

(١) تقدم تخريجه، ص٧٩.

(٢) انظر: حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل، ص٤٩.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم (١/٢٣٨).

متحدثًا عن موقف الروم من الدعوة الإسلامية في مصر: "إن المجتمع المصري كان من حيث موقفه من الفتوح طبقتين: فأما الروم فقد وقفوا موقف المقاومة وكانت منهم قلة مسالمة اعتصمت بالهدوء، وطبقة طامعة أيدت المسلمين. وأما القبط -وهم أكثر الطبقتين عددًا- فقد وقفوا موقفًا مشربًا بالعطف، ونظروا إلى المسلمين على أهم منقذين، ووجدوا فيهم متنفّسًا لمذاهبهم الدينية المكبوتة، وقد عبروا عن مشاعرهم ببعض المساعدات للجيش المتقدم"[١]. ومن الأذى الذي تعرض له الصحابة ﷺ بسبب هذه المقاومة الرمي بالحجارة. عن سهل بن سعد قال: (ثم إن خالد بن الوليد خرج بالمسلمين ذات يوم فأحاطوا بمدينة دمشق ودنوا من باها، فرماهم أهلها بالحجارة ورشقوهم من فوق البيوت بالنشاب[٢])[٣].

وهكذا في بقية مناطق الشام والبلاد الأفريقية، فقد قاوم النصارى الجيوش الإسلامية بكل ما يستطيعون من قوة وقتال.

٦- نقض النصارى لعقد الذمَّة:

من العقبات التي واجهها الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام، هو نقضهم للعهود والمواثيق التي بينهم وبين المسلمين، والخروج عن طاعة الدولة الإسلامية، وقد نقض أهل طبرية الصلح فقاتلهم الصحابة ﷺ. عن الهيثم بن عدي قال: (ففتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحًا بعد حصار أيام على أن أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم إلا ما جلوا عنه

---

(١) حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل، ص١٤٥.

(٢) النشاب: السهام. انظر: معجم الصحاح، ص١٠٣٩، مادة: نشب.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٨٢.

وخلوه، واستثنى لمسجد المسلمين موضعًا، ثم أنه نقضوا في خلافة عمر، واجتمع إليهم قوم من الروم وغيرهم، فأمر أبو عبيدة عمرَو بن العاص بغزوهم، فسار إليهم في أربعة آلاف، ففتحها على مثل صلح شرحبيل، ويقال: بل فتحها شرحبيل ثانية)[1].

كما حدث في نقض النصارى في بعض مدن الشام، فقد كتب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة -رضي الله عنهما- فقال: (أما بعد، فإن أهل إيلياء وكثيرًا مما كنا صالحناهم من أهل الأردن قد نقضوا العهد فيما بيننا وبينهم، وذكروا أن الروم قد أقبلت إلى الشام بقضها وقضيضها...)[2].

ولما كان عصر عثمان بن عفان ﷺ ظن الفرس والروم أن المسلمين بدوا ضعافًا عما كانوا عليه في عصر عمر بن الخطاب ﷺ، فنقضوا الكثير من العهود التي أبرمت، ومن ذلك نقض عهد الإسكندرية. عن محمد بن سعيد الباهلي قال: (فيها[3] بعث ملك الروم منويل الخصي في مراكب إلى الإسكندرية، فنتقض أهلها غير المقوقس، فغزاهم عمرو بن العاص في شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وافتتحها عنوة)[4]. ووقع سكان قبرص تحت ضغط رومي عنيف أجبرهم على نقض العهد مع الصحابة ﷺ حيث عملوا على إمداد جيش الروم بالسفن؛ ليغزو بها بلاد المسلمين، وعلم معاوية ﷺ بخيانتهم[5].

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٥٥.

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٤٤. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٤٧٢/١).

(٣) أي في سنة ٢٥هـ.

(٤) ذكره خليفة بن خياط في تاريخه، ص٥٨.

(٥) فتوح البلدان، البلاذري، ص٩٧.

ومن هنا يتبيَّن لنا أن النصارى لا يؤمن غدرهم وإن هادنوا المسلمين وأظهروا مسالمتهم، فإنهم إنما يتحينون الفرص المناسبة للانقضاض على المسلمين والقضاء عليهم.

٧- تأثير بطانة السوء:

مما لاشك فيه أن للبيئة المحيطة بالدعوة تأثيرًا على قبول الدعوة أو ردها من قبل المدعوين، وفي المجتمع النصراني كان للأفراد المحيطين بملك الروم تأثير على رفض الدعوة الإسلامية، فهرقل كان راغبًا في مصالحة المسلمين، ولكن جلساءه قالوا له: (قاتل عن دينك ولا تجبن الناس واقض الذي عليك، قال: وأي شيء أطلب إلا توقير دينكم)(١).

وقد ذكر هرقل أن لجنوده دورًا في صده عن قبول الدعوة، فحينما جاء رجل من عظماء الروم إلى الملك هرقل يخبره بهزيمة الروم في معركة اليرموك، قال الملك له: (أنت والله أخبث وألأم وأكفر من أن تذبَّ عن دين أو تقاتل عن دنيا، ثم قال للشرطة: انزلوه فأنزلوه، فجاؤوا به، فقال له: ألست أنت كنت أشد الناس عليَّ في أمر محمد نبي العرب حينما جاءني كتابه ورسوله؟ وكنت قد أردت أن أجيبه إلى ما دعاني إليه وأدخل في دينه؟ فكنت أنت من أشد الناس عليَّ حتى تركت ما كنت أريد من ذلك؟ فهلا قاتلت قوم محمد وأصحابه دون سلطاني وعلى قدر ما كنت لقيت منك إذ منعتني من الدخول في دينه؟ اضربوا عنقه. فقدموه فضربوا عنقه)(٢). فهنا رفض هرقل ملك الروم دعوة الإسلام،

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠١/٢). وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٣٠١/٢)، وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٨٩/٣).

(٢) أخرجه الأزدي في فتوح الشام. ص٢١٣.

بالرغم من أنه كان مصدِّقًا بقلبه، ويعلم أن رسول الله ﷺ هو النبي الذي بشَّر به أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، منذ وصل إليه كتاب النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وكان يريد الدخول في الإسلام هو وقومه ويبقى على ملكه، فلما كان الخيار بين الإسلام والملك اختار الملك ولم يسلم، وكان موقنًا بانتصار المسلمين في كل حروبهم مع الروم، ولكنه كان مضطرًا لبعث الجيوش لقتالهم؛ لأنه لم يكن يتصرف بإرادته وإنما كان يتصرف بإرادة زعماء دولته.

وحينما دعا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ملك مصر المقوقس إلى الإسلام أو الجزية أو القتال، شاور أصحابه من الروم والقبط، وقال المقوقس لعمرو بن العاص رضي الله عنه: (إني لم أزل حريصًا على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت إلي بها، فأبى ذلك علي من حضرني من الروم والقبط، فلم يكن أن أفتات عليهم[١]، وقد عرفوا نصحي لهم، وحبي صلاحهم...)[٢]. ولكن قومه كانوا مغرورين مخدوعين لم يدركوا ما أدركه المقوقس إلا بعد أن نزل بهم البلاء، فأذعنوا للجزية المفروضة عليهم.

٨- التعصب للنصرانية:

يتمسك النصارى بدينهم ويتعصبون له، ويضحون بأرواحهم لأجله، وخاصة الملأ منهم. يقول توماس: "وهناك شواهد كثيرة تبيّن أن المسيحيين قلما كانوا في عهود الفتوح الإسلامية الأولى يشكون مما يضعف من قوة دينهم، والواقع أن تمسكهم بدينهم القديم هو الذي عرضهم لدفع الجزية..."[٣].

وظهر تعصب النصارى لدينهم حينما انهزموا في معركة اليرموك. عن خالد

(١) أفتات عليهم: أي: أعمل دون أمرهم. انظر: القاموس المحيط،الفيروزآبادي،ص١٥٧.مادة: فاته.

(٢) تقدم تخريجه، ص٦٩.

(٣) الدعوة إلى الإسلام، ص٧٧.

وعبادة قالا: (وتجلل[١] الفيقار[٢] وأشراف من أشراف الروم برانسـهم[٣]، ثم جلسوا وقالوا: لا نحب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور، وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية)[٤].

وعن جرجة قال: (كنت في ذلك الجيش الذي بعثنا ملك الروم من أنطاكية مع باهان، فأقبلنا ونحن لا يُحصى عددنا إلا الله، ولا نرى أن لنا غالبًا من الناس...قال: ولحِقَ بنا كل من كان على ديننا من النصارى، حتى إن كان الراهب لينزل من صومعته، وقد كان فيها دهرًا طويلًا من دهره، فيتركها وينزل إلينا ثم يأتينا فيقاتل معنا؛ غضبًا لدينه ومحاماة عليه)[٥]. يقول شكري فيصل: "ويبدو هذا الطابع الديني واضحًا كذلك في صنيع أشراف الروم، فقد كانوا يرون أنهم في هذه الحروب إنما يمنعون النصرانية، فإذا لم يستطيعوا منعها فلا عليهم من أن يتخطَّفهم الموت..."[٦].

على أن موقف النصارى لم يكن موقفًا جامدًا، و لم تلازمه هذه الصلابة في كل مراحل الفتح، فبعد أن كانت هزيمة اليرموك، وبعد أن أمسك المسلمون بزمام الموقف حين تم لهم الاستيلاء على سورية الوسطى، وأضحى تقدمهم نحو القدس ونحو الجزيرة أمرًا مضمون النتائج، بعد هذا أخذت النصرانية سبيلًا آخر في مدارة الإسلام وفي فسح المجال له، فارتضت بعض المدن والمناطق بالصلح

---

(١) تجلل: دخل. معجم الصحاح،الجوهري،ص١٨٢. مادة: جلل.

(٢) الفيقار: رتبة عسكرية عند الإمبراطورية البيزنطية. انظر: موقع الموسوعة الحرة. ar.wikipedia.org

(٣) برانسهم: جمع برنس وهو القلنسوة الطويلة. معجم الصحاح، الجوهري، ص٨٩، مادة: برنس.

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٥٥٣. وألحقه محقق الكتاب في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٨٨/٣).

(٥) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٦٨.

(٦) حركة الفتح الإسلامي،شكري فيصل، ص٥٢.

والمعاهدة[1].

٩- افتتان النصارى بالحياة الدنيا:

إن من أسباب إعراض النصارى عن الدعوة الإسلامية الافتتان بالحياة الدنيا والبذخ والإسراف في متعها الزائلة؛ لأنه لا يجتمع حب الدنيا والآخرة في قلب واحد، فمن تعلق قلبه بزخارف الدنيا الزائلة، فلن يكون حريصًا على الوصول إلى الحق والتأثر به.

ولذا تمسك النصارى بدينهم وخاصة ذوي الملأ منهم؛ لتعلقهم الشديد بالمال والجاه والسلطان، وصعوبة تخليهم عن عروشهم مع أنهم يعلمون الحق كل العلم.

وهذا ما لاحظه الصحابة ﷺ على الملأ من النصارى مما كان عائقًا عن قبول الدعوة والإعراض عنها. فحينما توجه معاذ بن جبل ﷺ إلى الروم في فحل (فأقبل يمشي إليهم فإذا هم على فرش وبسط نمارق تكاد الأبصار أن تغشى منها، فلما دنا من تلك الثياب قام قائمًا، فقال له رجل: أعطني دابتك أمسكها لك وادن أنت فاجلس مع هذه الملوك في مجالسهم، فإنه ليس كل أحد يقدر أن يجلس معهم وقد بلغهم عنك صلاح وفضل عند من أنت منهم، فهم يكرهون أن يكلموك جلوسًا وأنت قائم. فاجلس معهم. فقال معاذ للترجمان: إن نبينا ﷺ أمرنا ألا نقوم لأحد من خلق الله، ولا يكون قيامنا إلا لله في الصلاة والعبادة والرغبة إليه، فليس قيامي هذا لكم، ولكني قمت إعظامًا للمشي على هذه البسط والجلوس على هذه النمارق التي استأثرتم بها على ضعفائكم وأهل ملتكم، وإنما هي من زينة الدنيا وغرورها، وقد زهّد الله في الدنيا وذمّها ونهى عن البغي والسرف فيها، فأنا أجلس هاهنا على

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٥٢.

الأرض وكلموني أنتم بحاجتكم)[١]. وعن محمد وطلحة وعمرو بن ميمون، قالوا: (ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك بعث إليهم المسلمون: إنا نريد كلام أميركم وملاقاته، فدعونا نأته ونكلمه، فأبلغوه فأذن لهم، فأتاه أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان كالرسول، والحارث بْن هشام[٢]، وضرار بْن الأزور، وأبو جندل بْن سهيل[٣]، ومع أخي الملك يومئذ ثلاثون رواقًا[٤] في عسكره، وثلاثون سرادقًا[٥] كلها من ديباج[٦]؛ فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها، وقالوا: لا نستحل الحرير فابرز لنا، فبرز إلى فرش ممهدة...)[٧].

١٠- المساومات:

لقد حاول النصارى من خلال هذا الأسلوب فتنة الصحابة ﷺ عن دينهم، ولعل أبرز مثال في ذلك ما رواه أبو رافع، قال: (وجّه عُمرُ جيشًا إلى الروم، فأسروا عبدَ الله بنَ حُذَافة فذهبوا به إلى ملِكهم، فقالوا: إِنَّ هذا مِنْ أصحابِ

---

(١) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٢) الحارث بن هشام المخزومي، أسلم يوم الفتح، مات في الشام بطاعون عمواس، سنة ١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/٤٢٠).

(٣) أبوجندل بن سهيل بن عمرو العامري، من خيار الصحابة، جاهد في الشام ومات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ. انظر: المرجع السابق (١/١٩٣).

(٤) رواقًا: بيت كالفسطاط يُحمل على عمود واحد طويل. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة (١/٣٨٣)، مادة: راق.

(٥) سرادق: ما يُدار حول الخيمة، وهو كل ما أحاط بشيء من حائط أو نحوه. المصباح المنير، ص١٠٤، مادة: سرد

(٦) ديباج: الحرير. المرجع السابق (١/٢٦٨)، مادة: دبج.

(٧) أخرجه الإمام الطبري في تاريخه، ص٥٥٤. وذكره محقق كتاب الطبري في قسم الصحيح. انظر: صحيح تاريخ الطبري (٣/٨٩).

مُحمَّد. فقال: هل لك أنْ تَتَنَصَّرَ وأُعطيَكَ نصفَ مُلكي؟ قال: لو أعطيتَني جميعَ ما تَملكُ، وجميعَ ما تَملكُ، وجميعَ مُلك العرب، ما رجعتُ عن دين محمد طرفةَ عينٍ. قال: إذن أقتلكَ. قال: أنتَ وذاك. فأمر به، فصُلِبَ، وقال للرُّماة: ارمُوهُ قريبًا من بدنِهِ، وهو يَعْرِضُ عليه، ويأبى، فأنزله. ودعا بِقِدْرٍ، فصب فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأَسيرَيْنِ مِن المسلمين، فأمر بأحدهما، فأُلقي فيها وهو يَعْرِضُ عليه النصرانية، وهو يأبى، ثم بكى. فقيل للملك: إنَّهُ بكى. فظنَّ أنَّه قد جزِع، فقال: رُدُّوه. ما أبكاك؟ قال: قلتُ: هي نفسٌ واحدةٌ تلقى الساعةَ فَتَذْهبُ، فكنتُ أشتهي أن يكونَ بعدد شعري أنفسٌ تُلقى في النار في الله. فقال له الطاغيةُ: هل لك أن تُقبِّل رأسي وأُخلِّي عنك؟ فقال له عبدالله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم. فَقبَّلَ رَأْسَه. وقَدِم بالأسارى على عُمر، فأخبَرَه خبره. فقال عمر: حقٌّ على كل مسلم أن يُقبل رأسَ ابنِ حُذَافة، وأنا أبدأُ. فَقبَّلَ رَأْسَه)[1].

١١- الحاجز اللغوي:

اللغة وسيلة تخاطب وتفاهم بين الناس، ومن خلالها يستطيع الداعية أن يعبر عن أفكاره ويقنع المدعو بها، وإذا اختلفت اللغات بين الدَّاعي والمدعوين، ولم يكن هناك مجال للاتصال من خلال الترجمة كان ذلك عائقًا عن إقناع المدعو بالدعوة؛ وذلك لضعف لغة التواصل بينهم، لذلك صار اختلاف اللغة بين المسلمين والنصارى من أهم معوقات دعوتهم.

ولقد واجه الصحابة ﷺ أجناسًا مختلفة ولغات متنوعة من النصارى، ولنأخذ

---

(١) تقدم تخريجه، ص٢٨٣.

مثالًا على ذلك: فتح الصحابة ﷺ لمصر. يقول حسن إبراهيم:" أما في مصر فإن العرب لما فتحوا هذه البلاد أصبح فيها ثلاثة عناصر من السكان: القبط وهــم أهل البلاد الأصليون، وكانوا يكونون السواد الأعظم من الســكان. والــروم، وهم بقايا الحكم الروماني الذي قضى عليه العرب، وكــان الــروم واليهــود يكونون أقلية ضئيلة من السكان. أما العنصر الثالث فهو العنصر العربي..."[1].

(١) تاريخ الإسلام، ص٥٣٠.

المطلب الثاني

سبل علاج الصحابة ﷺ للمعوقات الداخلية لدعوة النصارى إلى الإسلام

١- اللجوء إلى الله ﷻ وكثرة العبادة:

كان من منهج الصحابة ﷺ في مواجهة معوقات دعوة النصارى هو الالتجاء إلى الله ﷻ بأنواع العبادات من صلاة ودعاء وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وذكر لله ﷻ، مما كان له الأثر الكبير في تسهيل أمور الدعوة في البلاد المفتوحة مهما كانت الصعوبات.

وقد مرَّ معنا كيف كان حرص الصحابة ﷺ على الصلاة والذكر والدعاء قبل مواجهة النصارى وأثناءها، وبعد الانتهاء منها. ولقد شهد النصارى بأنفسهم الأعمال الإيمانية التي قام بها الصحابة ﷺ حينما بعث قائد الروم رجلًا من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة ﷺ، فلما رجع إليه سأله: ما وراءك؟ قال: (بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رجم؛ لإقامة الحق فيهم. فقال له القبقلار: لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها...)[1].

٢- تثبيت الإسلام في نفوس المدعوين:

يعتبر دخول الصحابة ﷺ لبلاد الروم مولد تاريخ جديد لهذه البلاد ذات الماضي العريق، فلم يكد يتم الفتح وتستقر الأحوال بها بعد الوقائع الحربية المعروفة حتى تفرق الصحابة ﷺ في البلاد المفتوحة حاكمين ومعلمين حراسًا ومرابطين قضاة ومفتين، ولقد كان لهؤلاء الصحابة ﷺ آثارهم الخاصة في البلاد التي استوطنوها أو نزلوا بها

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٠٨.

مما تركوا فيها من ثروة تشريعية كبيرة، فأخذ سكانها يدخلون في دين الله أفواجًا وتنشرح صدورهم للقرآن الكريم، وتصطنع ألسنتهم اللسان العربي المبين، ويهوي نحوها الفقهاء والقرّاء وحفاظ الحديث، وتبنى فيها المساجد؛ لإقامة شعائر العبادات، وهذا كله ساعد في تثبيت الإسلام لدى المدعوين في تلك البلاد، مما كان سببًا في معالجة كثير من المعوقات الداخلية في نفوسهم[1].

٣- التغلب على حاجز اختلاف اللغة:

حرص الصحابة ﷺ على التغلب على حاجز اختلاف اللغة بينهم وبين النصارى من خلال تعليمهم اللغة العربية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولهذا كان المسلمون المتقدِّمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها الفارسية، وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية، عوَّدوا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم..."[2].

ولكن الصحابة الكرام ﷺ لم يكونوا يفرضوا اللغة العربية على أهل البلاد المفتوحة، وإنما كانوا يكرهون أن تشيع بين المسلمين لغة غير العربية، إذ للغة تأثير على صاحبها. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق والدين تأثيرًا قويًّا بينًا، ويؤثر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدِّين والخلق، وأيضًا فإن نفس اللغة العربية من الدِّين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا

---

(١) انظر: حسن المحاضرة، السيوطي (٣/١). الإصابة، ابن حجر (٤٥/١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص٣١٦.

به فهو واجب"[1].

بيد أن حاجز اللغة بين الصحابة ﷺ والروم لم يمنع الاتصالات بين الطرفين عن طريق المترجمين من الجانبين، إلا أن ذلك مهما كان التوسع فيه يظل محدودًا بالنسبة للمجتمع ككل، فطبقة المترجمين تتوجه إلى فئة معينة من المجتمع كالقادة أو العلماء أو التجار، ولا يظهر تأثيرها بشكل واضح على عامة الناس[2].

٤- تقوية عزائم المسلمين:

لقد كانت الروح المعنوية للصحابة ﷺ روحًا عالية، جعلتهم يصمدون في مواجهة عقبات الدعوة إلى آخر اللحظات، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يقبلون أي مساومات مهما كانت، هدفهم الأول هو إعلاء كلمة الحق، فهذا خالد بن الوليد ﷺ يقوي من عزائم المسلمين يوم اليرموك، فيقول: (يا أهل الإسلام، لم يبق عند القوم من الحد والقتال والقوة إلا ما قد رأيتم، فالشدة الشدة. فو الذي نفسي بيده، ليعطينكم الله الظفر عليهم الساعة. فجعل لا يسمع هذا القول أحد من المسلمين إلا شجَّعه عليهم)[3]. وقد شهد النصارى بقوة عزائم المسلمين وارتفاع روحهم المعنوية، فقد كتب باهان إلى قيصر كتابًا يخبره فيه بحاله وحال أصحابه وحال المسلمين، وكان قد جمع أصحابه يوم انصرف خالد عنهم فقال: (أشيروا عليَّ برأيكم في أمر هؤلاء القوم، فإني قد هيبتهم ولا أراهم يهابون، وقد أطمعتهم فليسوا يطمعون، وأردهم على الرجوع والخروج من بلدنا بكل وجه فليسوا

---

(١) المرجع السابق، ص٣١٦.

(٢) انظر: دعوة المسلمين للنصارى، الرومي (٦٤٤/٢). دور الترجمة،عبده النيجري، ص٣٨.

(٣) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص٢٠٢. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢٨٥/٢).

براجعين...)[1].

٥- تفنيد الشبهات وبيان بطلانها بالحجة والبرهان:

واجه الصحابة ﷺ شبهات أعدائهم من النصارى من خلال الرد عليها وبيان بطلانها بالحجة والبرهان والصراحة والوضوح مع أدب بالقول ورفق في الخطاب.

ففي وقعة فحل أرسل النصارى إلى أبي عبيدة ﷺ وقالوا: (أن اخرج أنت ومن معك من أصحابك وأهل دينك من العرب من بلادنا التي تنبت الحنطة والشعير والفواكه والأعناب والثمار، فلستم لها بأهل، وارجعوا إلى بلادكم بلاد البؤس والشقاء، وإلا أتيناكم فيما لا قبل لكم به). فرد عليه أبو عبيدة ﷺ فقال: (أما قولكم: اخرجوا من بلادنا، فلستم لها ولما تنبت بأهل، فلعمري ما كنا لنخرج منها وقد أذلكم الله بنا فيها وأورثناها ونزعها من أيديكم وصيرها لنا، وإنما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله، والله ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء. وأما قولكم في بلادنا: إنها بلاد البؤس والشقاء، فصدقتم، وما نجهل ما قلتم إنها لكذلك، وقد أبدلنا الله بها بلاد العيش الرفيع والسعر الرخيص والأنهار الجارية والثمار الكثيرة، فلا تحسبونا تاركيها ولا منصرفين عنها حتى نفنيكم ونخرجكم منها...)[2].

٦- المعاملة الحسنة:

كانت المعاملة الحسنة التي لقيها النصارى في البلاد المفتوحة من الوسائل العلاجية لكثير من المعوقات التي واجهها الصحابة ﷺ، خاصة أن تلك المعاملة جاءت في وقت عانى فيه الشعب من الظلم والعذاب من قبل حكام الروم،

---

(١) أخرجه الأزدي في فتوح الشام، ص١٨٥. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٢٧٧).

(٢) تقدم تخريجه، ص١٤٦.

فأنف من جورهم أهالي البلاد التي كانت تحت سلطانهم، ومالوا إلى الخلاص من ربقة الذل والاستعباد على أي شكل كان.

إن المعاملة الحسنة جعلت النصارى يقبلون بأنفسهم على الصلح مع المسلمين، كما حدث في وقعة فحل حيث كان النصارى يراسلون المسلمين ويقولون: (أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم قد غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا)[١].

وكذلك الحال في مصر، إذ تطلع الشعب المصري إلى دولة أخرى تخلّصهم من ظلم الروم، وقد سرهم ما علموه من استيلاء المسلمين على الشام. كما سرهم ما سمعوه من حسن سيرتهم في البلاد التي فتحوها، وتمنوا أن يكون خلاصهم من ظلم الروم على يد المسلمين.

فعامل الصحابة ﷺ القبط بمنتهى اللين، فخيَّروهم بين الإسلام والبقاء على دينهم، فمن أسلم منهم صار له ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات، ومن بقي على دينه فرضت عليه جزية صغيرة واستثنوا النساء والشيوخ والأطفال، إضافة إلى ذلك رفع الاضطهاد عنهم وعدم تحملهم ما لا يطيقون، وكان عمرو بن العاص ﷺ يضع مصلحة المصريين نصب عينيه، ولم يأل جهدًا في اكتساب محبتهم، فدانوا له بالطاعة وأحبوا ولايته.

وإن مما يدل على معاملة الصحابة ﷺ الحسنة حرصهم على دعوتهم إلى الإسلام، وهذا من أعظم الإحسان؛ لأنهم ينقذونهم بتلك الدعوة من الظلمات إلى النور، مصداقًا لقول الله ﷻ: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلۡنَـٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٠.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1]. هذا وقد لمس النصارى الأخلاق الفاضلة التي كان يتصف الصحابة ﷺ من الرحمة والعطف والوفاء بالعهد، مما كان لذلك أثر واضح في تغيير كثير من النصارى مواقفهم من الإسلام، وسبب في إسلام الكثيرين منهم.

٧- تأديب المعاندين:

يحتاج الداعية إلى التعامل بالشدة مع المدعو المعاند والمتكبر عن قبول الحق؛ حتى يرتدع عن فعله وينقاد. واستخدم الصحابة ﷺ أسلوب التأديب لعلاج بعض معوقات الدعوة في مواطن مختلفة، منها: موقف عمر بن الخطاب ﷺ من نصارى العرب حينما رفضوا أداء الجزية، خاطبهم بعنف وحقرهم وهددهم، فكان لذلك دور في إزالة ما في نفوسهم من الكبرياء والتعاظم، فرجعوا متواضعين يطلبون من أمير المؤمنين أن يوافق على أخذ ما يريد من غير أن يسمي ذلك جزية. وهنا تدخل علي بن أبي طالب ﷺ وكان لرأيه مكانة عند عمر؛ لفقهه في الدِّين، فأشار عليه أن يضاعف عليهم الصدقة.

وقد أصبح هذا الرأي مقبولًا حينما وقع موقعه، وذلك بعد ما أزال أمير المؤمنين عمر ﷺ ما في نفوسهم من العزة والكبرياء، فلو قبل ذلك منهم في بداية العرض فإنهم سيعودون بكبريائهم ولا يؤمن منهم بعد ذلك أن ينقضوا العهد ويسيئوا إلى المسلمين.

كما أدب عمر ﷺ نصارى العرب المتحالفين مع الروم. روى الطبري بسنده عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد: (ولما قدم الكتاب من الوليد[2] على عمر،

---

(١) إبراهيم، الآية: (٢).

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي، له صحبة، جاهد بالشام، مات في خلافة معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/٤١٢).

كتب عمر إلى ملك الروم: إنه بلغني أن حيًّا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك؛ فوالله لتخرجنه أو لننبذن إلى النصارى؛ ثم لنخرجنهم إليك. فأخرجهم ملك الروم، فخرجوا فتم منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبي عدي بن زياد[1]، وخنس[2] بقيتهم، فتفرقوا فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم)[3].

كما بدأ المسلمون حروب استرداد المدن والمناطق التي نقضت العهود والمواثيق وفوجئوا بقوة المسلمين التي عملت على تأديبهم؛ كي لا يعودوا إلى تلك الأعمال.

٨- عقد الذمة:

لقد كان عقد الذمة من الأمور التي كان لها دور في إزالة كثير من العقبات التي واجهها الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام، فمن كان منهم متعصبًا لدينه وبلده ورفض دعوة الإسلام، تركت له حرية العقيدة والبقاء بعقد صلح يكون بين المسلمين والنصارى، يلتزم فيه النصارى بواجباتهم، مقابل إعطائهم حقوقهم كاملة من قبل الدولة الإسلامية. وقد حرص الصحابة ﷺ على عقد الذمة في كل بلد يذهبون إليه، مما كان سببًا في اختلاطهم بالمسلمين ودخولهم في الدِّين الإسلامي عن قناعة ورضا.

٩- القتال:

لقد استخدام الصحابة ﷺ وسيلة القتال لعلاج كثير من معوقات دعوة النصارى إلى الإسلام، وهو آخر السبل العلاجية. قال الإمام ابن حجر- رحمه

---

(١) أبوعدي بن زياد: لم أجد ترجمته.

(٢) خنس: تخلف. المعجم الوسيط، مجمع اللغة(١/٢٥٩) مادة: خنس.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه، ص٦٥٣. وذكره الكلاعي في الاكتفاء (٢/٥٤٣)، وابن الأثير في الكامل (١/٤٤٩)، وقال محققا كتاب الطبري: إسناده ضعيف. صحيح تاريخ الطبري (٣/٢٣٩).

الله-: "ثم انطلق أبو بكر يرسل كتائب الإيمان خارج الجزيرة العربية في العراق والشام؛ ليكسر حاجز الخوف الذي استولى على نفوس العرب من بطش هاتين الدولتين العظيمتين الفرس والروم"(١).

وكان مقصود الصحابة ﷺ من الجهاد هو نشر الإسلام وإخراج النصارى من الظلمات إلى النور، وإزاحة العقبات من طريق الدعوة، والقضاء على العناصر الفاسدة التي تمنع وصول الدعوة الإسلامية إليهم، حتى أزاحوا الروم عن الشام، واستولوا على مملكة الفرس، وانتشر الإسلام في اليمن وغيره من أنحاء الجزيرة العربية بسبب الدعوة إلى الله والجهاد الصادق في سبيل الله ﷻ، وأزيحت العقبات عن طريق الدعوة.

وبهذا يعلم أن انتشار الإسلام بالدعوة كان هو الأساس وهو الأصل، وأما الجهاد بالسيف فكان منقذًا للحق وقامعًا للفساد عند وجود المعارضين الواقفين في طريق الدعوة. وبالجهاد والدعوة فتحت الفتوحات بسبب أن أكثر الخلق لا يقبل الدعوة بمجردها لمخالفتها لهواه، ولما في نفسه من حب للشهوات المحرمة ورياسته الفاسدة الظالمة، فجاء الجهاد يقمع هؤلاء ويزيحهم عن مناصبهم التي كانوا فيها عقبة في طريق الدعوة، فالجهاد مناصر للدعوة ومحقق لمقاصدها، ومعين للدعاة على أداء واجبهم(٢).

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا، أن التزام الصحابة ﷺ بمقومات وضوابط دعوة النصارى إلى الإسلام كان له دور كبير في التغلب على معوقات دعوتهم سواء أكانت داخلية أم خارجية، فانتشر الإسلام واللغة العربية وظهرت الحضارة العربية الإسلامية.

---

(١) الإصابة (٦١/١).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز (١٢١/٣).

الفصـــل الخامــــس

أوجه الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام في العصر الحاضر

أولاً: فيما يتعلق بموضوعات دعوة النصارى إلى الإسلام.

ثانــيًا : فيما يتعلق بوسائل وأســاليب دعــوة النصــارى إلى الإسلام.

ثالثًا: فيما يتعلق بمقومات وضوابط دعوة النصارى إلى الإسلام.

رابعًا : فيما يتعلــق بمعــوقـــات دعــوة النصـــارى إلى الإســلام.

أولاً: فيما يتعلق بموضوعات دعوة النصارى إلى الإسلام:

إن من أبرز أوجه الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام في العصر الحاضر فيما يتعلق بموضوعات الدعوة مايلي:

١- الحرص على عرض الإسلام بجوهره الحقيقي:

مما لاشك فيه أن الإسلام الذي دعا إليه الصحابة ﷺ هو الدِّين الذي ارتضاه الله ﷻ لنفسه ولأنبيائه ولرسله عليهم الصلاة والسلام، فيه اهتدى المهتدون، وبه دعا الأنبياء والمرسلون. قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[1].

فلا يقبل من أحد دينًا سواه من الأولين والآخرين. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

وحكم سبحانه بأنه أحسن الأديان، فقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[3]. ولذا كان لا بد من عرض الإسلام على النصارى في العصر الحاضر بجوهره الحقيقي، ووضوح رسالته، وإبراز جماله، وشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية الخاصة والعامة.

فالإسلام نظام رباني، يجعل غايته وهدفه البعيد حسن الصلة بالله ﷻ، والحصول على مرضاته في كل الأحوال والظروف، وتحرير الإنسان من العبودية

---

(١) آل عمران، الآية: (٨٣).

(٢) آل عمران، الآية: (٨٥).

(٣) النساء، الآية: (١٢٥).

لغير الله ﷻ، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب ﷺ لقيصر ملك الـــروم: (اتـــق الله، ولا تتخذ عيســـى إلهًـــا مـــن دون الله فـ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن ﴾ فَيَكُونُ[(1)])[(2)].

وإذا كانت هذه الربانية هي غاية دعوة الصحابة ﷺ، فإن أهدافها هي تحقيق السعادة للإنسان في دنياه وآخرته، فلا تنافي بين الغاية الربانية والغاية الإنسانية، وفي ذلك يقول الصحابي عبادة بن الصامت ﷺ للمقوقس: (أمـــا أجبـــتم إلى الإسلام الذي هو الدِّين الذي لا يقبل الله غيره، وهو ديـــن أنبيائـــه ورســـله وملائكته، أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه. فـــإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا، وكان أخانا في دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة...)[(3)].

والإسلام هو الدِّين الشامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان، فهناك أحكـــام العقيدة، وأحكام الشريعة، وأحكام الأخلاق، وأحكام تتعلق بتنظيم علاقة الإنســـان بخالقه، وأحكام تتعلق بعلاقات الأفراد فيما بينهم، وأحكام تتعلـــق بعلاقـــة الدولـــة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب، وأحكام تتعلق بتنظيم العلاقات الماليـــة بين الأفراد والدولة. هذه الأحكام وغيرها هي ما تضـــمنته دعـــوة الصـــحابة ﷺ للنصارى بمختلف أصنافهم، مراعين بذلك منهج الوسطية والاعتدال بين النصـــارى الذين يقدِّسون المسيح عيسى ﷺ وبين اليهود الذين كذبوه واتهموه. يقول معـــاذ ابن جبل ﷺ لقائد الروم في فحل: (أمَّا قولكم كيف تستحلون قتالنا وأنتم تؤمنـــون

---

(١) آل عمران، الآية: (٥٩).

(٢) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٣) تقدم تخريجه، ص٨٩.

بنبيِّنا وكتابنا؟ فأنا أخبركم عن ذلك: نحن نؤمن بنبيكم، ونشهد أنه عبد من عبيد الله، وأنه رسول من رسل الله، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، ولا نقول: إنه ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة، ولا أن لله ولدًا ولا أن له صاحبة ولا ولدًا، ولا أن معه آلهة أخرى، لا إله إلا هو تعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا)[١].

كما أن منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام جاء بعقيدة واقعية تراعي واقع الحياة وظروفها، لم يطلب من المسلم الانقطاع للعبادة كالرهبان في الصوامع والكنائس، وإنما كلف المسلم بعبادات محدودة وضحتها له الشريعة الإسلامية. يقول خالد بن الوليد ﷺ لملك الروم ماهان: (ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا محمد ﷺ وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس، فندعوكم إلى الإسلام وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة، وتقروا بما جاء من عند الله ﷻ...)[٢].

ومن الواقعية في منهج الصحابة ﷺ أنهم حذَّروا من قتال بعض الفئات في المجتمع النصراني؛ مراعاة لواقعهم. يقول أبو بكر الصديق ﷺ للقائد أسامة بن زيد ﷺ ومن معه من المسلمين قبيل مواجهة الروم في بلاد الشام: (يا أيها الناس، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف

---

(١) تقدم تخريجه، ص٨٤.

(٢) تقدم تخريجه، ص٧٨.

تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)[1].

وهنا يتبيَّن الوضوح في منهج الدعوة والسماحة في التشريعات.

إن هذه الخصائص وغيرها مما امتاز به منهج الصحابة ﷺ تتطلب من الدَّاعية في عصرنا الحاضر التركيز على بيانها للمدعوين من النصارى. يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "يجب على أهل الإسلام أن يدعوا إلى الحق، وأن يشرحوا الإسلام ومحاسنه، ويبينوا حقيقته لجميع الأمم باللغات التي يفهمونها؛ حتى يبلِّغوا عن الله وعن رسوله دينه"[2].

ويقول بسام عجك:" والمهمة الأولى في قضية الدعوة إلى الله تعالى هي: عرض الإسلام بجوهره الحقيقي، وثوبه القشيب[3] ووضوح رسالته، وإبراز جماله، وشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية الخاصة والعامة..."[4]. وقد اعترف علماء الغرب بحقيقة الإسلام. يقول الكاتب الشهير جورج برنارد شو: "لقد نادى الإسلام بالحرية والإخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها، وأقام موازين الحق والعدل والإنصاف، ودعا إلى التعاون على البر والخير والإصلاح"[5].

٢- التركيز على بيان العقيدة:

إن واقع الضلال الذي يقع فيه النصارى اليوم في جانب العقيدة يستلزم من الدَّاعية بذل الجهد في بيان العقيدة الصحيحة لهم وتحذيرهم مما هم عليه من

---

(١) تقدم تخريجه، ص٢٣٣.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/٤٥).

(٣) القشيب: الجديد. معجم الصحاح، الجوهري، ص٨٦١، مادة: قشب.

(٤) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك، ص١٥٥.

(٥) علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، الحسيني معدي، ص٦٩.

ضلال عقدي[1]، مع نهيهم عن مظاهر الغلو المتمثلة بعقيدة التثليث، وتأليه المسيح عيسى عليه السلام وتعظيم الصالحين، مع التأكيد على الإيمان بمحمد ﷺ. كما أمرهم الله سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾[2]. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "ولا تختلف النصارى من أولهم إلى آخرهم أن المسيح عليه السلام ليس بنبي ولا عبد صالح، ولكنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وأنه إله تام من إله تام، وأنه خالق السموات والأرضين والأولين والآخرين، ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، وباعثهم من القبور، وحاشرهم، ومحاسبهم"[3].

كما يتعيَّن على الدعاة أن يوضحوا للنصارى أن كتبهم وأناجيلهم جاءت ناطقة بوحدانية الله سبحانه وبالبشارة بالنبي محمد ﷺ، ويثبتوا لهم بالأدلة العقلية والنقلية أن دين الإسلام قد نسخ جميع الشرائع السابقة، وأن كتب النصارى قد وقع فيها كثير

---

(١) كشفت دراسة ميدانية أن عقيدة التوحيد سبب رئيس في إسلام غير المسلمين، وهذا دليل على أن التوحيد من أعظم الأصول التي يخاطب بها غير المسلمين. انظر: دعوة غير المسلمين،اللحيدان،ص٣٢. وللاستزادة من أهمية البدء بالتوحيد، انظر: ركائز الدعوة إلى الله، فضل الهي، ص٦٦.

(٢) النساء، الآية: (١٧١).

(٣) هداية الحيارى، ص١٨٩.

من النسخ والتحريف[1].

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "إذا كان الإنسان ممن يؤمن بالله ولكنه يكفر برسالة النبي ﷺ كاليهود والنصارى، فإننا ندعوهم إلى الله ﷻ ببيان صدق رسالة النبي -عليه الصلاة والسلام- وبالأخص نقول للنصارى: هل تؤمنون بعيسى؟ فسيقولون: نعم. هل تصدقونه؟ فسيقولون: نعم نصدِّقه. نقول: اسمعوا: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2][3].

كما وقد يحتاج الدَّاعية إلى أن يستشهد باعترافات المنصفين من علماء النصارى قديمًا وحديثًا على بطلان العقيدة النصرانية وصحة الدِّين الإسلامي.

٣- بيان أمور الشريعة:

لا يكتفي الدَّاعية ببيان أمور العقيدة للنصارى في دعوهم إلى الإسلام، بل لا بد أن ينتقل معهم تدريجيًا؛ لبيان أحكام الشريعة الإسلامية، وأنها جاءت لعموم البشر؛ حفظًا لمصالحهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة. وإن من أهم ما يركِّز عليه الدَّاعية من أمور الشريعة أركان الإسلام الخمسة، وتأتي الدعوة إلى الصلاة في مقدمة هذه الأركان؛ لأنها العهد الذي بيننا وبينهم، كما قال النبي ﷺ في الحديث: (**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**)[4]. وقد دعا خالد بن الوليد رضي الله عنه الملك

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي، ص١٤٨-٢٤٩. انظر: دراسات في الأديان، الخلف، ص٣٨٩. ولمعرفة نبوءات عن محمد ﷺ في الكتاب المقدس، انظر: هداية الحيارى، ابن القيم، ص٧٢.

(٢) الصف، الآية: (٦).

(٣) مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله، ابن باز، ابن عثيمين، صالح آل الشيخ، ص٩٠.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٦١، رقم (٨٢)، كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة.

ماهان إلى إقامة الصلاة بعد الدعوة إلى الشهادتين، وذلك أثناء أحداث وقعة اليرموك. قال خالد: (ونحن ندعوكم إلى ما دعانا إليه نبينا ﷺ وإلى ما أمرنا به أن ندعو إليه الناس، فندعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تقيموا الصلاة)(١). قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" فإذا استجابوا للعقيدة ووحدوا الله ﷻ أمرهم بالصلاة؛ لأن الصلاة لا تصلح إلا بعد إصلاح العقيدة، فإذا استجابوا لله وأقاموا الصلاة أمرهم بالزكاة؛ لأن الزكاة لا تصلح إلا بصلاح العقيدة وإقامة الصلاة، وهكذا التوحيد يبنى على أساس التوحيد والعبادة لله سبحانه"(٢).

ثم يأتي بيان بقية أركان الإسلام وفروع الشريعة من المأمورات والمنهيات. قال الإمام النووي -رحمه الله-: "ثم اعلم أن المختار أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه"(٣). كما تتسع العبادات في الإسلام لتشمل كل عمل يتقرَّب به العبد لله ﷻ، وقد ضرب لنا الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- المثل الأعلى في كثرة العبادة المتمثلة بالصلاة وقراءة القرآن وذكر الله ﷻ، والزهد في ملذات الدنيا، والصبر في سبيل الدعوة إلى الله، مما أثار إعجاب النصارى في عصرهم.

وهكذا الدعاة في عصرنا الحاضر، يستفيدون من منهج الصحابة ﵃ في هذا الأمر من وجهين: في الالتزام بالعبادة، والثاني: في دعوة النصارى لها.

فيستعين الدعاة بالله ﷻ ويتوكلون عليه، ويكثرون من دعائه بأن يعينهم على القيام بدعوة النصارى إلى الإسلام، ويصبرون على ما يلاقونه في سبيل

---

(١) تقدم تخريجه، ص٧٨.

(٢) صفات الدَّاعية الناجح، ص٣٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٩٨).

ذلك. كما يحثُّون المدعوَّ النصرانيَّ الذي نطق بشهادة التوحيد بأداء العبادات والالتزام بتعاليم الإسلام وقيمه، مراعين بذلك ضابط التدرج في عرضها، ومستوى المدعو النصراني الفكري والعلمي والتخصصي، ويتحاشى الدخول في تفصيلات قد تؤدي إلى تشتت ذهن المدعو.

ثانيًا: فيما يتعلق بوسائل وأساليب دعوة النصارى إلى الإسلام:

استخدم الصحابة ﷺ وسائل وأساليب متعددة لتبليغ الدعوة الإسلامية إلى النصارى في البلاد المفتوحة، وظهر أثرها العظيم في انتشار الإسلام في أنحاء المعمورة، وبإمكان دعاة العصر الحاضر الاستفادة من تلك الوسائل والأساليب في دعوة النصارى إلى الإسلام بما يتناسب مع قدرة الداعي وحال المدعو والمصالح المترتبة على مجتمع الدعوة في ضوء ما قررته الشريعة الإسلامية، على النحو الآتي:

١- تفعيل الحوار مع النصارى في ضوء الضوابط الشرعية:

اهتم الإسلام بالحوار اهتمامًا كبيرًا، وكثر استعماله في القرآن الكريم والسنة النبوية، وحاور بعض الصحابة ﷺ قادة الروم في البلاد المفتوحة؛ لتبليغهم دعوة الإسلام وبيان محاسنه والنهي عن كل ما يخالفه من العقائد والشعائر.

ولا زالت الحاجة ملحة في عصرنا الحاضر إلى تفعيل الحوار بين المسلمين والنصارى؛ للوصول إلى الحق، وأنه بمقدار ما يكون الدَّاعية متمكِّنًا من فن الحوار، محيطًا بآدابه وأساليبه، يكون أقدر على النجاح في دعوته. فالحوار هو في الحقيقة التطبيق العملي لمبدأ الدعوة إلى الإسلام مع النصارى بمختلف عقائدهم.

وعليه فإنه ينبغي للداعية أن يتيح الفرصة للنصراني بذكر جميع ما لديه من شبهات وحقائق، ثم يعرض المسلم ما لديه من أفكار، ويقول هذا الحق الذي نؤمن

به، فإذا كان لديكم طريق أفضل أو عقيدة أصح، فنحن على استعداد لقبولها مع مراعاة عدم الإكراه على الإسلام. ثم يبدأ الدَّاعية بالأمور المشتركة المتفق عليها، خاصة ما يمثل أهمية لدى النصارى، فهذا تدرج للإقناع والتأثير يُنتج كسرًا للحواجز المتوقعة عند المدعو تجاه الدَّاعية أو موضوعه. كما ينتج عنه كسبًا لعقله وعاطفته. كما يبين الدَّاعية في حواره مع النصراني أن الحق يمكن أن يكون في كلام أحد الطرفين، كما أن الباطل يمكن أن يكون عند أحدهما كذلك، وهذه درجة عالية في الإنصاف والعدل والتدرج مع النصراني، وهي مظهر إيجابي في التناول للقضية المختلف فيها خاصة في الإقناع والتأثير الذي يكون في إطار حوار أو مناظرة(١).

وينبغي على الدَّاعية تحديد الهدف من الحوار الذي شرعه الله ﷻ، وهو الدعوة للإسلام وبيان محاسنه وفضائله، وقد أمر الله نبيه محمد ﷺ بحوار أهل الكتاب لأجل هذا الهدف العظيم، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٢). وقد استخدم وسيلة الحوار الكثير من الخلفاء والأئمة بعد عصر الصحابة مقتفين أثرهم، ومن أشهرهم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– الذي عاش أغلب حياته مع مجتمع النصارى في الشام ومصر، وشهد واقع المسلمين في التعامل معهم، وكان له لقاءات حوار وجدل مع أحبار النصارى ورهبانهم ورؤسائهم يدعوهم فيها إلى الإسلام(٣).

---

(١) انظر: مجلة جامعة الإمام، العدد (٤٩)، بحث الإقناع والتأثير،الحميدان، ص٢٦٤.

(٢) آل عمران، الآية: (٦٤).

(٣) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله، الحوشاني (٥٢١/٢) الحوار الإسلامي، عجك، =

كما وُجد من دعاة العصر الحاضر من اهتم بوسيلة الحوار مع النصارى، من أمثال أحمد ديدات، وعبد الله العلمي ويوسف أستس وغيرهم، إذ كانوا يفسحون المجال للقساوسة والمبشرين؛ ليوردوا كل الشبهات والعقائد التي يريدونها، ثم يعود عليها بالنقض، مستشهدين عليهم بنصوص التوراة والإنجيل(١).

وقد بلغ من اهتمام الدعاة بأسلوب الحوار في العصر الحاضر أن عقدت المؤتمرات والندوات والملتقيات بحيث تكون الجهة المنظمة لهذه اللقاءات إما حكومات دول، أو وزارات تابعة لها، أو جمعيات الدعوة الإسلامية للمسلمين، ومن أمثلة ذلك: المؤتمر العالمي للأديان في لندن، والمؤتمر العالمي للأديان في باريس، والمؤتمر الإسلامي المسيحي بلبنان(٢).

وفي حال لم توجد نتيجة واضحة للحوار مع النصارى، فلا بد حينئذ من الإعراض، حيث إنه يصبح جدلًا، فيجب ألا يتنازل الدَّاعية عن أهدافه وأسلوبه في الحوار.

ثم يبدأ الدَّاعية بعد ذلك بتطبيق مبدأ التعايش السلمي، ويُعتبر هذا المبدأ نهاية المطاف في الحوار، لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات القائمة على الاحترام المتبادل بين المسلمين والنصارى، وعدم تعرض كل طرف لمقدسات ومعتقدات الطرف الآخر، كما طبق ذلك الرسول ﷺ وصحابته الكرام من بعده(٣).

=

ص٢٢٨. فقه الحوار، أحمد عوض، ص٢٧٦.

(١) الحوار الإسلامي، عجك، ص٢٢٠.

(٢) للاستزادة في تفاصيل المؤتمرات، انظر: المرجع السابق، ص٢٣٩.

(٣) ولكن الحوار وإن كان مشروعًا فإنه لا يُلجأ إليه في العصر الحاضر إلا في حال الاضطرار لاستخدامه، وقد كشفت دراسة ميدانية أن ١٢% فقط من الدعاة يرون قوة تأثير الحوار في دعوة غير

=

وتظهر خطورة الحوار مع النصارى في العصر الحاضر من جانبين:

الأول: إذا خاض فيه من لا يحسنه، وجادل المخالفَ من لم يتمكن من استيعاب الحق، ومعرفة مقاصد الشرع، ولا يثبت أمام الشبه المثارة، ولا يستطيع إقامة الحجة وقمع الباطل، فحينئذ يكون الحوار سببًا في خذلان الحق، ونصرة المجادل بالباطل. وقد صور القرآن الكريم أولئك الذين يريدون الحوار دون علم بموضوعاته التي سيتحاورون فيها في قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

الثانــي: إذا تم استغلاله لهدم الدِّين، وتقويض دعائم ما بناه المرسلون، وتقريب ما أبعده رب العالمين، ومحبة ما أمر ببغضه وعداوته، خاصة إذا تنادى المتحاورون إلى إقصاء الدِّين والتنفير منه، وتحسين الباطل باسم الحوار الشرعي وتقريب وجهات النظر. قال تعالى عن أمثال هؤلاء: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ﴾[2].

=

المسلمين، وهذا يوحي أن أفراد العينة لا يميلون إلى الجدل والمناظرة ما لم تدع الحاجة إليهما، وهو ما تقرر في الكتاب والسنة من أن الجدال يأتي في المرتبة الثالثة بعد الحكمة والموعظة الحسنة. انظر: دعــوة غــير المسلمين ، اللحيدان، ص٢١.

(١) آل عمران، الآية: (٦٦).

(٢) الحج، الآيتان (٨) و(٩).

إن الحوار مع النصارى في العصور الماضية كان يتركز على جانبين: الجانب الأول: الديانة المسيحية، وكل ما يتعلق بعقيدها وأحكامها ونبيهاﷺ. الجانب الثاني: الديانة الإسلامية وكل ما يتعلق بعقيدها وأحكامها ونبيها ﷺ. أما في العصر الحاضر، فقد دخل جانب جديد في الحوار إضافة إلى الجانبين السابقين، وهو جانب بحث نقاط التلاقي بين أتباع الديانتين الإسلامية والنصرانية.

من هنا وجب التأكيد على أهمية الحوار في عصرنا الحاضر، وأنه ينطلق من منطلقات متعددة، وأنه لا يمكن أن نقبل أي منطلق إلا بقدر موافقته للشرع الحنيف[1].

٢- القدوة الحسنة وسيلة فعالة للدعوة إلى الإسلام:

ومن أوجه الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام فيما يتعلق بالوسائل، أهمية القدوة الحسنة في حالة تعايش المسلمين السلمي مع المعاهدين من النصارى كوسيلة تطبيقية لمبادئ الإسلام وتعليماته، وأسوة بمنهج الصحابة ﷺ الذين مثلوا الإسلام بعباداتهم وتعاملاتهم حتى كانوا مثار إعجاب من قبل أعدائهم.

كما تكمن أهمية القدوة في تبليغ الدعوة للنصارى في العصر الحاضر عندما تختلف لغة المدعوّين عن الداعي، أو عند قصور الدَّاعية في طرق التبليغ، أو عجزه عن الإفصاح والبيان، فإن القدوة العملية تقوم مقام ذلك كله[2]. يقول

---

(١) انظر: الحوار النصراني الإسلامي، محمد السحيم، ص٨. بحث الحوار مع أهل الكتاب، القاسم، ص١٢٣-ص١٢٥. الحوار الإسلامي، عجك، ص٢٨٩.

(٢)كشفت دراسة ميدانية أن وسيلة القدوة تأتي في الدرجة الثانية من حيث قوة التأثير على المدعو من غير المسلمين، وأن عدم التزام المسلمين بآداب الإسلام من أكبر المعوقات في دعوتهم. انظر: دعوة =

الشيخ ابن باز-رحمه الله-: "وكثير من المدعوين ينتفعون من السيرة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ما لا ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهموها"[١]. ويقول الشيخ فضل إلهي مؤكّدًا على أهمية القدوة الحسنة: "إن سوء تصرفاتنا هي التي تشوّه سمعة الإسلام، سواء أقمنا بالدعوة إلى الله تعالى أم لم نقم بها، إننا كأمة مسلمة مراقبون من غيرنا. ولا يكاد الأعداء يجدون فينا خللًا أو تقصيرًا إلا ويسعون إلى استغلاله؛ لتشويه سمعتنا وسمعة ديننا الحق"[٢]. كما أشاد الغرب بأهمية القدوة الحسنة في الدعوة إلى الإسلام. تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: "واستطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات وإنما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد، فكسب بذلك لدينه عددًا وفيرًا لم تكن أية دعاية -مهما بلغ شأنها- لتستطيع أن تكسب مثله"[٣]. ويقول العالم النصراني السابق كرست راجا: "على المسلمين مسؤولية كبرى، يجب عليهم أن يتمثَّلوا صورة الإسلام الصحيحة أولًا، ثم يقوموا بالدعوة المستمرة، ويبذلوا جهدهم في تعريف الإسلام لغير المسلمين من النصارى"[٤].

=

غير المسلمين، اللحيدان،ص٢١.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/١١٠).

(٢) السلوك وأثره في الدعوة،فضل الهي، ص٢٠٣. وقد كشفت دراسة ميدانية على عينة من الدعاة والمسلمين الجدد، أن هناك اختلافًا بين الإسلام وواقع المسلمين، ولاشك أن هذا الاختلاف له أثره على دعوة النصارى، حيث يصطدم كثير منهم بما ينفرهم من الإسلام من خلال سلوك بعض المسلمين وتصرفاتهم. انظر: دعوة غير المسلمين،اللحيدان، ص٣٣.

(٣) شمس العرب، زيغريد هونكة، ص٣٦٧.

(٤) نماذج حية للمهتدين، الحسيني معدي، ص١٥٦.

ومن هنا نعلم أن القدوة الحسنة قناة يؤدي من خلالها الدَّاعية في العصر الحاضر واجب الدعوة إلى الله ﷻ، وهي متاحة لكل أحد لا يعذر فيها صغير أو كبير أو جاهل أو عالم شريف أو وضيع، الجميع مطالب بالقدوة الحسنة، خاصة إذا ما علمنا أن أعدادًا كبيرة من المعاهدين يأتون إلى بلاد الإسلام ويحتكون بالمسلمين في معاملاتهم وأخلاقهم، وتنطبع صورة الإسلام في أذهانهم تبعًا لما يرونه من تعامل المسلمين معهم، فينقلون ذلك الانطباع إلى بلادهم[1].

٣- الاستفادة من كل وسيلة مشروعة:

لقد كان الصحابة ﷺ يبذلون جهودًا مضنية في سبيل دعوة النصارى إلى الإسلام، متحملين عناء السفر ومشقته. أما في وقتنا الحاضر فقد يسَّر الله ﷻ أمر الدعوة بطرق لم تحصل لمن قبلنا، وهذا ما يدفع الدعاة لانتهاز تلك الفرصة للقيام بالدعوة وإقامة الحجة بكل وسيلة مشروعة والتعاون والتكاتف لأجل ذلك؛ لأن أعداء الإسلام قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله ﷻ والتشكيك في دينه، فوجب على الدعاة مقابلة ذلك النشاط بنشاط إسلامي وبجميع الوسائل الممكنة.

فالكتابة كانت ولا زالت محط اهتمام العلماء في القديم والحديث، ولها أثرها العظيم على النصارى حتى وقتنا الحاضر[2]. كما أن على الجهات المعنية

---

(١) انظر: الداعي إلى الله، زيد الزيد،ص ٥٩. مقومات نجاح الدعاة ، أحمد جلهوم،ص٢٣. التسامح في الإسلام، زيد الزيد، ص١٨٧.

(٢) من العلماء الذين اهتموا بالكتابة عن النصارى: الإمام ابن حزم في كتابه: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: "الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح"، والإمام ابن القيم في كتابه: "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، والإمام القرافي في كتابه: "الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة"، والشيخ رحمة الله الهندي في كتابه: "إظهار الحق". ومن ذلك حوارات =

بالدعوة تحسس حاجة الناس في الأقطار للدعوة ثم بعث الدعاة الأكفاء إليهم. كما بعث الخلفاء ﷺ قادة الصحابة ﷺ لفتح البلاد النصرانية.

ويستفيد الدّاعية من مستجدات عصره للقيام بواجب الدعوة؛ لأن الدّاعية إذا لم يستخدم وسائل وتقنيات عصره ولم تكن له الخبرة الكافية فيها، فإن ذلك يسهل على أعداء الإسلام غزو المسلمين من حيث لا يشعرون؛ لجهلهم وقلة خبرتهم. يقول الشيخ ابن جبرين -رحمه الله-: "وأما في هذه الأزمنة فنرى سلوك كل وسيلة يمكن استغلالها في الدعوة إلى الإسلام، كالإذاعة المسموعة والمرئية والنشرات العلمية والمقالات الإسلامية في الصحف والمجلات السليمة، ومن ذلك وسيلة الإنترنت التي ظهرت في هذه الأزمنة وانتشرت في العالم كله، فنرى على حملة العلم والدعاة إلى الله استغلال هذه الوسيلة في نشر المقالات والكلمات المفيدة والنصائح الصحيحة؛ ليستفيد من ذلك من يريد الخير ويقصد تحصيل العلم والعمل به، فإن هذا الإنترنت قد تمكن وجوده وظهوره في البلاد جميعها، فلا يترك يستغله النصارى واليهود والمشركون والمبتدعة والعصاة والفسقة، فينشرون فيه أفكارهم وشبهاتهم ودعاياتهم وضلالتهم، فينخدع بها

=

الشيخ عبد الله العلمي الدمشقي مع القسيس الدكتور (نلسن) الدنمركي، والمبشر القسيس (هنري) الهولندي. أُصدر في كتاب بعنوان: (سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس). انظر: الحوار الإسلامي، عجك، ص٢١٩. إن هذه الكتب وأمثالها المؤلفة عن الإسلام كان لها تأثير في الدخول فيه، فهذه النصرانية "آنا ليندا" تقول قبل إسلامها:" عندما كنت في كوالالمبور في الصيف الماضي اشتريت كمية هائلة من الكتب، إنها مركز إسلامي جديد وهام للكتب الإسلامية". وهذا نصراني اسمه: جوس ديلاكروس يعمل في السعودية منذ عشر سنوات أسلم بسبب تعامل الناس الجيد وتسابقهم على إهداء الكتيبات له. انظر: كيف أسلمت؟، هالة اللولو، ص٣٠. موقع مكتب الدعوة بحي الروضة .www.arrawdah.com

من يتلقاها ويحسن الظن بمن قالها..."[١].

وقد أدرك الدعاة في عصرنا الحاضر أهمية الوسائل الحديثة في دعوة النصارى إلى الإسلام، فظهرت بعض المنتديات الحوارية والمواقع الإلكترونية المهتمة بدعوتهم[٢]، وفُعِّلت المراسلة بالبريد الالكتروني من قبل العديد من الجهات الدعوية والتي كان لها أثر كبير في إسلام النصارى في مختلف أنحاء العالم الإسلامي[٣]. كما تم الاستفادة من وسائل أخرى متعددة، كالجوال الدعوي[٤]، والسيارة

---

(١) الفتاوى الشرعية،مجموعة من العلماء، ص٤٢٥. وفعلًا اهتم النصارى بتشويه الإسلام ونشر العقيدة النصرانية عن طريق الإنترنت من خلال مواقع متعددة. للاستزادة انظر: أبرز المواقع التنصيرية، إنعام بنت محمد عقيل.

(٢) مثل: مشروع موقع دين الإسلام، www.islamReligion موجه لغير المسلمين بستة لغات، حيث يسلم في اليوم خمسة أشخاص جدد عن طريق الموقع، وإجمالي المسلمين الجدد عن طريق هذا الموقع أكثر من ٣٠٠٠ من أكثر من ١٢٠ دولة في العالم تتصدرهم دولتا أمريكا وبريطانيا، ويتوفر في الموقع المحادثة الفورية (تشات) يستطيع الزائر المحادثة الفورية مع أحد الدعاة. كما زود الموقع بقسم الفيديو، حيث يتم إضافة ثلاثة فيديوهات جديدة أسبوعيًا. كما يرد على البريد الإلكتروني الوارد إلى الموقع خلال ٢٤ ساعة، وقد سجل الموقع أكثر من ٧٠٠٠ زائر يوميًا، وأكثر من ٧٠ محادثة يوميًّا. انظر: www.arrawdah.com. ومن المواقع أيضًا: موقع أنا المسلم www.muslm.net. ، وموقع دار الإسلام: www.islamhouse.com يتوفر فيه رابط بأغلب لغات العالم للتعريف بالإسلام.وموقع دليل الإسلام www.islamhouse.com ودليل المواقع الإسلامية (الباحث الإسلامي) www.islamicfinder.org وغيرها الكثير. وليحذر الدعاة من المواقع المشبوهة التي يطلق عليها إسلامية ويشرف عليها أصحاب المذاهب الضالة والعقائد المنحرفة.

(٣) وهذه الوسيلة تقوم على جمع أكبر عدد ممكن من العناوين الإلكترونية عن طريق التواصل الرسمي مع بعض الشركات، وقد دشن مكتب الدعوة بحي الروضة بالرياض مشروع الدعوة عن طريق البريد الإلكتروني بإشراف عدد من المختصين، ويسعى المشروع لجمع أكبر عدد ممكن من العناوين البريدية. انظر:موقع مكتب الروضة، www.arrawdah.com

(٤) حيث إن الدَّاعية يفعل مثل هذه الخدمة في المواسم وخاصة موسم الحج، حيث يتم الاتصال بكل قريب في أي مكان في العالم لدعوته إلى الإسلام وسط مساندة من الدعاة المؤهلين. استخدم مكتب الدعوة في الروضة بالرياض هذه الوسيلة، وساهم في دخول ١٣٤ شخصًا للإسلام أثناء الحج. انظر: =

الدعوية[1]، ونحو ذلك مما يستجد من وسائل دعوية مشروعة في العصر الحاضر.

٤- اختيار الأسلوب المناسب المرتبط بحال المدعو:

إن الدَّاعية في عصرنا الحاضر يستفيد من منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام، في استخدامهم للأساليب المتناسبة مع حال المدعو النصراني، من الترغيب أو الترهيب ونحوها، والانطلاق في أسلوب دعوته من هذه المعرفة، وهذا لا يتأتى إلا بالاختلاط بهم ومناقشتهم والتعامل معهم ومعرفة نفسياتهم وطبائعهم ومعتقداتهم[2]، فإذا كان المدعو معروفًا بتعظيم الكتاب المقدس، فليس من المناسب الابتداء به في إثبات التحريف والطعن في مصداقيته، وهذا مدعاة للنفور من الداعي وما يدعو إليه، فأسلوب التشكيك وخلخلة المعتقد يسبب النفرة والإعراض، ويبعث على المجادلة والتعصب. كما أن أسلوب مهاجمة النصارى عن طريق السب والشتم والتجريح لأشخاصها وأتباعها سبب في استثارتهم ونفورهم واستجماع عداوتهم على المسلمين، وقد أمرنا الله ﷻ بالمجادلة بالتي هي أحسن. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ... ﴾[3]. أي: بالجميل من القول، وهو

=

المرجع السابق.

(١) حيث تقوم فكرة هذه الوسيلة على تنقل السيارات الدعوية في الأماكن التي هي مظنة وجود النصارى فيها.

(٢) وينبغي التنبيه على أن المخالطة مع النصارى تكون بقدر الضرورة، حتى لا تصل إلى درجة الملازمة والمعاشرة، وأن يكون المكان خاليًا من المنكر العلني الظاهر، وأن يستطيع الدَّاعية إظهار دينه قولًا وعملًا.

(٣) العنكبوت، الآية: (٤٦).

الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه؛ رجاء إجابتهم إلى الإسلام[1].

وخلاصة الأمر، أن على الدَّاعية في العصر الحاضر التأسي بمنهج الصحابة ﷺ في استخدام أنسب الوسائل والأساليب الدعوية لأجل هداية النصارى إلى الإسلام، خاصة إذا ما علمنا تسابق النصارى إلى نشر مبادئهم بكل الوسائل والأساليب[2]؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[3].

مع العناية بتنظيم وتخطيط عمله الدعوي، فدعوة النصارى إلى الإسلام فن يحتاج إلى التأني والتفكير واستشارة أهل الخبرة في كيفية إيصال الدعوة إليهم.

ثالثًا: فيما يتعلق بمقومات وضوابط دعوة النصارى إلى الإسلام

أ- فيما يتعلق بمقومات دعوة النصارى إلى الإسلام.

إن المتتبع لمنهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام يلحظ المقومات العظيمة التي اتصفوا بها في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر سلوكياتهم التي كان لها الأثر الكبير في نجاح الدعوة وانتشارها في البلاد المفتوحة، ويستفيد الدعاة في العصر الحاضر من هذه المقومات في عدة أمور، منها:

١- أن الإخلاص أساس قبول العبادة:

الإخلاص -كما هو معلوم- أساس قبول الأعمال كلها، فإذا تجردت دعوة

---

(١) انظر: مختصر تفسير القرآن،الخازن (٩٣٢/٢). معالم التنزيل، البغوي (٣٧٩/٤). فتح القدير، الشوكاني (٢٩٢/٤).

(٢) يقول الشيخ أحمد ديدات -رحمه الله-: "فهناك ٣٥ ألف جمعية تبشيرية صليبية في صحارى أفريقيا، هؤلاء مدعومون من الكنائس والمنظمات المسيحية الأميركية، إنهم يريدون جعل أفريقيا كلها مسيحية". انظر: موقع الشيخ أحمد ديدات. www.ahmed-deedat.net.

(٣) البقرة، الآية: (١٠٩).

النصارى من إخلاص العمل لله ﷻ لم تقبل و لم يُثَب عليها، فالداعي يؤدي واجبًا ويقوم بعبادة؛ امتثالًا لأمر الله سبحانه. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1]. ولذا ظهر إخلاص الصحابة ﷺ في دعوهم النصارى إلى الإسلام، في رفضهم جميع المساومات التي عرضت عليهم من قبل قادة الروم، وهذا الأمر يبيِّن للدعاة في العصر الحاضر أن الدِّين الإسلامي دين عالمي ختم الله ﷻ به الرسالات، وأنه لا مساومة ولا تنازلات على هذا الدِّين، وأن الجهاد لم يشرع لتحقيق مصالح شخصية، أو لكسب مطامع مادية، بل شُرع من أجل إعلاء كلمة الله ﷻ ، ودرء الفتنة ونصرة للمستضعفين، وتأديبًا للمتمردين. قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾[2] وحينما يكون الدَّاعية مخلصًا لله ﷻ في دعوته النصارى إلى الإسلام، فإن أثر هذا الإخلاص يمتد إلى نفوس المدعوين فيتأثرون بقوله وفعله وربما يستجيبون لدعوته، على أن من أكبر العوامل المعينة على الإخلاص قوة الإيمان بالله ﷻ، فكلما قوي إيمان العبد ازداد إخلاصه لله ﷻ، ولذا حرص الصحابة ﷺ على كل ما يقربهم إلى الله ﷻ من الصلاة والصيام والقيام والدعاء في أحلك المواقف وأشد الظروف، حتى قال عنهم أحد نصارى العرب : (بالليل رهبان وبالنهار فرسان)[3]. وما أحوج دعاة العصر الحاضر إلى قوة الإيمان الدافعة لهم؛ للقيام بدعوة النصارى إلى الإسلام بكل الوسائل والأساليب المشروعة.

ولذا كان من الواجب على الدَّاعية في دعوته النصارى إلى الإسلام أن تكون نيته لله ﷻ، وأن يتجرد من المقاصد الدنيوية في دعوته، كطلب الشهرة أو الجاه

---

(١) يوسف، الآية: (١٠٨).

(٢) البقرة، الآية: (١٩٣).

(٣) تقدم تخريجه، ص٢١٢.

أو المال أو الانتصار لنفسه ونحو ذلك.

٢- حاجة الدعاة إلى البصيرة في الدعوة:

الدَّاعية إلى الله تعالى هو لسان الشريعة وترجمان النص، وهو المبلغ عن ربه ﷻ فيما يقوم بتبليغه من تعاليم الدِّين وأحكام الإسلام. كما أنه وراث النبي ﷺ وصحابته الكرام في مهمتهم الدعوية، فهو يقوم مقامهم في تبليغ دين الله ﷻ إلى النصارى في مختلف بقاع العالم، لذا كان لا بد للداعية من فقه في منهج دعوتهم وما تتطلبه من عناية بالدليل ومعرفة بأحوال المدعوين واختيار الوسائل والأساليب التي تناسب حالهم؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾[١]. قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "وليس المقصود هنا بالعلم في قوله ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ العلم بالشرع فقط، بل يشمل العلم بالشرع، والعلم بحال المدعو، والعلم بالسبيل الموصل إلى المقصود، وهو الحكمة"[٢].

كما أن العلم المطلوب من الدَّاعية هو ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ[٣]. ومن هنا وجب على الدَّاعية العناية بالنص وفقهه في دعوة النصارى إلى الإسلام، وهذا من العلم المأمور به. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فمن تكلَّم في الدِّين بغير ما بعث الله به رسوله ﷺ كان متكلِّمًا بغير علم"[٤]. ويقول الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "الدَّاعية الناجح هو الذي يعتني بالدليل ويصبر

---

(١) يوسف، الآية: (١٠٨).

(٢) القول المفيد (١/١٢٧).

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/٤٣٩).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/٣٩).

على الأذى ويبذل وسعه في الدعوة إلى الله"[1].

وقد يحمل الدَّاعية في العصر الحاضر علمًا لكنه لا يكون بالضرورة قادرًا على مجادلة النصارى فيه، والاحتجاج على مسائلهم، ولذا لا بد أن يكون الدَّاعية عنده القدرة العلمية والذهنية والتعبيرية على المجادلة، فليس كل من عرف الحق استطاع تعريف غيره به. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ليس كل من عرف الحق -إما بضرورة أو بنظر- أمكنه أن يحتج على من ينازعه؛ بحجة تهديه أو تقطعه، فإن ما به يعرف الإنسان الحق نوع، وما به يعرّفه به غيره نوع"[2]. وقال -رحمه الله- في موضع آخر: "وقد ينهون -أي السلف- عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل. كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجًا[3] قويًّا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة"[4].

كما أن العلم يستلزم من الدَّاعية في العصر الحاضر معرفة أصناف المدعوين من النصارى، وسماتهم الاجتماعية والثقافية، وتعلم لغاتهم -إذا أمكن- مع الاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص؛ لمعرفة أفكارهم ومعتقداتهم، ومن ثم يفكِّر الداعي في تفنيدها والردِّ عليها بأسلوب علمي حكيم[5].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥/٢٦٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/١٧١).

(٣) العلج: الرجل من كفار العجم. معجم الصحاح، الجوهري، ص٧٣٤. مادة: علج.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٧/١٧٣).

(٥) انظر: مجلة الفيصل، مقال بعنوان: الدعاة والسمات الاجتماعية، اللحيدان، ص٦٠.

٣- أهمية الرفق في الدعوة:

يستفيد الدعاة في العصر الحاضر من منهج الصحابة ﷺ فيما يتعلق بــالرفق بالنصارى، في مجادلتهم بالتي هي أحسن، مع الإحسان إلى أهل الذمة منهم. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[١]. وقــال عمر بن الخطاب ﷺ: (أُوصِيكُمْ بِذِمَّةِ اللَّهِ فَإِنَّهُ ذِمَّةُ نَبِيِّكُمْ وَرِزْقُ عِيَــالِكُمْ)[٢]. قال الإمام السفاريني -رحمه الله-: "يجب على الآمر بالمعروف والنــاهي عــن المنكر أن يبدأ بالرفق ولين الجانب سواء كان المنكر عليه مسلمًا أو ذميًّــا"[٣]. ولقد شهد علماء الغرب برفق المسلمين في الدعوة، قال القــس مليشــون في كتابه: (سياحة دينية في الشرق-تاريخ الحروب الصليبية): "لما استولى عمر على مدينة أورشليم[٤]، لم يفعل بالمسيحيين ضررًا مطلقًا، ولكن لما استولى عليهــا المسيحيون قتلوا المسلمين و لم يشفقوا وحرقوا اليهود إحراقًا"[٥].

إن الرفق مع المدعو النصرانــي يتطلب من الدعاة في العصر الحاضر عــرض الإسلام بكل يسر وسهولة، دون الخروج عن الحق أو التحلل مــن ضــوابط الشرع تحت شعار يسر الدِّين أو مرونة الإسلام. قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "أما كون المسلم يعاملهم بالرفق واللين؛ طمعًا في إسلامهم وإيمانهم فهذا لا بأس به؛ لأنه من باب التأليف على الإسلام، ولكن إذا يئس منهم عاملهم بما

---

(١) العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٢) تقدم تخريجه، ص٣٠٧.

(٣) غذاء الألباب (١/١٨٥).

(٤) أورشليم: اسم مدينة القدس باللغــة العبريــة. انظــر: موقــع الموســوعة الحــرة. --:http ar.wikipedia.org

(٥) علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، الحسيني المعدي، ص٦٨

يستحقون أن يعاملهم به"[١].

ويقول الشيخ أحمد ديدات-رحمه الله- الذي اشتهر بمحاورته للنصارى: "فلنعاملهم جميعًا بالحسنى والرحمة التي يستحقونها، ولكن إذا ما أظهروا عداواتهم ونفثوا من سمومهم في حق الرسول الكريم والقرآن الكريم وفي حق الإسلام، فيحق لنا، بل يجب علينا أن نغيِّر من أسلوبنا"[٢].

وينبغي أن ننبه على كيفية الجمع بين رفق الصحابة ﷺ مع أهل الذمة من النصارى، والنهي عن التودد إليهم وموالاتهم، فقد مر معنا كيف أن عمر بن الخطاب ﷺ رفض استخدامهم في الكتابة وعدّ ذلك من اتخاذ البطانة، وقال: (لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله، ولا تأمنوهم إذ خوَّنهم الله ﷻ)[٣]. وقد بين ذلك الإمام القرافي -رحمه الله- فقال: "اعلم أن الله منع التودد لأهل الذمة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٤]. فمنع الموالاة والتودد، وقال في حق الفريق الآخر: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ

---

(١) فتاوى علماء البلد الحرام، ص١١٩.

(٢) موقع الشيخ أحمد ديدات. www.ahmed-deedat.net.

(٣) تقدم تخريجه، ص٣٦٣.

(٤) الممتحنة، الآية: (١).

﴿فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾(1)، وقال في حق الفريق الآخر: ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(2). ولا بد من الجمع بين هذه النصوص، وأن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنها، والبابان ملتبسان فيحتاجان إلى الفرق، وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقًا علينا لهم؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا(3) وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام،... وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة تعيَّن علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع،... وأما ما أُمر به من برِّهم من غير مودة باطنية فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة... والدعاء لهم بالهداية...ونصيحتهم في جميع أمر دينهم ودنياهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، فإن ذلك من مكارم الأخلاق. وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا وتكذيب نبينا ﷺ، وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلونا واستولوا على دمائنا وأموالنا، ثم نعاملهم بما تقدم ذكره؛ امتثالًا لأمر ربنا ﷻ وأمر نبينا ﷺ، لا محبة فيهم ولا تعظيمًا لهم... وبالجملة فبرهم والإحسان إليهم مأمور به، وودهم وتوليهم منهيٌّ عنه، فهما قاعدتان أحدهما

---

(1) الممتحنة، الآية: (8).

(2) الممتحنة، الآية: (9).

(3) خفارتنا: ذمتنا. انظر: معجم الصحاح، الجوهري، ص306، مادة: خفر.

محرمة والأخرى مأمور بها"[1].

٤- أثر التسامح في الدعوة:

لقد كانت دعوة الصحابة ﷺ لأهل الذمة من النصارى تتسم بالتسامح قولًا وعملًا، واعترف بذلك غير المسلمين. يقول السير توماس أرنولد: "لقد عامل المسلمون الظافرون العربَ المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحيَّة التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح"[2].

لقد تمتع أهل الذمة من النصارى بالحرية الدينية، فقد تركهم الصحابة ﷺ يدينون بما رضوا لأنفسهم من دين على أن يدفعوا الجزية، وأحسنوا معاملة المسيحيين الذين تمسكوا بدينهم، وكان لسياسة التسامح الديني التي أظهرها الصحابة ﷺ نحو أهالي هذه البلاد وغيرها أثر كبير في تحوُّل كثير منهم إلى الإسلام.

كما إن في سماحة الصحابة ﷺ ردًّا على أعداء الإسلام والمغرضين في عصرنا الحاضر، الذين تكالبوا على هذا الدِّين ووسموه بدين التطرف والإرهاب والفكر والمنحرف.

بيد أن التسامح لا يعني التساهل بدون ضابط شرعي يحكمه. كما لا يعني التسامح الضعف أو التفريط في شيء من أصول الدِّين أو فروعه. فالتسامح المطلوب هو في السلوك والتعامل مع النصارى؛ بهدف تأليف قلوبهم إلى الإسلام.

---

(١) انظر: الفروق، القرافي، ص٧٠١.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص٥١.

٥- الحاجة إلى إظهار معنى الاعتزاز بالإسلام:

لقد كان الصحابة ﷺ في دعوتهم النصارى إلى الإسلام يظهرون معاني الاعتزاز بالإسلام في أقوالهم وأفعالهم، مما أدى ذلك إلى زرع الهيبة في نفوس أعدائهم، وفي زمننا الحاضر تشتد الحاجة إلى إظهار هذا المعنى، فالداعية الحق هو الذي اقتنع بفكرته وقضيته التي يدعو النصارى إليها، فهو يدافع عنها ويتحمس لها؛ لأنه يعتز بالانتساب إليها. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١]. كما يظهر اعتزاز المسلم بدينه في عدم تشبهه بالنصارى في كلامهم أو هيئتهم[٢]، وهذا ما أكد عليه الصحابة ﷺ في تعاملاتهم معهم في البلاد المفتوحة. إذ إن الأصل في علاقة المسلم بالنصارى هي البراءة منهم وعدم اتخاذهم أولياء. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[٣].

---

(١) فصلت، الآية: (٣٣).

(٢) وذكر الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- ضابط التشبه بالكفار، فقال: "أن يقوم الإنسان بشيء يختص به الكفار بحيث يدل من رآه من الكفار. وهذا هو الضابط. أما إذا كان الشيء قد شاع بين المسلمين والكفار فإن التشبه يجوز، وإن كان أصله مأخوذ من الكفار ما لم يكن محرَّمًا لعينه كلباس الحرير". الفتاوى الشرعية، ص١١١.

(٣) المائدة، الآية: (٥١). ولكن لو كان "المسلم بدار حرب، أو دار كفر غير حرب، لم يكن مأمورًا بمخالفتهم في الهدي الظاهر، لما عليه في ذلك من الضرر، بل قد يستحب للرجل أو يجب عليه: أن يشاركهم أحيانًا في هديهم الظاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينية: من دعوتهم إلى الدِّين، والاضطلاع =

وهذا ما حذَّر منه الرسول ﷺ أمته حينما قال: (**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك؟**)(١) قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-:" قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى عنه الشارع وذمَّه"(٢).

٦- الحرص على هداية النصارى:

إن المتأمل في منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام يلحظ تعظيمهم لأمر الدعوة إلى الله تعالى، والحرص على القيام بها في كل الأحوال، والتضحية من أجل ذلك، والضرورة إلى القيام بدعوة النصارى إلى الإسلام في زمننا هذا أشد وأعظم، وبالأخص ممن يعيش منهم في بلادنا وفي بيوتنا وأماكن عملنا، فيقوم الدَّاعية بواجب دعوتهم حسب علمه وقدرته، مستشعرًا المسؤولية التي حملنا الله إياها، واحتسابًا للأجر والثواب من عند الله ﷻ. قال ﷺ: (**..فو الله لئنْ يُهدَى بكَ رجُلٌ واحدٌ خيرٌ لكَ من حُمُرِ النَّعَم**)(٣). قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "يعني أن الهداية لواحد من الكفار على يدك -أيها الدَّاعية أو أيها

=

على باطن أمرهم لإخبار المسلمين بذلك، أو دفع ضررهم عن المسلمين، ونحو ذلك من المقاصد الصالحة. فأما في دار الإسلام والهجرة التي أعز الله فيها دينه، وجعل على الكافرين بها الصغار والجزية: ففيها شرعت المخالفة". اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ص٢٨٢.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص١٣٩٦، رقم (٧٣١٩)، كتاب الاعتصام، باب: قول النبي ﷺ (**لتتبعن سنن من كان قبلكم**).

(٢) إتحاف القاري، العدوي (٥/٥١٨).

(٣) سبق تخريجه، ص٨٧.

الأمير- فيه خير عظيم وفضل كبير...خير من الدنيا وحطامها الزائل الفاني"[١].

ولذلك نقول: لا بد من بذل الجهد في تبليغ النصارى الإسلام وبيانه لهم؛ حتى ننقذهم من عذاب الله ﷻ، فقد أقسم الرسول ﷺ على ذلك بقوله: (**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**)[٢]. وظاهر الحديث أن مجرد السماع تقوم به الحجة؛ لأنه قال: (لا يسمع بي) ولكن قيد هذا الإطلاق بسماع يبيِّن فيه الأمر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٣]. وذلك حتى تقوم به الحجة[٤].

ثم إن مما يؤكد ضرورة الحرص على هداية النصارى إلى الإسلام في العصر الحاضر ازدياد إقبال النصارى على اعتناق الإسلام. يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله-:" فالناس الآن في إقبال على الدخول في الإسلام والتفقه في الإسلام حسب ما بلغنا في سائر الأقطار"[٥]. ويقول الشيخ أحمد ديدات-رحمه الله-:" الإسلام هو الدِّين الأسرع نموًا في العالم، وعموم الشيع والطوائف النصرانية كان النمو فيها مذهلًا، بلغ ١٣٨%، بينما زيادة الإسلام لا تصدق حيث تبلغ ٢٣٥% في المدة نفسها من نصف القرن، وعلاوة على ذلك في هذا تأكيد أن الإسلام في بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية هو العقيدة الأسرع

---

(١) مجموع مقالات وفتاوى متنوعة (١١٣/٣).
(٢) تقدم تخريجه، ص٤٤.
(٣) إبراهيم، الآية: (٤).
(٤) انظر: التعليق على صحيح مسلم (٤٩٠/١).
(٥) فتاوى علماء البلد الحرام، مجموعة من العلماء، ص٤٠١.

انتشارًا"[1]. وفي هذا دلالة على فشل الديانات والفلسفات الأخرى في إيجاد الطمأنينة والراحة والسعادة للناس، وتلك نعمة عظيمة تستوجب من الدعاة الإفادة من هذه الفرصة في أن يبذلوا قصارى جهدهم في دعوة النصارى إلى الإسلام، فالإسلام قويٌّ بنفسه ولكنه في حاجة إلى رجال يوضحون حقائقه، ويظهرون معالمه، ويضحون من أجله.

كما يزداد حرص الدعاة على هداية النصارى إلى الإسلام؛ كون أن أكثر الشبه التي تثار حول الإسلام في الوقت الحاضر إنما هي من قبلهم، وفي اهتداء بعضهم ردّ على مثل هذه الشبه. كما أن اهتداء بعض النصارى يساعد كثيرًا في فضح باطل إخوانهم السابقين في الديانة؛ لخبرتهم فيها، وما في ذلك من مساعدة للدعاة ودعم لجهودهم.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن النصارى أهل ملة سماوية قبل أن يطرأ عليها النسخ والتحريف، وهي آخر الملل قبل رسالة الإسلام، وفي كتبهم من البشارات بنبوّة محمد ﷺ، فإذا تصدى المختصون لإبراز هذه البشارات وشرحها فربما يكون ذلك سببًا في إسلام كثيرين منهم، بل ويكون هؤلاء أيضًا عونًا في دعوة بني ملتهم السابقة. وهذا ما صرَّح به بعض الأوربيون الذين درسوا الإسلام أو قرؤوا عنه.

فعلى الدعاة في عصرنا الحاضر الاستعانة بالله ﷻ وطلب العون منه سبحانه،

---

(١) الاختيار بين الإسلام والنصرانية، ص١٦٩. وحسب آخر إحصائية عام ٢٠١٣م، فإن نسبة المسلمين ٢٣% والنصارى ٣٢%. وقد كشفت صحيفة بريطانية من خلال دراسة ديموغرافية أجراها موقع أمريكي، هو أن الإسلام مع نسبة نمو هي الأسرع بين الأديان، سينتزع من المسيحية ريادة الترتيب العالمي في منتصف القرن الحادي والعشرين. www.france24.com تاريخ الدخول: ١٤٤١/١/٣٠هـ.

في القيام بواجب دعوة النصارى إلى الإسلام والحرص على ذلك، لا سيما إذا علمنا أن بعضًا منهم يعودون إلى بلادهم و لم يعرض عليهم الإسلام، أو عُرض عليهم بصورة سيئة. وهذا أمر له خطره وضرره. فإن هذه الأمة مأمورة بالبلاغ ومأجورة عليه في نصوص كثيرة في الكتاب والسنة[1].

ب- فيما يتعلق بضوابط منهج دعوة الصحابة ﷺ النصارى إلى الإسلام:

١- ضرورة الالتزام بمنهج الكتاب والسنة:

إن المتأمل في دعوة الصحابة ﷺ للنصارى في البلاد المفتوحة يجد أن من أهم ضوابط دعوتهم التزامهم بمنهج واحد قائم على نصوص القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، وفي هذا تطبيق لما قرره الرسول ﷺ حينما قال: (...**إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ**...)[2]. ودعوة النصارى في العصر الحاضر في أمس الحاجة إلى التمسك بهذين الأصلين العظيمين: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة. قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: "قال ابن بطال: لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله أو في سنة رسوله أو في إجماع العلماء"[3]. ويقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- : "ثم لا بد أن يكون منهج الدعوة موافقًا لما شرعه الله سبحانه وتعالى، وليست مناهج الدعوة مفوضة إلى الناس يضعون مناهج لأنفسهم، المنهج الذي وضعه الله سبحانه وتعالى ورسمه وطبَّقه الرسول في سيرته العطرة، وكذلك أتباع الرسول ﷺ ساروا على منهج الرسول ﷺ في دعوته، وأي واحد يحدث منهجًا يخالف منهج

---

(١) انظر: دعوة غير المسلمين، اللحيدان، ص٣٩.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ص٣٣٥، رقم (٨٦٧)، كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة.

(٣) إتحاف القاري، العدوي (٤٨٩/٥).

الرسول ﷺ -منهج الكتاب والسنة- فإنه يكون مخطئًا في منهجه، وبالتالي لا ينجح في دعوته، بل تكون دعوته غير صحيحة"[1].

٢- عدم الإكراه على الإسلام:

لقد اتضح من المعاهدات والوصايا بين الخلفاء وقادة الجيش الرومي، مراعاتهم لضابط الحرية الدينية وعدم الإكراه على الإسلام، ويستفيد الدعاة في العصر الحاضر من هذا المنهج الذي اتسمت به دعوة الصحابة ﷺ، في أن المطلوب من الداعي القيام بواجب الدعوة إلى الله، وليس المطلوب منه أن يستجيب الناس. قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2] فالهداية بيد الله وحده. قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[3]. فالإسلام دين بيِّن واضح الدلائل والبراهين، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله ﷻ للإسلام وشرح صدره ونوَّر بصيرته دخل على بينة، ومن أعمى الله ﷻ قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدِّين مكرهًا، وهو مصداق لقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[4]. وهذا كله من محاسن ديننا العظيم التي لا توجد في أي ديانة في العالم[5]، ولهذا ختم الله ﷻ به الرسالات

---

(١) مجموعة رسائل دعوية ومنهجية، ص٦٧٣.

(٢) العنكبوت، الآية: (١٨).

(٣) القصص، الآية: (٥٦).

(٤) البقرة، الآية: (٢٥٦)

(٥) وأما من قال أن هذه الآية منسوخة بآية السيف فقول ضعيف وبعيد عن الواقع. كما أشار إلى ذلك الطبري في تفسيره (٨١/١)، والبغوي في معالم التنزيل (٣٦٢/١). وابن كثير في تفسيره (٣١٨/١)، وابن العربي في أحكام القرآن (٢٣٣/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٦/١)، والشوكاني في فتح القدير (٤١٦/١).

وسائر الأديان. قالت عالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1]. وقد شهد بعض علماء الغرب بعدم إكراه المسلمين للنصارى للدخول في الإسلام. يقول توماس: "ولكننا لم نسمع عن أي محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظَّم قصد منه استئصال الدِّين المسيحي..."[2]. وقالت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة في قوله تعالى: "﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾. هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام...سُمح لهم جميعًا دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائرهم الدينية، وترك المسلمون لهم بيوت عباداتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟"[3].

٣- فقه المقامات:

إن من الأمور التي ينبغي أن يحيط بها الدَّاعية في دعوة النصارى إلى الإسلام في عصرنا الحاضر فقه المقامات كما فقهها الصحابة ﷺ، والمقصود بذلك: أن يفقه الدَّاعية في العصر الحاضر موقفه تجاه هؤلاء النصارى تبعًا لموقفهم من الدعوة، فمن يستجيب منهم لدعوتنا ويعتنق ديننا، فهؤلاء إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا. قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ ۗ ﴾[4]. وأما حكم النصارى الذين لم يستجيبوا للدعوة، فهؤلاء على قسمين:

---

(١) المائدة، الآية: (٣).

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص٩٨.

(٣) شمس العرب، ص٣٦٤.

(٤) التوبة، الآية: (١١).

القسم الأول: من نصرانيتهم قاصرة على أنفسهم، لا يدعون إليها، فهؤلاء يتركون كالشيخ الكبير الهرم والصبي الصغير والمرأة... إلخ. فهؤلاء اختاروا لأنفسهم النصرانية، لا ينشرونها في الأرض ولا يدعون إليها، فهؤلاء لا يتعرض لهم؛ لأنه لا يخشى منهم نشر النصرانية، فشرهم قاصر على أنفسهم ونحن لا نملك هدايتهم.

فالأصل في حقهم المسالمة، كما سالمهم الصحابة ﷺ ما لم يعتدوا بقول أو فعل، وعلى هؤلاء الفئات تحمل الآيات التي أمر الله ﷻ فيها بالسلم، وأباح فيها الإحسان للكفار كقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[2] وقوله: فَإِنِ ﴿ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[3]. قال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: "فإن اعتزلوكم ولم يتعرضوا لقتالكم وألقوا إليكم السلم، أي: استسلموا لكم وانقادوا، "فما جعل الله لكم عليهم سبيلًا" أي: طريقًا، فلا يحل لكم قتلهم ولا أسرهم ولا نهب أموالهم، فهذا الاستسلام يمنع من ذلك ويحرمه"[4].

هذا حكمهم في الدنيا. أما في الآخرة فلهم العذاب على كفرهم وعدم استجابتهم للدعوة. كما قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**)[5].

---

(١) الممتحنة، الآية: (٨).

(٢) الأنفال، الآية: (٦١).

(٣) النساء، الآية: (٩٠).

(٤) فتح القدير (٧٤٩/١).

(٥) تقدم تخريجه، ص٤٤.

القسم الثاني: الذين يصدُّون عن دين الله ﷻ ويعارضون الدعوة وينشرون النصرانية ويدعون إليها. فهؤلاء أوجب الله علينا قتالهم(١)؛ كفًّا لشرهم، وإظهارًا للحق، ولعلهم يهتدون بعد القتال. كما قاتل الصحابة ﷺ المعاندين من النصارى في البلاد المفتوحة؛ استنادًا لقوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾(٢)(٣).

ووجد من الناس اليوم من غاب عنه فقه المقامات في التعامل مع النصارى، مستنداً إلى بعض النصوص الدينية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، يفهمها فهمًا سطحيًّا متعجلًا، مستدلًا بها على تعصب الإسلام ضد المخالفين له من اليهود والنصارى وغيره، كالآيات التي تنهى عن موالاة غير المؤمنين، مثل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(٤). وغيرها من الآيات(٥)، ولو أنهم فقهوا تلك الآيات وتأمَّلوا منهج الرسول ﷺ وصحابته من بعده ﷺ في التعامل مع النصارى لتبيَّن لهم خطأ ما هم فيه من اعتقادات، فموقف المسلم يختلف باختلاف موقفهم من الدعوة كما ذكرنا ذلك.

كما أن من المعلوم أن لا وجود لأهل الذمة في عصرنا الحاضر. قال الشيخ محمد بن عثيمين –رحمه الله–: "أنا أوافق على أنه ليس عندنا أهل ذمة؛ لأن أهل الذمة هم

---

(١) إذا توفرت شروط القتال وانتفت موانعه.

(٢) البقرة، الآية: (١٩٣).

(٣) انظر: أحكام التعامل مع غير المسلمين، الفوزان، ص١٥.

(٤) المائدة، الآية: (٥١).

(٥) انظر: الآية: (٢٨) من سورة آل عمران، والآيات (١٣٨) (١٣٩) (١٤٤) من سورة النساء، والآية (١) من سورة الممتحنة.

الذين يخضعون لأحكام الإسلام ويؤدون الجزية وهذا مفقود من زمان طويل، ولكن لدينا معاهدون ومستأمنون ومعاهدون معاهدة عامة ومعاهدة خاصة، فمن قدم إلى بلادنا من الكفار لعمل أو تجارة وسمح له بذلك، فهو إما معاهد أو مستأمن لا يجوز الاعتداء عليه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (**مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**)[1]... فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله ﷻ، محترمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد والأمان، فمن أخلَّ بذلك فقد أساء للإسلام وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة، ومن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق فهذا هو الذي يرجى خيره وفلاحه"[2].

٤- فقه الموازنات:

ينبغي على دعاة العصر الحاضر عند قيامهم بدعوة النصارى إلى الإسلام مراعاة ضابط في غاية الأهمية، وهو فقه الموازنات بين المصالح والمفاسد؛ لأن الشريعة مبناها وأساسها جلب المصالح وتحصيلها ودفع المفاسد وتقليلها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته"[3]. وذكر الشيخ ابن عثيمين

---

(١) تقدم تخريجه، ص٣٠٦.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل (٢٥/٤٩٣).

(٣) الفتاوى (٢٨/١٢٩).

-رحمه الله- قاعدة في هذا الخصوص، فقال: "إذا اجتمعت مصلحتان فخذ بأعلاهما، وإذا اجتمعت مفسدتان فخذ بأدناهما"(١).

وعلى هذا الأساس قامت العلاقات للدولة الإسلامية في عصر الصحابة ﷺ سلمًا أو حربًا مع النصارى، فكل أمر يجلب نفعًا للأمة الإسلامية أو يدفع عنها ضرًا راعوه في قراراتهم الحربية.

وكثير من نصوص العلماء وتطبيقاتهم تؤكد هذه الحقيقة، ولعلنا نكتفي بما ذكره الإمام ابن القيم -رحمه الله- إذ قال عند حديثه عن العلاقات مع غير المسلمين: "ومدار هذا الباب وغيره مما تقدم على المصلحة الراجحة...ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وأصحابه في تأليفهم الناس على الإسلام بكل طريق، تبيّن له حقيقة الأمر، واعلم أن كثيرًا من هذه الأحكام التي ذكرناها... تختلف باختلاف الزمان والمكان، والعجز والقدرة والمصلحة والمفسدة"(٢).

٥- التدرج في عرض الدعوة:

إن بدء الدَّاعية بفروع القضايا وفروع الأحكام الشرعية المتعلقة بالسلوك في دعوة النصارى قبل تأسيس الأصول مناف لحكمة التدرج التي كانت سنة الله ﷻ في تنزيل القرآن الكريم، ومنافية لما أوصى به الرسول ﷺ معاذ بن جبل ﷺ حين بعثه داعيًا إلى اليمن. ومخالفة لمنهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام الذين كانوا يتدرجون في عرض موضوعات الدعوة ووسائلها وأساليبها؛ مراعاة لنفوس المدعوين وتدرجًا لحصول الاستجابة منهم، قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "من الضوابط المهمة في الدعوة إلى الله جل جلاله أن يعتني الدَّاعية بالبداءة

---

(١) القول المفيد (٣/٢٥٧).

(٢) أحكام أهل الذمة (٣/١٣٢١).

بالأهم فالمهم، الأمور لها درجات، فهناك أمور مهمة وهناك أمور أهم منها"[1].

وهكذا الدعاة في عصرنا الحاضر، يستفيدون من منهج الصحابة ﷺ في ضابط التدرج؛ لعلمهم أن تغيير نفوس النصارى اليوم وتحويلها من النصرانية إلى الإسلام أمرٌ ليس سهلًا، وأن الأعراف والشعائر التي استقرت في عقولهم وترسَّخت في أذهانهم لا تتغيَّر بأمر يصدر أو دعوة توجَّه، ولذا فلا بد من إدراك حقيقة مهمة الدعاة، وهي أن المراعاة والتدرج لَازِمَانِ لتغيير النصارى وحصول الاستجابة منهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلقن جميع شرائعه، ويؤمر بها كلها، وكذلك التائب من الذنوب والمتعلم والمسترشد لا يمكن أول الأمر أن يؤمر بجميع الدِّين، ويذكر له جميع العلم، فإنه لا يطيق ذلك، وإذا لم يطقه فلم يكن واجبًا عليه في هذه الحال، وإذا لم يكن واجبًا عليه فلم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداء، بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان، كما عفا رسول الله ﷺ عما عفا عنه إلى وقت بيانه، ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات؛ لأن الوجوب والتحريم مشروطان بإمكان العلم والعمل، وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط"[2].

كما يستفيد دعاة العصر الحاضر من منهج التدرج في دعوة النصارى، في أن الأصل في العلاقة بين المسلمين والنصارى هي السلم، وأن الحرب لا يصار إليها إلا عند الضرورة، ولذا جاءت وصايا الصحابة ﷺ للجنود في المعركة بشكل تدريجي، وكان القتال آخر الحلول معهم. ولقد شهد بعض المستشرقين بعناية الصحابة ﷺ واهتمامهم بالتدرج في الدعوة إلى الله قبل القتال معهم. يقول

---

(١) مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله، ص٣٠٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٢٠/٦١).

غوستاف لوبون: "وكان العرب قبل أن يسعوا إلى فتح بلد يرسلون رسلًا حاملين إليه شروطًا للوفاق، وتكاد تكون هذه الشروط مماثلة للشروط التي عرضها عمرو بن العاص ﷺ في السنة السابعة عشرة من الهجرة على أهالي غزة حين حصاره لها، وللشروط التي عرضت على المصريين وأهل فارس..."(١).

٦- ضرورة العدل مع أهل الذمة:

إن العدل هو الصفة المثلى التي تقوم على أساسها حياة المجتمعات، ويسهم بالرقي بالأمم والشعوب، والعدل مأمور به في كل الأحوال حتى مع غير المسلمين. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢). وإن المتتبع لمواقف الصحابة ﷺ مع أهل الذمة من النصارى في البلاد المفتوحة يجد مراعاتهم لضابط العدل معهم وإعطاءهم حقوقهم كاملة، فقد حفظوا لهم أنفسهم وأموالهم ومقدساتهم، ودوَّنوا ذلك في معاهدتهم معهم، وأوصوا بهم خيرًا، فعن عمر ابن الخطاب ﷺ قال: (أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم، ورزق عيالكم)(٣).

ويستفيد دعاة العصر الحاضر من هذا الأمر في إعطاء النصارى حقوقهم؛ ذلك أنهم من المستأمنين الذين أذن لهم بالبقاء بعهد الأمان الذي قررته الشريعة الإسلامية، وقررت في ضوئه حقوقهم وواجباتهم، استنادًا إلى نصوص الشرع من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، واجتهادات علماء هذه البلاد فيما يجد من قضايا تتعلق بمعاملتهم.

---

(١) حضارة العرب، ص٧٠.

(٢) المائدة، الآية: (٨).

(٣) تقدم تخريجه، ص٣٠٧.

رابعًا: أوجه الاستفادة في العصر الحاضر من منهج الصحابة ﷺ فيما يتعلق بمعوقات دعوة النصارى إلى الإسلام وعلاجها:

إن المتأمل لواقع دعوة النصارى في عصرنا الحاضر يلحظ أنها تعيش واقعًا صعبًا للغاية؛ بسبب ما تعانيه من وجود معوقات ومشكلات قد تنوعت وتعددت، وليس هذا بغريب؛ لأن الصراع بين الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة. وفيما يلي عرض لبعض تلك المعوقات:

١- إثارة الشبهات:

يشكك أعداء الإسلام اليوم بأهداف الفتوحات الإسلامية، ويثيرون حولها الشبهات؛ للتنفير من الإسلام، ومن ذلك أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأن هدف الصحابة ﷺ من الفتوحات هدف اقتصادي، المقصد من استغلال الأراضي والخيرات. يقول المبشر الهندي بشير أحمد شاد: "السؤال الذي كان يقلقني هو أننا نحن - النصارى- نزعم أن الإسلام انتشر بحد السيف! فقلت لنفسي: فلماذا تقبَّل الناس الإسلام ولا يزالون يعتنقونه في كل ركن من العالم؟!"(١).

ولدرء مثل هذه الشبهات وأمثالها نقول: إن هؤلاء الحاقدين تجاهلوا النصوص الشرعية، ولم يتحروا الحق في فهمها، وغفلوا عمَّا زخرت به كتب التاريخ من حقائق وبراهين واضحة تدل على نقض دعواهم تلك، ومن تتبع مواقف الصحابة -رضوان الله عليهم- مع النصارى في البلاد المفتوحة يجد الرد على تلك التهم الباطلة.

فإن استخدام الصحابة ﷺ لوسيلة القتال في الدعوة إلى الإسلام لا يدل على أن الإسلام انتشر بحد السيف، إذ إن واقع دعوة الصحابة ﷺ يكذب ذلك على نحو ما

---

(١) علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، الحسيني معدي، ص٨٧.

مر بنا من مواقف تدل على سماحة الإسلام وفقه في التعامل مع النصارى من خلال الفتوحات الإسلامية، وأنهم لا يستخدمون وسيلة القتال إلا لأجل الدفاع عن الدِّين والنفس، فهم لا يبدؤون بالقتال إلا من قاتلهم، فهم مضطرون إليه؛ دفاعًا عن النفس، مستندين إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1]. ولأجل تأديب النصارى الذين تمردوا على المسلمين بنقض العهد؛ استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾[2].

كما أن وجود طائفة من النصارى في بلاد المسلمين دليل على عدم إجبار الإسلام الناس على الدخول فيه، ولو صح ذلك-أي: انتشار الإسلام بالسيف لخيَّر الصحابةُ ﭫ النصارى بين أمرين لا ثالث لهما: إما الإسلام، وإما الموت.

كما أن انتشار الإسلام إلى شتى بقاع العالم وإلى أراضٍ لم تصلها جيوش المسلمين دليل واضح أن هذا الدِّين يملك مقومات القبول والرضا من الناس دون إجبار، والذي يدَّعي أن الإسلام انتشر بالسيف إنما يريد تنفير الشعوب غير المسلمة من الدخول في الإسلام كرد فعل لما يراه من دخول الكثير منهم فيه[3]. يقول السير توماس أرنولد: "وإذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في

---

(١) البقرة، الآية: (١٩٠).

(٢) التوبة، الآية: (١٢).

(٣) انظر: التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي،ناصر جاد، ص٣٥١. انظر: فقه الدعوة وأساليبها، ص١٦٩.

تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة التصديق"[1].

ويقول المؤرخ والفيلسوف الفرنسي فوليتير: "ليس صحيحًا أن الإسلام استولى قهرًا وبالسيف على أكثر من نصف الكرة الأرضية، هذه شائعات تحاول أن تقلل من قيمة الإسلام ورسوله، لكن أكبر سلاح استخدمه المسلمون لبث الدعوة هو اتصافهم بالأخلاق العالية، والدليل على أن الإسلام لم ينتشر بسيف أن كثيرين اعتنقوا الإسلام وهم بعيدون عن بلاده وغزواته وفتوحاته، فكيف إذن وصلهم السيف الذي يدعيه مؤرخونا وخطباؤنا، نريد أن نمحو هذه الأخطاء التي ارتكز عليها الكارهون للإسلام وللتاريخ، فالذين يكذبون على التاريخ لا يستحقون أدنى احترام"[2].

وأما قولهم أن هدف الصحابة ﷺ من الفتوحات هدف اقتصادي، فهذا مردود أيضًا؛ لأن المتمعن في مواقف الصحابة ﷺ يجد أنهم رفضوا جميع العروض المادية من ملوك الروم، وأعلنوا هدفهم بكل صراحة وهو إعلاء كلمة التوحيد وانتشار الإسلام في أنحاء المعمورة [3].

ولا ينبغي لأي إنسان أن يتعرض بسوء لما قام به الصحابة ﷺ من فتوحات وجهاد، فمنزلة الصحابة ﷺ ومكانتهم في الدِّين أمر لا يجادل فيه مسلم صادق في إسلامه، فهم الذين اختصهم الله لصحبة نبيه ﷺ فصدقوه وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزله معه، وبذلوا في سبيل دينهم المهج والأرواح والغالي والنفيس، حتى اكتمل بنيانه واشتدت أركانه، فكانوا خير جيل عرفته

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص٧٨.

(٢) علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، الحسيني معدي، ص٧٨.

(٣) ولم تقتصر شبهات النصارى في العصر الحاضر على هذا الأمر، بل تنوعت وتعددت للصد عن الإسلام وتشويه معالمه، فمنها ما يتعلق بالقرآن وبالرسول ﷺ وحقوق الإنسان والمرأة.

البشرية وخير أمة أخرجت للناس، هم أمناء هذه الأمة وحملة شريعتها ونقلتها إلى من بعدهم، ولذا فإن الطعن فيهم والتشكيك في عدالتهم يفضي في الحقيقة إلى هدم الدِّين والقضاء على الشريعة، وعدم الوثوق بشيء من مصادرها، والإطاحة بجملة وافرة من النصوص والأحاديث التي إنما وصلتنا عن طريقهم وبواسطتهم، وبالتالي إبطال الكتاب والسنة.

وهذا ما حدا بعلماء المسلمين إلى أن يقفوا موقفًا صارمًا ممن يطعن في صحابة رسول الله ﷺ أو يشكك في عدالتهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1]، وطاعة لرسول الله ﷺ في قوله: (**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ[2] ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَه[3]**)[4]"[5].

(١) الحشر، الآية: (١٠).

(٢) أحد: جبل معروف في المدينة، سمي بذلك لتوحده عن الجبال. انظر: شرح العقيدة الواسطية، الفوزان، ص١٨٦.

(٣) المد: مكيال وهو ربع الصاع النبوي. شرح العقيدة الواسطية، ص١٨٦. ومعناه: قال الإمام النووي: "لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مدًّا ولا نصف مد". صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٩٣).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ص٧٠١، رقم (٣٦٧٣)، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب: قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلًا.

(٥) العقيدة الواسطية، ص٨٤.

قال الإمام النووي -رحمه الله-: "واعلم أن سب الصحابة ﷺ حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون"(١).

وقد يتشبث أصحاب الشبهات ببعض النصوص المكذوبة على الصحابة ﷺ أو ببعض الاختلاف الذي وقع بينهم في وقت الفتنة؛ وذلك للوقيعة فيهم والنيل منهم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ونؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب"(٢). ولا تعني محبة الصحابة ﷺ والدفاع عنهم الغلو فيهم، فموقف أهل السنة والجماعة هو موقف الاعتدال والوسط بين الإفراط والتفريط والغلو والجفاء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال في أمر الصحابة والقرابة ﷺ"(٣).

كما أن الواجب على المسلمين اليوم أن يدافعوا عن دينهم بكل قوة، وأن يفضحوا مؤامرات ومخططات الغرب على الإسلام وتفنيدها، والرد على كل من تعرَّض للقرآن الكريم والرسول ﷺ وصحابته الكرام -رضوان الله عليهم- وعلى كل القيم والمبادئ الإسلامية.

٢- اختلاف اللغة:

إن هناك معوقات تقف حاجزًا أمام الدَّاعية لتبلغ الدعوة إلى النصارى في العصر الحاضر، ومن ضمنها اختلاف اللغة الذي كان يعاني منه الصحابة ﷺ في إيصال الدعوة للنصارى في عصرهم، ولقد كانت الترجمة واستخدام المترجمين من الوسائل العلاجية لغير الناطقين باللغة العربية، ومن هنا تظهر أهمية الترجمة في العصر الحاضر؛ لأن مجرد التبليغ لا يكفي لإقامة الحجة على الناس، بل لا بد

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٩٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/٤٠٦).

(٣) المرجع السابق (٣/٤٠٥).

من فهم الحجة، ولا يتم ذلك إلا عن طريق اللغة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه -إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة- كمخاطبة العجم: من الروم، والفرس، والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة. وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه"(١). وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "ومن الحكمة إيضاح المعنى وبيانه بالأساليب المؤثرة التي يفهمها المدعو وبلغته التي يفهمها حتى لا تبقى عنده شبهة، وحتى لا يخفى عليه الحق بسبب عدم البيان، أو بسبب عدم إقناعه بلغته"(٢).

وقد يحتاج النصارى إلى ترجمة معاني القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيتصدى لذلك ممن يثق بعلمه وأمانته وسلامة عقيدته. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" وكذلك يُترجم القرآن والحديث لمن يحتاج إلى تفهيمه إياه بالترجمة"(٣). وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: " أما ما يتعلق بالترجمة ففي إمكان طالب العلم أن يستعين بمن يعلم عنهم حسن العقيدة وجودة العلم مع العلم باللغة الأجنبية التي يريدها حتى يترجموا له المطلوب"(٤). ولذا وجدت -والله الحمد- في هذا العصر الكتب المترجمة التي تصدرها المراكز الإسلامية، كمكاتب الدعوة، وتعتني بنشرها بعض المواقع الإسلامية(٥).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/٣٠٦).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/١٠٨).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/٣٠٦).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/٤٢٩).

(٥) من أمثلة المواقع: موقع طريق الدعوة،.www.tttt4.com

ومما يحسن الإشارة إليه في هذا المجال ما تقوم به المملكة العربية السعودية ممثلة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة من جهود في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات.

بيد أنه يصعب على الدَّاعية الاستغناء عن تعلم اللغات بالمترجمين من النصارى؛ لأنه إن ظفر بالترجمان الأجنبي الأمين، لا يتيسر لمن يدعوهم أن يفهموا حقيقة الدِّين عند الترجمة ما يتيسر لهم لو أنه شافههم بلغتهم، وهذا ما حرص عليه الرسول ﷺ في أمره لبعض أصحابه أن يتولوا هذه المهمة وهي تعلم لغة القوم؛ ليأمنوا مكرهم وغدرهم، وليأمنوا من التحريف أو التبديل في إيصال مابين الطرفين(١).

٣- الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة:

إن المتأمل لواقع الدعوة الإسلامية اليوم، يلحظ استمرار النصارى وغيرهم من الكفار بمحاربة الإسلام بشتى الطرق والوسائل، من سيطرة الاستعمار على كثير من البلدان الإسلامية، ونشاط حركة التنصير بين الأمم المختلفة، وظهور تيارات الغزو الفكري والثقافي، وذلك كله مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾(٢)، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾(٣). يقول الشيخ السعدي -رحمه الله-: "وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصًا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين بذلوا

(١) انظر: مقومات نجاح الدعاة، جلهوم، ص١٢٨.
(٢) البقرة، الآية: (١١٩).
(٣) البقرة، الآية: (٢١٧).

الجمعيات ونشروا الدعاة وبثوا الأطباء وبنوا المدارس؛ لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخيلهم عليهم كل ما يمكنهم من الشبه التي تشككهم في دينهم"(١).

ولذا فإن واجب الدعوة يتأكد على الدعاة أكثر في هذا الزمان، من خلال وضع الخطط والاستراتيجيات المناسبة لدعوة النصارى إلى الإسلام، واستخدام الوسائل المشروعة للتأثير عليهم وإضعاف مخططاتهم. كما يُعنى الدعاة بتأهيل أنفسهم التأهيل العلمي والنفسي والثقافي والسلوكي، مراعين بذلك قواعد وضوابط دعوتهم، مع الحرص على فهم واقع المجتمعات النصرانية والانطلاق بالدعوة بناءً على تلك المعرفة، مستعينين بأهل الخبرة والاختصاص من العلماء المعتبرين في الشريعة الإسلامية. يقول الشيخ أحمد ديدات-رحمه الله:" إما أن نجتهد وأن ندعو إلى الإسلام ونتمسك بإسلامنا، أو نقف مكتوفي الأيدي كما هو الآن؛ لكي يحولونا إلى النصرانية، ونحن أصحاب الحق والدِّين الذي يجب أن يظهر...وإذا قصرنا في ذلك فإن الله توعدنا بأنه سيبدلنا بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، فقد تركنا المجال للدعوات النصرانية وغيرها تنتشر بكل أساليب الدعاية والإعلام واستغلال إمكانات الصحافة والإذاعة والتلفزيون وغيرها، ولهذا يجب أن نغيِّر هذا الواقع وأن ندافع عن ديننا وأن ننشره بذكاء وحكمة "(٢).

وليعلم الدعاة في هذا العصر أن البعد عن منهج سلف هذه الأمة في دعوة النصارى إلى الإسلام يجر على الدعوة والدعاة الكثير من المشكلات التي لا يقتصر أثرها على الدَّاعية وحده، بل يتعدى إلى الإسلام وأهله. وليعلم الدعاة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٩٧.

(٢) موقع الشيخ أحمد ديدات. www.ahmed-deedat.net.

أيضًا أن أعداء الإسلام في هذا الزمان يتصيَّدون أخطاء الدعاة؛ ليصدوا الناس بها عن هذا الدِّين، لذا لا خلاصَ من هذه المشكلات والمعوقات في دعوة النصارى إلى الإسلام إلا بالعودة إلى منهج صحابة رسول الله ﷺ، فمناهجهم أكمل المناهج وأسلمها، بعد منهج رسول الله ﷺ، فالموفق في دعوته من كان له النصيب الأكبر من الاقتداء بهم والسير على منهجهم.

ومهما يكن من أمر، فإن معوقات دعوة النصارى وإن كثرت وتنوعت في العصر الحاضر، فإن الله ﷻ كتب النصر للإسلام. قال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1]. وأرشد الدعاة أن الهداية القلبية بيده سبحانه وله المشيئة المطلقة في ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[2]. وبأنه سبحانه ترك حرية الاختيار للإنسان، فقال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[3]. وعليه فليس أمام الدعاة اليوم إلا أن يقوموا بأداء الأمانة وتبليغ الحجة. قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ ﴾[4]. وأن يكونوا خير قدوة للنصارى في مشارق الأرض ومغاربها في الالتزام بمبادئ الإسلام وتوجيهاته.

---

(١) المجادلة، الآية: (٢١).

(٢) يونس، الآية: (٩٩).

(٣) الكهف، الآية: (٢٩).

(٤) آل عمران، الآية: (٢٠).

[redacted]

الخاتمـــة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على نبينـــا محمـــد وعلى آله وصحابته أجمعين.

فإن من رحمة الله سبحانه وتعالى بالعباد أن وضح للمسلمين المنهج الـــذي يسيرون عليه في جميع شؤون حياتهم الدينية والدنيوية، ويسَّر لهم ذلـــك ببعثـــة النبي محمد ﷺ وصحابته الكرام من بعده، الذين طبَّقوا ذلك المنهج الربـــاني في عبادتهم ومعاملاتهم، ووضعوا القواعد والأسس التي يحتاج إليها الدعاة في طريق دعوتهم إلى الله مع مختلف أصناف المدعوين، والنصارى من أهم تلك الأصناف وأخطرهم على الدعوة في القديم والحديث.

فجاء هذا البحث؛ ليركز على المنهجية التي انتهجها الصحابة ﷺ في دعـــوة النصارى إلى الإسلام، بدءًا ببيان موضوعات دعوتهم، والوسائل والأساليب التي استخدموها وفق مقومات وضوابط مرتكزة على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مع ذكر للمعوقات التي واجهها الصحابة ﷺ في ســـبيل تبليـــغ الدعوة وسبل علاجهم لها؛ ليتحدد بذلك كله الإطار الذي ينتهجه دعاة العصر الحاضر في دعوة النصارى إلى الإسلام.

وقد اتضح لي من خلال مسيرتي في هذا البحث الموسوم بـ"منهج الصـــحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام" عدد من النتائج التوصـــيات، أوجزهـــا في النقاط الآتية:

أولاً: النتائج:

١- أن دعوة النصارى إلى الإسلام من الأمور التي اعتنى بها الصـــحابة ﷺ، وهذا يدل على أهمية قيام دعاة العصر الحاضر بواجب دعـــوتهم وفـــق منـــهج

حكيم، وعلى حسب القدرة والاستطاعة.

٢- اتسم منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام بمعالجة الموضوعات الأساسية في الدِّين الإسلامي، وذلك بالدعوة إلى أصول الدِّين وأسسه، وإبطال العقائد النصرانية، مع إظهار لمحاسن الإسلام وبيان لحقيقته.

٣- استخدم الصحابة ﷺ في منهج دعوتهم للنصارى جميع الوسائل والأساليب المتاحة في عصرهم، فقد استخدموا وسيلة القول وكل ما يتصل به من الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن بالحكمة والموعظة الحسنة. كما استخدموا وسيلة التبليغ بالعمل، كالجهاد في سبيل الله وبعث الدعاة وحسن المعاملة وتقديم القدوة الحسنة للنصارى، وبهذا المنهج القويم انتشر الإسلام في كافة الأقطار.

٤- وضوح وثبات منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام، فقد كان الهدف الذي يحمله القادة في البلاد المفتوحة هدفًا واضحًا لا لبس فيه، ثابت لا يتغير، فجميع الخلفاء والقادة خيَّروا مدعويهم بين ثلاثة أمور: الإسلام أو الجزية أو القتال، والذي يتغير عند القادة هو نوع الوسائل والأساليب المختلفة.

٥- اتصف منهج الصحابة ﷺ بمقومات أساسية وأخرى لازمة، كان لها الأثر الكبير في إقبال كثير من النصارى على الإسلام أو الخضوع لحكمه، فلقد رحبت الشعوب النصرانية بالمسلمين الفاتحين، وانضمت إليهم؛ للاستظلال بعدلهم وسماحتهم، ولم يكن اختلاف العقائد حائلًا دون المساواة بين المسلم والذمي.

٦- واجه الصحابة ﷺ في دعوتهم النصارى إلى الإسلام معوقات خارجية وأخرى داخلية، تغلبوا عليها بفضل من الله ﷻ، بكافة الوسائل والأساليب

الممكنة في عصرهم، وما زال الصراع بين الحق والباطل قائمًا إلى قيام الساعة.

٧- أن حقوق أهل الذمة من النصارى، حقوق شرعها الله ورسوله ﷺ وطبقها الصحابة ﷺ، وليست قوانين وضعية من البشر يمكن أن تُلغى أو تُبدل.

٨- أن دعوة الصحابة ﷺ باللسان سبقت الدعوة بالسنان، وأن الجيوش الإسلامية جيوش دعاة لا غزاة، يؤاخون من دخل في الإسلام، ويقبلون من يقبل دفع الجزية ويؤمنونه على دينه.

٩- تميَّزت دعوة الصحابة ﷺ بالاستمرارية، إذ لم تتوقف دعوتهم بوفاة الرسول ﷺ، بل هي دعوة مستمرة إلى قيام الساعة، مهما صادفها من مصاعب وعقبات.

١٠- اتسم منهج الصحابة ﷺ في تعاملهم مع أهل الذمة من النصارى بالسماحة والبر والإحسان والعدل والمساواة، فملؤوا الأرض عدلًا وأمنًا بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا.

١١- أن منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام تضمَّن ضوابط مهمَّة لها فائدتها في مجال دعوة النصارى التي من خلالها يستلهم الدعاة ما يسهم في نجاح دعوتهم المقدمة للنصارى في العصر الحاضر.

١٢- أن دعوة الصحابة ﷺ جاءت لمقصد عظيم وهو الرحمة والهداية وإقامة للحجة، ولقد تحقَّق هذا المقصد من خلال بلوغ الدعوة للنصارى في البلاد المفتوحة واستجابة أكثرهم طوعًا واختيارًا.

١٣- أن منهج الصحابة ﷺ في دعوة النصارى إلى الإسلام رد بالوقائع الثابتة على بعض المؤرخين المستشرقين الذين ما زالوا يلصقون التهم والأباطيل على الفتوحات الإسلامية.

ثانيًا: التوصيات:

١- أوصي نفسي وجميع الدعاة بتقوى الله سبحانه وتعالى، والرجوع إلى منهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله والاستفادة منه.

٢- أوصي المسلمين بأن يكونوا خير قدوة لغير المسلمين في الداخل والخارج؛ لأنهم يروننا من خلال سلوكنا قبل أن يرونا من خلال نصوصنا.

٣- إنشاء قسم خاص يعنى بالحوار مع غير المسلمين في الجامعات والمؤسسات الدعوية الإسلامية، من مهامها: إعداد الدعاة وتأهيلهم للحوار مع غير المسلمين، تشجيع الحوارات بين علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب، مع تسجيلها ونشر الجيد منها وترجمته.

٤- مبادرة رجال الأعمال إلى المساهمة في الأعمال الخيرية التي تدعم دعوة غير المسلمين في الداخل والخارج، كالمساهمة في طباعة القرآن الكريم والمطويات والكتيبات الدعوية بمختلف اللغات، ودعم مكاتب الدعوة والمؤسسات الخيرية؛ لما لها من جهود عظيمة في هذا المجال.

٥- تدريس مادة في قسم الدعوة تعنى بمنهجية دعوة النصارى إلى الإسلام.

٦- توظيف التقنية الحديثة في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، خاصة فيما يتعلق بالشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وقنوات التواصل الاجتماعي، ودعوة العلماء والدعاة والمفكرين للمشاركة فيها إشرافًا، وطرحًا، وحوارًا.

٨- ضرورة تعلم الدَّاعية اللغات العالمية؛ حتى لا يقوم بعمل الترجمة غير المسلمين فيفسدون الإسلام ويشوهون حقائقه.

٩- توصي الباحثة الجهات المعنية في العالم الإسلامي بترجمة المزيد من الكتب التي تناولت سيرة الصحابة ﷺ إلى لغات العالم الحية، ومنها ما له صلة

بمواقفهم مع النصارى في الجوانب المختلفة.

١٠- تقترح الباحثة إجراء دراسة تطبيقية على واقع منهج الصحابة ﷺ في العصر الحاضر.

وختامًا... أسأل الله ﷻ أن ينصر الإسلام والمسلمين ويذل الشركوالمشركين، وأن يهيئ لهذه الأمة دعاة مخلصين، يذودون عن الدِّين بكل شجاعة ويقين، متبعين هدي سيد المرسلين محمد ﷺ وصحابته المكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، فيفوزوا برضا رب العالمين.

وأحمد الله ﷻ الذي أتم مسيرة هذه الرحلة الدعوية المباركة مع صحابة رسول الله ﷺ، سائلة المولى جلت قدرته أن يكون عملًا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأستغفره سبحانه عن كل ما ورد فيه من خلل أو تقصير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين

الفهـــــارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾	١٩٥	٣٦٧
﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾	٢١٦	٢٣٢
﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ ﴾	٢١٧	٤٩٧
﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ ﴾	٢٢١	١٧٦
﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾	٢٤٩	٢٩٤، ٣٤٥، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٢١
﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾	٢٥٦	١٤٠، ١٤٩، ٣٣٢، ٣٧١، ٤٨٣
سورة آل عمران		
﴿ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾	٢٠	٤٩٩
﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾	٥٢	٣١
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ	٥٩	٨٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٥،

الآيـــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
مِن تُرَابٍ﴾		٣٤٤، ٤٥٤
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	٤٣، ٧٧، ٤٦١
﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ﴾ عِلْمٌ	٦٦	٤٦٣
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٧١	٤٣
﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾	٧٥	١٦٢
﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	٨٣	٤٥٣
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٨٥	٨٨، ٢٦٩، ٤٥٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾	١٠٢	٩
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١٠٤	٨٧، ١٩٤
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	١١٠	٤٢

الآيـــــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾	١١٨	١٣٧
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾	١٥٩	٣٢٧
﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾	١٦١	٢٣٥
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ ﴾	١٦٩	٣٠٤
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾	١٨٧	٤٢
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾	٢٠٠	٣٠٣
سورة النساء		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	١	٩
﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ ﴾	٥	١٦٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾	٤٨	٨١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾	٥٩	٣٥٩
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ ﴾	٧١	٤١٨، ٤٢٠

الآيـــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٧٦	٢٢٣
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾	٨٦	١٣٨
﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾	٩٠	٤٨٥
﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ ﴾	٩١	١٠٢
﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ ﴾	١٠٤	٢٢٣
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾	١٢٥	٤٥٣
﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾	١٥٧	٥٠، ٥٧
﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾	١٧١، ١٧٢	٥٤، ٨٣، ١٩١، ٢٤٤، ٢٤٦، ٤٥٧
سورة المائدة		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾	١	٣٠٦
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ ﴾	٢	٢١٩، ٤١٦
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾	٣	١٠٦

الآيـــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾	٣	٤٨٤
﴿ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾	٥	١٧٧
﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ ﴾	٥	١٧٥
﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾	٥	١٧٦، ١٧٧
﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾	٥	١٧٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ ﴾	٨	٣١٧
﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ ﴾	٨	٤٩٠
﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ ﴾	١٤	٣١
﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ ﴾	٤٧	٣٢
﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾	٤٨	٢٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾	٥١	١٣٧، ٣٦٣، ٤٧٨، ٤٨٦
﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ ﴾	٦٥	٢٤٧

الآيــــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾		
﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾	١١	٤٨٤
﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾	١٢	١٢١، ١٥٦، ٣٠٩، ٤٩٢
﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾	٢٩	٨٦، ٩٢، ١٠١، ١٤٤، ١٧٦، ١٩٥، ٢٣٠، ٣٤٦، ٣٦٥
﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾	٢٩	١٥٢، ١٥٦، ٣٧٦
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠	٥٣
﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣١	٥٦، ٦٠، ١١٣
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ	٣٤	٦٠

الآيـــــــــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾	١١٨، ١١٩	٣٧١
سورة يوسف		
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾	١٠٨	١٢، ٢٨٧، ٢٩٢، ٤٧١، ٤٧٢
سورة النحل		
﴿ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٣	٣٤٤
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾	١٢٥	٧٣، ٨٧، ١٤٣، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٦٠
سورة الكهف		
﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ ﴾	١٧	١١٨
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ ﴾	٢٩	٤٩٩
سورة مريم		

الآيـــــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾		
سورة الحشر		
﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٦	٣٥٧
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ﴾	١٠	٤٠، ٢٨٢، ٤٩٤
سورة الممتحنة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾	١	٤٧٥
﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ﴾	٨	١٢، ١٠٧، ٢١١، ٢٢٠، ٣١٥، ٣٦٢، ٣٦٥، ٤٧٦، ٤٨٥
﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ﴾	٩	٤٧٦
سورة الصف		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ	٤	٤١٦

الآيـــــــــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
صَفًّا ﴾		
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾	٦	٤٥٨
﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾	٨	٤٣١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ﴾	١٤	٣٢
سورة المنافقون		
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨	١٦٣، ١٦٨، ٣٢٥
سورة الطلاق		
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾	٢	٢٩٠
سورة الغاشية		
﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾	٤، ٥	١٣١

ثانيًا: فهـــرس الأحاديـــث

ثالثًا: فهـــرس الآثـــار

رابعًا: فهرس الأعلام المترجم لهم

خامسًا: فهرس البلدان والقبائل والأماكن

سادسًا: فهرس الكلمات الغامضة والمصطلحات

سابعًا: قائمة المصادر والمراجع

١- **أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية**، إنعام بنت محمد عقيل، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٨هـ، الرياض.

٢- **إتحاف القاري باختصار فتح الباري**، الإمام صفاء الضوي أحمد العدوي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ. الدمام.

٣- **أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري**، جميل عبدالله المصري، مكتبة الدار، ط١، ١٤١٠هـ، المدينة.

٤- **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة**، الإمام أحمد بن إدريس القرافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ، بيروت.

٥- **أحكام التعامل مع غير المسلمين**، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار كنوز أشبيليا، ط١، ١٤٣٠هـ، الرياض.

٦- **أحكام القرآن**، أبوبكر محمد بن عبدالله العربي. تحقيق: علي محمد البجادي. دار المعرفة.ط٣. ١٣٩٢هـ. مصر.

٧- **أحكام القرآن**، الإمام أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث، د. ط، ١٤٠٥هـ، بيروت.

٨- **أحكام أهل الذمة**، الإمام محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، رمادي للنشر، ط١، ١٤١٨هـ، الدمام.

٩- **أحكام أهل الملل**، الإمام أحمد بن محمد الخلال، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ، بيروت.

١٠- **أخبار المدينة النبوية**، الإمام عمر بن شبه البصري. تحقيق عبدالله بن محمد الدويش، دار العليان، د. ط، د. ت، د. ب.

١١- **الاختيار بين الإسلام والنصرانية**، أحمد ديدات. ترجمة: أكرم ياسين الشريف، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٩هـ، الرياض.

١٢- **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، الإمام محمد بن مفلح المقدسي، مؤسسة قرطبة، د. ط، د. ت، القاهرة.

١٣- **الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ﷺ**، فاروق سعيد مجدلاوي، دار النهضة العربية. ط١. ١٤١١هـ. عمان.

١٤- **الأدب المفرد**، الإمام محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، ط٣، بيروت.

١٥- **الأذكار**، الإمام يحى بن شرف النووي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٥، ١٤١٩هـ، بيروت.

١٦- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، الإمام محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ، بيروت.

١٧- **الاستخراج لأحكام الخراج**، للإمام عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، دار المعرفة، د. ط، د. ت، بيروت.

١٨- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، الإمام يوسف بن عبد البر القرطبي. دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت، بيروت.

١٩- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، الإمام المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، دار المعرفة، د. ط، ١٩٩٧م، بيروت.

٢٠- **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، علي عبدالواحد وافي، د.ن، ط١، ١٣٨٥هـ، د. ب.

٢١- **الإسلام والمسيحية**، أليكسي جورافسكي، ترجمة: خلف محمد الجراد،

د. ط، دار الفكر، ١٤٢١هـ، بيروت.

٢٢- **أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام**، إبراهيم صالح الحميدان، رسالة دكتوراه، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٤هـ، الرياض.

٢٣- **الإصابة في تمييز الصحابة**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، بيروت.

٢٤- **أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم**، حمود بن أحمد الرحيلي، دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ، الرياض.

٢٥- **الأصول الثلاثة وأدلتها**، الإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي، مجموع ابن رميح، مكتبة دار السلام، ط١، ١٤١٥هـ، الرياض.

٢٦- **أصول في التفسير**، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٩هـ، د. ب.

٢٧- **أطلس الفرق والمذاهب في التاريخ الإسلامي**، سامي المغلوث، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٣٨هـ، الرياض.

٢٨- **الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ**، سامي بن عبدالله المغلوث، مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ، ط٣، الرياض.

٢٩- **إظهار الحق**، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ، بيروت.

٣٠- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، د. ط، ١٣٨٨هـ، القاهرة.

٣١- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي. دار العلم للملايين. ط١٥، ٢٠٠٢م، د. ب.

٣٢- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الحديث، د. ط، القاهرة.

٣٣- **الأفعال**، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ، بيروت.

٣٤- **اقتضاء الصراط المستقيم**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر ابن عبدالكريم العقل، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٤هـ، الرياض.

٣٥- **الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي**، دندل جبر.دار عمار.ط١. ١٤٢٣هـ. عمان.

٣٦- **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء**، أبوالربيع سليمان بن موسى الكلاعي الحميري، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢٠هـ، بيروت.

٣٧- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، دار الاستقامة، ط١، ١٤٢٦هـ، القاهرة.

٣٨- **الأموال**، الإمام أبو أحمد حميد الخرساني المعروف بابن زنجويه، تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ، الرياض.

٣٩- **الأموال**، الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، ط١، ١٤٠٩هـ، بيروت.

٤٠- **الإنجيل دراسة وتحليل**، محمد شلبي. مكتبة الفلاح.ط١.

١٤٠٤هـ.الكويت.

٤١- **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، عبدالرحمن بن محمد العليمي الحنبلي.المحقق: عدنان يونس نباته.مكتبة دنديس. د.ط. د.ت. عمان.

٤٢- **أيسر التفاسير**، الإمام أبي بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤١٨هـ، المدينة.

٤٣- **البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته وطباعته ومناقشته**، عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، مكتبة الملك فهد،ط٤، ١٤٢٧هـ، الرياض.

٤٤- **البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه**، ذوقان عبيدات وآخرون، دار الفكر، ط٥، ١٤١٧هـ، الأردن.

٤٥- **البداية والنهاية**، الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيرى، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ، بيروت.

٤٦- **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**، عمر بن علي ابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، عبدالحي وآخرون، دار الهجرة، ط١، ١٤٢٥هـ، السعودية.

٤٧- **بغية الطلب في تاريخ حلب**، الإمام عمر بن أحمد كمال الدين ابن العديم.تحقيق:سهيل زكار دار الفكر د. ط، د. ت، د. ب.

٤٨- **تاريخ ابن خلدون**، المسمى "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر". عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨هـ، بيروت.

٤٩- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، الإمام شمس الدين أبو عبد الله

محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ، بيروت.
٥٠- **تاريخ الإسلام**، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٩٦٤م، القاهرة.
٥١- **التاريخ الإسلامي مواقف وعبر**. عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي، دار الدعوة، ط١، ١٤١٨هـ، الإسكندرية.
٥٢- **التاريخ الإسلامي**، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ، بيروت.
٥٣- **تاريخ الأمم والملوك**، الإمام محمد بن جرير الطبري، بيت الأفكار الدولية، د. ط، د. ت، الرياض.
٥٤- **تاريخ الخلفاء**، الإمام جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، مكتبة نزار، ط١، ١٤٢٥هـ، الرياض.
٥٥- **تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم**، آدم عبدالله الألوري، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤٠٨هـ، القاهرة.
٥٦- **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، محمد ابراهيم الفيومي. دار الفكر العربي ط٤، ١٤١٥هـ، د. ب.
٥٧- **تاريخ بغداد**، الإمام أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي.تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ، بيروت.
٥٨- **تاريخ خليفة بن خياط**، الإمام أبوعمرو خليفة بن خياط البصري، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، ط٢، ١٣٩٧هـ، دمشق.
٥٩- **تاريخ دمشق**، أبوالقاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر،

تحقيق: عمرو غرامة العمري، دار الفكر، د. ط، ١٤١٥هـ، د. ب.

٦٠- **تاريخ شمال افريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، عبدالعزيز الثعالبي، تحقيق: أحمد ميلاد ومحمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ، بيروت.

٦١- **تاريخ عمر بن الخطاب ﷺ**، الإمام عبدالرحمن بن علي الجوزي، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ، بيروت.

٦٢- **تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ**، نصر الله أبو طالب، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٩هـ، د. ب.

٦٣- **التحرير والتنوير**، محمد طاهر بن عاشور، مكتبة العبيكان، د. ط، د. ت، الرياض.

٦٤- **تخجيل من حرف التوراه والإنجيل**، صالح بن الحسين الجعفري، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٩هـ، الرياض.

٦٥- **تدريب الراوي**، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب الحديثة، ط٢، د. ت، د. ب.

٦٦- **التدوين في أخبار قزوين**، عبدالكريم بن محمد القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، د. ط، ١٤٠٨هـ، د. ب.

٦٧- **ترتيب مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: شهاب الدين أبي عمر دار الفكر، د. ط، ١٤١٤هـ، بيروت.

٦٨- **التسامح في الإسلام**، زيد بن عبدالكريم الزيد، دار إمام الدعوة، ط٢، ١٤٢٧هـ، الرياض.

٦٩- **التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي**، ناصر محمدي جاد، دار

الميمان، ط١، ١٤٣٠هـ، الرياض.

٧٠- **التعامل مع غير المسلمين**، عبدالله بن إبراهيم الطريقي، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٨هـ، الرياض.

٧١- **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: عادل أنور خضر، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٨هـ، بيروت.

٧٢- **التعليق على صحيح مسلم**، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٧هـ، الرياض.

٧٣- **تغليق التعليق**، الإمام أحمد بن علي بن حجر. المحقق: سعيد القزقي، المكتب الإسلامي، ط١ ١٤٠٥هـ، د. ب.

٧٤- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ١٩٩٠م. د.ب.

٧٥- **تفسير القرآن العظيم لإبن أبي حاتم**، الإمام ابومحمد عبدالرحمن بن محمد الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ، المملكة العربية السعودية.

٧٦- **تفسير القرآن العظيم**، الإمام إسماعيل بن كثير القرشي، دار المعرفة، د. ط، ١٤١٢هـ، بيروت.

٧٧- **تفسير عبدالرزاق**، الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني.تحقيق:محمود محمد عبده. دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٩هـ، بيروت.

٧٨- **التفسير من سنن سعيد بن منصور**، الإمام سعيد بن منصور الجوزجاني، تحقيق: سعد بن عبدالله الحميد، دار الصميعي، ط١، ١٤١٧هـ، الرياض.

٧٩- **تقريب التهذيب**، الإمام أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، ط١، ١٤٠٦هـ، سوريا.

٨٠- **تلخيص الحبير**، الإمام أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني، د،ن، د. ط، ١٣٨٤هـ، المدينة.

٨١- **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، الإمام علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تهذيب: عبدالقادر بدران، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ، بيروت.

٨٢- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ، بيروت.

٨٣- **الثقات**، الإمام محمد بن حبان أبو حاتم الدارمي البُستي، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٩٣هـ، الهند.

٨٤- **جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ**، عاطف بن عبدالوهاب حماد، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٩هـ، الرياض.

٨٥- **جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة للخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ**، عاطف بن عبدالوهاب حماد، دار الفضيلة، ط١، ١٤٣٢هـ، الرياض.

٨٦- **جامع الأحاديث** (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى).الإمام عبد الرحمن بن أبي بكرجلال الدين السيوطي، تحقيق:فريق من الباحثين بإشراف:على

جمعة (مفتي الديار المصرية) د. ن، د. ط، د. ت، د. ب.

٨٧- **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، الإمام عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت، بيروت.

٨٨- **جامع العلوم والحكم**، الإمام عبدالرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤١٧هـ، بيروت.

٨٩- **الجامع لأحكام القرآن**، الإمام محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ، بيروت.

٩٠- **الجرح والتعديل**، الإمام عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي، دار احياء التراث، ط١، ١٢٧١هـ، بيروت.

٩١- **الجهاد**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ، بيروت.

٩٢- **جهود علماء الاندلس** في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين،محمد بن إبراهيم أبا الخيل، ط١، دار أصداء المجتمع، القصيم، ١٤١٩هـ.

٩٣- **الجيش والقتال في صدر الإسلام**، محمود أحمد عواد، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٧هـ، الأردن.

٩٤- **حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع**، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، د، ن، ط١، ١٣٩٧هـ، د. ب.

٩٥- **حديث بعث معاذ إلى اليمن رواية ودراية**، فالح بن محمد الصغير. دار ابن الأثير. ط١. ١٤٢٣هـ، الرياض.

٩٦- **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول**، شكري فيصل، دار العلـــم، ط٣، ١٩٤٧، بيروت.

٩٧- **الحسبة في الإسلام**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.مجموع ابن رميح. مكتبة دار السلام، ط١، ١٤١٥هـــ، الرياض.

٩٨- **الحسبة في الماضي والحاضر**، علي بن حسن القرني، مكتبـــة الرشـــد، ط١، ١٤١٥هـــ، الرياض.

٩٩- **الحسبة والدعوة**، عوض بن رويشد السحيمي، دار الســـلام، د. ط. ١٤١٣هـــ، الرياض.

١٠٠- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، الإمام جلال الدين عبـــدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، د. ط، ١٩٦٧م، القاهرة.

١٠١- **حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام**، صالح سليمان العايد، كنـــوز أشبيليا، ط٤، ١٤٢٤هـــ، الرياض.

١٠٢- **حلية الأولياء وطبقات الأصـــفياء**، أبـــونعيم أحمـــد بـــن عبـــدالله الأصبهانـــي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميـــة، ط٢، ١٤٢٣هـــ، بيروت.

١٠٣- **الحوار آدابه وضوابطه**، يحى بن محمد زمزمـــي، دار المعـــالي، ط٣، ١٤٢٨هـــ، د. ب.

١٠٤- **الحوار الإسلامي المسيحي**، بســـام داود عجـــك، دار قتيبـــة، ط٢، ١٤٢٩هـــ، دمشق.

١٠٥- **الحوار النصرانـــي الإسلامي تاريخه أهدافه وغاياته والموقف الشرعي**

منه، محمد بن عبدالله السحيم.بحث مقدم لندوة الحوار مع الآخـــر في الفكر الإسلامي بكلية الشريعة بجامعة الشارقة، ١٤٢٨هـــ.

١٠٦- **الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه**، خالد بن عبدالله القاسم.دار المسلم ، ط١. ١٤١٤هـــ. الرياض.

١٠٧- **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الخلفاء الراشدين**، سعود يحي الأغا، د، ن، ط١، ١٤٢٤هـــ، الرياض.

١٠٨- **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالـــث الهجـــري**، غيداء خزنة كاتبي، مركز دراسات الوحـــدة العربيـــة، ط٣، ٢٠٠١، بيروت.

١٠٩- **الخراج**، الإمام يحي بن آدم القرشي، صححه أحمد بن محمد شـــاكر، دار المعرفة، د.ط. د.ت، بيروت.

١١٠- **الخراج**، القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، دار المعرفة، د. ط، د. ت، بيروت.

١١١- **الخطابة وإعداد الخطيـــب**، عبـــدالجليل شـــلبي، دار القلـــم، ط٢، ١٤٠٢هـــ، الكويت.

١١٢- **الخلفاء الراشدون من كتاب البداية والنهاية لابن كثير**. محمـــد بـــن صامل السلمي، مدار الوطن للنشر. ط١. ١٤٢٩هـــ. الرياض.

١١٣- **الخلفاء الراشدون مواقف وعبر**، د.عبدالعزيز بن عبدالله الحميـــدي، دار الدعوة، د. ط ١٤٢٦هـــ، الاسكندرية.

١١٤- **الداعي إلى الله تكوينه ومسؤوليته**، زيد بن عبـــدالكريم الزيـــد، دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـــ، الرياض.

١١٥- **الدر المنثور**، الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، د. ط، د. ت، بيروت.

١١٦- **درء تعارض العقل والنقل**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ، الرياض.

١١٧- **دراسات في الأديان**، سعود عبدالعزيز الخلف، أضواء السلف، ط٥، ١٤٢٧هـ، الرياض.

١١٨- **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، ط٤، ١٤٢٩هـ، الرياض.

١١٩- **دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية**رضي الله عنه، عبد السلام بن محسن آل عيسى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ، المدينة المنورة.

١٢٠- **دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية**، سليمان بن عبدالله الرومي، رسالة دكتوراه منشورة، قسم الدعوة والاحتساب،كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٨هـ، الرياض.

١٢١- **الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين**، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي، د. ط، القاهرة.

١٢٢- **الدعوة إلى الإسلام**، سيرتوماس وأرنولد. مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٥٧م، القاهرة.

١٢٣- **الدَّعوة إلى الله وأخلاق الدعاة**، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الدار السلفية، ط١، ١٤٠٤هـ، الكويت.

١٢٤- **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض دراسة ميدانية تقويمية**، عبدالله ابن إبراهيم اللحيدان، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ، الرياض.

١٢٥- **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام**، عبدالله بن إبراهيم اللحيدان.مؤسسة الجريسي. ط١. ١٤٢٠هـ. الرياض.

١٢٦- **دلائل النبوة**، إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني،دار طيبة،ط١، ١٤٠٩هـ، الرياض.

١٢٧- **دور الترجمة الدينية في الدعوة إلى الله**، عبده بوريما النيجري،دار البخارى،ط١، ١٤١٦هـ، المدينة.

١٢٨- **الرحيق المختوم**، صفي الرحمن المباركفوري، دار مكتبة المتنبي، د. ط، د. ت، بيروت.

١٢٩- **الرد المفحم على من خالف العلماء**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ، عمان.

١٣٠- **الرد على النصارى**، صالح بن الحسين الجعفري. تحقيق: محمد محمد حسانين، مكتبة وهبة، د. ط، د. ت، القاهرة.

١٣١- **ركائز الدعوة إلى الله تعالى**، فضل إلهي، مؤسسة الجريسي، ط١، ١٤٢٥هـ، الرياض.

١٣٢- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، محمد بن عبدالله الحميري،.تحقيق: إحسان عباس. مكتبة لبنان.

١٣٣- **زاد المسير في علم التفسير**، الإمام عبدالرحمن بن علي الجوزي،

المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ، بيروت.
١٣٤- **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم، ط١، ١٤١٧ هـ، بيروت.
١٣٥- **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، الإمام أحمد بن محمد الهيثمي، دار المعرفة، د. ط، ١٤٠٧هـ، بيروت.
١٣٦- **سبي الفتوحات الإسلامية**، سليمان عبدالله السويكت، مكتبة التوبة ط١ ١٤٢٦ الرياض.
١٣٧- **سلسة الأحاديث الصحيحة**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ، الرياض.
١٣٨- **سلسة الأحاديث الضعيفة**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ، الرياض.
١٣٩- **السلوك وأثره في الدعوة إلى الله**، فضل الهي، إدارة ترجمان الإسلام، ط١، ١٤١٩هـ، باكستان.
١٤٠- **سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين**، عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، دار الحضارة، ط١، ١٤٢٥هـ، الرياض.
١٤١- **سماحة الإسلام**، عمر بن عبدالعزيز قريشي، مكتبة الأديب، ط١، ١٤٢٤هـ، الرياض.
١٤٢- **السنة**، الإمام أبو بكر أحمد بن محمد الخَلَّال .تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ، الرياض.
١٤٣- **سنن ابن ماجه**، الإمام محمد بن يزيد بن ماجه، دار السلام، ط١، ١٤٢٠هـ الرياض.

١٤٤- **سنن أبي داود**، الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار السلام، ط١، ١٤٢٠هـ، الرياض.

١٤٥- **سنن الترمذي**، الإمام محمد بن عيسى الترمذي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ، بيروت.

١٤٦- **سنن الدار قطني**، الإمام علي بن عمر الدار قطني. تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة. ط١. ١٤٢٤هـ. بيروت.

١٤٧- **السنن الكبرى**، الإمام أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، د. ط، ١٤١٣هـ، د. ب.

١٤٨- **سنن سعيد بن منصور**، أبوعثمان سعيد بن منصور الجوزجاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، ط١، ١٤٠٣هـ، الهند.

١٤٩- **سير أعلام النبلاء**، الإمام محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ، بيروت.

١٥٠- **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، الإمام محمد بن حبان أبو حاتم الدارمي. صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء. الكتب الثقافية. ط٣. ١٤١٧هـ. بيروت.

١٥١- **السيرة النبوية**، الإمام محمد بن عبد الملك بن هشام، تحقيق: محمد قطب و محمد بلطة، المكتبة العصرية، د. ط، ١٤٢٦هـ، بيروت.

١٥٢- **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار**، الإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ب.

١٥٣- **شرح الأصول الثلاثة**، ابن عثيمين، ص٦٨. دار الثريا للنشر،ط٢، ١٤٣٦هـ، عنيزة.

١٥٤- **شرح أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين**، رمضان أبو السعود، دار الجامعة، د. ط، ٢٠٠٧، الإسكندرية.
١٥٥- **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، الإمام محمد بن عبدالباقي الزرقاني. دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ، بيروت.
١٥٦- **شرح السير الكبير**، محمد بن أحمد السرخسي، الشركة الشرقية للإعلانات، د. ط، ١٩٧١م، د. ب.
١٥٧- **شرح العقيدة الطحاوية**، الإمام علي بن علي الدمشقي، تحقيق: عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ، بيروت.
١٥٨- **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية**، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.مكتبة المعارف، ط٤، ١٤٠٧هـ، الرياض.
١٥٩- **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة آسام، ط١، ١٤١٧هـ، الرياض.
١٦٠- **شرح صحيح البخارى**، الإمام ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٣٢هـ، الرياض.
١٦١- **شرح لمعة الاعتقاد**، الإمام موفق الدين محمد بن قدامة المقدسي، شرح الشيخ محمد ابن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف عبدالمقصود، أضواء السلف، ط٣، ١٤١٥هـ، الرياض.
١٦٢- **شمس العرب تسطع على الغرب**، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الجيل، ط٨، ١٤١٣هـ، بيروت.
١٦٣- **صحيح البخاري**، الإمام محمد بن اسماعيل البخاري، بيت الأفكار

الدولية، د. ط، ١٤١٩هـ، الرياض.

١٦٤- **صحيح الترغيب والترهيب للمنذري**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢١هـ، الرياض.

١٦٥- **صحيح تاريخ الطبري**، تحقيق: محمد البرزنجي ومحمد حلاق، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٨ هـ، بيروت.

١٦٦- **صحيح سنن ابن ماجة**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، ط١، ١٤٠٧هـ، د. ب.

١٦٧- **صحيح سنن أبي داود**، الإمام محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، ط١، ١٤٠٩هـ، د. ب.

١٦٨- **صحيح مسلم بشرح النووي**، الإمام يحي بن شرف النووي، دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ، القاهرة.

١٦٩- **صحيح مسلم**، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري.بيت الأفكار الدولية، د.ط، ١٤١٩هـ، الرياض.

١٧٠- **صفات الدَّاعية الناجح**، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار النجاح، ط١، ١٤١٨هـ، الرياض.

١٧١- **صيد الخاطر**، الإمام عبدالرحمن بن علي الجوزي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ ، بيروت.

١٧٢- **الضعفاء والمتروكين**، الإمام أحمد بن شعيب ابو عبدالرحمن النسائي، تحقيق محمود ابراهيم زايد، دار الوعي، ط١، ١٣٦٩هـ، حلب.

١٧٣- **ضعيف تاريخ الطبري**، الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، تحقيق محمد البرزنجي ومحمد حلاق، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٨هـ، بيروت.

١٧٤- **الطبقات الكبرى**، الإمام محمد بن سعد الزهري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ، بيروت.

١٧٥- **طبقات المدلسين**، الإمام أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عاصم عبدالله القريوتي، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٣هـ، عمان.

١٧٦- **طرق الدعوة الإسلامية**، أحمد بن محمد العدناني، وزارة الإعلام السعودي، د. ط، ١٤٠٩هـ، مكة.

١٧٧- **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، الإمام محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، بيروت.

١٧٨- **عبقرية خالد بن الوليد ﷺ العسكرية**، أحمد بك اللحام، دار المنارة، ط٢، ١٤١٦هـ، جدة.

١٧٩- **عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين**، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم، ط١، ١٤١٤هـ، المدينة.

١٨٠- **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**. محمد طاهر التنير البيروتي، تحقيق: محمد بن عبدالله الشرقاوي، دار عمران، مكتبة الزهراء، ط١، ١٩٩٢ د.ب.

١٨١- **عقائد أهل الكتاب**، أحمد مختار رمزي، دار الفتح، ط١٤٢٨هـ، الأردن.

١٨٢- **العقيدة الواسطية**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تعليق: الشيخ عبدالعزيز بن باز، مكتبة دار طبرية، ط١، ١٤١٢٥هـ، الرياض.

١٨٣- **العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي**، فاروق حمادة، دار القلم، ط١، ١٤٢٦هـ، دمشق.

١٨٤- **العلاقات الدولية في الإسلام**، كامل سلامة الدقس، دار الشروق، ط١، ١٣٩٦هـ، جدة.

١٨٥- **علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام**، الحسيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٧م، القاهرة.
١٨٦- **عمدة التفسير من تفسير ابن كثير**، الإمام أحمد بن محمد شاكر. دار الوفاء ط٢، ١٤٢٦هـ، د. ب.
١٨٧- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، الإمام محمد بن أحمد العيني، دار الفكر، د. ط، د. ت، د.ب.
١٨٨- **عمرو بن العاص ﷺ بين يدي التاريخ**، عبد الخالق سيد أبورابية، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤٠٨هـ ، القاهرة.
١٨٩- **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب**، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٣هـ، بيروت.
١٩٠- **الفتاوى الشرعية في المسائل العصرية من فتاوى علماء البلد الحرام**، د. ن، ط١، ١٤٢٠هـ، الرياض.
١٩١- **فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين**، إعداد: أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم. دار عالم الكتب. ط٤. ١٤١٤هـ. الرياض.
١٩٢- **الفتاوى**، علي بن عبد الكافي السبكي، دار الجيل.د.ط.د.ت بيروت.
١٩٣- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، الإمام احمد بن علي بن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية ط٣، ١٤٠٧هـ د. ب.
١٩٤- **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام احمد بن حنبل الشيباني مع مختصره بلوغ الاماني**، أحمد بن عبدالرحمن البنا، دار احياء التراث العربي، د. ط، د. ت، بيروت.
١٩٥- **فتح العرب لمصر**، ألفرد بتلر، عربه: محمد فريد أبو حديد بك، مكتبة

مدبولي، ط٢، ١٤١٦ هـ، القاهرة.

١٩٦- **فتح القدير**، الإمام محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، د. ط، ١٤١٢هـ، بيروت.

١٩٧- **فتوح أفريقيا والأندلس**، الإمام عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم. مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني.د.ن.د.ط.١٩٦٤م.بيروت.

١٩٨- **الفتوح الإسلامية عبر العصور**، عبدالعزيز بن إبراهيم العمري، دار أشبيليا، ط٢، ١٤١٩هـ الرياض.

١٩٩- **فتوح البلدان**، الإمام أحمد بن يحي البلاذري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ، بيروت.

٢٠٠- **فتوح الشام**، الإمام محمد بن عبدالله الأزدي، د. ن، د. ط، ١٨٥٤م، كلكته.

٢٠١- **فتوح مصر وأخبارها**، الإمام عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ، بيروت.

٢٠٢- **الفروق**، الإمام احمد بن ادريس المشهور بالقرافي، تحقيق محمد سراج وعلي جمعة، دار السلام، ط١، ١٤٢١هـ، مصر.

٢٠٣- **فصل الخطاب في محاورة أهل الكتاب**، محمود سليمان عبد الحافظ، دار عمار، د. ط، ١٤٢٧هـ، الأردن.

٢٠٤- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، الإمام محمد علي المعروف بابن حزم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ، بيروت.

٢٠٥- **فضائل الصحابة والدفاع عنهم كرامتهم**، عبدالله عبدالقادر التليدي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ، بيروت.

٢٠٦- **فقه الاحتساب على غير المسلمين**، عبدالله بن إبراهيم الطريقي، دار المسلم، ط١، ١٤١٦هـ، الرياض.

٢٠٧- **فقه الحوار في ضوء السنة النبوية**، أحمد عبده عوض، شركة ألفا، ط١، ١٤٢٩هـ، مصر.

٢٠٨- **فقه الدعوة وأساليبها**، محمد حمودة و محمد عساف، مؤسسة الوراق، د. ط، ١٤١٢هـ، الأردن.

٢٠٩- **فقه العبادات**، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ، القاهرة.

٢١٠- **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، عبدالمجيد الشرفي، رسالة دكتوراه، الدار التونسية،د.ط، ١٩٨٦م، تونس.

٢١١- **قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير، د. ن، ط١، ١٤٢٥هـ، الرياض.

٢١٢- **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، ط٢. ١٤٠٨ هـ، سورية.

٢١٣- **قاموس الكتاب المقدس**، القس ميلاد ديب يعقوب.

٢١٤- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ، بيروت.

٢١٥- **قراءة في الكتاب المقدس**، صابر طعيمة، مكتبة دار الزمان، ط١، ١٤٢٦هـ، المدينة.

٢١٦- **القول المفيد على كتاب التوحيد**، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين تحقيق: سليمان عبدالله أباالخيل وخالد بن علي المشيقح، دار العاصمة ط١، ١٤١٥هـ، الرياض.

٢١٧- **الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف**، الإمام احمد بن علي بن حجر، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ، د. ب.

٢١٨- **الكامل في التاريخ**، الإمام عزالدين أبو الحسن بن عبدالكريم الجزري الشهير بابن الأثير.المكتبة العصرية.د.ط.١٤٢٨هـ.بيروت.

٢١٩- **الكامل في ضعفاء الرجال**، عبدالله بن عدي الجرجاني تحقيق: يحي مختار غزاوي دار الفكر ط ٣ ١٤٠٩هـ بيروت.

٢٢٠- **كتب حذر منها العلماء**، مشهور بن حسن ال سلمان. دار الصميعي، ط١، ١٩٩٥م، الرياض.

٢٢١- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علي بن حسام الشهير بالمتقي الهندي، المحقق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ، د. ب.

٢٢٢- **كيف أسلمت؟ وثائق وشهادات مترجمة**، ترجمة وإعداد: هالة صلاح الدين اللولو، دار الفكر، ط١، ١٤٢٧هـ، دمشق.

٢٢٣- **كيفية دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى**، سعيد بن علي القحطاني، مكتبة الملك فهد، ط١، ١٤٢٥هـ،الرياض.

٢٢٤- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ، بيروت.

٢٢٥- **لسان الميزان**، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة

الأعلمي، ط٣، ١٤٠٦هـ، الهند.

٢٢٦- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، الإمام علي أبو الحسن الحسني الندوي، مكتبة السنة، د. ط، ١٤١٠هـ، القاهرة.

٢٢٧- **المبسوط**، الإمام محمد بن أحمد السرخسي، دار الكتب العلمية، د. ط، ١٩٩٣م، د. ب.

٢٢٨- **المجروحين**، الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمود ابراهيم زايد، دار الوعي، د. ط، د. ت، حلب.

٢٢٩- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الإمام علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف، د. ط، ١٤٠٦هـ، د. ب.

٢٣٠- **مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله**، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، محمد ابن صالح العثيمين، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ، مصر.

٢٣١- **المجموع شرح المهذب للشيرازي**، الإمام يحى بن شرف النووي. تحقيق: محمد نجيب المطيعي مكتبة الاشاد د. ط، د. ت، جدة.

٢٣٢- **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز. عبد العزيز بن عبد الله بن باز**. إشراف: محمد بن سعد الشويعر.د.ن.د.ط.د.ت.د.ب.

٢٣٣- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د. ط، ١٤١٦هـ، المدينة.

٢٣٤- **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، تحقيق فهد السليمان، دار الثريا، ط١، ١٤١٩هـ الرياض.

٢٣٥- **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز،

مكتبة المعارف، ط٢، ١٤١٣هـ، الرياض.

٢٣٦- **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي، دار النفائس، ط٦، ١٤٠٧هـ، بيروت.

٢٣٧- **مجموعة رسائل دعوية ومنهجية**، صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٣١هـ، الرياض.

٢٣٨- **محاضرات في النصرانية**، الشيخ محمد بن أحمد أبو زهرة. مطبعة يوسف، ط٣، ١٣٨٥هـ، د. ب.

٢٣٩- **محاضرات في تاريخ صدر الإسلام**، محمد الشريف، د. ن، ط٢، ٢٠٠٦م، الرباط.

٢٤٠- **محاضرات في نظام الإسلام**، ماجد أبورخية وآخرون، الشارقة، ط٢، ١٤٢٨هـ، الإمارات.

٢٤١- **المحلى بالآثار**، الإمام علي بن أحمد بن حزم، تحقيق احمد شاكر، دار الجيل د. ط، د. ت، د. ب.

٢٤٢- **مختصر تفسير الطبري**، محمد بن علي الصابوني وصالح أحمد رضا. دار التراث العربي. د.ب. د.ت. القاهرة.

٢٤٣- **مختصر تفسير القرآن الكريم**، للإمام محمد بن علي الخازن. اختصره: محمد علي قطب، دار المسيرة، ط١، ١٩٨٧، بيروت.

٢٤٤- **مختصر زاد المعاد**، الإمام محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ط١، ١٤١٣هـ، الرياض.

٢٤٥- **مختصر سيرة الرسول ﷺ**، الإمام محمد بن عبدالوهاب، دار السلام، د. ط، د. ت، الرياض.

٢٤٦- **مختصر كتاب إظهار الحق**، رحمت الله بن خليل الهندي، وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٦هـ، الرياض.
٢٤٧- **مدارج السالكين**، الإمام محمد بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٧هـ، بيروت.
٢٤٨- **مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب**، دار المعرفة،ط١، ١٤٠١هـ، بيروت.
٢٤٩- **المرأة المسلمة إعدادها ومسؤليتها في الدعوة**، أحمد بن محمد أبابطين، دار عالم الكتب، ط٣، ١٤١١هـ، الرياض.
٢٥٠- **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ، بيروت.
٢٥١- **المسلمون والروم في عصر النبوة**، عبدالرحمن أحمد سالم، دار الفكر العربي، د. ط، ١٤١٨هـ، القاهرة.
٢٥٢- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الإمام أحمد بن حنبل. بيت الأفكار الدولية، د. ط، ١٤١٩هـ الرياض.
٢٥٣- **مسند الشاميين**، سليمان احمد الطبراني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥هـ، بيروت.
٢٥٤- **مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ وأقواله على أبواب العلم**، الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، دار الوفاء. ط١، ١٤١١هـ، المنصورة.
٢٥٥- **المسند**، الإمام أبوعبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب

العلمية، د. ط، ١٤٠٠هـ، بيروت.

٢٥٦- **مصادر النصرانية دراسة ونقدا**، عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو، دار التوحيد، ط١، ١٤٢٨هـ، الرياض.

٢٥٧- **المصباح المنير**، أحمد بن محمد الفيومي، مكتبة لبنان، د. ط، ١٩٨٧هـ، بيروت.

٢٥٨- **مصطلح الحديث**، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار طيبة، د. ط، د. ب.

٢٥٩- **المصطلحات الدعويَّة**، عبدالله بن محمد المجلي، دار الحضارة، ط١، ١٤٣٠هـ، الرياض.

٢٦٠- **المصلحة العامة من منظور إسلامي**، فوزي خليل، دار المؤيد، ط١، ١٤٢٤هـ، الرياض.

٢٦١- **مصنف ابن أبي شيبة**، الإمام عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر، د. ط، د. ت، د. ب.

٢٦٢- **مصنف عبدالرزاق**، الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني، دار الفكر، د. ط، د. ت، د. ب.

٢٦٣- **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، ط١٦، ١٩٨٧م، بيروت.

٢٦٤- **معالم التنزيل**، الإمام الحسين بن مسعود البغوي، دار الفكر، د.ط، ١٤٠٥هـ، بيروت.

٢٦٥- **معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام**، إبراهيم سليمان عيسى، دار المنار، ط١، ١٤١٤هـ، القاهرة.

٢٦٦- **معجم الإيمان المسيحي**، صبحي حموي اليسعوي، دار المشرق، ط٢، ١٩٩٨م، بيروت.
٢٦٧- **معجم البلدان**، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، د. ط، ١٣٩٧هـ، بيروت.
٢٦٨- **معجم الصحاح**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط٣، ١٤٢٩هـ، بيروت.
٢٦٩- **المعجم الكبير**، الإمام سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، مكتبة ابن تيمية، ط٢، د. ت، القاهرة.
٢٧٠- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر،د.ط، ١٣٩٩هـ، د.ب.
٢٧١- **معجم اللغة العربية المعاصر**، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ. د.ب.
٢٧٢- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، ط٢، ١٣٩٢هـ، تركيا.
٢٧٣- **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤١٨هـ، بيروت.
٢٧٤- **المعجم**، أبوبكر محمد بن ابراهيم المشهور بابن المقرىء. تحقيق: أبي عبدالرحمن عادل بن سعد. مكتبة الرشد. ط١. ١٤١٩هـ، الرياض.
٢٧٥- **معرفة السنن والآثار**، الإمام احمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت، بيروت.
٢٧٦- **المغني**. الإمام عبدالله بن محمد بن قدامة، مكتبة القاهرة، د. ط،

١٣٨٨هـ، د. ب.

٢٧٧- **مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة**، سعيد علي القحطاني، د. ن، ط١، ١٤١٥هـ، د. ب.

٢٧٨- **مقومات نجاح الدعاة في العصر الحديث**، أحمد محمد جلهوم، دار ابن القيم، ط١، ١٤٣٢هـ، الرياض.

٢٧٩- **منار السبيل في شرح الدليل**، الشيخ إبراهيم بن محمد ضويان، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٥هـ، د. ب.

٢٨٠- **مناهج البحث وكتاباتها**، يوسف القاضي، دار المريخ، د.ط، ١٣٩٩هـ، الرياض.

٢٨١- **مناهج الجدل في القران الكريم**، زاهر بن عواض الألمعي، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٣٣هـ، بيروت.

٢٨٢- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، الإمام عبد الرحمن بن علي الجوزي. المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ، بيروت.

٢٨٣- **منهج الإسلام في الحرب والسلام**، عثمان جمعه ضميرية.مكتبة دار الأرقم.ط١. ١٤٠٢هـ الكويت.

٢٨٤- **منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب**، محمد بن سيدي الشنقيطي.رسالة دكتوراه منشورة.كلية الدعوة. الجامعة الإسلامية.١٩٨٣هـ.المدينة.

٢٨٥- **منهج السلف في الوعظ**، سليمان العربي بن صفيه، مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٣١هـ، الرياض.

٢٨٦- **منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام**، حمود بن أحمد الرحيلي. رسالة ماجستير، غير منشورة .قسم الدعوة.كلية الدعوة وأصول الدين. الجامعة الإسلامية. ١٤٠٤ هـ. المدينة.

٢٨٧- **منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدَّعوة إلى الله**، عبدالله بن رشيد الحوشاني، دار إشبيليا، ط١. ١٤١٧هـ.الرياض.

٢٨٨- **منهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، محمد بن صامل السلمي، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٩هـ، الدمام.

٢٨٩- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، أحمد بن علي المقريزي، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٨هـ، بيروت.

٢٩٠- **الموافقات**، الإمام أبواسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي، دار ابن القيم، د. ط، ١٤٢٤هـ، د. ب.

٢٩١- **موسوعة حقوق الإنسان**، خديجة النبراوي، دار السلام، ط١، ١٤٢٧هـ، مصر.

٢٩٢- **الموسوعة في سماحة الإسلام**، محمد الصادق عرجون، الدار السعودية، د. ط، د. ت، د. ب.

٢٩٣- **الموطأ**، الإمام مالك بن أنس،دار احياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ، بيروت.

٢٩٤- **موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية**، حسن خالد، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٦، بيروت.

٢٩٥- **ميزان الاعتدال**، الإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار المعرفة، د. ط، د. ت، بيروت.

٢٩٦- **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، الإمام أحمد بن علي بن حجر، دار ابن كثير ط١. ١٤٢١هـ د.ب.

٢٩٧- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، يوسف بن تغري الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، د. ط، د. ت، مصر.

٢٩٨- **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر**، الإمام أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، ط١، ١٤٢٢هـ، الرياض.

٢٩٩- **النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية**، نصر بن يحي المتطبب، تحقيق: محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة، د.ط، د.ت، القاهرة.

٣٠٠- **النظام السياسي في الإسلام**، سعود آل سعود وسليمان بن قاسم العيد وغيرهم. مدار الوطن ط٤، ١٤٣٠هـ، الرياض.

٣٠١- **نماذج حية للمهتدين الى الحق قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا**، الحسيني معدّى دار الكتاب العربي.ط١. ٢٠٠٦م.دمشق.

٣٠٢- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، أحمد بن عبدالوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، ١٤٢٣هـ، القاهرة.

٣٠٣- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، الإمام المبارك بن محمد بن الأثير، بيت الأفكار الدولية، د. ط، د. ت، الرياض.

٣٠٤- **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**، الإمام محمد علي الشوكاني، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ، د. ب.

٣٠٥- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، الإمام محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، د. ط، ١٤٢٤هـ، القاهرة.

٣٠٦- **هداية الرواة الى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة**، الإمام أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن القيم، ط١، ١٤٢٢هـ، الدمام.

٣٠٧- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المحقق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، د. ط،١٤٢٠هـ، بيروت.

٣٠٨- **وسطية الإسلام في سماحة الدين وتسامحه**، محمد بن أحمد الصالح، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٨هـ، الرياض.

٣٠٩- **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، رؤوف شلبي، دار الاعتصام، ط٢، ١٤٠٠هـ، د. ب.

٣١٠- **اليهودية والمسيحية**، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٩هـ، المدينة.

المجلات والبحوث العلمية:

١- **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، العدد (٤٩)، محرم، ١٤٢٦هـ بحث الإقناع والتأثير، إبراهيم بن صالح الحميدان.

٢- **مجلة الفيصل**، العدد (٢٨٨) مقال بعنوان: الدعاة والسمات الاجتماعية والثقافية لغير المسلمين، ابراهيم بن علي اللحيدان.

٣- **مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية**، العدد الرابع.١٤٢٢هـ. بحث بعنوان: حقوق غير المسلمين وواجباتهم في المملكة العربية السعودية، عبدالله بن ابراهيم اللحيدان.

المواقع الالكترونية:

١- الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين -رحمه الله-، http//ibn-jebreen. com

٢- موقع الشيخ أحمد ديدات www.ahmed-deedat.net

٣- موقع الموسوعة http://ar.wikipedia.org

٤- موقع الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org

٥- موقع أنا المسلم www.muslm.net

٦- موقع طريق الدعوة www.tttt4.com

٧- موقع مكتب الدعوة بحي الروضة www.arrawdah.com

فهرس الموضوعات